

فتح الله كُولَن

ومقومات مشروعه الحضاري



## فتح الله كُؤن

ومقومات مشروعه الحضاري

Copyright©2015 Dar Al-Nile  
الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة، ولا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو بأية وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير الفوتوغرافي أو التسجيل أو وسائل تخزين المعلومات وأنظمة الاستعادة الأخرى بدون إذن كتابي من الناشر.

### الترقيم الدولي

ISBN: 978-977-801-000-8

### رقم النشر

1031

### دار النيل للطباعة والنشر

الإدارة: 22 حـ - جنوب الأكاديمية - التسعين الشمالي - التجمع الخامس - القاهرة الجديدة - مصر

Tel & Fax: 002 02 26134402-5

Mobile: 0020 1000780841

E-mail: info@daralnil.com

www.daralnil.com

القاهرة - 2015م

# فتح الله كُولَن

ومقومات مشروعه الحضاري

تأليف

علي أونال (Ali Ünal)

ترجمة

د. عبد الرازق أحمد محمد

**علي أونال (Ali Ünal)**  
**باحث وكاتب ومترجم**

وُلِدَ "علي أونال" في التاسع عشر من يناير/كانون الثاني عام (١٩٥٥م)، وقد عمل بالتدريس فترة من الزمان، وكتب في عدة صحف ومجلات، وترجم من الإنجليزية إلى التركية، كما ترجم من التركية والعربية إلى الإنجليزية أيضاً، وكتب كثيراً من المواد العلمية لعدة موسوعات.

رَأَسَ علي أونال تحريرَ مجلة "يُنِّي أوميْت (Yeni Ümit)" [الأمل الجديد] لمدة أربع سنوات، ليتراًسَ بعدها أيضاً تحرير مجلة "The Fountain" الإنجليزية مدة مماثلة، ويواصل حالياً الكتابة في أحد أعمدة صحيفة "زمان (Zaman)" التركية، وهو يجيد اللغة التركية والإنجليزية والعربية، كما يعرف اللغة الفارسية بدرجة متوسطة، وهو متزوّج وله أربعة أبناء.

# فَهْرِسْتِ

## الفصل الأول

### خلفية تاريخية

فتح الله كُؤَلْنُ في الأسرة وهالة التحصيل الأولى ..... ١٣

### الفصل الثاني

#### رؤية فتح الله كُؤَلْنُ للإسلام

صعوبات في فهم الموضوع وتقديمه ..... ٢٥

رؤية فتح الله كُؤَلْنُ للإسلام أو منهجه في تطبيق الإسلام ..... ٣٢

عناصر أخرى مهمة في رؤية فتح الله كُؤَلْنُ الإسلامية ..... ٤٦

مقارنة رؤية فتح الله كُؤَلْنُ حول الإسلام بالرؤية الأيديولوجية للإسلام ..... ٧١

### الفصل الثالث

#### فتح الله كُؤَلْنُ: رجل الحركة والفكر

حركة وعمل فتح الله كُؤَلْنُ بنظريتها وهدفها ومحركاتها ..... ٩٠

المبادئ الأساسية في حركة وعمل فتح الله كُؤَلْنُ ..... ١١٠

النشاطات الأساسية في حركة وعمل فتح الله كُؤَلْنُ ..... ١٢٦

عقبات أمام الحركة والفكر ..... ١٤١

فتح الله كُؤَلْنُ مُرَبِّيًا ..... ١٤٧

فتح الله كُؤَلْنُ مُرَبِّيًا للنفس ..... ١٨٤

فتح الله كُؤَلْنُ مِعْمَارٌ فِكْرِي ..... ٢٢١

فتح الله كُؤَلْنُ كَاتِبًا وشاعرًا ..... ٢٣٠

التسامح والحوار في حركة وعمل فتح الله كُؤَلْنُ ..... ٢٣٥

## الفصل الرابع

فتح الله كُولُنْ بأفكاره وآرائه حول المفاهيم المعاصرة والمواضيع المهمة والحديثة

٢٨٦.....	العلم الشرعي والعلم الحديث، والتقنية والعلاقة بين الدين والعلم
٣٠٤.....	التبليغ بالإسلام بواسطة العلوم الطبيعية والتقنية
٣٠٦.....	ماهية الإنسان ومكانته بين الموجودات
٣٢٤.....	الثقافة والفن والأدب والموسيقى والسينما والمسرح
٣٣٦.....	الترقّي والحرية والمدنيّة
٣٤٣.....	بعض المصطلحات المستحدثة

## الفصل الخامس

فتح الله كُولُنْ " فردًا من الناس "

٣٦٠.....	أبرز ثلاث سمات في شخصية كُولُنْ
٣٦٦.....	فتح الله كُولُنْ: سمائهُ الأخرى وحياتهُ اليوميّة

الملاحق

٣٨١.....	الملحق الأول: نشرة حياة فتح الله كُولُنْ التسلسلية
٣٨٧.....	الملحق الثاني: الحوارات
٣٩١.....	الملحق الثالث: منهج التدريس في حلّق الأستاذ كولن
٤٠٣.....	الملحق الرابع: قائمة مؤلّفات الأستاذ فتح الله كُولُنْ
٤١٩.....	المصادر

## عرض

إن أصعب مجالات البحث والتأليف والكتابة هو تناول شخصية معيّنة، والإقدام على سبر أغوارها ومحاولة التعريف بها، لا سيما إن كانت الشخصية التي نتناولها متعددة السمات والخصائص والخصال ومعروفة لدى الرأي العام، وهذا طبعاً بغض النظر عن تعيين الشخص المُزْمَع الكتابة عنه؛ إذ "الإنسان ذلك المجهول" - على حدّ قول "الكسيس كاريل" (Alexis Carrel)<sup>(١)</sup> - شيء ملغزٌ ومعضّلٌ على أية حال، ومع أن كل فردٍ من أفراد البشر يحمل جوانب مشتركةً بينه وبين غيره من ناحية الطبيعة الإنسانية؛ إلا أنك إذا نظرت إلى بني البشر على اعتبار أن كل فردٍ بمثابة عالمٍ متفرّدٍ برأسه؛ يتّضح لديك مدى صعوبة الكتابة بحق الأشخاص بُغية التعريف بهم.

ومع أن فتح الله كُولْن جعل غايته أن يكون "فردًا من الناس"، بل ورغم أنه رأى نفسه أحقرَ الناس إلا أن الجميع يتفق على أنه شخصٌ يمتازُ بصفاتٍ وخصائصٍ مختلفةٍ جدًّا، وإنّ ما جعل من كُولْن "كُولْن" الذي انعكس على المجتمع بحركته وفكره على الأكثر - والذي يجري التركيز على جانبه هذا بشكلٍ أكبر - إنما هو روحُ حركته وفكره، ونشاطه وهدفه، وهناك كثيرٌ من العناصر الأخرى كامنة في مكنون اتّجاهه؛

(١) الإنسان ذلك المجهول: أشهر كتب العالم الفرنسي "الكسيس كاريل"، وقد استقبل بحماسة عظيمة عندما نشر لأول مرة في أصله الفرنسي عام (١٩٣٥م)، وأعيدت طبعته عدة مرات، وهو يشتمل على كثير من تجارب مؤلفه عن الإنسان والحياة من وجهة النظر العلمية البحتة، وقد حصل كاتبه كاريل على جائزة نوبل عام (١٩١٢م) لأبحاثه الطبية. (المترجم)

فكولن كاتب وشاعر يتمتع بأسلوبٍ خاصٍ به دون غيره، وإنه لمن الصعب تقليده بل يستحيل، وإلى جانب هذا؛ فهو خطيبٌ بارع يتمتع بكتليةٍ واسعةٍ من المستمعين ربما لم تُقدَّر في التاريخ لأحد من قبله إلا لبعض الأفاض والأعلام المعدودين، وهو إلى جانب وقوفه العميق على العلوم الإسلامية -مثل: علم الكلام والتفسير والفقه والحديث والسيرة والتصوّف- مؤهّلٌ للحديث والكتابة بأريحيةٍ تامّةٍ في علوم الأدب والتاريخ والفلسفة والفنون الجميلة والعلوم "الطبيعية" بمبادئها العامّة، وإن تحليلاته للأشياء والحوادث -سواء التي في "الطبيعة" أو تلك التي في "الإنسان"- لهي ذات طبيعةٍ تقتضي الوقوف على كلّ منها على حدة؛ فلديه مخزونٌ ثقافيٌّ معرفيٌّ يُمكنه من الحديث والكتابة -دون عناء- عن المفاهيم والتيارات والأفكار الحديثة كلّها تقريبًا، أضف إلى ذلك؛ فإن جانبه ومفهومه الروحيّ والإنسانيّ يُعتبر سمةً بارزةً في جذب مَنْ يروّنه نموذجًا يُمكن الاحتذاء به في السلوك والاعتقاد والحسّ والتوجّه.

إن محاولة التعريف بإنسانٍ ذي شخصيّةٍ متعدّدة الجوانب -مثل فتح الله كولن- ربّما يكون زعمًا فيه تجاوزٌ للحدّ، أكثر من كونه صعبًا، لأن المعرفة والعلم -لا سيّما التعريف- يقتضي الإحاطة بالعنصر المقصود، ولهذا السبب فربما يكون من الواجب تسليط الضوء على جوانبه المنعكسة على الخارج، ومحاولة إظهاره والتعريف به عبر أعماله، وعلى حدّ قول رسول الله ﷺ: "فَرَبٌّ مُبْلَغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ..."<sup>(٦)</sup> وبذا فقد يُفتح في هذا الإطار بابٌ لذوي الأفهام الأكثر فهماً للنصوص واستنباطاً منها حسب قدراتهم وإمكاناتهم الفكرية العالية.

ولهذا كله؛ فقد اعتمد في الكتاب الذي بين أيديكم على كتابات فتح الله كُولُنْ بالدرجة الأولى، وعلى أعماله الفعلية ونشاطاته الظاهرة بالدرجة الثانية، وعلى الكتابات والتحليلات التي جرت بحقه بالدرجة الثالثة، ثم انطباعاتي وملاحظاتِي الشخصية بالدرجة الرابعة، ونظرًا لكوني أعرفه معرفةً شخصيَّةً عن قُرْبٍ؛ فقد يظنُّ الكثير من الناس أنني جانبت الموضوعية في كتابتي عنه، ومحاولين إيجادَ شاهدٍ من خلال التقييمات والآراء، إلا أنني أستطيع القول بكلِّ راحةٍ: إنَّ هذا القلق والتنبه لهذه الظنون قبل حدوثها حال دون تعريف فتح الله كُولُنْ بعباراتٍ أكثر موضوعيةً في هذا العمل الذي بين أيديكم، أي إنَّ خوفاً من الوقوع في مثل هذه الظنون منعتني من كتابة كثير من الأشياء لصالحه ربما كان من الواجب كتابتها، ولذلك فإنني آمل إن قلتُ: "ليس في هذا الكُتَيْبِ سطرٌ واحدٌ غيرُ موضوعيٍّ أو يهدف إلى تقديمه على نحوٍ إيجابيٍّ ومدحه"؛ أن لا أكون مبالغاً وزاعماً واهماً.

يتكوّن هذا العملُ من خمسة فصول وأربعة ملاحق وقد ركّز في الفصل الأول منه على الخلفية التاريخية لفتح الله كُولُنْ من أجل التعرف عن قربٍ أكثر؛ بأفكاره وشخصيته وحركته وفكره، كما سعي في هذا الإطار للنظر إلى الهالة الأسرية التي نشأ فيها فتح الله كُولُنْ بخطوطها العريضة.

وفي الفصل الثاني: جرى تناول فهم فتح الله كُولُنْ للإسلام بين أنماط فهم الإسلام الموجودة أو بين الرؤى المتعددة للإسلام، وأسس هذا الفهم وعناصره على نحوٍ مقارنٍ مع الأنماط الأخرى.

أما في الفصل الثالث: فقد جرى الحديث عن كيفية بناء فتح الله كُولُنْ للذهن والعقل وتزكية النفس ونظريته التربوية في إطار أفكاره وأنشطته

التعليمية والتربوية بالمعنى المعروف اليوم، وسُعي إلى تعريفه باعتباره إنسان الحركة والعمل وذي فكرٍ يكمنُ في أساسه التسامح وتعدّد الآراء ومحاولات الحوار، وقد رُكّز في هذا الكتاب بصفةٍ خاصّةٍ على هدف حركة وفكر فتح الله كولن، ونشاطاته الأساسيّة ومبادئه في ذلك.

وفي الفصل الرابع: دُرست آراء وأفكار فتح الله كولن فيما يتعلّق بالمفاهيم والقيم المعاصرة وبعض المواضيع الحالية مثل: العلم والدين والعلاقة بينهما والتقنية أو التكنولوجيا، والإنسان بشخصيّته وطبيعته وقيمه الخاصّة به، والمرأة والثقافة والفن والفنون الجميلة، والديمقراطية والجمهوريّة والسياسة، والتقدّم والحرية والحضارة والإرهاب والفساد والبحث عن المجتمع النظيف، أما الفصل الخامس: فقد خُصّص لشخصيّة فتح الله كولن وخصائصه ك"فردٍ من الناس"، وبعد هذه الفصول الخمسة عُرِضَ التسلسل الزمنيّ لحياته في ملحقٍ خاصٍّ بذلك (الملحق الأول).

ولقد انتهجنا في هذا العمل توثيق الاقتباسات المأخوذة والأفكار والأقوال المنقولة عن كولن، فإذا اقتبسنا شيئاً -بشكلٍ مباشرٍ- صدر في مجلّةٍ ما وثقنا له ذلك بذكر بياناتها بصفةٍ عامّةٍ، وإن اقتبسنا مجرد الفكرة أو نقلنا عنه بتصرفٍ ذكرنا في مثل هذه الحالة -على الأغلب- الكتاب الذي أخذت منه تلك الفكرة أو العبارة كمصدرٍ لها، والمقالات الافتتاحيّة في المجلّات المثبتة هنا خاصّة بفتح الله كولن<sup>(٣)</sup>.

ولا بدّ هنا من أن أوكد على هذه النقطة: لقد صار من الصعب إلى حدٍّ كبيرٍ الإفصاح عن الرأي أو البوح بوجهة النظر في بعض المواضيع،

(٣) بعض المقالات التي وثّق لها المؤلف من المجلّات نُشرت لاحقاً في صورة كُتُب، ولذلك فقد غُزيت إلى تلك الكُتُب التي نُشرت بها، بالإضافة إلى أننا ذكرنا بيانات نشر تلك المقالات للمرة الأولى بين قوسين معقوفين

لا سيّما في يومنا الحاضر؛ بسبب الحساسيات السياسيّة والأيدولوجيّة، خاصّةً عند الكتابة عن شخصيّة مثل شخصيّة فتح الله كُولُنْ التي أثّرت الجدل حولها في السنوات الأخيرة؛ لأسباب لا تعتمد على أية حجة سليمة على الإطلاق، ومن هنا يشعر الإنسان بضرورة أن يكون أكثر دقّةً وحيطةً، ورغم اختلاف الشخصين؛ -المكتوبُ عنه والكتّابُ المحلّلُ لذلك الشخصِ بقدر معرفته له- إلا أن الشخصَ الذي يكتبُ ويُحلّلُ يحاكمه الآخرون بأفكارٍ وتحليلات الشخص المكتوب عنه ومن هذه الناحية فإن أيّ تحليلٍ أو رأيٍ يُطرحُ سواء بحقّ فتح الله كُولُنْ أو بحقّ الجوانب التي شعرتُ بالحاجة إلى التطرّق إليها لا تُمثّلُ أيّ شيءٍ رسميٍّ بالنسبة لفتح الله كُولُنْ، كما أنها لا تُلزّمه بأيّ شيءٍ، فوجهة النظر والفكرة والتحليل والتقييماتُ جميعُها خاصّةٌ بي، وهي قراءتي الشخصيّة الصّرفة ومن عندي أنا، وإني أترك للتاريخ تفسير وتوضيح السبب في شعوري بضرورة التذكير بشيء كهذا والتأكيد عليه في عصر "الحضارة" الذي يُزعم أن حقوق الإنسان الأساسيّة وحيّاته هي أكثر الأمور المرعية الحاضرة فيه.

آمل أن يكون هذا الكتاب وسيلةً للخير، وأرجو أن ينال إعجاب القراء فنحظى بدعائهم بصفةٍ خاصّةٍ.

علي أُونَال (Ali Ünal)

## الفصل الأول

### خلفية تاريخية

## فتح الله كُولُنْ في الأسرة وهالة التحصيل الأولى

وُلِدَ فَتْحُ اللَّهِ كُولُنْ فِي (١٩٣٨م)<sup>(٤)</sup> فِي عَالَمٍ أُقِيمَ عَلَى رِكَامِ خَلْفَتِهِ الْحِدَاثَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، إِلَّا أَنْ إِزَالَةَ تِلْكَ الْأَثَارِ تَمَامًا لَمْ تَكُنْ قَدْ أَمَكَنْتَ بَعْدُ، وَهُوَ إِلَى جَانِبِ هَذَا عَالَمٌ رُفِضَتْ فِيهِ بِشَكْلِ كَبِيرِ آيَاتٍ وَأَفْكَارٍ "الْمَجْتَمَعِ الْعُثْمَانِيَّ التَّقَدِّمِيَّ" الرَّئِيسَةَ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرٍ "إِسْمَاعِيلِ جَمِّ (İsmail Cem)"<sup>(٥)</sup>، وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ بَيْتَ الْوَالِدِ هُوَ الَّذِي أَحْدَثَ وَاحِدًا مِنْ أَهَمِّ التَّأثيرَاتِ فِي نَشَأَتِهِ كـ "مُسْتَقْبَلِ ضَارِبِ جَذَرِهِ فِي الْمَاضِي"<sup>(٦)</sup>، فَلَقَدْ كَانَ يَقَعُ مَنْزِلُ الْوَالِدِ فِي الْمَرْكَزِ مِنْ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ فِي حَيَاتِهِ الْمَمْتَدَّةِ مِنْ قَرْيَةِ "قُورُوجُوقُ (Korucuk)" - الْمَكُونَةَ مِنْ خَمْسِينَ إِلَى سِتِّينَ مَنْزِلًا بِقَضَاءِ "حَسَنِ قَلْعَةِ

(٤) إلا أن تاريخ ولادة فتح الله كُولُنْ حسب بيانات السجل المدني الرسمية السابع والعشرين من أبريل/نيسان (١٩٤١م). (الناشر)

(٥) "إسماعيل جم إينكجي (İpekçi)" (١٩٤٠-٢٠٠٧م): صحفي وسياسي تركي، عمل وزيرًا للخارجية التركية ما بين عامي (١٩٩٧ و٢٠٠٢م)، له عديد من الكتب، ويرد تعبير "المجتمع العثماني التقدمي (İleri Osmanlı Toplumı)" الذي تحدث عنه الكاتب هنا في كتاب إسماعيل جم: "تاريخ التخلف في تركيا (Türkiye'de Geri Kalmışlığın Tarihi)"، دار "جان (Can)" للنشر، إسطنبول. (المترجم)

(٦) هذه العبارة أحد مصاريع "يحيى كمال بيأتلي (Beyatlı)" (١٨٨٤-١٩٥٨م) "الشاعر والكاتب والسياسي والدبلوماسي التركي، وقصة هذا الشعر هي أن "ضيا كوك ألب (١٨٧٥-١٩٢٤م)" - أحد الكُتَّابِ الْقَوْمِيَّينِ فِي عَصْرِ "يحيى كمال" - أوما إلى ولع "يحيى كمال" بالتاريخ والثقافة العثمانية ببيت ترجمناه هكذا:

عَيْتُكَ عَلَى مَا فَاتَ وَلَسْتُ مَا هُوَ آتِي فَأنتُ خِرَابِيٌّ لَا خِرَابَاتِي

فرد عليه "يحيى كمال" ببيت ترجمته:

إنني آتٍ جذوره ضاربة في الماضي فلستُ بخرابي ولا خراباتي

[كلمة "خرابي" نسبة إلى الخراب، أما "الخراباتي" فنسبتها إلى "الخرابات" كلمة فارسية بمعنى الحانة، والخراباتي يأتي بمعنى "الفقير" أيضًا].

"(Hasankale) أو باسمه الآخر "بَسِينَلَرُ (Pasinler)" التابع لمحافظة "أَزْضُرُومُ" - إلى قلب "أَزْضُرُومُ" نفسها؛ التي كانت مفعمةً بالنشاط والروح الإسلاميّة، ففي هذا البيت -وعلى حدّ تعبيراته وتقييماته هو- كان الجدُّ "إسماعيلُ آغا" -رمزُ الجدِّ والوقار ورباطة الجأش والالتزام الديني-؛ على علاقةٍ قلبيةٍ مع حفيده لم يفتن إليها أحدٌ، وبالرغم من أن الأب "رامز أفندي" نشأ في قريةٍ صغيرةٍ، وفي فترات الجذب والحقط والجفاف المادّي والمعنويّ في تركيا؛ إلا أنه كان شخصاً نبيلًا عاشقًا للعلم، لا يُضَيِّعُ وقته هباءً أبدًا، فطنًا كريمًا متمسكًا بدينه من شغاف قلبه، أما السيدة "مؤنسة" جدّته لأبيه فكانت سيدهً عميقةً وغامضةً كالبهار الهادئة المستقرّة، مثاليّةً تبيّن بكلِّ أحوالها وأطوارها إيمانها وصلتها بربّها؛ أما السيدة "خديجة" -جدّته لأُمّه سليمة أحد الباشاوات- فقد كانت بكلِّ أوصافها مثالًا للنزاهة، أما ابنتها السيدة "رفيعة" والدة فتح الله كولن فقد كانت هي كذلك تماثلًا للشفقة ونقاء النفس علّمت نساء القرية كلّهن القرآن الكريم، فنشأ فتح الله كولن في بيتٍ على ذلك النحو؛ فتعلم وهو لا يزال في الرابعة من عمره قراءة القرآن الكريم، وفي تلك السنوات كان تدريس القرآن الكريم علانيةً في تركيا ممنوعًا وأمراً في غاية الصعوبة، ولهذا السبب كانت السيدة "رفيعة" توظف ابنها ليلاً؛ فتعلّمه القرآن الكريم.

كان هذا البيت وكأنه دار ضيافةٍ يحطُّ فيها مشاهير أهل العلم والمعنى وتستقطبهم مما حولها، فكانت بالنسبة لهم دار الحلِّ والترحال، فكان الأب "رامز أفندي" محببًا للعلم والعلماء كثيرًا، محاولًا اصطحابهم ومرافقتهم، يسعى يوميًا لاستضافةٍ أحدهم -على الأقلّ- في بيته، ولذا وجد الطفل فتح الله أفندي -الذي يحبّ مجالسة الكبار أكثر من مجالسة أقرانه- نفسه في حلقةٍ من العلم والروحانيات منذ مولده، فهذه هي الحلقة التي تعرّض فيها للتأثيرات الأوّليّة التي ستبني في كيانه المشاعر الجذريّة (ما دون

الوعي) وبالتالي كانت تلك الحلقة المكان الذي عاش فيه الاختمار الأوّل في تكوّن روحه، لقد كانت تلك الحلقة تُكسِبُه تداخُلَ الدنيا والآخرة.

درس فتح الله كُوْلُنْ الابتدائية في قريته، وعلى حين كان يدرّس من جانب، كان يساعد والدته في شؤون البيت من جانبٍ آخر؛ لكونه الابن الأوّل فيه، وقد درس اللغة العربية على يد والده أولاً، ثم على يد "سعدي أفندي"، وتعلّم التجويد على يد "الحاج صدقي أفندي" في "حسن قلعة" وقد أثر فيه "ألّوازلي محمد لطفي أفندي"<sup>(٧)</sup> في أولى سنوات طفولته وشبابه أعظم التأثير.

جاء فتح الله كُوْلُنْ "أزُصروم" لمواصلة تعليمه، وكانت أشياؤه تملأ صندوقاً صغيراً جداً يحمله في يده، فواصل تعليمه تحت وطأة ظروفٍ عسيرةٍ جداً.

أفراد العائلة مرتبطون ببعضهم لأقصى درجة، ومن ثمّ فإن فتح الله كُوْلُنْ الطفل والشاب قد هزه من أعماقه موتُ أخت له في صغرها، وموت كلّ من جدّه وجدّته وهو لا يزال يدرس في "أزُصروم"، ثم موت محمد لطفي أفندي لاحقاً.

نشأ فتح الله كُوْلُنْ في بيئةٍ سادتها التربية الإسلامية ورُوعيت فيها مراعاةً جيّدةً، فكان من احترامه وتوقيره لا يُمدّد -حين يريد النوم- قدميه صوب رفاقه في الغرفة الضيقة التي يقيم فيها معهم، وذلك حينما كان يواصل تعليمه في "أزُصروم"، فكانت تلك هي إحدى الجهات الأربعة المعروفة، وأما الجهة الثانية فكانت القبلة، والجهة الثالثة تصطفُ فيها

(٧) "ألّوازلي محمد لطفي أفندي" (١٢٨٣هـ/١٨٦٨م - ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م): عالمٌ زاهدٌ وشاعرٌ صوفي، ولد في محافظة "أزُصروم" شرقي تركيا، حصل على الإجازة العلمية من كبار علماء عصره، وبعد أن عُيّن إماماً وخطيباً انتسب لشيخ النقشبندية محمد بيرى كفراوي، عُرف بين الناس بـ"إمام ألّواز"، واشتهر بلقب "سيدي أفا"، نظم أشعاراً بالعربية والفارسية والتركية، نُشرت فيما بعد تحت عنوان "خلاصة الحقائق". (المترجم)

كُتِبُهُ؛ فكان يمتنع أيضاً عن مدّ قدميه نحو تلك الجهتين احتراماً للكتب والقبلة، أما الجهة الأخيرة من الغرفة فكانت صوب قريته "قُورُوجُوق"؛ حيث والده؛ ولاحترامه إياه لم يكن يمدّهما إليها كذلك، بل إنه كان يُمضي بضع ليالٍ جالساً بهذا الشكل.

كان فتح الله كُولُن في شبابه مفعماً بالحيويّة إلى حدّ بعيدٍ، لا يُهمل ممارسة الرياضة، ويرتدي بنظيف الثياب، بل بشكل يمكن القول إنه فاخر بالنسبة لظروف ذلك العصر، لا يرتدي بنطالاً دون كَيّ، ولا حذاءً دون تلميع.

وكما أن البيئة التي ينشأ فيها الأشخاص تكون مهمّة في تربيتهم؛ فإنها تكتسب أهميّة أخرى بسبب أسسها التاريخيّة والوضع القائم آنذاك؛ لا سيّما في التعرّف على الأشخاص الذين جاؤوا وأثروا في المراحل الانتقاليّة من التاريخ، ويمكن القول إن هذه الخلفية التاريخيّة مهمّة إلى حدّ كبير في التعرّف على شخصيّة فتح الله كُولُن التي يشكّل الماضي ثلثها، والحاضر ثلثها الثاني، بينما المستقبل يُشكّل ثلثها الأخير.

وهكذا فإننا حين ننظر إلى مقالات فتح الله كُولُن الناشئ في بيئة أُسْتُشِعِرَتْ فيها بشكل حقيقي نساءً "المجتمع العثمانيّ التقدّميّ" في مجالات الأخلاق والروحانيّات والنظام العائليّ وآداب المعاملة من جانبٍ، وانهبأر دولة حكمت القارّات الثلاث زماناً؛ فأصبحت أنقاضاً بفعل مسيرة الحداثة من جانبٍ آخر، وعمّت فيه آلام هذه الأنقاض التي عجزت أن تنظفها تماماً حادثة الجمهورية السائرة بالتوازي مع الحداثة العثمانية بحيث أصبحت -تلك البيئة- مصدرًا للأفكار والأحاسيس المتناقضة، فعند النظر إلى ذلك كلّه يلفت انتباهنا أنه يكمن في أغلبها -أي المقالات- ألمٌ مصدره التاريخ، ونشاطٌ وعشقٌ وقلقٌ وحماسةٌ مصدره

الحاضر، وأملٌ وشوقٌ مصدره المستقبل وهذا ما يُشكّل أهمّ العناصر فيها، وهو ينظر إلى الماضي والحاضر من نافذة تلك اللوحة التي حاولنا أنفأً تصوير قسمٍ منها بكلماته وعباراته هو؛ فيقول ما يلي:

"كان عالمنا في زمنٍ ما بلدٌ ثقافيّ وحضارةٌ مُتميّزاً في كلّ شيءٍ... المدن والقرى في هذا العالم وثيقة الترابط فيما بينها بفضل راوبط ماديّة ومعنويّة، وكان البلد كله بقصباته وقراه ومُدُنُه يشبه مدينةً عظيمةً، وجميع الناس في هذه المدينة المثالية يتّصفون بصفاءٍ أخلاقيّ عميقٍ ووعيٍ دينيٍّ سليمٍ ووحدةٍ مليّةٍ لا تتزعزع... وفي ظلّ هذا كانوا يحظون بسعادةٍ وطمأنينةٍ عظيمةٍ، وكانت الحياة في أغلب الأماكن تجري دون وقوع حوادثٍ أو نزاعاتٍ أو جرائمٍ أو افتتاتٍ على حقوق الآخرين؛ حتى إن الرّحالة المنصفين ذهبوا إلى أن كلّ شيءٍ هنا يجري على نحوٍ خارقٍ للعادة".

"الجميع هنا يمتثلون ويفيضون خيراً وجمالاً؛ وكلّ واحدٍ منهم يتحرّك وهو على وعيٍ بأن بعضهم لبعضٍ ناصحٌ أمينٌ، ويتصرّف كلّ فردٍ وكأنه حامي شرف وكيان وعرض المجتمع، ويبذل الجميع جهده ليكون كلّ واحدٍ منهم فائق ورفيع الحسّ وذا مروءة خارقةٍ وصدقٍ خالصٍ ينبع من القلب في سبيل سعادة المجتمع... ويعيش ذوو المقدره تحت أمر الدولة والأمة بما يملكونه من إمكانياتٍ، أما المحتاجون فما كانوا يُضطرّون إلى التذلّل والتسوّل".

"نحن أدركنا قيمة حضارتنا الرائعة تلك التي تحوّلت إلى كومةٍ من الأنقاض بفعل هزّاتٍ متتابعهٍ، وعجزنا أن نشاهد ونبصر هذا العالم الرائع، ونظّمه الساحرة وانتظاماته المُحيرة، عجزنا أن نرى ونبصر كلّ شيءٍ وهو في مجده وقوامه أي قبل أن تفسد بساتينه، وتُدبّل أزهيره، وتحترق غاباته لتصبح رماداً، وتنهار أراضيه وتنجرف بفعل عوامل التعرية، وتنفق جياده الأصيله،

ويعشق خياله "مهلقاً سلطان"<sup>(٨)</sup>، وتغلق العيون دون الحقيقة،  
وتغرب الشمس ويخيم الظلام على كل مكان، وتجف الجداول  
الجارية، وتقطع مياه الصنابير، وتتوقف الترانيم الدينية، وتطفأ  
القدسية، وتحوّل المقابر إلى مزابل...<sup>(٩)</sup>،<sup>(١٠)</sup>.

### العودة إلى الذات والنظرة إلى الغرب والتجدد الدائم

إن فتح الله كولن الذي يرتبط بمظاهر الماضي عبر الروحية والمعنوية والأخلاقية ونسيجه الإنساني والحضاري والثقافي، يتحدث في مقالاته -مثل مقالتيه: "الغد السعيد" (*Mutlu Yarınlar*)<sup>(١١)</sup>، و"الأجيال السعيدة" (*Mutlu Nesiller*)<sup>(١٢)</sup> - عن طبيعة المستقبل الذي يحلم به، ويستخدم تعبير "العودة إلى الذات" مثل أغلب المفكرين المسلمين في سبيل إنشاء هذا المستقبل.

العودة إلى الذات تعني: عودة الشخص إلى جذور شخصيته وثقافته وروحه الخاصة به، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا بحياة الفرد والمجتمع بفكره وإرادته الخاصة، ووقوفه على قدميه، وعمله بيديه، وتغذيته بعناصر

(٨) مهلقاً سلطان: بطلا أسطورية ورد ذكرها في أحد أشعار "يحيى كمال بيأتلي" (١٨٨٤-١٩٥٨م) الشاعر التركي العظيم وهي امرأة شديدة الحسن، ففي سبيل هذه الحسناء الساحرة بهيم في الطرق سبعة شبان عشقوها فتركوا وطنهم بحثاً عنها، وقد راحت رحلة بحثهم هذه تمتد يوماً بعد يوم، وترعجهم، وقد فقد كثيرون أرواحهم في هذا السبيل. (المترجم)

(٩) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-٤: "شريحة الزمن الذهبية" (*Zamann Altın Dili*)، مقال "الأمس واليوم" (*Dün ve Bugün*)، "نيل يانيلري" (*Nil Yayınları*)، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ١٢٠-١٢٣، [مجلة "سيزني" (*Sizinti*)، ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٩م)].

(١٠) الاقتباسات التي أخذت من مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن التي لما تترجم إلى اللغة العربية غُربت إلى أصلها التركي الذي وردت به، وقد ذكر اسم الكتاب بالأحرف اللاتينية حسبما كُتب في التركية بين إشارتي تصييص (") في أول موضع ورد به. (الناشر)

(١١) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-٣: "نحو الجنة المفقودة" (*Yitirilmiş Cennet Doğru*)، مقال "الغد السعيد" (*Mutlu Yarınlar*)، "نيل يانيلري" (*Nil Yayınları*)، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ٥٧-٥٩، [مجلة "سيزني" ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٧م)].

(١٢) المصدر السابق، مقال "الأجيال السعيدة" (*Mutlu Nesiller*)، ص ٦٠-٦٢، [مجلة "سيزني"، يناير (١٩٨٨م)].

ثقافته الأساسية ونموه بها، وتجنبه مظاهر التقليد التي من شأنها أن تخدش شخصيته المليّة، وحماية الأمور التي انصهرت في أعماق ذاته منذ عصورٍ مديدةٍ مثل: الأعراف والعادات والسمات المليّة ورعايتها بحساسيةٍ فائقة.

ويقف فتح الله كَوْلُنْ على ما لا يُعتبر "عودةً إلى الذات"؛ فيرى أنه لا ينبغي أن تُفهم "العودة إلى الذات" على أنها تصرّفٌ عرقيٌّ، وتحركٌ وفقاً لرابطة الدم، أو انغلاقٌ تامٌّ دون العالم الخارجي وتوقعٌ في النموذج الشخصي، بل إن العودة إلى الذات تعني الجمع بين الماضي والحاضر، وبين الحاضر والمستقبل أيضاً، وإخراج ما يجب إخرجه من ذلك باستخدام مؤشر الثقافة المتوارثة عبر العصور وطرحه جانباً، ومن ثمّ التخلص منه، والتمسك التامّ بالنافع المتبقي.

ولا يعارض فتح الله كَوْلُنْ في موضوع "العودة إلى الذات" الاتصال بالغرب والاستفادة منه، ولكنّ ما يعارضه هو الأخطاء الثاوية في النظرة إلى الغرب وفي تقييمه والاتصال به، إنه يرى أن من أهمّ أسباب المصائب التي يتعرّض لها العالم الإسلامي الآن: هو عدم فهم الغرب وتقييمه كما يجب، والعجز عن الاستفادة من العناصر التي ترفعه وتفيده، ويدافع كَوْلُنْ عن فهم الحقائق، وإخضاع كلّ شيءٍ لمصفاة العقل والمنطق والمقايسة الذهنيّة، والتحرّك بقدر ما يسمح به نسيج المجتمع.

كما يرى كَوْلُنْ أن التاريخ شهد على امتداده حضارات كانت لها نشاطاتها وعناصرها الرئيسيّة الخاصّة بها فحسب، وكانت الحضارة الغربيّة الحديثة أيضاً واحدةً من بينها؛ لها عناصرها الأصليّة التي صاغت نفسها، وليس من الممكن أن تأتي حضارةٌ أو عائلةٌ ثقافيّةٌ أخرى فتأخذ تلك العناصر بعينها وتطبّقها؛ إذ يستحيل أن تتحوّل الحضارات إلى بعضها،

إلا أن في كل حضارةٍ عناصرٍ يمكنها أن تحقق "التوافق النسيجي" مع الحضارات الأخرى، المهم هو القدرة على تحديد تلك العناصر وتطعيم البنية بها وغرسها في الجسد، من هذه الزاوية ينظر كولن إلى الغرب وإلى علاقتنا التي يجب أن تقام معه، ويؤكد على أن الانغلاق تمامًا دون الغرب بأسلوبٍ عدائيٍّ تصرفٍ سلبيٍّ جدًّا؛ مثله في ذلك مثل تقليد الغرب دون وعيٍ ولا معرفة.

ويركز فتح الله كولن -فيما يتعلّق بحياة المجتمع ونهضة أمة- على العلم والدين والفكر والثقافة والعلاقة فيما بينهم جميعًا، كما أنه يتطرق إلى قضية اللغة حتى تتمكن البلاد من حلّ مشكلاتها وتنهض بذاتها، فيقول:

"لا بد من دراسة اللغة بثقلها الكامن في تكاملها وتطورها التاريخي، وأن تُعزّز وتُجعل لغةً تُقرأ وتُكتب بشوقٍ ولهفةٍ بين لغات العالم".

ويُرتّب فتح الله كولن أهمّ الشروط بالنسبة لأمةٍ تبغي التقدّم وسلامة البنية والبنيان، ويتطرق إلى الوعي التاريخي أيضًا، فيقرر أن:

"وعي التاريخ بمثابة جسرٍ يربط بين الماضي والمستقبل، فالأمم العاجزة عن إقامة هذا الجسر أو الحفاظ عليه؛ يصعب التنبؤ بوجهتها ونتيجتها، ولا يمكن معرفة المكان الذي سترسو عليه سفينتها في الساحل الآخر".

وكولن الذي يحمل في قناعته:

"إن هذا الحال محالٌّ؛ فإمّا حالٌ جديدٌ وإمّا الاضمحلال!"

يتحدّث عن ماضٍ رغب في استخراج وإنشاء الهوية المعاصرة من داخله، وهذا ليس مجرد "ماضٍ"، بل إنه "ماضي الحاضر".

أما المنهج الذي اقترحه كُولُنْ من أجل تحقيق هدف "العودة إلى الذات" والقدرة على البقاء والحياة دائماً فهو التجدد المستمر أو "تجديد الذات" لكنه ليس حدثاً مهووساً بالتجديد متكلِّفاً فيه، ولا مؤيداً لارتداء كلِّ "لباس" يُقدِّم إلينا بدعوى أنه حديث، بل إنه مجدّد موالٍ لسبق الزمان في إطار الارتباط بالقيم الجوهرية التي تجعل من الإنسان إنساناً، ومن أمة أمةً أمةً.

إن كُولُنْ -الذي يعتبر تجديد الذات الشرط الأول للقدرة على البقاء الدائم وأهم أسسه- يرى أن من لا يجددون أنفسهم، إذا ما آن أو أن ذلك؛ محكومٌ عليهم بالفناء والزوال إن عاجلاً أو آجلاً، حتى وإن كانوا أقوياء، فكلُّ شيءٍ يعيش ويواصل بقاءه حين يجدد نفسه.

ويلفت فتح الله كُولُنْ النظر إلى أن التجدد واقعةٌ تلاحظ وتشاهد في الطبيعة دائماً، ويقول إن الدول تتحمّل مسؤوليات عالمية بقدر تجديدها ذواتها واستعادتها شبابها، ويمكنها أن تستعدّ لفتوحات جديدة، ويعرّف ذلك الفتح بأنه:

"فتحٌ يمكن أن يتحقّق عن طريق إكساب العلم نوراً والتقنيّة إيماناً وتقديم الرسائل إلى البشرية في سبيل انبعاث الإنسانية من جديد".

ويحدّر قائلاً:

"يجب ألا يُخلط بين تجديد الذات وبين الهوس بالحدائث والولع بالتقاليد الجديدة".

إذ يرى أن التجدد الحقيقي هو حماية صفاء النواة، والتوليف بين القيم الحقيقية جميعها الممتدة من الماضي -عن طريق الإرث- وبين نسائم الفكر والعرفان الكائن في الوقت الحاضر، ومن ثم الوصول إلى

مناخات تأملٍ وتفكيرٍ أكثر بريقاً، إن تجديد الذات انبعث في الروح، إنه تقييمٌ نشوء العلوم وتطورها وتجهيز التقنية ودعمها بإمكانيات جديدةٍ تماماً وطرحها لنا لنستفيد منها، إنه التدقيق دوماً في مكاننا بالنسبة للترقي العلمي والروحي، وتفحص قناعاتنا وأفكارنا وتصوراتنا مرّةً أخرى من أولها إلى آخرها، ثم تحقيقها مرّةً أخرى، والتدقيق في الكون كلّ مرّات ومرّات في كلّ لحظةٍ، وإضفاء نكهاتٍ جديدةٍ تماماً على قرص العرفان الدفين في قلوبنا.



الفصل الثاني

رؤية فتح الله كُورْنُ لِلإِسْلَام

## صعوبات في فهم الموضوع وتقديمه

إننا حين نناقش الإسلام في تركيا ومفهومه لدى شخصيات مثل فتح الله كُولُنْ تظهر أمامنا بضع عقباتٍ يتحتم اجتيازها بشكلٍ أكيدٍ، أول هذه العقبات أن طبقة المثقفين - التي تقود ذهنيًا وفكريًا قطاعًا يُعرّف نفسه بأنه علمانيّ وغربيّ - لم تُكلّف نفسها حتى الآن ولم تَسعَ بنسبةٍ كبيرةٍ إلى فهم جوهر الإسلام في إطار منطقهِ الخاصّ، وأنها تنظر إلى ظاهرة الدّين وإلى الإسلام نظرةً خارجيّةً تمامًا، ولا سيّما أن إرجاع كل شيءٍ إلى العلمية في البلاد غير الغربيّة أكثر من البلاد الغربيّة ذاتها وكأنها المصدر الوحيد في يومنا الحاضر، والنظر إلى كل شيءٍ من وجهة نظر عقليةٍ مظنونٌ أنها خاصة بالغرب يقف أمامنا كأحد الأسباب الرئيسيّة للانفصال والانفصام القائم بين الدولة والمواطن، والتباين بين المثقف والشعب والذي يصل إلى اضطرابات عميقة في البلاد الإسلاميّة بصفة خاصة، وكذلك الخلاف بين بعض طبقات المجتمع.

وما زالت ظاهرة الدّين - ذات الفهم الغربي في القرن التاسع عشر - تواصلُ تأثيرها في تركيا ضمن ثلاثة أنماطٍ ومناهج: اجتماعيٍّ ونفسيٍّ وإنثروبولوجيٍّ، ويمكننا أن نرتّب على النحو الآتي النقاط المشتركة بين تلك الأنماط الثلاثة التي يتعدّر علينا تحليلها تفصيلًا هنا:

- الدِّين ليس نظامًا ولا مؤسَّسةً وضعتها قدرةٌ فوق البشر، وليس واضعها صاحب قدرةٍ وإرادةٍ وعلمٍ مطلقٍ، إنها نتاج العقل الإنساني ذاته.
- يحتاج الإنسان في مرحلة تكوُّن شخصيته وفي العصر الذي عجزت فيه مسيرة الحياة على وجه البسيطة عن إخضاع الطبيعة لها أو تلك التي لم تكن الحياة الاجتماعية قويَّةً جدًّا فيها إلى الإيمان بقوةٍ خارقةٍ تفوقه، فيُنظِّم هذه الحاجة في صورة الإله وبعض الطقوس.
- إن الدِّين الذي بدأ يفقد معناه ووظيفته سوف يخرج عند نقطة معيَّنة من حياة الإنسان عن كونه حاجةً إنسانيَّةً ملحةً؛ وذلك نتيجة استطاعة العلوم الطبيعيَّة والتقنيَّة إخضاع الطبيعة للإنسان وجعلها إياه الحاكم عليها، ونتيجة القدرة أيضًا على تحليل الحوادث الطبيعيَّة تحليلًا علميًّا صرفًا...
- قد يستمرّ بعض الناس في الإيمان بدينٍ ما، وبأيِّ شكلٍ من الأشكال، ورغم كلِّ شيءٍ، وذلك لأجل إشباع مجموعةٍ من الرغبات الإنسانيَّة، وإضفاء الأخلاق على سلوكياتهم وتصرفاتهم على حدِّ سواء.

تسبَّب الفهم الدينيّ الغربيّ -الخاصّ بالقرن التاسع عشر الذي تحدثنا عنه آنفًا- بحدوث أخطاء جسيمةٍ في الدول المُدرجة ضمن دول "العالم الثالث" كتركيا، وبحسب تصنيفٍ آخر ضمن فئة الدول الإسلاميَّة؛ فإن أحد هذه الأخطاء الشائعة تبادُر المسيحيَّة إلى الذهن حين يُذكر "الدِّين"، ولا سيما دمج المسيحية بالإسلام لدى قطاع المثقفين، فأكبر خطيئ يولِّده دمج هذين الدِّينين اللذين تفصل بينهما فروقٌ مهمَّة بدءًا من العقيدة إلى العبادات، ومنها إلى أدوارهما في الحياة، ومنها إلى قواعد التصرف

والسلوك؛ يظهرُ في وجهات النظر السياسيّة السليبيّة حول الإسلام وكأبرز حقيقة على ذلك -على سبيل المثال- أنه لم توجد في الإسلام في أي وقت قطّ مؤسّسة تشبه الكنيسة التي تبدو ممثل مقام الألوهية في الأرض، وتسمح نتيجة لذلك بوجود نوع من "الثيوقراطية" (١٣)، كما لم تظهر في الإسلام ثيوقراطية ولا طبقةً من رجال الدّين في تسلسل هرميّ باستثناء ما هو موجودٌ في التشيع الإيراني.

أما الخطأ الثاني -الذي تسبّب فيه استيراد مفهوم الدّين من الغرب- فهو اعتبار الإسلام نظامَ حياةٍ وعبادةٍ وعقيدةٍ "السكولائية" (١٤) يحتاج للتجديد والإصلاح أو نظامًا نتج عن ذهن الإنسان في فترةٍ من فترات التاريخ، أو اعتباره مجموعة من النصوص التي يجب قبولها دون أعمال العقل، ودون التفكير مطلقًا.

وهكذا تُشكّل هذه الأخطاء سببًا مهمًّا في الخلافات القائمة بين القطاع الإسلاميّ ومن يُعرّفون أنفسهم بالعلمانيّين.

إن تبادل العديد من المثقّفين في العالم الإسلامي -وبالطبع في تركيا- الفهم الدينيّ الصادر عن الفلسفة الوضعيّة ومنهج "فرويد (Freud)" في التحليل النفسيّ تبادلًا بقدر كبيرٍ تحت مسمّى العلم أدّى إلى عدم فهم قوّة مصدر الدّين وتأثيره على الناس، والذي أحدثه من ذاته،

(١٣) الثيوقراطية: مذهب يقوم على تعليل السلطة السياسيّة لدى الجماعة على أساس الاعتقاد الديني، ومنها نظرية (الحق الإلهي) في الحكم التي تعتبر أن الله ﷻ مصدر للسلطة، وأن الحاكم بمثابة ظلّ الله على الأرض، وتقوم الثيوقراطية على أساس العنصريّة. (المترجم)

(١٤) السكولائية: فلسفة يحاول أتباعها تقديم برهان نظريّ للنظرة العامة الدينية للعالم بالاعتماد على الأفكار الفلسفية لـ"أرسطو" و"أفلاطون"، وهي تطويع الفلسفة اليونانية لكي تتلاءم مع مبادئ العقيدة المسيحية، ولها معانٍ سلبية، فمثلا نقول: "هذه مناقشة سكولاستيكية" أي عقيمة ولا جدوى منها، أو قل إنها شكلانية جامدة مفرغة من الحياة، أو منقطعة عن الملاحظة التجريبية وحركة الواقع. (انظر: هاشم صالح: مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١ (٢٠٠٥م)، ص ٣٩. (المترجم)

هذا الفهم يعجز عن إدراك مصدر قوّة الرسل الذين تربّعوا على قلوب مئات الملايين من الناس منذ عصور، وتفردوا مثل عيسى وموسى (على نبينا وعليهما السلام)، كذلك يستحيل عليه أن يفهم كيف استطاع هذا النبي الأمي ﷺ الذي ظهر في مكة بمفرده، والذي يمثل مصدر هذا الدين المتفق مع فطرة البشر، أن يقيم عرشه في القلوب والعقول بقوّة الله والقرآن الذي أنزله تعالى، وكيف أنه دعى الناس إلى الله دون أن يرجو أيّ مصلحة دنيويّة على الإطلاق، وغير وجه العالم من كلّ ناحية، وفي فترة قصيرة جداً أصبحت ترى أولئك الناس -الذين بدّوا وكأنه يستحيل تغييرهم- وقد زينهم بأحسن القيم الأخلاقيّة، ورفعهم إلى مستوى أخلاقيّ وعلميّ بحيث صاروا أناساً مثاليين يُطلقُ عليهم اسم "الصحابة الكرام" ﷺ إلى يوم القيامة، كما أن ذلك المنهج في الفهم أيضاً لا نستطيع أن نستنبط أو نفهم منه أن الدين المزعوم سيخرج من كونه حاجة إنسانيّة مع مرور الزمان، فلقد استطاع أن يهيمن على قلوب الكثيرين من الناس وعلى عقولهم وحياتهم تدريجيّاً على مرّ الزمان، وكيف أن الرسل الذين بُعثوا قبل عصورٍ وعصورٍ ما زالت رسالاتهم ترشد مئات الملايين من البشر، كما أنه إلى جانب عجزه عن الإدراك لا يستطيع أن يوضّح السبب في ذلك، وحين يعجز عن توضيحه فإنه يسعى لإنتاج نظريات "علمية(!)" حسب رأيه هو، ومن ثم ينتهي إلى نتائج خاطئة.

إن هذا المنهج في الفهم عاجزٌ عن إدراك واستيعاب كيفية استطاعة الناس -بفضل تشجيع وإرشادات وهمّة فتح الله كولن- إنشاء المؤسسات التعليمية في شتى أسقاع الأرض، وهو عاجزٌ عن فهم وإدراك مصدر هذه المؤسسات لأنه يبحث عنه في غير أماكنه.

### تباين أنماط تقديم الإسلام وتمثيله من قِبَل المسلمين

السبب الثاني الذي يُصعّب فهمَ وتقييمَ فتح الله كَوْلُنْ ومفهومَ الإسلام لديه هو أن الغرب -الذي كان مسيطراً من الناحية العسكرية والاقتصادية والثقافية على العالم في القرنين التاسع عشر والعشرين- قدّم الإسلام تقديمًا مخالفًا للواقع عبر الاستشراق والتنصير، واستغلال العثرات التاريخية إلى حدِّ ما، وأن بعض المثقفين المسلمين صاغوا تحليلات مختلفة حول الإسلام نتيجة تأثر العديد من المثقفين في البلاد الإسلامية بذلك.

لقد دخل العالم الإسلامي القرن العشرين وهو دارٌّ للاستعمار، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى زالت من التاريخ الدولة العثمانية التي كانت بمثابة حامي هذا العالم وممثله الأعظم، وفي أعقاب ذلك خيضت حروب الاستقلال في كلِّ جنباة هذا العالم تقريبًا حتى أواسط هذا القرن العشرين، ويسجّل كلٌّ من "فولر (Fuller)"، و"ليسler (Lessler)"<sup>(١٥)</sup> أن عدد المسلمين الذين تسبّب الغريّبون في موتهم في القرن العشرين فحسب أكثر بكثيرٍ جدًّا من عدد الغريّبين الذين ماتوا بسبب المسلمين على مرِّ التاريخ كله، ويستنتج العديد من المسلمين نتائج شمولية من هذا النوع من الحوادث المتنامية ضدَّ المسلمين على وجه البسيطة والهجمات المشنونة عليهم، ويؤمنون بأن السياسات الغربية تهدف إلى إضعاف القوى الإسلامية في كلِّ مكان، وعلاوة على أن تقديم الإسلام وكأنه دين إرهابٍ تزامناً مع إعلانه القطب المعادي للغرب اعتباراً من عام (١٩٩١م) عقب انهيار الستار الحديدي؛ ومحاولة الربط بين تلك الحوادث الإرهابية والجرائم التي وقعت في بعض الدول مثل الجزائر وتركيا بالمسلمين،

(١٥) يسجلان هذا في طيات كتابهما (A sense of siege: the geopolitics of Islam and the West) المترجم إلى العربية

بعنوان "الإسلام والغرب: بين التعاون والمواجهة". (المترجم)

بل والسعي للربط بينها وبين الإسلام، وتعريف "هنتنغتون (Huntington)" جميع حدود العالم الإسلامي في تلك الفترة بأنها حدودٌ حربيّة مع الحضارة الغربية، ومن ثم تناوله "صراع الحضارات"، وأخيرًا الهجمات المنظّمة على البلاد الإسلاميّة؛ كلّ هذا أحدث هَوَاتٍ أعظم بين الإسلام وبين الحكومات المحليّة في الغرب والعالم الإسلاميّ.

ومع هذا كله فإن حروب النضال التي خِيضَتْ في العالم الإسلامي ضدّ القوى الاستعماريّة، واستهداف الحكومات الموجودة في البلاد الإسلاميّة ذاتها الإسلام على نحوٍ ما، وسلوك مجموعة من المثقّفين الموالين للغرب شكلاً تجاه الإسلام والمسلمين، والنزاعات والصراعات التي بدأت في تركيا على سبيل المثال في خمسينات القرن العشرين في أساس الحزبين: "الحزب الديمقراطي (DP)" و"حزب الشعب الجمهوري (CHP)"، وباختصار الظروف التي عاشها العالم الإسلاميّ في القرن المنصرم قد تسبّبت في ظهور اقترباتٍ وتفسيراتٍ ومناهجٍ فهم متباينة بين المسلمين، بالرغم من "حركات التحرّر القائمة على الإسلام" أو "الإسلاميّة" المنتشرة في كل أرجاء هذا العالم، ولا شكّ أن اختلاف هذه الاقتربات والتفسيرات ومناهج الفهم ليس فيما يتعلّق بالإسلام نفسه ولا بأُسسهِ كشروط الإيمان والإسلام وأُسس العبادَة ودساتير الأخلاق والفروض السياسيّة والمحرمات، بل والأسس الشرعيّة، ولكنه كان فيما يتعلّق بتمثّل سلوك إسلاميّ في ظلّ الظروف القائمة، ومنظور تطبيق الإسلام في الحياة، فإن نَحِينَا التيارات "الحداثيّة" -المبتعدة تمامًا عن رُوح الإسلام- وبعض الأشكال الأخرى المشابهة لها جانبًا؛ أمكننا أن نتناول الفهم والتفسيرات والاقتربات المختلفة المذكورة في مجموعتين اثنتين رئيسيتين نصنّفهما كالتالي:

- الاقتراب والحركات الإسلامية السياسية الأيديولوجية.
- الاقتراب والحركات الدينية.

إنّ "الاقتراب والحركات الإسلامية السياسية الأيديولوجية" تؤمن من صميم قلبها بأن الإسلام دين قائم على الوحي، وتعتبره المرجع والمصدر الأساس في جميع التصرفات والسلوكيات، ومع هذا فإنها حركات تراه في الظروف القائمة والوقت الراهن ديناً أيديولوجياً وسياسياً على الأكثر، وتسعى لتطبيقه على هذا النحو، وتناضل على هذا الأساس، وقد وقف هؤلاء على القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الخاصة بالمجتمعات الإسلامية والسيادة الإسلامية السياسية بصفة عامة من أجل الدعوة الإسلامية، وفي مقابل هذا تطرّقا بالدرجة الثانية إلى المواضيع التي تتبادر إلى الذهن بمجرد الحديث عن "الدين" مثل حياة المسلم اليومية والأخلاق والعبادة والقضايا الإيمانية، أو أنهم اعتبروها موجودة عند المسلم بشكل طبيعي أو يجب أن تكون موجودة، وبتعبير آخر قد أعطوا أبعاد الإسلام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأولوية، ووعوه ديناً ينظّم هذه الجوانب الحياتية بالدرجة الأولى، وهكذا قدّموه.

أما "الاقتراب والحركات الدينية" فمع أنها لا تتناول الإسلام تناولاً جزئياً؛ إلا أنها حركات تدافع عن إمكانية وجود أطوار وتصرفات مختلفة باسم الإسلام في ظروف مختلفة، ووجوب توفّر ذلك؛ وبالتالي فإن الصواب هو النظر إلى الإسلام في الظروف القائمة من زاوية الجوانب الموجهة لحياة الفرد اليومية والأخلاق والعبادة والإيمان القائم على العلم، وتناوله من هذه النقاط وتقديمه من خلالها، واقترب فتح الله كُولن إلى الإسلام في الظروف المعاصرة أقرب إلى الشق الثاني هذا أكثر من الأول.

## رؤية فتح الله كُولْن للإسلام أو منهجه في تطبيق الإسلام

وُلد فتح الله كُولْن ونشأ -كما عُرض في الفصل الأول- في بيئة تُطبّق الدِّينَ روحياً وأخلاقياً ومعاملَةً، فكانت هذه البيئة هي الهالة المعنوية الدافعة له، حتى كان لها الدور البارز والأوّل في تحقيق اختتام الإسلام بداخل فتح الله كُولْن اختتاماً معنوياً أخلاقياً، ولقد أسهم تحصيله العلوم الإسلامية سواء وهو في هذه الهالة، أو وهو في "أرْضُرُوم" فيما بعد في ازدواج العلم والمعنويات بداخله، وعلى حدّ تعبيره هو ازدواج "القلب والعقل"، وتلاحمهما وسيرهما سوياً في اتّجاه واحدٍ.

وللمسألة بُعدٌ تاريخيٌّ وآخر نفسيٌّ مهمٌّ جدًّا، ومهما كانت مزاعم المادّيين ومن لم يتخلّص من ربّقة وجهة النظر المادّية في العلم؛ فثمّة حقيقة ظاهرة ومُعاشة محسوسة ألا وهي أن الإنسان ليس عبارة عن ماكينة عُضويّة أو مجرد جسدٍ، إنه -إلى جانب تزويده بالعديد من الملكات كالروح والقلب والوجدان والحسّ والذهن التي يمتلك كلٌّ منها عديداً من الكليّات- في ذاته حُزمة كاملة من المشاعر، بالإضافة إلى أنه مرتبطٌ بالزمان كلّهُ: ماضياً وحاضراً ومستقبلاً مثلما أنه مرتبطٌ بالموجودات التي في الكون جميعها تقريباً، وهو يشعر إلى جانب هذا بالحاجة إلى العديد من الأشياء في آنٍ واحدٍ، فكما أن حاجاته كالمأكل والمشرب والنوم والتناسل والحماية تحتاج إلى إشباع، ولكلٍّ واحدٍ من مشاعره الظاهرية مثل النظر والسمع والذوق والحسّ والشّم وظيفته الخاصّة به، وبالتالي تُشبع بأغذية خاصّة بها؛ فإن لكل واحدٍ من مشاعره الداخلية وكليّاته وظيفة خاصّة به أو بها دون غيرها، ومن ثم فإنها تحتاج إلى إشباعٍ خاصٍ بها، ومن الطبيعي أن تكون لكلٍ منها معانٍ خاصّة بذواتها

يُعبر عنها -بالنسبة للإنسان- العقل والفكر والذاكرة والمنطق والتعلم -والتي يمكننا أن نجتمعها كلها مباشرة في مفهوم "الذهن" - وأن تكون لها أيضاً وظيفة خاصة تضطلع بالوفاء بها، وبالتالي فإن لكل منها أرضية خاصة بحركته وتجواله ومناخ تغذية خاصاً، ومثل هذا كلياتها الداخلية مثل القلب والروح والمشاعر التي يقوم كلٌّ منها بوظيفة خاصة بذاته، ووفقاً لهذا يستطيع الإنسان أن يحقق -بقدر ما يتغذى- تناغمه الخاص به وأن يطمئن قلبه، وحين ينشأ الترابط اللازم بين القلب والعقل أو بين الذهن والروح، ويتحقق التناغم الداخلي يُوجه الإنسان حركاته في إطار "الحكمة"؛ ويستخدم جوانبه الظاهرية الخاصة كالقوة والشهوة في إطار مقاييس محددة، ويحافظ على توازنها، وباختصار فإن الإنسان حين يعثر على "العدالة" والتوازن والطريق الوسط بداخله يكون عادلاً ومتوازناً في علاقاته مع الآخرين، وإلا فإن يحد العقل عن الصواب لصالح الروح أو الروح لصالح العقل، والعقل والروح لصالح القوة والشهوة أو البدن تظهر على الساحة "أرباع" أو "أنصاف" من البشر، وينعكس هذا الموقف بطبيعته على المجتمع، ومن هذه الناحية فإن تنشئة إنسانٍ كاملٍ، وبتعبير آخر فإن تعليم إنسانٍ تعليماً كاملاً، وتحقيق التوازن والعدالة والطمأنينة لدى الإنسان والمجتمع نتيجة لذلك؛ يكمن في دراسة الإنسان بكل مشاعره وأحاسيسه وكلياته وفي مقدمتها الروح والقلب والعقل، وقد أصبحت هذه النقطة تُشكّل باطّرادٍ باباً آخر من الأبواب المهمة في اقتراب فتح الله كُولُن إلى الدين.

### البعد التاريخي للقضية

يجب على الإنسان أن يتغذى قلبياً وروحياً وعقلياً وبدنياً كي يستطيع الوفاء بمسؤولياته ووظائفه ومهامه الخاصة به، ومن ثم يصل إلى الشبع

"الإنساني"، ويحظى بالسعادة الحقيقية، ومن الطبيعي أن إهمال أحد هذه الأمور يحول دون بلوغ الكمالات الإنسانية، فإن للدول والحضارات أيضاً كلياتها ومشاعرها، وكذلك حاجاتها المرتبطة بهاتين تحتاج إلى الإشباع والتوفير.

إن الحضارة الإسلامية التي حافظت بقدر كبير على هويتها الأصيلة في قرونها الخمسة الأولى خاصة؛ تناولت الإنسان وحياته كلياً، ولذلك أولت الفنون التي اعتبرتها "نور العقل" العناية والمكانة من جانب، واعتبرت من جانب آخر إعمار الأرض بالعلوم ضرورة من ضروريات الإيمان وسبباً من أسباب وجود الإنسان على سطح الأرض، لأن الإنسان هو المستخلف فيها، وظهرت على الجانب الآخر حضارة القلب والروح بفضل حيويته المؤسّسة على المعنى النابع من الدين والقيم الدينية، واعتبرت الطبيعة -التي هي ساحة العلوم- أرضية ظهور القوانين الصادرة عن صفات الخالق: الإرادة والقدرة، ولم تره في أي وقت قط يتناقض مع الدين الذي هو منظومة متناغمة ومتكاملة من القوانين النابعة من صفة "كلام" الخالق.

ونظرت الحضارة الإسلامية إلى العلم على أنه تعبير عن الدين بمستوى مختلّف بالنظر إلى ماهيته الأساسية، ولقد استطاعت أن تقدّم سعادة حقيقية طيلة عصورٍ مديدة لقسم مهمّ من الإنسانية بفضل ازدواج العقل والقلب في المجال الإنساني، والعلم والدين في المجال الاجتماعي، وهذا كله على عكس ما نراه اليوم من إقصاء واستخدام سيئ للعلم بحيث لا يعطي الإنسان والإنسانية أية قيمة، ويؤدّي إلى أضرارٍ تماثل أوجه الخير التي تسبّب فيها، ويؤدّل الإنسان لما دونه، ولما أنتجه ويستخدمه من الأشياء، ويحرّمه من كلّ القيم السامية التي يمتلكها، ولا يمنح حياته أية قيمة، بل إنه يستطيع أن يقتل مئات الآلاف في لحظة واحدة...

ولقد تسلسل علماء الحضارة الإسلاميّة حتى إن "جورج سارتون (George Sarton)"<sup>(١٦)</sup> يقسم كتابه المسمى "المدخل إلى تاريخ العلوم (Introduction to the History of Science)" حسب التسلسل الزمني، ويُسمي كل قسم من أقسامه باسم العالم الذي صار رمزاً لذلك العصر، وبهذا الشكل حملت كلُّ مرحلةٍ من المراحل السبعة الواردة فيه -والبالغ طول كلِّ منها خمسين سنةً بدءاً من القرن الثامن الميلاديّ إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر- اسمَ عالمٍ مسلم؛ مثل عصر الخوارزمي، وعصر البيروني، كما يذكر "جورج سارتون" إضافةً إلى هؤلاء أسماءً مئاتٍ من رجال العلم المسلمين الذين تركوا بصماتهم على عصورٍ مختلفةٍ.

وكما أن رجال العلم هؤلاء لم ينغلقوا على الشكليات الماديّة ولم يتخصّصوا في ساحةٍ واحدةٍ فحسب كمعظم أمثالهم ممن تربّوا على الفكر الغربي الحديث، فكانوا متخصّصين في أكثر من مجال، وكان معظمهم إنساناً روحٍ ومعنى وقلبٍ في الوقت ذاته، كما كان معظم "الأولياء" الذين تربّوا في جانب المعنى والقلب عالّمين بالرياضيات والفلك وأطباء ومؤرّخين أو كيميائيين.

ولقد تعرّضت الحضارة الإسلاميّة إلى هزّةٍ عنيفةٍ بفعل الاحتلال المغولي، وبالرغم من أنها بلغت من العمر خمسمائة عام؛ إلا أنها استطاعت أن تبقى وأن تظلّ مفعمة بالحياة روحاً وماهيّةً وحركيّةً؛ بفضل مصادرها الرئيسيّة التي تضحّ فيها الروح، وسرعان ما رفعت أنقاض هذا الاحتلال وتجاوزت مآسيه، والأكثر من تجاوزها ذلك أنها راحت برغم عجزها عن حماية تفوّقها وقفزاتها العظيمة التي حقّقتها في ساحة العلم بصفةٍ خاصّةٍ تسمو وترتقي مجدّداً مع الدولة العثمانية التي هي بمثابة

(١٦) "جورج سارتون" (١٨٨٤-١٩٥٦م): صيدلي ومؤرخ بلجيكي يعتبر مؤسس علم تاريخ العلوم، أبرز إنتاجه "المدخل إلى تاريخ العلوم" وبلغ في لغته الأصليّة ثلاثة مجلدات بما مجموعه ٤٢٩٦ صفحة، وله ١٥ كتاباً آخر وأكثر من ٣٠٠ مقالة بهذا المجال. (المترجم)

شُعبه جديدة ممتدة من الأناضول إلى أوروبا، إلا أن جناح العلوم في هذه الحضارة انكسر بحلول القرن التاسع عشر من جانب، وتعرضت لذبول وفتورٍ عظيم القدر روحًا ومعنى من جانبٍ آخر، أما الغرب فقد كان في طريقه للاستحواذ على "القوة" عبر الاكتشافات الجديدة والمسافات التي قطعها في العلم والتقنية والمستعمرات والكثير من الطرق الأخرى المشابهة لذلك، هذه القوة جعلته في نهاية الأمر حاكمًا مطلقًا ومطبقًا على العالم، في حين لم تستطع الدولة العثمانية - بحالها المهترئة من كل جانب - الصمود أمام هذه القوة وإيقافها، وفي أعقاب الحرب التركية الروسية عام (١٨٧٨م) تأثر كل بيتٍ تركيٍّ تأثرًا عميقًا بالحرب العالمية الأولى التي أعقبت حربَ البلقان (١٩١١-١٩١٢م)؛ فانفتحت في كلِّ صدرٍ جراحٌ لا تندمل، وزاد على هذا احتلالُ الأناضول وتقسيمه، ومع توالي وتتابع هذه الهزائم التي استغرقت بضعة عصورٍ بدأت تنظفُ في القلوب أسسُ الإيمان كلها، وعلى رأسها الإيمان بالله، الذي هو غاية الخلق والحياة بالنسبة للمسلم، وذلك كله نتيجة قوّة الغرب المُبهره وتفوقه الماديّ، وصار الإسلام - لا سيما في تركيا - غريبًا كما بدأ أول الأمر في مكة المكرمة، وصار القرآن الكريم وكأنّه قد هُجر، وتحول المسلمون على المستوى الشخصي والعالم الإسلامي أجمع على المستويين الجغرافي والمجتمعي إلى خراباتٍ عششت فيها البؤم، على حدّ تعبير "محمد عاكف أَرُصُوي" (١٧).

(١٧) يشير المؤلف بهذا إلى ذلك المعنى الذي طرقه "محمد عاكف أَرُصُوي" (*Ersöy*) (١٨٧٣-١٩٣٦م) - من أكبر شعراء الأدب التركي في العهد الأخير، وهو ناظم النشيد الوطني التركي - في الأبيات التالية:

فتلك البيوت الخاوية كانت أعزّ من حبة الروح  
وهذه الأسقف لم تكن تدوي بسبب نعيق البوم  
وذلك الوادي الذي تسكنه الضفادع مرحت فيه الغزلان  
وكم من ظلال ضاحكة أدركها هذا النهر الجائش الباكي  
ولكن طوفانا أغرق الماضي برمته وسحقه

وهكذا فقد أثر التاريخ الإسلامي عامة بازدهاره وانهياره، ولا سيما التاريخ العثماني خاصة تأثيراتِ بالغه في فتح الله كُولُن، ومع أن فتح الله كُولُن لم ينح مشاعره جانباً في النظر إلى هذا التاريخ؛ فقد تبنى اقتراباً عقلياً وعلمياً في مواجهة الأحداث، ولم يبحث عن أسباب الانهيار في المجال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بالدرجة الأولى، بل رأى أن المشكلة يكمنُ أساسها في الاعتقاد والفكر مثلما شاهد في الأماكن التي عمل فيها لاحقاً، كما أوصلته دراساته حول الإسلام إلى هذه النتيجة، فكانت هذه النقطة مهمةً جداً تميّز بها مفهوم الإسلام لدى فتح الله كُولُن عن حركات الإسلام السياسي الأيديولوجية، أي إن فتح الله كُولُن لم ينظر إلى التاريخ وتقدم الحضارات والأمم وترديها من المنظور الذي نظرت منه الحداثة العثمانية والجمهورية، كما أنه لم يقترب من المسألة من منظور حركات الإسلام السياسي الأيديولوجية التي تنظر إلى القضية من الناحية الاجتماعية والسياسية.

### غاية الخلق وجوهر الإسلام

يذكر القرآن الكريم في الآية الآتية ملخصاً لجوهر الإسلام ورسالات الأنبياء ووظائفهم ومهامهم فيقول:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٥١/٢).

﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ أي يقرأ عليكم ما أوحيته من آيات، ويشرح لكم الأدلة القاطعة الدالة علي في الكون، ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ أي يطهر وينقي عقولكم من الأفكار والمفاهيم المنحرفة الخاطئة، وقلوبكم من المعتقدات الباطلة والذنوب، وحيواتكم من كل أنواع الخبث والدنس، ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أي يعلمكم فهم ذلك الكتاب، ويلقنكم السنة التي هي

منهج تطبيقه في الحياة، ويعلمكم معنى الأشياء والحوادث، وكيف أنها تدلُّ على وجودي.

حقاً إن هذه الآية مهمّة للغاية في فهم الإسلام؛ إذ يفتح باب فهمه بمعرفة الآيات وقراءتها، ويُطلِّق القرآن الكريم على جميع الوقائع والأشياء والحوادث الموجودة في الكون اسم "آية"، كما يُطلقه على كلِّ جملةٍ بين إشارتين منه، لأن كلَّ واحدةٍ من هذه دليلٌ على وجود الله ووحديّته المطلقة ثم إنه دليلٌ عليه بأسمائه وصفاته؛ ولا يمكن أن يُفهم أو يوضح أيّ منها دون ربطه بالله مباشرة، وخاصة أن كلَّ نبيٍّ ولا سيّما كلَّ رسولٍ - أي كلَّ رسولٍ مهمّته بعثُ الدِّين في مراحلٍ معينة والإتيان بأحكامٍ جديدةٍ وفقاً للظروف والأحوال - يقرأ الآيات على المجتمع، غير أن فهم تلك الآيات فهمًا صحيحًا، وتفسيرها مرتبطٌ ببنية العقل المُتقى من كلِّ أنواع القناعات والأحكام المسبقة والخاطئة، وعدم تلوّث هذه البنية الذهنيّة وبقاؤها نظيفةً يقتضي أن يعيش الناس كما يؤمنون، لا أن يؤمنوا كما يعيشون، وكي لا يصبح الناس مؤمنين كما يعيشون؛ ينبغي للقلب أن يَظُهر من الذنوب والميول والرغبات والنيات والأهداف الخاطئة، وهكذا يُنفذُ الرسولُ إلى قلوب الناس بشخصيّته وتربيته وأسلوبه في الحياة، ويُتقى قلوبهم - بإذن الله تعالى - من الأمراض القلبية، ويمكن لتلك القلوب والأذهان - التي تصفّت وتنقّت على هذا النحو، المفكرة تفكيرًا سليمًا، والناظرة إلى الأشياء والحوادث من منظورٍ صحيح، القادرة على فهمها ووعيتها بشكلٍ جيّد - أن تستفيد من الكتب الإلهيّة بقدر ما يجب.

يعني أن للرسول وظيفتين مهمّتين: إحداهما: تعليم الناس التفكير الصحيح وتزويدهم بالمعلومات الصحيحة، أما الثانية: فتطهير قلوبهم وإيصالهم إلى الكمالات الإنسانيّة، أو لاهما تجد معناها ومحتواها في

العلم، والأخرى تجده في الإيمان بالله ومعرفته معرفةً حقيقيةً وعشقه تعالى، وازدواج العقل والقلب على هذا النحو يشكل دائماً مصدر الحركة والعمل على أساس الحكمة.

وعلى النحو الآتي يكتب فتح الله كُولُنْ فيما يتعلّق بأساس الدِّين أو جوهر الإسلام وأساسه والغاية من الخلق فيقول:

"يحدّد القرآن الكريم "الإيمان بالله" غايةً لخلق الإنسان في أفق المعرفة وروح المحبة وبُعدِ العشق والشوق وتلَوْنِ الحظوظ الروحانيّة، والإنسان مكلفٌ ببناء عالمه الإيماني والتفكُّري بمدِّ الدروب من ذاته إلى أعماق الوجود حيناً، وبالتقاط شرائح من الوجود وتقييمها في ذاته حيناً آخر، ويعني هذا في الوقت عينه ظهور الحقيقة الإنسانيّة الكامنة في روحه، فالإنسان لا يستطيع أن يستشعر ذاته، والأعماق في ذاته، ومقاصد الوجود وغاياته، ويطلع على كنه الكائنات والحوادث وما وراء ستار الأشياء، إلّا في ضياء الإيمان... وبعد الاطلاع يحيط فهمًا بالوجود في أبعاده الذاتية"<sup>(١٨)</sup>.

### الحامل الثلاثي

يُشخّص فتح الله كُولُنْ في العديد من كتاباته وأحاديثه رؤيته للإسلام في صورة حامل "ثلاثي" الدعامات، إحدى هذه الدعامات الأماكن التي "تُحصّل" فيها معنويات الإسلام وروحانيّاته، ويتناول مع تلك الأماكن المدارس الشرعية التي تُحصّل فيها العلوم الإسلاميّة وتُشكّل ثانية دعامات هذا الحامل، ويعتبرهما وجهين لشيء واحد<sup>(١٩)</sup>، فالمدارس الشرعية في

(١٨) فتح الله كُولُنْ: ونحن نقيم صرح الروح، دار النيل - القاهرة (٢٠١٠م)، ص ٣٤.

(١٩) فتح الله كُولُنْ: "سلسلة الفصول-3 (Fastldan Fastla-3)", "نيل يابُنْدري (Nil Yayınları)", إسطنبول (٢٠١٢م)،

(باللغة التركية)، ص ١١٦.

الحقيقة ليست مؤسّسات لتحصيل العلوم الدينية فحسب، وقد كانت العلوم الطبيعية تُدرّس فيها إلى جانب العلوم الدينية كذلك، غير أن العلوم الطبيعية صارت لا تُدرّس في هذه المؤسّسات، وانفصلت العلوم الشرعية عن العلوم الطبيعية تأثراً بالغرب بصفةٍ خاصّةٍ، وبهذا ظهرت المدارس الحديثة التي تُدرّس فيها العلوم الطبيعيّة فحسب، في حين أنه كما أن الإنسان كلُّ واحد لا يتجزأ بكلّ أعضاء جسده وخلاياه وعقله وقلبه ونفسه، فإن الإسلام الذي يخاطب كلّ عناصر الإنسان أيضاً كياناً واحداً لا يتجزأ بكلّ عناصره ومقوماته بالشكل ذاته، ولا بد أن تجتمع المدارس الشرعيّة التي تُدرّس فيها المعنويات والروحانيات والعلوم الإسلامية، والمدارس الحديثة التي تُدرّس فيها العلوم الطبيعيّة التي تمثّل نتائج مطالعة كتاب الكون تحت سقفٍ واحدٍ، وأن يتحدّ الأمران ليكونا عنصراً وكلاً واحداً، ولا انفصالان عن بعضهما في مفهوم الإسلام لدى فتح الله كولن، وقد تحدّث على النحو الآتي بعباراتٍ وتصويراتٍ خاصّة به عن هذا الشأن في حديثٍ أجراه في (١٩٨٠م):

"إنّ مَنْ اكتسب بهجة الصحابة والتابعين، وعاش العشق والهيجان والراحة القلبيّة ممّا عاشه الشيخ الجيلاني وأحمد البدوي وحضرة الشاذلي في المؤسّسات في سبيل حياة العلم والعرفان ورخّر بالعلوم الإسلامية.. وتمكّن من أصول العلوم الطبيعيّة ومبادئها بدرجةٍ موسوعيّة على الأقلّ.. ولم ينظر إلى الإسلام من جانبٍ واحدٍ، ولا من من زاويةٍ واحدةٍ، ولا يعيش جانباً واحداً من الحياة؛ وإنما ينظر إليها بعين التكامل التام والكليّة .. ومن عجن العلم والعشق والهيجان ومزجها جميعاً في قلبه، إلى أن تكاملت فيه أهليّة الحكمة وأصبحت حمية عقله طوع قلبه.. ولياليه يُحييها بالتهجد، ولسانه لا يتوقّف عن ترديد أوراده، سجاداته شاهدة على آتاته، في قلبه الجياش عشق الحقّ والعدالة والجمال

والخَيْرُ والصدقُ الذي منحته فطرته، وفي نظرتِه إلى العالم والحياة والأشياء محكُّ أحكام القيم والأفكار القرآنية الصريحُ القاطع، مُضحٍ مُؤثِّرٌ على نفسه.. ومَن يستطيع ترجمة القرآن وتمثيله بأقواله وأفعاله مستحضراً تغيُّر الظروف وتطوُّر الزمان، فمن اجتمعت فيه كلُّ هذه الصفات؛ يعرف ويَحْبِرُ الإطار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للعصر الذي يعيشه، ويكون قادراً على تقييم وتحليل حوادث العالم بفراسة المؤمن وبصيرته...".

ويتحدَّث فتح الله كُولُنْ في مقالٍ له يتناول المسلم الحقَّ والعناصر التي تكوَّن بنيته الذهنية والشخصية، ويرتَّبها على النحو التالي:

"عشقٌ رحب يحيط حسب درجته الوجود كله وينبع من الإيمان الكامل بالله ومعرفته، والتوجُّه إلى العلم بثلاثية "العقل" و"المنطق" و"الحياة"، وإعادة النظر من جديد في ملاحظتنا حول الكون والإنسان والحياة وتمييز الخطأ من الصواب، ورؤية تكامل القرآن والكون والإنسان، ووعي الحقيقة التي يلزم معها البحث عن الأعماق الإنسانية الحقَّة في المشاعر والأفكار والشخصية وعياً جيِّداً، والتحلي بالشخصية السليمة، والقدرة على التفكير الحرّ، وامتلاك حرّيّة الفكر، والمشورة والوعي الجمعيّ، والتفكير الرياضي، وكذلك الفكر الفنّي السليم المستقر"<sup>(٢٠)</sup>.

### الدِّينُ وروح الإسلام

يرى فتح الله كُولُنْ:

- "أن الإنسان لم يصل منذ وجوده على الأرض وحتى يومنا الحالي إلى الطمأنينة الحقيقية وإلى السعادة إلّا في جوِّ الدِّين الدافئ، فكما لا يمكن الحديث عن الأخلاق الرفيعة وعن الفضيلة في

غياب الدِّين لا يمكن الحديث عن السعادة أيضًا في غيابه، ذلك لأنَّ منبع الأخلاق والفضيلة هو الضمير والعنصر الوحيد الذي يحكم الضمير هو الدِّين الذي هو عبارة عن الارتباط بالله تعالى...

- الدِّين مدرسةٌ مباركةٌ تدرس فيه جميع الأخلاق الجميلة، وطلاب هذه المدرسة هم الناس جميعًا أطفالًا كانوا أم شبابًا أم شيوخًا، والذين ينتسبون لهذه المدرسة سيجدون في رحابها الطمأنينة والأمن والهدوء، أما الباقون خارجها المتخلفون عنها فسيخسرون كلَّ شيءٍ، وأول ما يخسرونه هو أنفسهم.

- "الدِّين وضعٌ إلهيٌّ سائقٌ لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما يعود عليهم بالخير المحض" فالدِّين هو عنوان معرفة الله وتوحيده والوصول عن طريقه إلى صفاء الروح، وإلى تنظيم علاقته مع الناس باسمه تعالى وفي ضوء أوامره، بل حتى الوصول إلى شعورٍ عميقٍ بالعلاقة مع جميع الوجود والكائنات وحبِّها.

- إن ما يُقدَّر المفاهيم الرفيعة مثل العِزِّ والشرف والأمة ويحترمها هو الدِّين، إنه نبعٌ مباركٌ لأسس المدنية الحقيقية، وهو الذي يسمو بقلب الإنسان وبأحاسيسه، وبه يستطيع الإنسان تجاوز عالمه المادِّي هذا ليصل إلى عوالم أخرى، فينهل إلى أن يرتوي من منابع الجمال والخير والفضيلة<sup>(٢١)</sup>.

وفي مقالةٍ أخرى لفتح الله كولنٌ حول الدِّين<sup>(٢٢)</sup> يتناول الاتِّساق بينه وبين العلم، كما يلفت الأنظار إلى الرؤى الدينية الخاطئة، ويرى أن العلم يشكّل جانبًا من حبِّ الحقيقة بينما يشكّل الدِّين الجانب الآخر منها. أجل، هناك علاقةٌ بين الوجود وشعور الإنسان وإدراكه، يقفُ الكشفُ عن

(٢١) فتح الله كولن: الموازين أو أضواء على الطريق، دار النيل - القاهرة (٢٠٠٦م)، ص ٩٣-٩٥.

(٢٢) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-٧: "أفق يلوح منه النور" (*İşğin Göründüğü Ufuk*)، مقال "أفق الدين" (*Din Ufku*)، "نيل ناينلري" (*Nil Yayınları*)، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ٢٣-٢٨، [مجلة "سزئي"، نوفمبر/

تشرين الثاني (١٩٩٧م)].

الحقيقة وتحديدها في جانب من تلك العلاقة، بينما يحتل الموقف الذي سيَتَّخِذُ تجاه الحقيقة الجانب الآخر منها، ويتبع العلم الأمر الأول بما فيه من مصادر المعرفة الدينيّة، بينما يحدّد الدين الأمر الثاني، ونظرًا لأنّ الدين مستودعٌ علمٍ واسعٌ بما فيه من مصادر المعرفة؛ فإنّ عشق الحقيقة عنصرٌ حيويٌّ بالنسبة للولع بالحقيقة، كما أنه ديناميّة مهمّة، ودليل واضح الأسلوب في المواضيع التي تتجاوز أفق المعرفة، لكنه عميق الأداء غير مضللّ، ومع أنه أمكن دائمًا تضييق أفق العلم بحيث يجعل بمثابة شيءٍ احتياطيٍّ لفكرٍ وتيارٍ ومبادئٍ معيّنة، وجعل وكأنه غولٌ لا يُطاق، مشاكسٌ يقطع طريق الحقيقة؛ فمن المحتمل دائمًا أن يقدم الدين -الذي هو حقيقةٌ سماويّةٌ- على أيدي الفكر المتعصّب وكأنه مصدر لمشاعر الحقد والكره والغيظ والانتقام، ويؤمن فتح الله كُولُنْ بأنه:

- مهما تغيّرت الدنيا وتبدّل حالها من حالٍ إلى أخرى ومهما تقدّم مستوى العلم والعلوم الطبيعيّة، ومهما تبدّلت قناعات الإنسان وآرائه فإن الشعور الدينيّ قد أثبتّ عبر التاريخ أنه المؤثر الأول في تشكّل الحياة العلميّة والفكريّة وكان العامل الأول في نشأة حضاراتٍ جديدةٍ ونموّها، وتكامل البشريّة، ولا يزال كذلك إلى اليوم، وبفعل قوّته الساحرة هذه؛ يؤثّر في قسمٍ عظيمٍ من الدنيا، وسيظلّ يحافظ على تأثيره باعتباره المؤثر الأول<sup>(٢٣)</sup>.

ويرى كُولُنْ أن ما تعانيه الإنسانية اليوم هو خواء القلب والروح، إلا أنّ الجهود والمسعّي جميعها تُوجّه لإشباع الرغبات الجسمانيّة فحسب، وهذا "خطأٌ عظيمٌ"، ويرى أيضًا أنّ محاولتنا ربيّ عطشنا بشرب ماء البحر لا تختلف شيئًا عن محاولتنا تسمين أجسادنا وأبداننا لأجل إزالة جوعنا

(٢٣) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل -٥: "أيام تنفّس أنسامًا ربيعياً (Günler Baharı Soluklarken)"، مقال "قوة الدين التي لا تقهر (Dinin Yenilmeyen Gücü)"، "نيل يابنلري (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ١٠٠-١٠٤، مجلة "سزنتي"، ديسمبر/كانون الأول (١٩٩١م).

المعنويّ وحاجاتنا المعنويّة، حيث إنّ الجوع والعطش الحقيقيّين للإنسانيّة جمعاء يكمن في البعد عن روح الدّين الحقّ أي عن روح الإسلام وهو لا يقصد بـ"روح الإسلام" تلك التي فقدت بريقها وبهت لونها الآن من وجهة نظرنا وتقييماتنا، وتبخّرت باعتبار سحرها السماويّ، وإنما يقصد بها روح الإسلام التي لا تزال محسوسةً بأطيافها وزخارفها في طائفةٍ من الأرواح النقيّة الطاهرة، والتي أحسّ بها الإنسان وعاشها في عصر السعادة، ويمكننا أن نرتب المواد والعناصر المأخوذة من قوله المتعلق بماهيّة تلك الروح التي تصهر الحياة الفرديّة والمجمعيّة في بوتقتها الخاصّة وتشكلها فنقول:

- الحقّ والعدل والمساواة والأمن العالميّ وتمثيلها في إطار الارتباط بالحقّ تعالى دون استغلالها لصالح الرغبات الجسمانيّة والنفسيّة.
- مساندة الحقّ، والتمسك به ونصرته واحترامه.
- تقييحُ الظلم، وعدم الخنوع والإذعان لإملاءات القوى الظالمة الجائرة.
- ارتضاء العدل والصدق في كلّ شيءٍ نمطاً للحياة الشخصيّة والأسريّة والاجتماعيّة بأوسع معانيه وتطبيق ذلك في الحياة، والتفكير والعيش السليم، والعمل الدائم على التحرك في إطار الحقّ والحقانيّة.
- الوقوف في مواجهة الظلم والطغيان، وحماية الحقوق الشخصيّة والتصرّف بحساسيّة فيما يخصّ حماية حقوق الآخرين، وبقدر تلك الحساسيّة والعناية التي تظهر فيما يتعلّق بالتحيز، بل والأكثر من ذلك؛ التنبّه لضرورة العيش بميزانٍ واتّزانٍ دائمٍ وكأنّ الحياة رهنٌ ميزانٍ تُوزَن به.
- الوقوف الواضح والصريح ضدّ التمييز القائم على اللون أو الجنس أو المنطقة أو العائلة.

- ذم الكيانات والبنى القائمة على الحسب والنسب، ورفض سيادة الطبقة رفضاً صريحاً حتى وإن كان ذلك في وحدة من وحدات الحياة فقط.
- فتح المجال للقدرات الشخصية، ومباركة النجاحات، والنضال والكفاح ضد كل أنواع الملاحظات الفوضوية.
- احتواء كل أفراد المجتمع وقطاعاته بدرجة واحدة من الحميمية.
- تقييم احتياجات الجميع وتطلعاتهم على حدٍ سواء، وتطبيق قاعدة "لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى" قدر الإمكان.
- التسليم بأن جميع الشرور تصدر عن النفس بالدرجة الأولى، ومن ثم يجب السعي إلى انتزاع تلك الشرور من الأرواح وتخليصها منها عبر تعزيز الإرادة الشخصية بالوعي الإيماني والمعرفي والإحسان.
- ربط الحياة بإسعاد الآخرين، والعزم على هبة الحياة للآخرين وإعاشتهم أكثر من العيش والحياة للنفس فحسب.
- الصمود وعدم الاستسلام في مواجهة أي تعرضٍ لظلمٍ أو تعدٍ أو حرمان.
- التصرف دائماً كواحدٍ من فدائيي المحبة، واحتضان الجميع واستيعاب الكل.
- احترام جميع الفكر.
- البحث الدائم عن الطرق المؤدية إلى درجة "الإنسان الكامل"، وفعل كل ما يستلزمه هذا الطريق.
- التخلص بالعبودية لله تعالى من صنوف العبودية التي تُدُلُّ الإنسان كعبودية الأهواء والقوة والشهوة والشهرة، والنجاة بذلك من الدناءات والضغعات<sup>(٢٤)</sup>.

## عناصر أخرى مهمة في رؤية فتح الله كُولْن الإسلاميه

وكما حاولنا بيانه أنفاً فإن فتح الله كُولْن يعطي الأولوية في رؤيته الإسلاميه إلى "الإيمان" ثم إلى "البُعد المعنوي للدين" و"تنقية القلب من الآثام وتطهيره"، ثم "التشبع بالعلوم الدينيه"، وباختصار؛ فإنه يُعطي الأولوية إلى "الانبعاث الروحي"، و"تنوير العقل بالعلوم الطبيعيه"، ولأن تُولد وتظهر نتيجة ازدواجهما حركة وفكرٌ أو نمط حياةٍ أساسه الحكمة، ودائمًا ما تركز العناصر الأخرى في رؤيته الدينيه على هذا الأساس، وأكثر نقطةٍ اهتم بها فتح الله كُولْن في هذا الإطار هي إدراك حقيقة العبودية وحقيقة الألوهية ووعيهما وعيًا جيدًا جدًا، ويفتقر العبد من أجل الوصول إلى ذلك الوعي؛ إلى معرفة الله معرفةً حقيقيَّةً، وأن يتخذ ذلك الأمر ثقافة لضميره، وأن يدرك وعي عبوديته لله، ويمكن أن يتحقق هذا بأن يدرك العبد -أول ما يدرك- عجزه المطلق أمام قدرة الله تعالى المطلقة، وأنه بقدرة الله تعالى وابعتماده عليها فحسب يستطيع أن يكون قادرًا مقتدرًا، ويدرك فقره المطلق أمام غنى الله المطلق واستغناءه تعالى عن غيره، أي بإدراكه أنه يحتاج تمامًا إلى الله تعالى، ويعبده في شوقٍ وتوقٍ، ويشكره.

### أ. الوصول إلى التوحيد بإدراك معنى العبودية لله

إن العلاقة بين الله والعبد في الإسلام ليست كما في سائر الأديان، فمن يعبد الله مدرِّكًا أنه لا يمثل شيئًا أمامه تعالى، ويركن إلى قدرته تعالى ونِعْمِهِ؛ يتخلص من العبودية لأي شيء سِوَاهُ، وينجو كذلك من صنوف العبودية الأخرى التي تُدُلُّ الإنسان كالعبودية للأهواء والقوة والشهوة والشهرة، ومن ثم ينقذ نفسه من الدنات والضعفات، وهذه أكثر نقطة يركّز عليها فتح

الله كُورُنُ، إذ يُلاحظ أنه وقف على هذا الموضوع مرارًا وتكرارًا، وتناوله بحساسية في كثير من كتاباته ولقاءاته، فمثلًا ما قاله في هذا الموضوع في أحد لقاءاته التي سُجّلت ونُشرت أيضًا مهمّ إلى حدٍ كبير:

"كان فضيلة الشيخ "محمد لطفي أفندي" يقول:

"إن البلاء الأكبر بالنسبة للإنسان هو أن يُسلم نفسه للغفلة".

والمسلمون أو الذين التزموا بإسلامهم يتجهون مؤخرًا -لا أعرف لماذا؟! - إلى الساحة السياسيّة، في حين أن جميع القضايا تبدأ من "الأنا"، وتنتهي في "الأنا" كذلك، وقد تجلّت كلُّ الأسماء الإلهية في الإنسان، ومن ثم نال نصيبه من قول الله تعالى "أنا" باعتباره أكبر مرآة تتجلّى فيها أسماء الله، وقد ظهر هذا التجلّي لدى الإنسان في صورة "أنا" غير أن "أنا" الإنسان ليس مستقلاً بنفسه، لأنه ليس من صنع نفسه؛ إنه خط دقيق جدًّا، نقطة لا تسهل رؤيتها، وتعبير آخر إنه صفر اليدين خالي الرفاض فارغ، ومع هذا فإنه يظلّ في هذا الضعف والفقر المطلّق يعكس كلّ تجلّيات القادر القويّ الغنيّ ذي الجلال والإكرام، فإذا نسب الإنسان كلّ شيءٍ يتوهم وجوده في نفسه من قوّة وحياة وإرادة وعلمٍ وجمالٍ وكلّ ما يملكه من أوجه الخير إلى الله تعالى، ورأى نفسه في غاية الفقر والضعف ورآها مجرد مرآة شفافة للخالق، يصلُ حينئذٍ إلى أعلى مرتبة في التسلسل الهرميّ للمخلوقات؛ أي أعلى عليّين، فيكون قادرًا بقدره الله، غنيًا بغنى الله، مريدًا بإرادة الله، عالمًا بعلم الله تعالى، وذلك حين يُبصر فقره وضعفه ودُّله أمام الغنيّ القويّ العزيز".

"وإن أسلم الإنسان نفسه وروحه للغفلة، ونسب كلّ شيءٍ أودعه الله تعالى أمانةً فيه -حياته وقوته وثروته وملكاته وجماله ونجاحاته- إلى نفسه غاصبًا إيّاها من صاحبها الحقيقيّ بدلًا من أن يستخدم الـ"أنا" التي وهبها الله له كوحدة قياسيّة يعرف بها

عظم وإلطاق أسماء الله وصفاته، وهمَّ يتحدى الله، تتضخَّم الـ "أنا" التي منحها الله له حينئذٍ وتزداد وتتكبَّر بسبب شعوره بانسابه إلى جماعةٍ أو وظيفةٍ أو مجموعةٍ ما فيقضي على نفسه ويبادر إلى محاولة تقسيم تصرف الله في ملكه على الموجودات حقيقية كانت أو خيالية، فينتجُ حسب هواه مجموعةً من الآلهة، وقد تفاخر وتباهى هكذا كثيرٌ من أمثال فرعون والثُمُرود وأبي جهل، وكما أن "أنا" كلِّ منهم قضت على صاحبها، فقد أصبح كلٌّ من الأوثان المعبودة رمزاً لذلك "الأنا". والكائنات الوهمية المتعددة ومنها قوى الطبيعة المزعومة التي تُسند إليها في يومنا الحاضر عملية الخلق، وكل ما يوافقها ويتبعها من سلوكٍ أو يغذي ويدعم هذا التوجُّه من علمٍ وغيره؛ كل ذلك عبارة عن طاغوتٍ تنتجه الأنانية لأجل تقسيم ملك الله وتصرفه تعالى في ملكه، وكتنتيجة لذلك: فإن معرفة ماهية "الأنا"، وبالتالي معرفة الخالق تعالى ومعرفة الخلق من عدسة معرفة "الأنا" هذه تلعب دوراً مهماً في حل جميع المشكلات التي تظهر في كل مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبالمقابل عدم هذه المعرفة مصدرٌ أساسٌ لظهور هذه المشكلات.

ويلزم الإنسان أن يتوجَّه إلى صاحب القدرة والثروة الحقيقية، وأن يؤمن بأن كلَّ شيءٍ تحت تصرفه هو، وذلك بتعرُّفه على ماهية نفسه وذاته الحقيقية، وإدراكه أنه في حدِّ ذاته مخلوقٌ عاجزٌ وفقيرٌ<sup>(٢٥)</sup>.

وفي هذا الإطار أيضاً يركِّز فتح الله كولن بحساسية شديدة على "التواضع وهضم النفس وذُلها" ويرى أن المؤمن ينبغي له أن يستشعرَ

(٢٥) "علي أونال (Ali Ünal)": (فضيحت) شهراً مع فتح الله كولن في أمريكا (Amerika'da Bir Ay)، "إيشيك يانلري (Işık Yayınları)"، إسطنبول (٢٠٠١م)، ص ١٠٤-١٠٦. [ملحوظة: أعد السيد "علي أونال" هذا الكتاب مستفيداً من الملاحظات التي دونها في الدروس أثناء زيارته الأستاذ فتح الله كولن في أمريكا عامي (٢٠٠٠م) و(٢٠٠١م)].

وَيُدرِكُ غايةَ ضعفه وفقره بين يدي الله، وعليه أن يتواضع دائماً لله وأمام الناس، وأن يخجل دوماً بسبب ذنوبه وتقصيره فيما يجب عليه الوفاء به، فالخجلون المتواضعون يصلون إلى المراتب العليا عند الحقّ وعند الخلق أيضاً، أما المتكبرون المتفاخرون فيتعرّضون لبغض الناس لهم، وعذاب الحقّ تعالى، إن التواضع دليلٌ على نضوج الشخص وعظيم فضله، بينما التكبر والعُجب دليلٌ على ضَعْفِهِ وتردّي مستواه، وارتقاء الشخص إلى مرتبة الإنسانية يتّضح بتواضعه، ويتّضح تواضعه بالأشياء التي يقدّرها الخلق - مثل المنصب والجاه والمال والعلم" (٢٦).

### ب. الرضا والإخلاص والتقوى واليقين والصدق والأمن

يشكّل الرضا والإخلاص والتقوى الخطوطُ الرئيسة للنقطة الأساس في رؤية فتح الله كُولُنْ الإسلامية من زاوية أخرى.

وللرضا بُعدان: البعد الأول هو استهداف رضا الله تعالى دائماً والتخلّص تماماً من كلّ غايةٍ ورغبةٍ في أيّة فكرةٍ وتصرفٍ وعملٍ سوى رضا الله، وهذا البُعد أساس مهمّ في العبودية، إنه قضيّة كمالٍ بالنسبة للمؤمن، ولا بدّ من خُلوص النية وسلامتها أولاً من أجل الوصول إلى هذه النقطة، ثم الانشغال بالمثاليات التي تسمو بالروح، والتحلّل من المصالح الشخصية، والتخلّص من العجب بالنفس، كذلك هناك نقطة أخرى مهمّة جدّاً؛ ألا وهي ضرورة الانشغال الروحيّ والفكريّ في كلّ لحظةٍ من أجل نسج خليّةٍ معرفةٍ متميّزة في معرفة الله ﷻ (٢٧).

(٢٦) بتصرف من كتاب فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٤٣-٤٥.

(٢٧) فتح الله كُولُنْ: "سلسلة الفصول-1 (Fasildan Fasla-1)"، ص ٩٠؛ "سلسلة الفصول-2 (Fasildan Fasla-2)"،

أما ثاني أبعاد الرضا فهو الرضا بالله إلهًا وربًّا، وبالإسلام دينًا، وبسيدنا محمد ﷺ رسولًا؛ أي مقابلة ما قدره ودبره سبحانه لنا برحابة صدر، إضافةً إلى محبة الله وتعظيمه، والتوجه إليه، ورجاء كل شيء منه وحده، أما "الرضا بالإسلام" فيعني جعله منهجًا لحياتنا بكل جوانبها، وأما فيما يخص "الرضا برسالة سيدنا محمد ﷺ" فهو كمال الانقياد له، والتسليم المطلق له، وتسليم قيادة المنطق وزمام العقل إلى أمره ﷺ،<sup>(٢٨)</sup>.

أما "الإخلاص": فيعني الصدق والصفاء في الفكر والسلوك، والبعد عن الرياء، والكف عن كل ما يكدر القلب، ومداومة العيش هكذا، أو صفاء القلب، واستقامة الفكر، والبعد عن الأغراض الدنيوية في العلاقة مع الله، وإيفاء العبودية حقها، وتعريف آخر: فإن الإخلاص في عبادة الفرد وطاعته؛ هو كفه عن كل ما هو مخالفٌ لأمر الله تعالى وإرادته وإحسانه، وحفظه الأسرار التي بينه وبين المعبود بحق وهو الله سبحانه، وقيامه بأعماله على أساس عرضها على الناقد البصير، إنه قيام العبد بواجباته ومسؤولياته، لأن الله أمر بها فحسب، وابتغاؤه رضاه تعالى فقط لدى أدائه إياها، وتوجهه لألطفه الأخروية<sup>(٢٩)</sup>.

و"التقوى" أمرٌ آخر من أكثر الأمور التي ركز عليها فتح الله كولن بحساسيته شديدة؛ إذ يضع بعدها المعنوي والروحي في مقدمة رؤيته الإسلامية دائمًا، ويأتي بتعريفٍ مختلفٍ عن تعريفات التقوى التي شاع ذكرها، حيث يرى في تعريفه ورؤيته للتقوى أنها ذات بُعدين اثنين؛ مثلها مثل "الإسلام" في ذلك، فأحد بُعدي الإسلام هو أنه اسم الدين الذي أرسله الله على أكمل وجهٍ بواسطة محمد ﷺ النبي الخاتم كي يؤمن به

(٢٨) فتح الله كولن: التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، مقال "الرضا"، دار النيل - القاهرة، (٢٠١١م)، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢٩) فتح الله كولن: التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، مقال "الإخلاص"، ص ١٠٤-١٠٧.

الناس بمحض إرادتهم، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فإن جميع المخلوقات -غير الإنس والجنّ ذوي الإرادة-؛ مُسَلِّمَةٌ؛ لأنها سلّمت لله وأطاعته، وعاشت حياتها سيرًا على قوانينه، ووفت بما عليها من وظائف أو مهمّاتٍ دون أن تنحرف قطّ، أي إن الإسلام يشمل أيضًا مجموع القواعد والقوانين الدنيويّة أو الإلهيّة التي يسير عليها غير الإنس والجنّ من المخلوقات أيضًا، وكما سنّ الله تعالى القوانين والقواعد من أجل عقيدة الإنسان وعبادته وأخلاقه ونمط حياته فقد سنّ قواعد من أجل تنظيم طريقة عمل الكون وحياة الإنسان الاجتماعية والخاصّة، وهي موضوع للعلوم الطبيعيّة؛ أي للفيزياء والكيمياء والفلك والأحياء والاجتماع، ويُطلق عليها في الاصطلاح الإسلامي اسم "الشريعة التكوينيّة" أو "الشريعة الفطريّة"، والحدّ المشهور للتقوى يقول: "هو جهد الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه؛ تجنّبًا لعذابه" ولذلك فإن التمكن من التقوى أي التمكن من الدخول في حماية الله تعالى في الدنيا والآخرة مرتبطٌ بالوفاء بهاتين المجموعتين من القوانين أي الشريعة الفطرية إلى جانب الشريعة الغراء (أي الأحكام الدنيويّة)، وبالتالي فإن التقوى اسم لا تَباع هاتين المجموعتين من القوانين، فالمتقي عنده مَنْ يتجنب مخالفة القوانين التكوينية كما يتجنب مخالفة أحكام الشرع، فمخالفة أحكام الشرع تعاقب في الآخرة غالبًا، لكن القوانين التكوينية تعاقب مخالفتها غالبًا في الدنيا.<sup>(٣٠)</sup>

أما "اليقين" الذي هو: "العلم القاطع السليم والصحيح الذي لا يشوبه أيُّ تردّدٍ أو شكٍّ" فيعني معرفة أُسس الإيمان ولا سيّما وجود الله والإقرار بوحدانيّته -التي هي أعظم أركان الإيمان- إقرارًا لا يحتمل شيئًا خلاف ذلك، وتمام الرضا والإيقان والإحساس به، والوصول إلى أفق

(٣٠) فتح الله كَوْلُنُ: التلال الزمرديّة نحو حياة القلب والروح، مقال "التقوى"، ص ٨٥-٩٠.

العرفان الذي تكاملت معه ذات الإنسان، إنه الوصول إلى نقطة تسمو على جميع النقاط التي تُوصَل إليها باستعمال سبل كشف مصادر المعرفة كلّها ووجود الأشياء، وأسرار الوجود والحقائق الإيمانية<sup>(٣١)</sup>.

اليقين صفة مهمّة جداً تُظهر أن الإيمان في الإسلام ليس كما في المسيحية أو في غيره من الأديان؛ بالإضافة إلى أنه يقوم ويعتمد على العلم القاطع، أو أنه يؤيد هذا الرأي على الأقل، بخلاف الفكر الحديث الذي يفصل ما بين العلم والإيمان بخطوطٍ قاطعةٍ محدّدة ويرى الإيمان مجرد قناعةٍ تقليديةٍ وارتباطٍ بالشيء دون إحساسٍ بضرورة فهم ووعي جوهر الأمر وأساسه.

ولليقين مراتبه؛ فمرتبة "علم اليقين": هي الوصول إلى أقوى إيمانٍ وأقطع إذعانٍ بوصاية الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة، بينما مرتبة "عين اليقين" هي: الوصول إلى معرفةٍ تفوق التعريف، تكسبها الروح بالكشف والمشاهدة - وهي الملاحظة والوعي بالقلب وبالأحاسيس الداخلية - والإدراك والاستشعار الذي لا يدركه الفكر الحديث، أما مرتبة "حقّ اليقين" فهي الخطوة بمعنيّة ذات أسرارٍ، من دون حائلٍ ولا ستارٍ، تتجاوز تصوّرات، ومن دون كمّيّة ولا كيفيّة، وقد فسّر بعضهم هذه الخطوة بقاء العبد تماماً من حيث ذاته وأنايته ونفسه، وقيامه بذات الحقّ سبحانه<sup>(٣٢)</sup>.

وباختصارٍ فإن اليقين يُعبّرُ أكبرَ وأقوى صفةٍ وُجّهت للتقليد والتعصّب والجهل والسفه والعبثيّة، وهو يُشكّل - إلى جانب كونه أحد أسس الإسلام - واحدةً من نقاط رئيسة في رؤية فتح الله كولن الإسلامية.

(٣١) المصدر السابق، مقال "اليقين"، ص ١٨١-١٨٢.

(٣٢) المصدر السابق، ص ١٨١-١٨٥.

ويهتم فتح الله كَوْلُنُ بكلِّ ركنٍ من أركان الإسلام حسب مكانه ونسبته فيه، ويركز بحساسيةٍ شديدةٍ على "الصدق" و"الأمانة" اللذين هما من أهم أسس الإسلام، واللذين زادت أهميتهما سيّما في يومنا أكثر من أي وقتٍ مضى، فكلّهما أهمُّ صفات الأنبياء.

أجل، إن الصدق هو محور النبوة، لأن النبوة تدور في فلك الصدق؛ فكلّ ما تلفّظه الأنبياء صدقٌ خالصٌ، ولا يمكن أن يجافي الواقع أو الحقيقة، وعندما يشرح القرآن الكريم فضائل الأنبياء يشير إلى هذه الصفة عندهم، كما أنه حين يقصّ عظمة بعض الأنبياء يحدثنا عن صفة الصدق لديهم فيقول تعالى في نعت إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (سورة مزيم: ٤١/١٩)، ويقول في وصف إسماعيل عليه السلام: ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (سورة مزيم: ٥٤/١٩)، وكذلك في إدريس عليه السلام: ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (سورة مزيم: ٥٧/١٩-٥٨)، وكذلك في يوسف عليه السلام فيقول: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ (سورة يوسف: ٤٦/١٢).

وكيف لا يكونون مجهّزين بالصدق والله تعالى يشي على الصادقين ويأمر المؤمنين كافة أن يكونوا صادقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ١١٩/٩)، وقال أيضاً: ﴿تَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات: ١٥/٤٩)، وقال عليه السلام: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣/٢٤-٢٤/٣٣).

"الصدق هو جعل الإنسان الصوابَ والتصرّفَ الصحيح القويم جزءاً من طبيعته، ومَلَكةً في مشاعره وتفكيره وكلامه وسلوكه؛ بدءاً من حياته الشخصية إلى معاملاته مع الآخرين، ومن شهادته باسم إعلان الحقّ، إلى مزاحه وهزله، متحرّياً إياه في محيطه الذي يعيش فيه وفي أصحابه أيضاً، فالصدق أقوم طريقٍ موصل إلى الحقّ سبحانه، إنه روح العمل ولبه، وأصوب محكّ لاستقامة الفكر، بالصدق يتميّز أهل الإيمان من أهل النفاق، وسكّان الجنان من أهل النيران، الصدق أن ينتقل الفرد من حالٍ إلى حالٍ ويتلَوَّى من أجل أن يصون تكامل عمله وسلوكه، ويتطابق فكره مع عمله وتصرّفه<sup>(٣٤)</sup>.

أما الأمانة وهي الصفة الثانية من صفات الأنبياء؛ فمشتقة من "الإيمان"، والمؤمن هو الشخص الذي يحمل صفة الإيمان ويعطي انطباعاً بالأمن، فكما أن الأنبياء في ذروة الإيمان، فكذلك هم في ذروة الأمانة، والقرآن الكريم يشير إلى صفتهم هذه في آياتٍ عدّة؛ ولا سيّما في سورة الشعراء التي ذكرت فيها على التوالي قصص خمسة من الرسل وهم سيدنا نوح وسيدنا هود وسيدنا صالح وسيدنا لوط وسيدنا شعيب ﷺ وبيّن القرآن أن هؤلاء الرسل حين قدّموا أنفسهم لأقوامهم قال كلٌّ منهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾<sup>(٣٥)</sup>، فذكرت هذه العبارة خمس مرّاتٍ في سورة الشعراء، ومرّةً في سورة الدُّخان، و﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ في سورة الأعراف وفي كلّ مرّة نقلاً عن نبيٍّ من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام والتسليمات.

"وكما أن "المؤمن" اسمٌ من أسماء الله الحسنى، فهو كذلك من الأسماء المهمّة للمعتقدين بالله، أجل، الله "المؤمن"؛ لأنه مصدرُ الأمن والأمان والثقة والاطمئنان، فهو الذي يمنحنا الأمن والثقة؛ أحياناً قطرةً

(٣٤) فتح الله كولن: التلال الزمرديّة نحو حياة القلب والروح، مقال "الصدق"، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣٥) سورة الشعراء: ١٠٧/٢٦ و ١٢٥ و ١٤٣ و ١٦٢ و ١٧٨.

قطرة، وأحياناً أخرى مثل الشلال المنهمر، وهو الذي زين الأنبياء بصفة الأمن والأمان، ومن ثمّ فإن صفة الأمن والأمان والإيمان تربطنا ربطاً وثيقاً بالأنبياء، وتربط الأنبياء بالله تعالى، إذ؛ فهذه الرابطة تقودنا إلى العلاقة بين الخالق والمخلوق، فجميع هذه المعاني موجودة في الاشتقاق الجذريّ لكلمة "الأمانة"، علماً بأن أهمّ ناحية في هذا الموضوع هي فهم هذه العلاقة، وكما أن الأمانة من أهم صفات الأنبياء والمرسلين، وفي مقدّماتهم نبينا محمد ﷺ؛ فهي كذلك من أهم صفات جبريل عليه السلام، إذ القرآن يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢١﴾﴾ (سورة الشّعراء: ١٩٢-١٩٣)، ويقول ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾ (سورة التّكوير: ٢١/٨١)، ومن ثمّ فقد جاءنا القرآن الكريم من عند الله تعالى مصدر كل أنواع هذه الأمانة<sup>(٣٦)</sup>.

### ج. العبادة والدعاء والأخلاق

يعتمد الإسلام في الأساس على الإيمان، وجميع العناصر التي وقفنا عليها آنفاً والتي تتمتع بمواقع مهمة جداً في رؤية فتح الله كُولُنُ الإسلاميّة تنبع من الإيمان وتعتمد عليه، وهي نتائجه أو ثماره، وتأتي "العبادة" بعد الإيمان؛ حيث إنّ الإيمان ينمو في تربة العبادة بالتفكير والتأمل إلى أن ينضج ويؤتي ثماره، وبالتالي فإنه كما يستحيل تصوّر إيمان دون عبادة، فلا يمكن القبول بوجود عبادة دون إيمان؛ ذلك أن الإيمان والعبادة يرفعان الإنسان من مجرد كونه "إنساناً بالقوّة" إلى مستوى "الإنسان الكامل"، وعلامة ذلك الأخلاق، فقد ورد في حديث نبويّ شريف: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"<sup>(٣٧)</sup> إنّ غاية إرسال الرسل هي تعريف الناس بالله، وإيمانهم به وعبادتهم إياه حقّ الإيمان والعبادة، ومن ثم التحلّي بالفضائل الأخلاقية، وتمكين كل إنسان من أن يكون إنساناً حقيقياً، ومن هذه الزاوية

(٣٦) فتح الله كُولُنُ: النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، ص ١٢٤.

(٣٧) البيهقي: السنن الكبرى، ١٠/٣٢٣.

فإن الناظرين إلى ما ألفه فتح الله كُولُن مباشرةً أو إلى أحاديثه التي فَرَّغَتْ وحوَلت لاحقاً إلى كتب يرون كَم أنه ركَّز على العبادة، سيّما الصلاة والصوم والزكاة والحجّ التي هي من أركان الإسلام، وكم كان حسّاساً دقيقاً في أمر الأخلاق وبناء الشخصية.

وإلى جانب العبادة والأخلاق، فإن "الدعاء" -الذي هو مُخُّ العبادة أو هو العبادة نفسها كما جاء في الحديث<sup>(٣٨)</sup>- أحد أهمّ العناصر التي أكَّد عليها فتح الله كُولُن بإصرارٍ، وتناسباً مع معنى وأهميّة الآية الكريمة: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (سورة الفُرْقَان: ٧٧/٢٥) يُولي فتح الله كُولُن الدعاء اهتماماً كبيراً إلى هذه الدرجة فيقول:

"إن العبادة هي أن يشكر الإنسان ربّه على النعم العديدة التي لا تُحصى -كالوجود والحياة والشعور والإدراك والإيمان- بذات البعّة، فيشكر الله -مثلاً- على نعمة الإيمان بالإيمان نفسه، أما عدم العبادة فإنها جحودٌ للنعمة غليظٌ دون شكٍ"، مقرّراً بذلك أن "العبادة هي طريق وصالٍ، وآداب هذا الوصال وضعها الله تعالى لنا للوصول بها عن طريق الإيمان إلى سعادة الدنيا والآخرة، والذين لم يعثروا على هذا الطريق ولم يحصلوا على هذه الآداب لا يمكنهم الوصول أبداً إلى الحقّ تعالى"، وبحسبه فإن كثيراً من الذين انغلقت قلوبهم وأرواحهم دون الحقيقة يُمضون حياتهم وراء مسائل نظريّة وخياليّة وحتى لو قضى هؤلاء حياتهم في ظلّ أفصح وأبلغ بيان فلن يستطيعوا تسجيل تقدّم ولو قيد شبرٍ واحدٍ، ذلك لأن العبادة "نبعٌ فياضٌ مباركٌ لتقوية نواحي الخير والجمال والصدق في فكر الإنسان، وإكسيژٍ سحريّ يُصلح أهواء النفس ونزعاتها الشريرة ويحوّلها إلى عالم الملائكة، والشخص الذي يتوجّه إلى هذا النبع يوماً عدّة مرّاتٍ بالفكر والذكر هو شخصٌ

عازمٌ على السير في درب الوصول إلى مرتبة "الإنسان الكامل" ويكون قد عثر على الملجأ الذي يحفظه من دسائس النفس" (٣٩).

ويذكر فتح الله كُولْنُ "الإيمان" و"العمل"، أي انعكاس الإيمان على الحياة اليومية أو تطبيقه فيها كأساسين متلازمين لا ينفصلان عن بعضهما؛ فيعرّف الإيمان بأنه: "يقينٌ بما يجب الإيمان به على نحوٍ لا يحتمل الضدّ مطلقاً"، أما العمل فيتناوله في إطار العبادة وقيّمه على النحو الآتي:

"إن قيام المؤمن بذاته وتكامله مع جوهره لا يمكن أن يتحقّق إلا بالعبادة، وقول الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانت (Immanuel Kant) (١٧٢٤-١٨٠٤م)": "يعرف الله بالعقل العملي، لا بالعقل النظري" تعبيرٌ عن هذا الحكم بطريقةٍ وشكلٍ آخر، ومن الوارد دائماً أن ينحرف عن الطريق ويزيغ ذلك الإنسان الذي لم تصبح العبادة جزءاً من طبيعته ولم تتعمّق وتناصّل فيه... ولهذا السبب فإنه من الواجب على الشباب المثقّف في القرنين العشرين والحادي والعشرين أن يتحوّلوا بالعبادة من النظرية إلى التطبيقية" (٤٠).

ويضيف كُولْنُ تحقيق النفع العام للناس إلى مفهوم العبادة لديه كنقطةٍ من نقاط الانطلاق الأساسية في اقترابه من الإسلام، فيرى أن "أفضل العبادة هي معرفة الله تعالى وحبّه ونفع الناس، وذروة الذرى هذه تشير إليها بوضلة الوجدان التي تبحث على الدوام عن مرضاة الله تعالى في ظلّ دستور ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (سورة هود: ١١٢/١١) والمؤمن الحقيقيّ هو المؤمن الذي يبحث عن الحقّ دائماً" (٤١).

وأول ما يخطر بالذهن عند الحديث عن "العبادة" هو "الصلاة"، فقد أقرّ الإسلام أن الصلاة هي النقطة الفاصلة بين الإيمان والكفر،

(٣٩) فتح الله كُولْنُ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٤٠) فتح الله كُولْنُ: الفصول-٣، ص ١٢٦-١٢٧.

(٤١) فتح الله كُولْنُ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٥٩.

وقد أوليت الصلاة أهميّة عاليةً بهذا القدر، وكما هو الحال في العديد مما كتبه فتح الله كولن فقد تناول في كثيرٍ من أحاديثه ولقاءاته أيضًا الصلاة التي هي رأس العبادات كلّها والتي تتكامل فيها العبادات جميعها بمعناها ومحتواها، ولفت الأنظار أولًا إلى الجوهر الذي يجعل من الصلاة صلاةً ورأسًا للعبادات، فإن الصلاة معراج المؤمن، وهي ذاتها ضياؤه في طريق معراجه، وهي بُراقه، ووسيلةُ القلوب المؤمنة السالكة الطريق، فهي السفينة والمكوك والطائرة... وهي واحدةٌ من أهمّ مراحل التُّرل والاستراحة على طريق المسافر إلى القربى والوصول -الاقتراب من الله والوصول إليه-، وهي سدرة المنتهى، ومن أعظم الوسائل المتاخمة حدودها الغاية والهدف المشود.

إن كولن يهتمّ بـ"الصوم" و"الزكاة" على قدر مكانتهما في البناء الإسلاميّ ويلفت الانتباه إليهما دائمًا كما يفعل بالنسبة للصلاة، وما كتبه بخصوص "الحجّ" من كتاباتٍ جديرٍ بالقراءة والمطالعة بكلّ تأكيد<sup>(٤٢)</sup>.

ويرى فتح الله كولن الإسلام دينًا، ومنظومةً تتكوّن من الإيمان والعبادة والأخلاق والسلوكيات بالدرجة الأولى، ويقول بشأن "الدعاء" إنه:

"نداءٌ وتضرُّعٌ، وتوجُّهٌ من الصغير إلى الكبير، ومن الأسفل إلى الأعلى، ولهفةٌ من الأرض ومن سكّانها نحو ما وراء السماوات، وطلبٌ ورغبةٌ وطرحٌ لما في الصدور من آلام، والداعي يشعر بضالته أولًا، وبعظمة صاحب الباب الذي يتوجّه إليه ثانيًا، لذا يكون متواضعًا جدًّا، وعندما يرفع يديه بالدعاء مؤمنًا بالاستجابة؛ يتحوّل ومن حوله إلى عالمٍ روحانيٍّ وسماويٍّ، وكأنه يسمع تسييحات الروحانيين وأذكارهم وأدعيتهم، والمؤمن بهذا التوجّه وبهذا الدعاء لا يطلب ما يودّه وما يطمح إليه فقط، بل يستغيث

أيضاً ممّا يخافه ويخشاه، وهو يعلم بأن الدعاء حصنه الحصين  
الذي يلجأ إليه<sup>(٤٣)</sup>.

يبين كَوْلُنْ أن الدعاء يعني قبل كلّ شيء تعظيم الله والثقة بأنّه ﷻ قادرٌ  
على كلّ شيءٍ، وأنه سبحانه يستطيع أن يجعل كلّ ما يبدو لنا مستحيلاً  
أمرًا ممكنًا، فنحن نعبر في الدعاء عن حالنا الرث كما يقول الشاعر:

أيًا كان حالنا فهو لا يخفى عليك،

فما الدعاء إلا بيانٌ متواضعٌ لحال عبادك الضارعين إليك...

إن الدعاء يقدّم ما نطلبه إلى الحقّ، ويشرح عالمنا الروحيّ متوجّهًا به  
إلى بابه تعالى الذي هو محرابنا الأبديّ، فنبوح إليه بما في داخلنا، ونُحكّم  
غلق أفواهنا "تأدّبًا في حضرته"، ومنتظر صامتين، ويعتبر هذه الحال بالنسبة  
لبعض عرضٍ حال أبلغ بكثيرٍ من أبلغ الكلمات - بقدر درجة الإخلاص  
والصدق - وبيانًا يتجاوز أسمى العبارات، ولما كان الله تعالى يعلم حالنا  
كلّه؛ سرّنا وجهرنا كان الجوهر أهمّ مما يُنطقُ في الدعاء من كلماتٍ.

ويرى فتح الله كَوْلُنْ أن الدعاء عبادةٌ تحتوي معنى العبودية، تمارس  
قولاً وفعلاً، والدعاء الفعليُّ هو الوفاء بما يلزم الوفاء به من أجل الوصول  
إلى النتيجة المرجوة، ولما كانت الدنيا دار حكمةٍ وأسبابٍ؛ كان حرثُ  
الفلاح الحقل في موعده وزرعهُ الأرض، واستخدامُ المريض الدواء على  
سبيل المثال دعاءً فعليًّا، هذا النوع من الأدعية يُقبل بصفةٍ عامّةٍ، ما لم يُرد  
الله تعالى شيئاً آخر؛ كأن يعاقب الفلاحُ بالآل يعطيه ثمرة ما زرعه لخطأٍ  
ارتكبه، أو أن يريد أن يمتحنه بشكلٍ ما ولحكمةٍ ما، أو لأن موعده وفاة  
المريض بسبب ذلك المرض لم يحنْ بعدُ، أو أنه ليس خيرًا له أكثر من  
معاناته المرض على سبيل المثال، حتى إن حرثَ الحقل وبنزَ الحبوب،

والذهاب إلى طبيبٍ خبيرٍ واستخدامِ العلاج، أي التوجّه إلى الله بالدعاء الفعلي بكلّ هذه الأشياء؛ لا يمنع من التضرّع شفهيًا وقوليًا في الاتجاه نفسه، بل على العكس تمامًا؛ لا بدّ وأن يتحد الدعاء الفعليّ والدعاء القوليّ ويتوافقا.

وقد لا يمنح الحقّ تعالى عبده ما أراد في الدعاء القوليّ، فإن دعا العبد دعاءً يراعي فيه الإخلاص والشروط اللازمة لذلك؛ فإن كان الأمر خيرًا له على هذا النحو أعطاه الحقّ تعالى ما أراد وطلب تمامًا، وإن كان منحه ما أراد بالضبط لا يحمل خيرًا بالنسبة له منحه الله ما هو خيرٌ له أو لا يمنحه قطّ، ويدخر له إجابة دعائه، ليمنحه مكافأةً وثوابًا عظيمًا في الآخرة، ويمكننا تشبيه هذا بحال مريض، فمثلًا ربما يحتاج مريضٌ أصابه البرد أن يشرب الماء؛ إلا أنه إن كان هذا الماء سيزيد من مرضه كان الوفاء بطلبه هذا ضارًا له، ومثل هذا أيضًا، فإن الحقّ تعالى يعطي عبده ما يصلح له بصفةٍ عامّةٍ؛ فلا يعطيه كلّ ما يطلبه دائمًا، ويقول فتح الله كولن في هذا الصدد:

"ليس من الصحيح توقّع الاستجابة لكلّ أدعيتنا كما هي".

ويواصل شرحه لذلك فيقول:

"لأننا لا نأخذ بعين الاعتبار إلا رغباتنا وطلباتنا المتعلقة بأيّامنا الحاليّة، فنضيق بهذا إطارَ طلباتنا، وننسى أو نُهمل المستقبل أو الأمور الأخرى المتعلقة بنا عن قرب، ولا نأخذها بعين الاعتبار، ولكنه تعالى يرى حالنا الحاضر، وكذلك مستقبلنا القريب والبعيد في اللحظة نفسها، فيوسّع ما ضيقناه حتى يجعل أدعيتنا تتسع وتشمل الدارين -الدنيا والآخرة- ويستجيب لها ضمن أبعادٍ متعدّدةٍ حسب موجبات رحمته وحكمته. أجل!.. فهو عندما يُنير أوضاعنا الحاليّة لا يفسد مستقبلنا، ولا يحول أضواء

أيامنا الحالية إلى ظلماتٍ في المستقبل، وعندما يقوم بالإنعام علينا لا يسحب من الآخرين نِعْمَهُ ولا يحرمهم من فضله، بل يستجيب لنا وللآخرين ليظهر لنا أنه سمع أذعيتنا، وأخذ طلباتنا بعين الاعتبار، فيهب قلوبنا بقربه وحضوره انشراحًا وبهجةً وراء كلِّ خيالٍ وتصوُّرٍ".

ويربط فتح الله كُولُنُ المراحل الذهبية في التاريخ التركيّ بسموّ الروح وعشق الأخلاق، ويعتبر هذين العنصرين أساس كلِّ صنوف الانبعاث الحقيقي، ويبين أن التطلُّ والانسياق وراء المادية طرَحَ الإنسان أرضًا من فوق عرش أشرف المخلوقات، وَقَلَبَ القِيَمَ الإنسانيّة كلّها رأسًا على عَقِبٍ.

ويؤمن كُولُنُ بأن الإسلام قد فضّل الإنسان بإيمانه ومعرفته ومحبّته وعشقه وأذواقه الروحانية حتى على الملائكة، واعتبر محبّته تعبيرًا مهمًّا عن العلاقة والصلة بالخالق، ومن هذه الناحية فإنه لا بدّ من أن تُعاد إلى الإنسان من جديد جميع تلك القيم التي سُلبت منه بواسطة المادية، وتأتي في مقدّمها الفضائل الأخلاقية مثل الإيمان والعشق والإخلاص والصدق والأمن ونصرة الحقّ والثبات على الوعد والشجاعة واحترام الآخرين والارتباط بالمعنويات<sup>(٤٤)</sup>.

والأخلاق في رأي كُولُنُ تحتوي قسمًا من الدساتير العليا المتعلقة بسلوكيات الإنسان، تنبع جميعها من سموّ الروح، ولذا فإن الذين عجزوا عن التواؤم مع أرواحهم غالبًا ما يصعّب عليهم الاستمرار في تطبيق المبادئ الأخلاقية.

(٤٤) فتح الله كُولُنُ: سلسلة العصر والجيل-٦، أفكار في طور الاضضرار (Yeşeren Düşünceler)، مقال "أخلاق الحب (Aşk Ahlakı)"، "نيل ناينلري (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ١٩٧-٢٠١، [مجلة "سزنتي"، يوليو/تموز ١٩٩٦م].

ويؤمن كُولُنْ كذلك بأن الأخلاق هي ما يمنح العلم قيمته، فيقول:

"هناك فرق بين أن تكون عالماً وبين أن تكون إنساناً حقاً، فبنسبة استعمال "العالم" لعلمه في خدمة الإنسانية، وبنسبة تمثيله لعلمه بخُلُقِهِ وفضيلته؛ يتخلص من كونه مجرد حَمَلِ عِلْمٍ ويرقى إلى مستوى الإنسان الفاضل، وإلا فهو شخص مسكين أضاع عمره فيما لا ينفع، إذ الأخلاق والفضيلة هي التي تُحوّل الجهل الذي يُشبه معدناً عادياً - كالحديد - إلى معدنٍ ثمينٍ ومفيدٍ كالذهب".

ومن ثم ينصح كُولُنْ قائلاً:

"إياك أن تخذع أحداً حتى وإن تعرضت أنت للخداع، وإن كان الوفاء والاستقامة تجلبان في بعض الأحيان مصاعب وخسائر لصاحبهما، إلا أنهما خصلتان ساميتان إياك أن تتعد عنهما"<sup>(٤٥)</sup>.

ويركز فتح الله كُولُنْ على القواعد التي ترفع مرتبة الإنسان من مجرد كونه إنساناً في الصورة إلى مرتبة الإنسان الحق أي الإنسان الكامل على نحوٍ مختلفٍ جداً عن أفكار الأخلاق الحديثة والمبادئ العصرية مثل الأخلاق العلمانية والأخلاق الشيوعية والأخلاق الاجتماعية والاشتراكية، ويؤكد على أنّ أصل هذه القواعد موجود في الدين، وهو ذلك المفهوم الأخلاقي الذي لا يوجد فيه "الآخر" كما هو الحال في المفاهيم الأخلاقية الحديثة، بل فيه الأخوة، والأكثر من ذلك أن "الآخر" في تلك الجماعة الإنسانية التي وُصِفَتْ بـ﴿نُبِيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ في القرآن الكريم<sup>(٤٦)</sup> وبـ "النبيان" و"الجسد" في الحديث النبوي الشريف<sup>(٤٧)</sup>؛ هو "الأنا" ذاته، فقول النبي ﷺ:

(٤٥) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٨٥.

(٤٦) سورة الضُّفِّ: ٤/٦١.

(٤٧) "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضُه بعضاً" (صحيح البخاري، المظالم، ٦؛ صحيح مسلم، البر، ٦٥)؛ و"مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (صحيح البخاري، الأدب، ٧؛ صحيح مسلم، البر، ٦٦) (واللفظ لمسلم).

"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" (٤٨) يُشير إلى ما يجب أن يكون عليه الجميع، والآية الكريمة: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة الخُشْر: ٩/٥٩) تُصرِّح بصفة المؤمن الحق، وهذه الصفة هي التي تشكل أساس المفهوم الأخلاقي لدى كُولُنُ.

ويُجَلُّ كُولُنُ روح الإيثار هذه دائماً ويُعلي من شأنها بمثل هذه العبارات فيقول:

"تضحية الإنسان بمصالحه ومنافعه من أجل مصلحة الآخرين ومنفعتهم سموً في الروح وشهامةً خلق، والذين يفعلون الخير على الدوام دون انتظار أيِّ أمرٍ أو منفعةٍ سيذهلون عندما يلتقون وجهًا لوجهٍ مع كلِّ فعلٍ خَيْرٍ أو نِيَّةٍ صالحةٍ في موقفٍ لم يكونوا يتوقَّعونهُ أبدًا، وعنده تنعقد ألسنتهم فلا يعرفون كيف يشكرون" (٤٩).

ومن ثمَّ فإننا نرى في عبارته الآتية أيضًا مبدأ "العيش لأجل الآخرين لا لأجل النفس"، و"إيثار الإنسان حياةً الآخرين على حياته نفسه"، وهو المبدأ الذي يُمثِّل واحدًا من أهمَّ المبادئ في التعرُّف على فتح الله كُولُنُ؛ إذ يقول:

"كما أنَّ الشجرة تنمو وترعرع بنسبة سلامة جذورها فإن الإنسان أيضًا ينمو ويتطوَّر طالما تخلَّص من التفكير في المنفعة الشخصية والأنايئة، وعاش من أجل الآخرين، فيسمو ويرتفع إلى أن يصل عنان السماء" (٥٠).

(٤٨) صحیح البخاری، الإیمان، ٤٦؛ صحیح مسلم، الإیمان، ٧١.

(٤٩) فتح الله كُولُنُ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٨٦.

(٥٠) فتح الله كُولُنُ: سلسلة العصر والجيل-٢، الإنسان في دوامة الأزمات (Buhranlar Anafurunda İnsan)، مقال "الإرادة" (trade)، "نيل ناينلرلي (Nil Yayinlari)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ٩٧-٩٨، مجلة "سيزني"، أكتوبر/تشرين الأول (١٩٨٣م) [١].

ويذكر فتح الله كُولُنْ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ الْمَبَادِئِ الْأَخْلَاقِيَّةِ أَنْ يَشْكُرَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ عَلَى كُلِّ نِعْمٍ تِي وَهَبَهَا لَهُ؛ أَنْ يقدِّمَ شُكْرَهَا مِنْ جِنْسِهَا، وَطَالَمَا ظَلَّتْ مِشَاعِرُ الشُّكْرِ هَذِهِ مُتَقَدِّمَةً حَيَّةً اسْتِطَاعَ الْمُجْتَمَعُ أَنْ يَبْقَى وَيَعِيشَ عَلَى مَسْتَوَى الْفَرْدِ وَالْأُسْرَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالِدَوْلَةِ، وَلَيْسَ مَهْمًا شُكْلُ تِلْكَ النِّعْمَةِ، فَكَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْعِمَ اللَّهُ عَلَى هَذَا بِالْهِنَاءِ وَالْهُدُوءِ وَالْأَمْنِ وَالرِّفَاهِيَّةِ، يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ النِّعْمَةُ أَيْضًا فِي تَطَوُّرٍ نَحْوِ الْأَفْضَلِ فِي الْمَجَالِ التَّقْنِيِّ؛ فَالْمَالُ وَالْمِنَالُ وَالْمَنْصِبُ وَالْمَوْقِعُ وَالْعِلْمُ وَالْعِرْفَانُ وَالْجِيَاشُ بِأَحَاسِيْسٍ وَمِشَاعِرِ الْفِيوضَاتِ الْمَادِيَّةِ أَوْ الْمَعْنَوِيَّةِ؛ كُلٌّ مِنْهَا نِعْمَةٌ لِلْإِنْسَانِ، وَإِنْ وَفَى الْفَرْدُ أَوْ الْمُجْتَمَعَاتُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْوَفَاءُ بِهِ مِنَ الشُّكْرِ، وَقَامُوا بِمَسْؤُولِيَّاتِهِمْ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ جَدِيرِينَ بِتِلْكَ النِّعْمِ لِاتِّقَانِ بِهَا، وَلَا يَتَعَرَّضُونَ لِأَيِّ تَغْيِيرٍ، وَإِلَّا فَإِنَّ النِّتِيْجَةَ سَتَكُونُ عَكْسِيَّةً سَلْبِيَّةً إِذَا مَا كَانَ الْأَمْرُ خِلَافَ ذَلِكَ<sup>(٥١)</sup>.

والْحَسُّ وَالْفِكْرُ وَسَلَامَةُ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَعْمَاقُ الْإِنْسَانِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِفَتْحِ اللَّهِ كُولُنْ تَمَثَّلُ فِي رَأْيِهِ بِطَاقَةِ اثْنَمَانِيَّةٍ تَسْرِي فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَمَا أَنَّ تَقْدِيرَ الْحَقِّ تَعَالَى وَمَكَافَأَتَهُ لِعَبْدِهِ تَكُونُ بِحَسَبِ الصِّفَاتِ الْمَتَوَقَّرَةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ حَسْنَ قَبُولِ الْبَشَرِ لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضُ أَيْضًا مُرْتَبِطٌ بِالصِّفَاتِ بِمُقْيَاسٍ مَعْيِنٍ<sup>(٥٢)</sup>.

ويسرد كُولُنْ الْأَرَاءَ الْآتِيَّةَ أَيْضًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِ الْفَضِيلَةِ فَيَقُولُ:

- الْفَضِيلَةُ هِيَ الْحَالَةُ الرُّوحِيَّةُ الَّتِي لَا تَهْتَمُّ بِجَلْبِ احْتِرَامِ الْآخَرِينَ مَعَ أَنَّهَا عَمِلَتْ عَمَلًا يَسْتَحَقُّ الْاحْتِرَامَ، أَمَا الْغُرُورُ وَالْعُجْبُ بِالذَّاتِ فَهُوَ الْحَالَةُ النَّفْسِيَّةُ الَّتِي تَتَوَقَّعُ احْتِرَامَ الْآخَرِينَ وَمَدِيحَهُمْ لِعَمَلٍ لَا يَسْتَحَقُّ الْاحْتِرَامَ.

(٥١) انظر: فتح الله كُولُنْ: الفصول ٢، ص ٢٦-٢٧.

(٥٢) المصدر السابق، ص ١٣٠.

- الذين يذكرون العظماء الحقيقيين بالخير والاحترام، سيُذكرون بالخير يوماً ما.
- معرفة النفس بصيرةً، أما حبُّ النفس فعمى، والذي يعرف نفسه قريباً من الله ومن الناس، أما الأنايُّ المُحبُّ لنفسه فبعيدٌ عن الكلِّ باستثناء نفسه<sup>(٥٣)</sup>.
- الفضيلة تجلس على بساطٍ بسيطٍ بين الناس، أما الغرورُ فلا يفيقه أفخم الكراسي، فإن شَبَّهنا الغرور ببيئرٍ معكوسةٍ كالقبة، نستطيع تشبيه الفضيلة بسماءٍ هبطت نحو الأفق.
- الجهل يؤدي إلى الغرور، والحكمة تؤدي إلى الفضيلة، الغرور لقيطٌ غير شرعيٍّ للجهل، أما الفضيلة فابنٌ شرعيٌّ للحكمة، الغرور نصيرٌ للاستبداد أما الفضيلة فنصيرةٌ للحرية ولل مساواة.
- يتجول الغرور في وحدةٍ قاتلةٍ باحثاً عن الأنداد والأمثال... أما الفضيلة فهي بين الشعب في غمرة السعادة لأنها وجدت أمثالها وأندادها<sup>(٥٤)</sup>.

#### د. العلاقات والمعاملات بين الناس

يهتمّ فتح الله كُولُنْ بالمحبّة والتسامح والمرودة والإيثار بين الناس اهتماماً شديداً، ويقول:

"إنه يجب على الإنسان أن يجعل من نفسه ميزاناً يزنُ به كلَّ شيءٍ في سلوكه تجاه الآخرين، فما يريده لنفسه عليه أن يريده للآخرين، وعليه ألا ينسى أنه عندما يكره تصرفاً معيَّناً تجاهه فإن الآخرين أيضاً يكرهونه؛ فيتخلَّص بذلك من جميع التصرفات الخاطئة من جهة، ويسلم من إيذاء الآخرين وجرح قلوبهم من جهةٍ أخرى"<sup>(٥٥)</sup>.

(٥٣) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٨٧.

(٥٤) المصدر السابق، ص ١٥٦-١٥٧.

(٥٥) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٤٥.

مسجلاً بذلك ضرورة أن يتحرى الإنسان فعل الخير للآخرين دائماً، ووفقاً للأستاذ كُولْن الذي يوصي قائلاً:

"لا تعتب على أحد مُتذرعاً بأنه: لم يمد يد المساعدة للإنسانية... بل تذكر كم ضيّعت أنت من فرص مساعدة الآخرين"<sup>(٥٦)</sup> فإن كمال الإنسان ونضوجه لا يظهر إلا عندما لا ينحرف عن طريق الحق حتى بالنسبة للأشخاص الذين أساؤوا وإليه، بل لا يتردد في إسداء الخير إليهم... ذلك لأن القيام بالإساءة إليه، بل لا يتردد في إسداء الخير إليهم... ذلك لأن القيام بالإساءة سلوك غير إنساني، ومقابلة الإساءة بالإساءة نقص خطير في الإنسان، أما مقابلة الإساءة بالإحسان، ومقابلة الشر بالخير فعلاقة من علامات السموّ والشهامة<sup>(٥٧)</sup>.

ويرى كُولْن أن الإنسان الناضج والكامل هو الذي يعتبر أكبر معروف يسديه للآخرين شيئاً ضئيلاً، وأصغر معروف يسدى إليه شيئاً كبيراً، ومثل هذا الشخص يكون قد سما إلى الخلق الإلهي ووصل إلى الاطمئنان القلبي، كما يذكر كُولْن:

"أن غصّ الطرف عن تصرفات البشر غير اللائقة وتجاهل عيوبهم واحدة من بين أهم الخصال الإنسانية...

إن البحث عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم وعيوبهم شيء خارج عن نطاق الأدب، أما إشاعة هذه العيوب والتحدث عنها هنا وهناك ففقيصة لا يمكن الصفا عنها، أما ذكر هذه العيوب وتعدادها لأصحابها فضربة قاصمة للإحياء وللمودة التي تربط بين الأفراد"<sup>(٥٨)</sup>.

(٥٦) المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٥٧) المصدر السابق، ص ٤٥.

(٥٨) فتح الله كُولْن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٤٦.

يذهب فتح الله كُولُنْ إلى أكثر من ذلك واضعاً بذلك معياره الشخصي الأصيل في هذا الموضوع فيقول:

"ليست هناك نهايةٌ أو حدودٌ في إساءة المعروف إلى الآخرين، فالإنسان الشهم قد يضحّي حتى بروحه من أجل الآخرين"<sup>(٥٩)</sup>.

والمراعاة الدقيقة للحلال والحرام، والمسار الحقوقي على نحو متبادلٍ في الحياة اليومية وفي علاقات الناس ببعضهم من أكثر الأمور التي اهتمّ بها فتح الله كُولُنْ اهتماماً شديداً بالنسبة للإسلام بعد المبادئ الأخلاقية التي ركّز عليها آنفاً بحساسةٍ فيما يخصّ العلاقات بين الناس، وفتح الله كُولُنْ الذي يُذكرُ باستمرارٍ قائلاً:

"إنما الدين المعاملة، مراعاة الحلال والحرام".

فهو حسّاسٌ لأقصى درجةٍ فيما يخصّ حقوق العباد، وقد استدان فتح الله كُولُنْ في صغره حين كان يدرس في "أرْضُرُوم" قدرًا قليلاً من المال من معماريٍّ أتى "أرْضُرُوم" مآذن من محافظة "قَيْصِرِي (Kayseri)"، وقد غادر المعمارِيُّ "أرْضُرُوم" قبل أن يتسنّى لفتح الله كُولُنْ سداد دينه له، فراح يبحث عنه عدّة سنواتٍ مدينةً مدينةً حتى وجده في النهاية، فسدّد له دينه تاماً غير منقوصٍ، وقدم له هدايا قيّمةً إلى أن أَرْضاه، وطلب منه السماح، وكما أنه حسّاسٌ ودقيقٌ في هذا الموضوع فإنه يوصي الجميع كذلك بأن يكونوا بهذا القدر من الحساسية والتحرّي، ويرى أن الإنسان إن كان يتحدّث عن حقوق العباد، ولا يفني بدينه رغم قدرته على الوفاء به، ولا بالحقوق الواجبة عليه فهو كذّابٌ ليس إلّا، ويقول:

"الإنسان المدين لغيره بحقٍّ مطالبٌ بأن يجد ذلك الشخص ويطلب منه السماح والصفح، فإن كان هذا الحقُّ حقاً معنوياً كالغيبية

والافتراء والكذب عليه استحال السماح فيه إلا بالاستسماح منه،  
فإن كان من قبيل الدّين والمال فلا بدّ من الهرع إلى تسديده على  
الغور دون إبطاء<sup>(٦٠)</sup>.

ويركّز الأستاذ فتح الله أكثر ما يركّز في موضوع حقوق العباد على حقّ  
الوالدين، فيرى أن حقوق الوالدين واحدة من أكثر القضايا التي تعرّضت  
- مع الأسف - للإهمال بين المسلمين في يومنا الحاضر، في حين أن  
الوالدين شخصان مقدّسان ينبغي للإنسان أن يحترمهما، ومن يقصّر في  
احترامهما يُعتبر عاصياً للحقّ تعالى، ومن يؤذيهما فلا ريب أنه يتعرّض  
للإيذاء عاجلاً أو آجلاً، فالإنسان ينمو ويكبر على أكتاف والديه وهو  
عبءٌ عليهما منذ اليوم الأوّل لوجوده كمخلوقٍ حيٍّ صغيرٍ، وليس في  
الإمكان هنا تعيين عمق شفقة الوالدين ورحمتهما، ولا حدود الأعباء التي  
يتحملانها، لذا فاحترامهما وتقديرهما واجبٌ من جهةٍ، ودينٌ إنسانيٌّ من  
جهةٍ أخرى، ويتناول القرآن حقّ الوالدين وحقّ الله تعالى في الخطّ ذاته<sup>(٦١)</sup>.

ويقول فتح الله كولن:

"إنني أتلوّ أُلماً وحسرةً كلّمّا رأيتُ إهمال حقوق الوالدين.  
إن الذين يعرفون قدر الوالدين، ويعدّونهما وسيلةً للوصول  
إلى الرحمة الإلهية هم المحظوظون هنا في الدنيا، وهناك في  
الآخرة، أما الذين يستثقلون وجودهما ويملّون من استمرارهما  
في الحياة معهم؛ فهم التعساء والمرشّحون لأرذل وأسوأ حياةٍ،  
وبدرجة توقير الإنسان لوالديه يكون موقّراً لخالقه تعالى، ومن لا  
يوقّرهما لا يوقّر الله تعالى"<sup>(٦٢)</sup>.

(٦٠) فتح الله كولن: الفصول-١، ص ٣١٧.

(٦١) انظر: سورة البقرة: ٨٣/٢، سورة النساء: ٣٦/٤، سورة الأنعام: ١٥١/٦، سورة الإسرائيل: ٢٣/١٧.

(٦٢) فتح الله كولن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٤٩؛ فتح الله كولن: الفصول-٣، ص ١٠٤-١٠٥.

وعلى حين يقف فتح الله كُولُنْ عند هذا الميزان فيما يتعلق بحق الوالدين فإنه لا يُهمل حقوق الطفل، ويقول<sup>(٦٣)</sup>:

- عندما خُلِقَ الإنسان خُلِقَ معه أليفه ورفيق حياته، ولم يبقَ وحده إلا مدَّةً قصيرةً، لذا فإن خلقه مع زوجه يدلُّ على أن الزواج شيءٌ فطريٌّ للإنسان، وأهمّ هدفٍ لهذه الوظيفة الفطريَّة هو التناسل.
- وكلِّما قام الآباء والأمهات بتزيين أبنائهم بالفضيلة أكثر؛ حُقَّ لهم أن يُطلِّقوا عليهم لفظً "أبنائنا"، لذا فليس من الملائم للآباء والأمهات الذين يُهملون تربية أبنائهم أن يدَّعوا مثل هذا الادعاء، فما بالكم بالآباء الذين يدفَعون أبناءهم إلى طريق الشرِّ والرذيلة ويُبعدونهم عن المستوى اللائق بالإنسان!
- إن قام الآباء والأمهات بواجبهم على أتمِّ وجهٍ نحو أبنائهم وربَّوهم تربيةً صالحةً تجعلهم نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم؛ فإن الأمة تكون قد ملكت ركنًا ركينًا مهمًّا، أما إن كان العكس -أي أهملوا تهذيب المشاعر الإنسانيَّة لدى الأولاد- فكأنهم يثبُّون في المجتمع حشراتٍ ضارَّةً.
- إننا لنرى عندما تُقلِّم الأشجار، وتُرعى الحيوانات رعايةً صحيحةً كيف نحصل على ثمرة هذا الاهتمام، وكيف يستمرُّ نسل تلك الشجرة وذلك الحيوان، ولكن عندما تُترك الأشجار أو الحيوانات دون رعايةٍ واهتمام لا نستطيع الاستفادة منها بالشكل المرجو والمطلوب، أفلا يستحقُّ الإنسان المرسل إلى الدنيا بكمِّ هائلٍ من القابليَّات والاستعدادات أن يكون له نصيبٌ من الاهتمام والرعاية التي نُبديها ونبدلُها لشجرة؟
- يا ابن آدم! أنت من تنجب الطفل، لذا تقع عليك مسؤوليَّة الارتقاء بهذا الطفل إلى ما وراء السماوات، فكما تهتمُّ بصحة

(٦٣) لمزيد من المعلومات انظر: فتح الله كُولُنْ: من البذرة إلى الثمرة تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة، دار النيل، القاهرة (٢٠١٥م).

جسمه وتشفقُ عليه من المرض، اهتمَّ بحياة قلبه وبروحه وأشفقُ  
على ذلك المسكين من النار وأنقذه بحق الله، ولا تدعه يخسر  
الدنيا والآخرة<sup>(٦٤)</sup>.

## مقارنة رؤية فتح الله كُولْن حول الإسلام بالرؤية الأيديولوجية للإسلام

### أ. الإيمان

يحتلّ الإيمان دائماً المكان الأول في رؤية فتح الله كُولْن الإسلامية؛ لأنه وفقاً لتقييمات بديع الزمان:

"الإيمان لا ينحصر في تصديق إجمالي وتقليدي فقط، بل له انجلاء ومراتب كثيرة جداً كالمراتب الموجودة بين البذرة النامية إلى الشجرة الباسقة أو كالمراتب الموجودة بين انعكاس ضوء الشمس من المرآة الصغيرة في اليد إلى انعكاسه من سطح البحر بل إلى انعكاسه من الشمس نفسها، فإن للإيمان حقائق غزيرة جداً إذ ترتبط حقائق كثيرة لأنوار ألف اسم واسم من الأسماء الحسنى، ولسائر أركان الإيمان بحقائق الكون..."

إن أجّل العلوم قاطبةً وقمة المعرفة وذروة الكمال الإنساني إنما هو في الإيمان والمعرفة القدسيّة السامية المفصلة والمبرهنة النابعة من الإيمان الحقيقي... نعم، إن الإيمان التقليديّ معرّض لهجمات الشبهات والأوهام، أما الإيمان الحقيقيّ فهو أوسع منه وأقوى وأمتن وله مراتب كثيرة جداً... ومنها مرتبة "عين اليقين" التي يستطيع الواصلون إليها بلوغَ درجةٍ ومرتبَةٍ يتمكّنون عندها من مطالعة الكون كلّ كما يطالعون كتاباً، وهناك مرتبةٌ أخرى من مراتب الإيمان هي "حقّ اليقين"، ومن يمتلك هذه المرتبة العالية من الإيمان فإنّه يُحصّن نفسه ويكفل سلامته من جيوش الشبهات المعتدية<sup>(٦٥)</sup>.

### ب. مقارنة بين الرؤية العلمية والمعنوية، والرؤية السياسية الأيديولوجية

لقد نظر فتح الله كُولُنْ -كما حاولنا الوقوف عليه سابقًا- إلى الإسلام على أنه دينٌ يُخاطب القلب والروح والذهن ويوجّه التصرفات والسلوكيات بالدرجة الأولى، أساسه الإيمان والعبادة والأخلاق والمعاملة.

في حين أن حركات الإسلام السياسي الأيديولوجية، مع اهتمامها بالإيمان والعبادة والأخلاق والسلوك، إلا أنها نظرت إلى تراجع المسلمين في القرون الأخيرة في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بشكلٍ عام، ثم بحثت ودرست أسباب الانهيار في هذه المجالات وظنت أن الانبعاث من جديد سيكون في هذه المجالات أيضًا، وبالتالي فقد نظرت إلى الإسلام على أنه أيديولوجية ونظامٌ سياسيٌ اقتصاديٌ اجتماعيٌ قبل أي شيء، مع قبولها أسسه الأخرى دون أدنى شك.

في حين أن تراجع المسلمين في القرون الثلاثة الأخيرة إنما ينبع في المرتبة الأولى -في رأي فتح الله كُولُنْ- من التدني الروحي والاختلال الخطير في الاعتقاد والعبادة والأخلاق، ويقول:

"إن مشكلتنا الأساسية ليست هي انهيار الامبراطورية، وإنما هي إفلاسنا روحيًا، وكم هو مؤلمٌ أن من يُديرون الدولة لم ولا يستطيعون فهم هذا بأي شكلٍ من الأشكال".

وبينما هو يُحلّل تلك النقطة راح يقول أيضًا:

"مهما تزينت وتحلّت بمئات أقواس النصر وتمائيل التّنين كلّ زاويةٍ من زوايا بلدٍ أفلس روحيًا فلا فرق بينه وبين المقبرة، أجل، إن العالم الذي لم يقم على أنفاس انتصار الروح هو دميةٌ في يد قوّة غاشمة، وإن ثقافة لم تتكوّن في مناخ الروح والفضائل لهي عجزٌ شمطاء تقطع على الإنسانية طريقها، وأما الحشود التي

تعيش في بلدٍ كهذا؛ فهي مجموعاتٌ من التعساء معصوبةُ الأعين  
تنجرف من أزمةٍ إلى أخرى.

والإنسان القويّ المظفر هو من يهزم نفسه، أما الأرواح  
الدينية التي عجزت أن تتخلّص من أسر النفس والرغبات الشريرة  
فإنها تُعتبر منهزمةً مغلوبةً حتى وإن تمكّنت من فتح العالم، وكما  
أنه تستحيل تسمية استيلاء أمثال هؤلاء على العالم من أقصاه  
إلى أقصاه فتحًا، فإنه يستحيل عليهم أن يُعمّروا زمناً طويلاً فيما  
سيطروا عليه من الأماكن...

وقد انهزم "مَرْزِفُونُلُو (Merzifonlu)"<sup>(٦٦)</sup> في داخله أولاً قبل  
هزيمته في "فِينَا"...

وانهزم "يلدريم بايزيد" ليس في واحة "جُوبُوكْ (Çubuk)"  
وإنما في ذلك اليوم الذي استحقق فيه خصمه واعتبر نفسه حاكم  
الأرض الأوحده...<sup>(٦٧)</sup>

وكم من كثيرٍ مثلهم!... بينما حلّق "طارق بن زياد" بروحه عاليًا  
ليس عندما اجتاز أعمدة "هرقل" وهزَم بثُلّةٍ من الفدائيين الجيـش  
الإسبانيّ المكوّن من تسعين ألف مقاتل، وإنما في تلك اللحظة  
التي جاش فيها وقال أمام خزائن وثروات الملك في "طليطلة":

"حذارِ يا طارق! كنتَ عبدًا بالأمس، وأنت الآن قائدٌ مظفرٌ،  
وغدًا تحت التراب تتوي!"

(٦٦) "مَرْزِفُونُلُو قَارَا مصطفى باشا" (١٦٣٤-١٦٨٣م): أحد رجال الدولة العثمانية، وقد شغل منصب الصدر الأعظم مدة سبع سنين في عصر السلطان العثماني محمد الرابع (محمد الصياد)، وهو الصدر الأعظم الذي ارتبط اسمه بحصار "فِينَا" الثاني، وقد أعدم نتيجة انتهاء الحصار بالهزيمة والخسارة وهذه الهزيمة تعتبر أول تراجع للدولة العثمانية أمام الغرب. (المترجم)

(٦٧) واحة "جُوبُوكْ" الواقعة بالقرب من مدينة "أنقرة" هي الواحة التي وقعت فيها "معركة أنقرة" بين القائد التتاري "تيمورلنك" والسلطان العثماني "يلدريم بايزيد" بتاريخ العشرين من تموز/يوليو (١٤٠٢م)، وفي نتيجة المعركة انهزم الجيش العثماني. (المترجم)

وانتصر "ياووز" (سليم الأول) الذي كان يرى العالم لا يتسع لحاكمين ليس عندما زلزل العالم بجيشه، يُبقي على بعض الملوك ويقضي على آخرين، وإنما حينما تحين ساعة نوم شعبه عند دخوله إسطنبول حاملاً لقب "حاكم العالم الإسلامي الأوحده" عقب انتصاره في معركة "الريمانية" متجنباً أن يصيبه الغرور من رؤيته حفاوة شعبه به، لقد كان فاتحاً حقيقياً حين وصل إلى عاصمته في سكون الليل، وأوصى بأن يثدر نعشه بجثته التي تعطرت بوحدٍ تناثر عليها من قدم حصان أستاذِه<sup>(٦٨)</sup>،<sup>(٦٩)</sup>.

ولا يُركزُ طويلاً على طرز المعيشة الإسلامية الشخصية للأفراد في الرؤى الأيديولوجية السياسية نظراً لتباين نقطة الانطلاق الرئيسة هذه وتمايزها في كلِّ واحدة منها عن الأخرى؛ فعلى حين أن تحريك الناس وتشيطهم يتصدّر الفهم الأيديولوجي فإن فتح الله كُولن يتحرك في اتجاهٍ مختلفٍ، ومن ذلك مثلاً تلك العبارات الآتية التي تكفينا كي نفهم نقطة انطلاقه ورؤيته من زاوية ما:

"ينبغي للذين يحاولون أن يُصلحوا العالم إصلاحاً أنفسهم أولاً. أجل، عليهم أن يُظهِروا قلوبهم أولاً من الغلِّ والحقد والحسد إلى جانب استقامتهم في السلوك وفي التصرف وبعدهم عمّا لا يليق بهم، أما من لم يسيطر بعد على عالم قلبه ولم يُعلن الحرب على نفسه الأمارة، ولم يفتح عالم أحاسيسه المعنوية والداخلية... مثل هؤلاء وإن تكلموا بمعسول الكلام، وإن كانوا

(٦٨) كان السلطان ياووز سليم يحمي العلماء ويرعاهم، وكان "ابن كمال" واحداً من العلماء الذين أحبهم السلطان ياووز؛ ذات يوم تناثر وحلّ من قدم فرس "ابن كمال" فأصاب قفطان السلطان ياووز سليم خان، ولطّخه، وعليه خجل "ابن كمال" وجذب فرسه إلى الخلف، فاستدار إليه السلطان ياووز سليم قائلاً له: "لا تحزن؛ فالوحد المتناثر من قدم خيل العلماء زينة تنزّين بها، وشرف لنا، إنني أوصي بأن يُعطى قبري بعد موتي ودفتي بهذا القفطان الملطّخ بالوحد" وقد نُفّذت هذه الوصية بعد موته، وهذا القفطان الخاص بهذه الحادثة محفوظٌ حالياً كتذكّارٍ في واجهة زجاجية تعلو قبر السلطان ياووز سليم. (المترجم)

(٦٩) فتح الله كُولن: سلسلة العصر والجيل-٢: الإنسان في دوامة الأزمات، مقال "انتصار الروح (Ruhun Zaferi)"، ص ٥٢-٥٥، [مجلة "سيرتني"، يوليو/تموز ١٩٨٣م].

في قَمّة البلاغة فإنهم لن يستطيعوا إثارة القلوب والأرواح ولو استطاعوا ذلك فلن يستطيعوا هذا طويلاً<sup>(٧٠)</sup>.

إن هذا الموضوع مهمٌ جدًّا، فإلى جانب أن الإسلام دينٌ لم يطغَ الجانبُ الدنيويُّ فيه ولم يغلبَ عليه مع مرور الزمان كما هو الحال بالنسبة لليهودية، وإنه -أي الإسلام- كذلك ليس دينًا سادت فيه الجوانب الروحية فقط ولم تمثله مؤسسة كالكنيسة كما هو الحال في المسيحية، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤/٨).

يعني أن الإسلام جاء ليكون حياةً للحياة، غير أن الأصل في كونه "حياةً للحياة" هو أسسه الإيمانية، وفي مقدمتها الإيمان بوجود الله، ووحديته المطلقة اللانهائية التي تقوم على أسسٍ أخرى أيضًا، ويتناول الإمام الغزالي في مؤلفه: "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة"<sup>(٧١)</sup>، أسس الإيمان بالإسلام في ثلاث فئات في الأساس هي: "الإيمان بالله" و"الإيمان باليوم الآخر" و"الإيمان بالنبوة" وأما الإيمان بالكتب السابقة فيُدْرَس في نطاق الإيمان بالنبوة، وأما الإيمان بالقدر -بحيث يشمل إرادة الإنسان ولا ينفيها- فيُدْرَس في إطار الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة يُدْرَس ضمن الإيمان بالنبوة والإيمان بالله أيضًا، ويرتّب بديع الزمان مقاصد القرآن الرئيسة، ومن ثم أسس الإسلام هكذا: "التوحيد، والآخرة، والنبوة، والعبادة أو العدالة"<sup>(٧٢)</sup>. تلك هي أسس الإسلام وتذكر على أنها "الأصول"، وقد كانت هذه الأسس الأربعة أساسَ رسالات الأنبياء جميعهم -دون استثناء- وانطلاقًا من هذا بُنيت العبادات كالصلاة

(٧٠) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٠٦.

(٧١) أبو حامد الغزالي: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (تحقيق: سليمان دنيا)، (١٣٨١هـ/١٩٦١م).

(٧٢) بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص ٢١.

والزكاة والصوم والحج على هذه الأسس الأربعة، ثم مع كل هذا تأتي الدساتير الأخلاقية الأساسية ودساتير الحلال والحرام فتأمر مثلاً ببر الوالدين، والوفاء بحقوق الأقارب والمساكين والمعوزين وأبناء السبيل، وعدم التبذير والإسراف والبخل كذلك، وعدم وأد البنات والبعد عن كل أنواع القتل وتجنب الزنا وعدم شرب الخمر وعدم الانخراط في القمار وعدم اغتصاب مال أحد، وتأمر أيضاً بالوفاء بالعهد وعدم الكذب وعدم خيانة الأمانة والمحافظة على الصدق ومراعاته دائماً في كل العلاقات، والتخلي عن كل أنواع الأخلاق والصفات السيئة كالحقد والحسد والغيبة والنميمة، وعدم التحايل والغش في الميزان أبداً، وعدم التحدث فيما لا علم به، وعدم التبختر والتكبر، والأمر بإحسان القول، والقرآن الكريم يمتدح المؤمنين حين يمتدحهم على أساس هذه الخصال والصفات<sup>(٧٣)</sup>.

ولا مرء في أن الإسلام دينٌ يعايش الحياة ويحيط بها، وله أبعاده الاجتماعية والاقتصادية والإدارية بكل تأكيد، علاوة على ذلك فقد صار حضارة عظيمةً وديناً لكثير من الدُول طوال أربعة عشر قرناً، ولا سيما أن رسالة سيدنا رسول الله ﷺ مع أنها سادت الحياة كلها سيادةً تامّةً في العصر المدني وفي عصور الخلفاء الأربعة الأول إلا أن عملية توزيع المهام والوظائف والمسؤوليات حدثت مؤخراً؛ فقد تحمّل العلماء والمتخصصون في العلوم الطبيعية وظيفة تعليم البشر القرآن الكريم وآياته المعجزة، بينما تحمّلت التيارات المعنوية تعليمهما قلبياً، وهي من وظائف سيدنا رسول الله استناداً إلى قول الله سبحانه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ

(٧٣) انظر: سورة الزُّمَر: ٢٠-٢٢؛ سورة الحج: ٤٩/٢٢؛ سورة النور: ١/٢٤، ٨-١١، ٥٧-٦١؛ سورة الشعراء: ٦٣/٢٦-٧٥؛ سورة الزُّمَر: ٤٣-٣٦/٣٩؛ سورة الشُّجُرَة: ١٥-١٠/٣٢؛ سورة الزُّمَر: ٩/٣٩؛ سورة الدُّنْيَا: ١٧/٥١-١٨؛ سورة التَّجْم: ٥٣/٣٢؛ سورة المُزْمَل: ١/٧٣، ٦-٧؛ سورة المُدَّثِّر: ١٧/٥١؛ سورة الإنسان: ٧٦/١٠-٧.

وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١/٢﴾ (سورة البقرة، ١٥١/٢)، وفي هذا الإطار نرى أَنَّ العلماء والأولياء والمرشدين الحقيقيين قد نذروا أنفسهم بشكل أكبر للعلم وإرشاد الحكّام وتبنيهم ونصحهم من أجل سلامة العالم الإسلامي وسعادة المسلمين، ويلفت بديع الزمان الانتباه إلى هذا الأمر، ويوردُ بالشرح الآتي المهمّ إلى حدِّ بعيدٍ لإيضاح السبب في خروج الخلافة عن أهل البيت وعدم بقائها فيهم؛ فيقول:

"إن سلطنة الدنيا خدّاعة، وإنَّ أهل البيت مكلفون بالحفاظ على حقائق الإسلام وأحكام القرآن... فسلطنة الدنيا لا تصلح لآل البيت؛ لأنها تُنسيهم وظيفتهم الأساسية؛ وهي المحافظة على الدِّين وخدمة الاسلام... وهم قد فقِّهوا وفهموا هذا الأمر جيِّداً وسعوا سعياً حثيثاً وبذلوا جهداً منقطع النظر في خدمة الإسلام ورفع راية القرآن.

فإن شئت فتأمّل في الأقطاب الذين أتوا من سلالة "الحسن" ﷺ، ولا سيّما الأقطاب الأربعة، خصوصاً منهم الشيخ الجيلاني، وإن شئت فتأمّل في الأئمّة الذين جاؤوا من سلالة "الحسين" ﷺ، ولا سيّما "زين العابدين" و"جعفر الصادق" وأمثالهم.. فكلٌّ من هؤلاء قد أصبح بمثابة مهديّ في عهده، بدّدوا الظلم والظلمات المعنويّة بنشرهم أنوار القرآن وحقائق الإيمان، وأثبتوا حقّاً أنّهم وُزّات جدهم الأُمجد (عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم)"<sup>(٧٤)</sup>.

وهذا الأمر الذي قد يفهمه فهماً خاطئاً الناظرون إلى الإسلام من زاوية الدولة والسياسة بالدرجة الأولى أمرٌ مهمٌّ جدّاً، والحركات العاجزة عن الاهتمام بالقدر اللازم بالقناعة الذهنيّة والقلبيّة والعمق في العبادة والمعرفة والعشق ستعاني في الحفاظ على الصفاء الإسلامي لأنّها تقوم على أساسٍ سياسيٍّ وأيديولوجيٍّ، كما أن الفتوح الماديّة والسياسيّة

والعسكرية لن تُعمر طويلاً أبداً ما لم تُدعم بالحركات المعنوية الروحية والعلمية، وتُنقش على القلوب وفي الأذهان أولاً، ثم على وجه البسيطة في صورة حضارة متكاملة، وتمثل انتصارات كلِّ من "جنكيز" و"إسكندر" العسكرية مثالاً ونموذجاً معبراً عن هذا، وفي مقابل هذا فإن الفتوحات التي حدثت في عصر الصحابة رضي الله عنهم قد سُودت وتغذت بالحركة العلمية والمعنوية الروحية التي لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وبهذه الحركات استقرَّ الإسلام في كلِّ مكان فتحه المسلمون وأصبح من المستحيل إخراجه منه يوماً ما، ثم ظهرت أروع وأعظم حضارة في التاريخ، ومن هذه الناحية فإن دور الدولة والقوة في انتشار الإسلام والدفاع عنه وخدمته بقي على مدار التاريخ في مرتبة متأخرة بصفة عامة، وإن الحركة العلمية والمعنوية الروحية كانت في مقدمة خدمته دائماً، وكانت الخدمات المنجزة بواسطتها هي الأبقى والأفضل دائماً، ولم يُستحسن استخدام القوة ما لم تُحتّم الظروف ذلك.

وعلى مدى التاريخ الإسلامي فقد سار جميع كبار العلماء والأقطاب المعنويين والمجددين على هذا النهج، ولم يشتغلوا بالسياسة مباشرة، وتحركوا على الأكثر انطلاقاً من الدستور القرآني: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد: ١٣/١١)، والمبدأ النبوي الشريف: "كَمَا تَكُونُوا كَذَلِكَ يُؤَمَّرَ عَلَيْكُمْ" <sup>(٧٥)</sup>، وعملوا على دعوة الناس إلى الوصول إلى الكمال في العقل والكمال في الإيمان والعبادة والأخلاق، وسعوا حيثياً إلى إيصالهم إلى ذلك.

### ج. بُعد مذهبي آخر مهم

إن للموضوع بُعداً مذهبياً آخر مهماً جداً يتعلّق بيومنا الحاضر خاصةً،

وقد استشار سيدنا رسول الله ﷺ أصحابه عقب غزوة بدرٍ حول الطريقة التي يجب عليهم أن يتعاملوا بها تجاه الأسرى، فقال سيدنا أبو بكر ؓ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ، اسْتَبَقْتَهُمْ، وَاسْتَأْنَبْتَهُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ"، أما سيدنا عمر ؓ فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ، قَرَّبْتَهُمْ فَأَضْرَبُ أَعْنَاقَهُمْ" فارتضى سيدنا رسول الله رأي أبي بكر، وقال له: "إِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَغُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (سورة إبراهيم: ١٤/٣٦)"، وَمِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ عِيسَى قَالَ: ﴿إِنْ تَعَدَّبْتُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة المائدة: ١١٨/٥).

ثم التفت سيدنا رسول الله ﷺ إلى سيدنا عمر ؓ، وقال له:

"وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (سورة نوح: ٧١/٢٦)، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ مُوسَى، قَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (سورة يونس: ١٠/٨٨)<sup>(٧٦)</sup>.

هذه الحادثة المهمة تكشف عن حقيقة إسلامية مهمة، ألا وهي أن:

الرسالة التي أسندت إلى رسول الله ﷺ والتي قام بتبليغها على أتم وجه في ذلك العصر؛ إنما هي بمثابة ثمرة كل الرسائل السابقة، وتحمل في ثناياها أهداف كل العظماء الأبرار الذين مروا على التاريخ، وإن الرسالة في ذات الوقت لهي البذرة لأعمال الدعوة والتبليغ وما يلتحق بها من جهودٍ وممارساتٍ من بعده ﷺ في شتى المجالات ومختلف الظروف...

وهذا يعني أن رسالة النبي ﷺ تحمل في ثناياها نتيجة ومحصلة الرسالات السابقة ودعوات الخير التي قام بها العظماء والأفذاذ وإن لم يكونوا رسلاً، وتغرس -في الوقت ذاته- بذرة الدعوة المستقبلية، فكل واحد من هؤلاء يشكل جانباً من جوانب التبليغ الإسلامية الكلي الذي مثله سيدنا رسول الله ﷺ وبالشكل نفسه فإن أعمال التبليغ وجهوده التي تتحقق بعد سيدنا رسول الله، وفعاليات وأنشطة الأشخاص والجماعات التي ستأتي لاحقاً بهذا القصد ربما تمثل هي الأخرى واحدة أو بضعة من المهمات السماوية السابقة؛ أي تمثل جانباً أو بضعة جوانب من الدعوة والتبليغ الإسلامي.

لقد أصرَّ قومُ سيدنا نوحٍ على الإنكار والجحود إصراراً ظالماً عجيباً غريباً، فعلى مدار تسعمائةٍ وخمسين عاماً من دعوته إياهم إلى الإيمان بالله لم يستجيبوا له، بل لم يجتهدوا في تغيير أنفسهم ولم يُحاولوا أن يسلكوا الطريق الصحيح<sup>(٧٧)</sup>، وكذلك كان فرعونُ وملأؤه؛ فمع أن الله تعالى حذَّرهُم ونبَّههم دائماً؛ فأرسل عليهم الآفات والمصائب في أوقاتٍ مختلفةٍ كالدم والطوفان، وأمطرهم بالجراد والقُمَّل والضفادع، ورغم أنهم رجعوا إلى موسى عليه السلام، ووعدوه بالإيمان إن يرفع الله عنهم العذاب؛ إلا أنهم في كلِّ مرة أصرَّوا على الإنكار مع مواصلة الضغط على رعاياهم من بني إسرائيل وتقييد حريتهم في التصرف، ومع أن القاعدة الأساسية في دين الله تعالى هي الرحمة والشفقة والعفو والصفح دائماً، إلا أنه لم يكن ثمة مفرُّ من ذلك الدعاء الذي دعا به كلُّ من سيدنا موسى وسيدنا نوح عليهما السلام على قوميهما؛ إذ بدا لهما أنه من المستحيل إيمان قوميهما وتخليهما عن الشرِّ والمكارة، ومن ثم دعا كلُّ منهما على قومه بهذا الدعاء.

أجل، إن القاعدة الأساس في دين الله تعالى هي الرحمة والشفقة

(٧٧) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (سورة

والعفو والصفح، ولا سيما أن هذا هو الجانب الأهم والأصلي في الإسلام الذي يقدّم لفظه الجلالة "الله" في البسملة مقرونة بأول صفتين له ﷺ وهما: "الرحمن الرحيم" إذ يُقدّم هاتين الصفتين على كل صفاته تعالى في البسملة التي هي بمثابة نواة الإسلام، وأكثر رسولين يمثلان ذلك ويجسدان هاتين الصفتين في الرسل السابقين هما سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى ﷺ، وقد فاقهما في تمثيل هذا وتجسيده سيدنا محمد ﷺ المرسلُ رحمةً للعالمين، ونظرًا لأن المدينة سادت في حقبتنا الزمنية - إلى حدّ ما-، والتي تُعلي وترفع -ولو نظريًا على الأقل- من شأن القيم الحضارية مثل: الحريات وحقوق الإنسان الأساسية والتسامح واحترام الإنسان؛ فإن فتح الله كُولُن يتبنّى الرأي المدافع عن ضرورة قيام العلاقة مع البشر في إطار الإقناع، أي في إطار الحوار والعلاقة الطيبة المتبادلة، وبعبارة أخرى: هو يُدافع عن وجهة النظر التي تُحتّم إعلاء الجانب الإبراهيمي والعيسوي من الإسلام، والأستاذ فتح الله يطلق على هذا "الروح المحمدية".

كانت الدنيا بأسرها متّجهةً إلى المادة تمامًا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان الدين يتعرّض للهجمات على شتى الجبهات، وفي الوقت الذي كان فيه الشرك والكفر ينبعان من العناد والجهل المدقع على الأكثر في الأمم السابقة؛ كانت ريح إنكارٍ وإلحادٍ عاصفة مهتد السبيل لهبوبها التكبرُ والغرورُ البشريُّ النابعُ من العلم المستند على المذهب العقلاني والوضعي، كانت تلك الريح تهبُّ في القرن المنصرم في كلِّ مكانٍ، ونتيجةً لتقدم العلوم الطبيعية في أوروبا إلى أقصى مدى من جانب، وتطوُّر الصراع مع الكنيسة من جانبٍ آخر أثناء سير عملية التطوُّر والحدثة هذه؛ فقد منحت العقل البشري مكاناً فوق الوحي الإلهي، بل إن الوحي الإلهي كان يتعرّض للإنكار أو تضيق الخناق عليه، وكانت عاصفة الإنكار والإلحاد هذه التي لم يسبق لها مثل

في التاريخ تَهْزُ البناءَ الإسلامي الذي شابَ وكَبِرَ في القلوب والأذهان وفي حياة الفرد والمجتمع هزًّا عنيفًا، ووفقًا لفتح الله كُولُنْ -الذي كان قَدْرَ ظهوره وتعرُّفه إلى الدنيا في مناخ كهذا- فقد كان الزمانُ زمانَ الرَدِّ والكفاحِ المعنويِّ في مواجهةِ الماديَّةِ؛ كان الزمانُ زمانَ الإيمانِ الذي يدعّمه العلمُ في مواجهةِ الإلحادِ الصادرِ هذه المرّة من الفلسفة والعلم لا من الجهل.

لقد رسخ كُولُنْ رؤيته الإسلامية ووفقًا لهذا المنظور، وتوجّه إلى روح الدِّين ومعناه الأصلي وقيمته المعنويّة والأخلاقيّة، إنه يرى أنّ عصرنا الحاضرَ عصرٌ يستوجب إبراز البُعدِ الإبراهيمي والعيسويِّ من الإسلام والروحِ المحمّديّة فيه ومن ثمّ تقديمه وعرضه للأمم والشعوب.

ومع أن المتمسكين بالفهم السياسيّ والأيدولوجيّ للإسلام يتّهمون فتح الله كُولُنْ بالتنازل عن بعض القيم الإسلامية بسبب رؤيته هذه، فإن بعض الأوساط التي تظهر نوعًا من الحساسيّة بشأن النظام في تركيا، وكذلك الذين يُقيّمون العلمانيّة على أساس الفهم الدينيّ يزعمون أنه -أي الأستاذ فتح الله- يُخفي مقصده الأصليّ، ويسعى لإقامة دولةٍ ثيوقراطيّة، بيد أن الحقيقة تكشف خطأ كلا الطرفين فهما وتقسيما، وهذا الخطأ ليس وضعيًّا مؤقتًا فحسب، بل خطأً فكريًّا أيديولوجيًّا في الوقت نفسه.

#### د. الإسلام والتنظيمات أو الأيدولوجيات الحزبيّة

لقد اختزلت النظرة السياسية الأيدولوجية إلى الإسلام الخدمات الإسلامية في كثير من الأماكن في صورة حزبٍ أو منظمّةٍ أو فِعالِيّاتٍ نخبةٍ معيّنة دون غيرها، في حين أن الإسلام لا يمكن أن يمثل حزبٌ أو منظمّةٌ أو مجموعةٌ أبداً، ولا يمكن على الإطلاق تصويب ادّعاء أيّة مؤسّسةٍ بأنها تمثل الإسلام، علاوةً على ذلك فمن الواضح تماماً أن مثل هذا النوع من

السلوكيات والرؤى يؤدي إلى فهم الإسلام على أنه مجرد أيديولوجية خاصة بمنظمة أو مجموعة أو حزبٍ ما، ناهيك عن أنه يتسبب في حدوث انقسامات بين المسلمين تخالف الإسلام وتعارض روحه، وكما يتسبب الدخول تحت لواء التكتلات أو الأحزاب أو التشكيلات باسم الإسلام في انقسام المسلمين وتشرذمهم في صورة أحزابٍ ومنظماتٍ؛ فإنه يدفع الكثيرين منهم إلى فكرة استغلال الإسلام في سبيل مقاصده وأهدافه الدنيوية السياسية، والأكثر من ذلك أن مفاهيم الإسلام ومثله الجوهرية تُقدّم بطرقٍ مختلفة متباينة، وهو ما سينتج عنه في النهاية أن يُدمج الإسلام مع أشكال وأنماط الأنظمة والأفكار والمعتقدات الأخرى المتباينة المختلفة أو يُعتبر قريباً منها، كما قد يُثير شكوكاً بأنه يتوارى خلف فكرة "التقية" والحق أن المؤمن مطالبٌ بأن ينأى تماماً عن كل ما يُعكّر صورة الإسلام ويسيء إليه مهما بدّر وصدّر من جانب الأوساط المعادية للإسلام.

وكما أنه لا مكان للأحزاب أو المنظمات أو التحزب في رؤية فتح الله كُولُن الإسلامية؛ فإن أساسها هو البعد التام عن السياسة وعن إثارة الانطباع بأن الخدمات المُسعّية إلى تنفيذها وتحقيقها على الساحة تُستخدم كأداةٍ لأهدافٍ سياسيةٍ أو غيرها من الأهداف الدنيوية الأخرى، وقد عبّر بنفسه عن هذا في كثيرٍ من كتاباته وأحاديثه وما أُجري معه شخصياً من حواراتٍ ولقاءاتٍ، ومن ذلك على سبيل المثال:

"الدين قدسيّ ومنزّه في ذاته، ومن أشكال تقديسه وتنزيهه عدم استخدامه آلهً لأيّ شيءٍ دنيويٍّ أو أيّ نوعٍ من أنواع التبرّج المادّي أو المعنويّ، وما دام الأمر كذلك فإن تسييس الدين، وجفّل الإيمان أساساً لمجموعة من الآراء السياسية لكونه مصدرًا مقدّساً، والنظر إلى المسائل والقضايا بهذه النظرة، وإضفاء القدسيّة على تحليلاتنا وتفسيراتنا ومفاهيمنا المتعلقة بالإدارة، وتبجيلها

وتقدیسها قد يكون تصرُّفاً وسلوكاً يزدريُّ الدِّينَ ويستهين به،  
ثانياً: حينما يؤسِّس بعضُ المسلمين أفكارهم وآراءهم السياسيَّة  
ورؤيتهم الحزبيَّة؛ على الدِّينِ فإن عيوبهم وعاهاتهم ونقائصهم  
تنعكس على الدِّينِ إلى حدِّ ما، وبالتالي فإن ردَّة الفعل عليهم  
تكون ردَّة فعلٍ على الدِّينِ أيضاً، لا بدَّ من تمثيل حقيقة الدِّينِ  
بحيث تكون أسمى من كلِّ الآراء السياسيَّة جميعها؛ ذلك أننا  
حين نُسيِّس الدين، ونقول إننا نمثِّله نكون وكأننا قد أقصينا غيرنا  
منه، وحتى إن اعتبره بعضهم نصرةً للدين إلا أنني أرى أن من  
يُسيِّسه يُسيءُ إليه أكبرَ إساءة؛ نظراً لأننا بتصرُّفاتنا هذه أو تلك  
نحجبه ونُعتمِّم عليه، ونُسيءُ إليه؛ ومن ثمَّ يلحقه قدرٌ ممَّا يلحقنا  
من البغض والكره<sup>(٧٨)</sup>.

#### هـ. الإيجابية في مواجهة ردَّة الفعل

إن الناظرين إلى الإسلام من زاوية الأيديولوجية السياسية لم يتخلَّصوا  
من النظر إليه من نافذة الوضع القائم، و"المتاع الرائج في السوق"،  
والأنظمة الفكرية والأيديولوجيات الموجودة المسيطرة، وأنماط تقديم  
الإسلام المختلفة عن بعضها البعض نتيجةً لهذا، ناهيك عن أنهم سعوا  
إلى التوفيق بين الإسلام وبين الأنظمة الفكرية والأيديولوجيات الموجودة  
متبعين في ذلك أسلوباً يغلب عليه الاعتذار، وبهذه الطريقة لم يقدِّموا  
الإسلام بطبيعته الخاصة به؛ بل قدموا له صورةً تختلف عن غيرها في كلِّ  
فترة، وعلى سبيل المثال: إنه سويٌّ بين الإسلام وبين الليبرالية والرأسمالية  
وما تقومان عليه من القيم في أواخر القرن التاسع عشر والربع الأول  
من القرن العشرين، وصار الإسلام عقب الحرب العالميَّة الثانية وكأنَّه  
مقرون بالاشتراكية تزامناً مع رواج التيارين الاشتراكي والشيوعي في

(٧٨) "عثمان أوزصوي (Özsoy): "لقاء مع فتح الله كولن في بث مباشر (Fethullah Gülen ile Canlı Yayında

Gündem"، إسطنبول (١٩٩٨م)، ص ٣٠-٣٢.

البلاد المعروفة باسم العالم الثالث خاصّةً، والعالم الإسلاميّ خلال الفترة نفسها.

أما في عصرنا فإن الإسلام يُدرّس وقد سُويَ بينه -بعض الشيء- وبين المفاهيم التي يشكل كلُّ منها قيمةً مختلفةً كالعولمة والتغيير المترتب معها، والليبرالية والتعددية الثقافية، وبهذا الشكل فإن الإسلام سيظهر أمام المخاطبين على أنه يختلف من مرحلةٍ إلى أخرى، ويقدم الإطار الذي شكله الآخرون والتحليلات والتفسيرات المطروحة بشأن الإسلام على المدار الذي رسموه هم أيضًا على أنه نمطٌ وطورٌ إسلامي، فيختزل الإسلام -نتيجة لذلك التقديم- في أنه نوع من الفلسفة أو الأيديولوجية التي تنتجها ردود الأفعال.

والحركات التي تقوم على الفهم السياسي الأيديولوجي للإسلام لا تستطيع التخلّص من كونها حركاتٍ ردِّ فعلٍ حسبما تقتضيه طبيعتها، وتمزق نتيجةً لانهازها في كلِّ مرّةٍ، وتتسبب في أن تنشأ في أذهان الناس أفكارٌ مثل عجز الإسلام أو بعض قواعده على الأقل، ورغم هذا فإن فتح الله كُولُن يتناول الإسلام كدينٍ ويتناول مبادئه الثابتة في هذا الإطار، ولذا فهو لا يعاني أيّ نوعٍ من التناقض والتضارب في نظرتَه إلى الإسلام وتقديمه إيّاه.

### و. معرفة الله ومحبته

الدين محبّة، وهو يقوم على أساسها، إنها سببٌ وجود الكائنات، كما أنها صلة الوصل بين الكائنات وهي نورٌها وحياتها، والإنسان هو نواة شجرة الكائنات وثمرتها التي تنضوي فيها كلُّ خصائصها، وإنَّ محبّة تحيط الكون كله قد أُودعت وأقربت في قلبه الذي هو نواة هذه الثمرة، ففي الأرض التي خُلِقَ الإنسان منها -وبعبارة أخرى في تلك الأرض التي

جُعل خليفَةً فيها يحمل وظيفةً ومهمّةً تليق به- كان كطائرٍ في قفصٍ يخفق في محبّة الله تعالى وشوقاً إلى وطنه الأصلي، غير أن الإنسان الذي أُفرت في قلبه محبّةٌ أبديةٌ أساء استعمالها؛ فأحَبَّ أشياءً آفلةً فانيةً مؤقتةً بينما كان يجب عليه أن يتحلّى بالكمال والجمال الأبديّ الذي تهدف إليه هذه المحبة، ونتيجةً لفعله هذا تتحوّل مثل هذه المحبّة إلى محنةٍ ومصيبةٍ له، وحتى وإن فقهه فليست تلك القهقهات سوى انعكاساتٍ لبكائه وعويله النابع من عشقه للبقاء أو الخلود؛ فأكثر إنسانٍ ضحكاً في الدنيا هو أكثر الناس كرباً وابتلاءً في الحقيقة، وأكبر العوامل وأعظمها التي يمكن أن تزيل هذا الهمّ والكرب -وتقضي على العوامل التي تفصم الإنسان عن صاحبه وإلهه الحقيقيّ وتجذبه نحو الآلهة الزائفة الباطلة-؛ هو توجيه المحبة إلى هدفها الحقيقي، فالمحبة إكسيرٌ يزكّي النفس، ويطهرها، ويهب الإنسان الشرف والقوّة والجسارة، ويجعل الحجر جوهرًا، إنها ماء الحياة الذي يتعطّش إليه الإنسان، ويستطيع الإنسان أن يسير في سبيل الله تعالى بقدر محبّته إياه؛ فيتحمّل المشاقّ والأزمات بقدر محبّته إياه سبحانه، ويؤثّرُ بفضل تلك المحبة الحياة الآخرة والجنة ورؤية جمال الله على الحياة الدنيا، فالمحبة هي علامة سموّ الإيمان من مجرد القبول والتصديق العقليّ إلى الإحسان، والمعرفة هي ما يُكسبُ هذه المحبة؛ معرفة الله حقّ المعرفة، وعلى حين أن هذه هي الحقيقة؛ فإن معظم الحركات الإسلاميّة المؤسّسة على الأيديولوجية السياسيّة لم تهتمّ الاهتمام اللازم بمعرفة الله ومحبّته والسعي لأجل تحقيق ذلك، بل أخطأت بوقوفها في وجه "المؤسّسات" التي تهدف بأنشطتها إلى تحقيق هذه المعرفة والمحبّة.

وقد تسبّب هذا في اختزال الإسلام في صورة فلسفةٍ عقليّة، أو نظامٍ أيديولوجيٍّ أو اقتصاديٍّ سياسيّ، كما أثر سلبيًا في تطبيقه بشكلٍ لا تائق في الحياة في حين أنه دين محبّة يُنقذُ القلوب من الموت والعمى مستندًا

إلى العقل الذي يعكس مدى صدق الإيمان وقوة المعرفة وبالطبع فإنه يتعدّر تعميم هذا الحكم بالنسبة لكلّ إنسانٍ وحركةٍ تنظر إلى الإسلام من الزاوية الأيديولوجية السياسية، إلا أن هذا الفهم أدى إلى نتائج سلبيةٍ من هذا القبيل في كثيرٍ من الأزمان والأماكن، وإنّ الروح الإسلاميّة الممثلة في أساس معرفة الله ومحبّته تحتلّ مكانًا مهمًّا في رؤية فتح الله كُولُن للإسلام، وكتاب "التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح"<sup>(٧٩)</sup> الذي ألفه فتح الله كُولُن ببالغ الصبر والدقّة والعناية منذ سنواتٍ يبدو وكأنه مدرسة المعرفة بالنسبة لحاضرنا ومستقبلنا.

---

(٧٩) كتاب "التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح" يتناول الأخلاق الإسلامية العالية والمصطلحات الصوفية من منظور الكتاب والسنة وتطبيق السلف الصالح بأسلوب علمي أدبي شمولي، ونشر هذا الكتاب باللغة التركية في أربعة أجزاء، وقد ترجم الجزء الأول منها إلى اللغة العربية، بينما لا تزال أجزاءه الباقية قيد الترجمة، انظر: فتح الله كُولُن: التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، دار النيل للطباعة والنشر، ط ٤، القاهرة، (٢٠١١م).

الفصل الثالث

فتح الله كُولَنَ:

رجل الحركة والفكر

يُعرف فتح الله كُولُنْ في تركيا بالدرجة الأولى على أنه عالم وواعظ، وكاتب وشاعرٌ ومُفكّر وفدائيّ التربية لا سيّما لدى بعض الأوساط التركيّة، ثمّ بعد ذلك بدأت أفكاره بالانتشار نتيجة نشاطاته وفعاليّاته في التسامح والحوار ولمع نجمه على أنه إنسان حركةٍ وفكرٍ مثقّفٌ يجعل التعليم والتربية والتسامح والحوار على رأس أولويّاته، مما جعله علّماً عالمياً جديراً بالاهتمام والمتابعة، ولاحقاً راح يعرفه الذين بدؤوا يتعرّفون عليه نتيجة نشاطاته وفعاليّاته في التسامح والحوار على أنه إنسان حركة وفكرٍ مثقّفٌ يجعل التعليم والتربية والتسامح والحوار على رأس أولويّاته، هذه الحركة والعمل جعلته إنساناً معروفاً وجديراً بالاهتمام في العالم كله. وبالتالي فإنما يُشكل حركةً وفكر فتح الله كُولُنْ هو منهجيّته التربوية العلمية والإسلامية المعنوية، وتعاونه التربويّ الذي انتشر على وجه البسيطة كلها داخل تركيا وخارجها على نحو يدعم بعضه بعضاً، ولا سيّما أعماله ومحاولاته في نشر التسامح والحوار بين مختلف قطاعات المجتمع التركيّ، ومختلف الأديان الكبرى داخل تركيا وخارجها على حدٍّ سواء.

وقبل أن نتناول الجانب الحركيّ الفكريّ من فتح الله كُولُنْ تحت عناوين التربية والتعليم، وفعاليّات التسامح والحوار يجدر بنا أن نحلّل هدف حركته وفكره، والمنهج الذي اتّبعه في هذا، ونقف على المواد والديناميكيّة الرئيّسة والمبادئ الخاصّة بهذا المنهج، مع أنه ينبغي لنا أولاً أن ننظر إلى المفهوم والمحتوى الذي أضفاه فتح الله كُولُنْ على الحركة والفكر.

## حركة وعمل فتح الله كُولُنْ بنظريّتها وهدفها ومحركاتها

### فكرة الحركة والعمل لدى فتح الله كُولُنْ

يتناول فتح الله كُولُنْ الحركة والفكر معًا، غير أنه ربما يعطي "الحركة" الأولوية على نحو مختلفٍ عن كثيرين، فهو يرى:

"أن السبيل إلى الوجود الحقيقي يمرّ من الحركة والفكر؛ من حركةٍ وفكرٍ قادرٍ على تغيير ذاته والآخرين".

ويقول كُولُنْ أيضًا:

"وإنّ أهمّ شيءٍ وأشدهُ ضرورةً في حياتنا هو الحركة، فمن الضروريّ أن نتحرّك على الدوام في ظروفٍ قاهرةٍ نضع أنفسنا تحت ثقلها بإرادتنا، لنحمل فوق ظهورنا واجباتٍ ونفتح صدورنا أمام معضلات، الحركة المستمرة والفكر المستمرّ، ومهما ضحينا في هذا السبيل، فإن لم نتحرّك نحن، فسندخل في تأثير الدوامات الفكرية والبرنامجية لأمواج هجمات الآخرين وأعمالهم الحركية، ونضطر إلى تمثّل فصول -أي تقليد- حركاتهم"<sup>(٨٠)</sup>.

وفكرته هذه مهمّة لأقصى درجة، لأنه يُنظرُ إلى الإسلام في عصرنا الحالي من زاوية السياسة والأيدولوجيا، ومن يؤسسون حركاتهم وأفكارهم على هذا الأساس غالبًا ما يعجزون عن التخلّص من أن تكون حركاتهم وأنشطتهم مجرد ردّ فعل، ومن ثمّ أنهم اضطروا للقبول بالوضع القائم، وبالتالي فقد استركزوا الإسلام خلف الوضع الذي هم عليه دائماً، وكما أن الانهزامية والإخفاقات التي تسببت فيها ردّة الفعل هذه تمهدّ السبيل إلى إجرائهم تعديلاً دائماً في وجهات نظرهم؛ فقد أدت إلى إساءة فهم الإسلام وإساءة معرفته، في حين أن الحركة والفكر أساسٌ في

فكر فتح الله كُولُنْ، وهذا يعني أن نعمل في إطار "ذاتيتنا"، أي التحرك بعيداً عن السياسة الراهنة ودون اختزال الدين في أيديولوجيات، وقد حدّدنا طريقنا، وأقمنا فكرنا بناءً على أرضية سليمة قوية.

ويتقدّم كُولُنْ خطوةً أخرى فيرى أن الحركة والعمل هي عملية الوفاء بالغاية من الخلق، والحركة والفكر بهذا المعنى تُشبه -وفقاً له- حياة الإنسان كلّها، والفكر باعتباره حركةً داخليةً بعدً من أبعادِ هذه الحياة:

"إن الحركة هي احتضان الإنسان للوجود كلّه بأصدق وأخلص القرارات، والتدقيق فيه، والسير من خلال معابره إلى اللانهاية، ثم إحلال عالمه الخاص في الفلك الحقيقي الذي هو غاية الخلق الحقيقية مستخدماً الطاقة الكلية لذكائه وإرادته بالسّر والقوة التي اكتسبهما من اللامتناهي، إن الفكر عملٌ حركيٌّ داخلي، فالفكر المنظم والهادف هو التساؤل من الكائنات بذاتها عن المجاهيل التي تجابهها في وتيرة الوجود، والاستماع إلى جوابها عنها، أو بتصريح آخر: فعالية الشعور الباحث عن الحقيقة في لسان كلّ شيء وفي كلّ مكان، بتأسيس قرابةٍ بين ذاته والوجود كلّه، إن روح الإنسان يلتف ويتألف مع العالم بالفكر وفي ظل الفكر، فيتعمق باستمرارٍ في ذاته وداخل نفسه.. ويمزق قوالب "عقل المعاش"<sup>(٨١)</sup> الضيقة ليفيض خارجاً، ويتحرّر من الأوهام المنسلة إلى أغوار الروح.. يتحرّر، فيوائم الحقائق التي لا تُزيغ ولا تُضلل، وبعبارةٍ أخرى، الفكر هو تفريغ داخل الإنسان من أجل أن يتسع المكان للتجارب الميتافيزيقية في أعماق داخله بالذات، هذا هو أوّل مدارج الفكر، وأما المدرج الأخير في ذاك السلم فهو الفكر المتحرك"<sup>(٨٢)</sup>.

(٨١) بعض العلماء والحكماء يقسمون العقل إلى قسمين: عقل المعاد وعقل المعاش، عقل المعاد: عقل يرشد صاحبه إلى التذكر والتدبر والتفكير تحت وصاية القلب والروح، ويحثه على المعالي، عقل المعاش: عقل يسوق صاحبه إلى التوجه للدنيا فحسب غافلاً عن الحياة القلبية والروحية، ويمنعه من التوجه إلى المعالي.

(٨٢) فتح الله كُولُنْ: ونحن نقيم صرح الروح، ص ٥٨-٥٩.

ويؤكد كُولُنْ على ضرورة أن يكون الإسلامُ أساسًا ومنطلقًا للحركة والفكر كي يستطيع الإنسان الوفاء بهذا الواجب الذي تقتضيه الحركة والفكر، ويعتبر ذلك عملاً وجهدًا في سبيل وصول الإنسان إلى جوهره وإيصاله الآخرين إلى جوهرهم، ذلك أن الإسلام -هذا المنهج الذي يسمو بالإنسان من مستوى الحياة المادّية والبدنيّة إلى مستوى الحياة القلبيّة والروحيّة- يضع الحركة والعمل في مدارها الحقيقي، ويمكن القول إن الحركة والفكر بهذا المعنى تعني ممارسة الإسلام وتطبيقه، ومثل هذا التوجّه والوصول إلى الذات يكون كفيلاً بكشف الاستعدادات والملكات الكامنة في روح الإنسان، ويضمّن له وجوده وبقائه.

ويؤمن كُولُنْ بأن الحركة والفكر اللذين يسيران ويحلّقان بأجنحة الدّين والعلم والفلسفة في المجتمع بأسره يُخلّصان الأجيال من التشرد، وأن أصحاب الفكر والفنّ والمعرفة والصنعة هم صنّاع المستقبل، وبحسبه فسوف:

"تفوح الأزقة والشوارع بهواء العرفان وكأنها طرقات المدارس، وتصير السجون أوكارًا للعلم، وتزيّن الخمائيل البيوت كزوايا الجنة، وفي كلّ مكانٍ يسير الدّين مع العلم يدًا بيد، وينثر احتضان الإيمان والعقل ثماره في كلّ صوب، وينبت ويزدهي المستقبل في صدر الأمانيّ والآمال والعزم بألوانٍ وأفنان لا يضاهيها خيال "المُدُن الفاضلة"، وتنشر التلفزيونات والراديوهات والصحف والمجلاّت في جوّ الفضاء الغيوضات والبركة والنور، ويرتشف الكوثر كلّ قلبٍ سائحٍ في ربيع الجنة هذا ما خلا الذي كالريميم المتخلف من التاريخ"<sup>(٨٣)</sup>.

### الهدفُ الأساسُ في حركةٍ وعملٍ فتح الله كُولُنْ

مع أن فتح الله كُولُنْ صرَّحَ بوضوح في مُعظم كتاباته ولقاءاته بأن كلَّ ما يهدف إليه وبيتيه هو الفوز برضا الله عبر تحقيق العبودية لله تعالى؛ إلا أن بعض الآراء والنظريات المُغرِضة قد نُسجت داخلَ تركيا وخارجها حول ما يهدف إليه، وماذا يريد فعله، وإلى أين يريد أن يصلَ؟ إنه يرى:

"الإنسان سائحًا، والكون معارض متباينة الألوان أعدت كي يشاهد الإنسان ما فيها، وكتبًا زاخرةً مطروحة لنظر الإنسان وتأمله وإرشاد سياحته، وقد أرسل هذا السائح إلى هذا العالم كي يقرأ هذه الكتب ويزيد من معرفته؛ فيسمو ويترقى إلى الإنسانية الحقَّة"<sup>(٨٤)</sup>.

ومن ثم فإن هدف فتح الله كُولُنْ هو السياحة التي ينبغي أن تكون هدف كل إنسان؛ سياحة في سبيل "من لا تراه العيون ولكنه يدُلُّنا على نفسه بواسطة آثاره ومخلوقاته"، وغايتها الوصول إليه ﷻ، ويُعلِّل ذلك كُولُنْ بقوله:

"كيف لا! ولم نأت نحن وكل شيء إلى هذا العالم إلا لكي نعرفه ونُعرِّف به! ولا نعرف وظيفة أسمى وأجلَّ من هذه الوظيفة، فوجودنا نحن جميعًا ظلُّ من ظلال وجوده ﷻ، أما هو فمصدر كل شيء ومنبعه وإليه مرجعه"<sup>(٨٥)</sup>.

وهذه السياحة -وفقًا لفتح الله كُولُنْ- هي العبودية، فمعرفة الناس الله وعبادتهم إياه فحسب هي غاية إرسال الرسل، أي هي الغاية من الدين، ويذكر الله تعالى هذه الحقيقة في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذَّارِيَاتِ: ٥٦/٥١).

(٨٤) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٣٥.

(٨٥) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٣٦-٣٧.

وإن رؤية العالم الذي ينشده فتح الله كُولُن والمستقبل الكامن في خياله؛ يمكن أن يعطينا معلومةً واضحةً بشأن الهدف الكامن في حركته وعمله، وهو يكتب في هذا الموضوع قائلاً:

"عندما أغمض عيني أشعر وكأنني أشاهد المستقبل في الإطار الذي رَسَمَهُ وحدَّدهُ إيماني وأملي وخيالاتي، وقد قويتُ فيه القيم الإنسانية وتعمَّقت، وتسامت المشاعر والأحاسيس حتى بلغت الذروة، ونال البدن نصيبه أيضاً من القيم الروحية نفسها، وأبصر بعيني قلبي عصراً ذهبياً هو الأنفس والأروغ في زمانٍ تُشكِّله أندر وأعلى قِطْع "الجنة المفقودة" التي ما زلنا نبحث عنها منذ زمن في عالمنا الروحيّ تتجاوز تصوُّرنا لها، وتتوالى وارداتها وتنسلُّ إلى أحلامي ورؤاَي..."

حتى إنني في هذا الربيع المنسوج في عالم إيماني ورجائي أعانقُ الوجودَ كلَّه، وأُحَيِّي الأحياء بشفقةٍ وعطفٍ، وأضمهم إلى صدري، وأقول لنفسي: "لا بدَّ وأنَّ هذه هي غاية الخالق من خَلْقِ الموجودات".

أجل، لا خشونة ولا فظاظَةً ولا طمَع ولا طول أمل ولا مناقشة ولا كذب ولا غدر ولا ظلم ولا إجرام ولا اختلاس في تلك الدنيا، وإنما فيها المروءة واللُّطْف والعزمُ على الانبعاث وحبُّ الحياة والملاءمةُ والحوارُ واحترامُ الحقوق والشعورُ بالأمانة والشعورُ بالوفاء وروحُ الصدق وفكرةُ العدل والاستقامة، وإنَّ أهل هذه الدنيا قد طهروا قواميسهم اللغوية من معاني الحقد والكراهة والنزاع تماماً، وأسَّسوا حياتهم على المحبة واللين وحسن العلاقة مع الناس" (٨٦).

(٨٦) فتح الله كُولُن: سلسلة العصر والجبل-٦، "أفكار في طور الاخضرار"، مقال "المستقبل الذي يراود خيالي (Hülyalarınmdaki Yarınlar)"، ص ٩٨-١٠٢، مجلة "بیزنئبي"، سبتمبر/أيلول (١٩٩٤م).

### آراء المثقفين

عندما ننظر إلى آراء المثقفين الأتراك نجد أن الغالبية العظمى منهم - باستثناء قلةٍ صغيرةٍ تتصرّف وتُفكّرُ بطريقةٍ أيديولوجيةٍ وتحملُ أحكاماً مسبقةً حول هدف فتح الله كُولُنْ - لا تفكر بطريقةٍ متباينةٍ أو مختلفةٍ عن بعضها البعض:

"إن حركة فتح الله كُولُنْ حركةٌ مجتمع مدنيّ، يمكنها أن تساعد في استقرار الديمقراطية في تركيا، وأن القومية العلمانية لا تُوحِدُ الصفوفَ لأنها تستندُ إلى أساسٍ عرقيّ، وهي بينما تظلمُ بمهمةٍ تفرقيّةٍ نجد أن حركة كُولُنْ قد تُسهّلُ تكاملَ المجتمع والتّفافهُ حول نفسه، وعيشهُ سوياً عبر تفعيل القيم الدينية في المجتمع" (٨٧).

"علي يَشَارُ صَارِي بائي (Ali Yaşar Sarıbay) [الأستاذ الدكتور]

"فتح الله كُولُنْ هو من دُعاة الاتحاد، وبالتالي فإنه ليس من دعاة التفرقة بين الناس، وهو يقيفُ إلى جانب إعلاء القوايسم المشتركة التي يتقاسمونها فيما بينهم، ويؤكد على الجودّة والمنافسة في التربية والتعليم، ويجعل العقليةً البحثيةً في المقدّمة، إنه إنسان نافعٌ جدّاً بالنسبة لتركيا المستقبل المسالمة ذات الطابع التعددي" (٨٨).

"طه أَقْيُولُ (Taha Akyol) [الكاتب الصحفي المشهور]

"إن الأستاذ -بِقَدْرِ ما تسنّى لي رؤيته- يعارض استخدام الإسلام على أنه مجردُ أيديولوجيةٍ أو فلسفةٍ حزب، ويُعارض تقسيم المجتمع إلى قطبين: مؤمنين وغير مؤمنين، ويدافع عن ضرورة احترام أصحاب الفكر المختلف والاعتقاد المختلف

(٨٧) صحيفة "مليت (Milliyet)" التركية، ١٨ أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٥م).

(٨٨) صحيفة "مليت (Milliyet)" التركية، ١٩ أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٥م).

بعضهم بعضاً، وعن تحقيق التوافق والسلم المجتمعي، فلا بد من أن أرفع القُبعة احتراماً لما يفعله الأستاذ<sup>(٨٩)</sup>.

"شَاهِينُ أَلْبَانِي (Şahin Alpay)" [الكاتب الصحفي المشهور]

"الحدائثُ التي أثارها وصقلها الفكرُ المحافظُ الذي يصلُ ما بين الماضي والمستقبل، وما بين المستقبل والحدائث..."

"إن فكر وحركة فتح الله كُولُنْ يجعل من التواضع جاذباً ومؤثراً في تعريف الفرد، كما يجعل المحافظة جاذبةً في النسيج المجتمعي، والإسلام جاذباً ومؤثراً في تأسيس الحضارة وإنشائها، كما يُقدِّم تواضع مَنْ لم يفقدوا صلّتهم بالله تعالى وتسامحهم نموذجاً للفرد الصامد بين ضغط التقاليد وإفراط الشطط الحديث، ويُبشِّرُ بالخير أهلَ المحبة؛ تلك المحبة التي تمزج الإيمان والمعرفة في "ثقافة القلب" في مواجهة الوَحْدَةِ والغطرسة العقلية التي يتّسم بها الإنسانُ الغربيُّ؛ إذ يفتحُ لهم باباً جديداً من الثقة بالنفس، ونشاهدُ لأول مرة في تركيا تركيبةً عميقةً من الفكر المحافظ والتسامح الليبرالي السياسي"<sup>(٩٠)</sup>.

"نِيلُوفُو كُولُو (Nilüfer Güle)" [عالمة الاجتماع]

"إن حركة فتح الله كُولُنْ تُعارض شتّى حركات الإسلام السياسيّة حرباً على التقاليد الإسلاميّة المحليّة، فهي حركةٌ تتبنّى تلك التقاليد والأعراف، وتُفسِّرُ الإسلامَ وتحلِّله من زوايتها، وتقبّل بالتباين والاختلاف ولا ترفضه، وتقوم عن طريق الأوقاف بإحياء مؤسسات المجتمع المدنيّ الخاصّة بتقاليد الأناضول وأعرافه، كما أن هذه الحركة تقبل بالاستمرارية الثقافية"<sup>(٩١)</sup>.

"عَلِي بَايْرَامُ أُوغْلُو (Bayramoğlu)" [الصحفي]

(٨٩) صحيفة "مليت" (Milliyet) التركية، ٢٩ يوليو/تموز (١٩٩٥م).

(٩٠) "عبد الله أَرْغُونُ (Abdullah Ergün)": "فتح الله كُولُنْ في مرآة الإعلام (Medya Aynasında Fethullah Gülen)"،

ص ٩٧-٩٨.

(٩١) صحيفة "يني يوزيل" (Yeni Yüzyil) التركية، ٨ يوليو/تموز (١٩٩٥م)، ١٣ يوليو/تموز (١٩٩٥م)، ٢٦ أغسطس/

آب (١٩٩٥م).

"تَشْكُلُ كُلُّ واحدةٍ من الجماعات والطُرُقِ الصوفية حقيقتَهُ من حقائق هذا المجتمع، وإنها لتستطيع الوصولَ إلى مواقعٍ مهمّةٍ في السِّلْمِ والرِّفْقِ المجتمعي طالما تَبَنَّت التسامحَ والحوارَ ودافَعَتْ عنه، وليس عن الصراع والتحرُّبِ..."

وإن فتح الله كُولُنْ يتبنّى خطأً ومنهجًا تعدُّدًا بعيدًا عن السياسة بخلاف الرؤية الضيقة لدى من يتبنّى الإسلام السياسي، إذ إنهم يحصرون الفهم الإسلامي في نطاق ضيق" (٩٢)

"حسن جمال" [الكاتب الصحفي]

"أن فتح الله كُولُنْ يوضِّحُ لنا "كيف ينبغي أن تكون تركيا التي نحتاجها ونطمح إليها"، فإن فتح الله كُولُنْ يرغب في تركيا يُحْتَرَمُ فيها أرباب الدين حقَّ الاحترام؛ ولا أجدُ في مشروعه أيَّة نيةٍ على الإطلاق مثل استخدام الدين والسير به نحو تحقيق هدفٍ سياسي" (٩٣).

"محمد علي بيزانث (Mehmed Ali Birand)" [الكاتب الصحفي الراحل] (٩٤)

"رغم أنني كنت أعمل في صحيفة "جمهورية (Cumhuriyet) التي كانت تُعْتَبَرُ فتحَ الله كُولُنْ كأبي شيخٍ من شيوخ الطرق الصوفية، وتقدِّمه للناس على أنه إنسان ضارٌّ، إلا أنني شاهدتُ الأستاذَ لاحقًا، فرأيتُ أنه دائمًا ما يمتنُّ نفسه ولا يمجِّدها، بل يجعلها في المؤخرة، ويتبنى موقفًا مسالمًا داعمًا للحوار، يُشْرِفُ رواد الجماعات من مختلف الأديان... إن تركيا في حاجةٍ إلى فتح الله كُولُنْ بشخصيته الحكيمة والمعنوية" (٩٥).

"أيتللا حُورُصاتي (Atilla Dorsay)" [الناقد السينمائي]

(٩٢) صحيفة "صباح (Sabah)" التركية، ١٤ فبراير/شباط (١٩٩٥م).

(٩٣) صحيفة "صباح (Sabah)" التركية، ١١ مايو/أيار (١٩٩٧م).

(٩٤) كاتب وصحفي ومقدم البرامج التلفزيونية الشهير، توفى في السابع عشر من يناير/كانون الثاني (٢٠١٣م) عن عمر يناهز الحادي والسبعين عامًا، وُدفن في إسطنبول. (المترجم)

(٩٥) صحيفة "يني يوزييل (Yeni Yüzyıl)" التركية، ٢ فبراير/شباط (١٩٩٧م)؛ صحيفة "زمان (Zaman)" التركية، ٢٣

يونيو/حزيران (١٩٩٥م).

"لم يتبنَّ فهُمَا يستعمر الإسلام ويستغلّه، وتأتي شخصيته الروحانية والمعنوية في الصدارة، فهو يحترم أصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى، إنه رجل القلب العاشق الصافي"<sup>(٩٦)</sup>.

"أحمد تَزْجَان (Ahmed Tezcan)" [الصحفي]

"حين يُذكر فتح الله كُولُنْ تتبادر إلى ذهن الإنسان التربية الرائقة والأدب الجُمُّ والتواضع المختَمِرُ في الذات"<sup>(٩٧)</sup>.

"جنك قوراي (Cenk Koray)" [الصحفي]

"جَمع فتح الله كُولُنْ بين العلم الديني العميق والفلسفة الغنية والثقافة التاريخية والفنية..."

إنه إنسان يُؤكِّدُ قدرتنا على الانفتاح نحو الغرب دون أن ننصمَ عن هويتنا، وضرورة أن نُقَوِّي صلَّتنا بآسيا بينما نفتح عليه"<sup>(٩٨)</sup>.

"بولنْد أجويدُ (Bülent Ecevit)" [رئيس الوزراء التركي الراحل]<sup>(٩٩)</sup>

"لا يُهزُّوُلُ الأستاذُ خَلْفَ السيادةِ العالميةِ، بل يريد أن يعيش الإسلامَ بمعناه الحقيقي، وهو بحالتهِ ووضعِهِ هذا يُقدِّمُ منظرًا أكثرَ نفعًا وأوسعَ أبعادًا وأعلى مستوى... إن آسيا الصغرى ربَّت بين الحين والآخر عمالقةً عالميين... والإسلامُ لا يتعارضُ مع العالم، والمهمُّ هو أن يعيش الإنسانُ حقيقةَ إنسانيتهِ، والمسلمُ حقيقةَ إسلامه، والإسلامُ لا يمنع التطوُّرَ والتقدُّمَ ولا يعرفُ ولا يتعارضُ معه بأيِّ شكلٍ من الأشكال كما يظنُّ بعضهم، إن الأستاذ فتح الله شخصيَّة ذات رؤيةٍ ولغةٍ عالميةٍ وَعَتَّ العالمَ وفهْمتهُ بحقائقِهِ، تُشخِّصُ مشكلات المسلمين تشخيصًا صحيحًا، وتُنتجُ

(٩٦) صحيفة "أقشام (Akşam)" التركية، ١٣ مارس/آذار (١٩٩٨م).

(٩٧) صحيفة "أقشام (Akşam)" التركية، ١٣ مارس/آذار (١٩٩٨م).

(٩٨) "عبد الله أزغون": "فتح الله كُولُنْ في مرآة الإعلام (Medya Aynasında Fethullah Gülen)", ص ٩٨-٩٩.

(٩٩) توفي "بولنْد أجويدُ (Bülent Ecevit)" في الخامس من نوفمبر/تشرين الثاني (٢٠٠٦م). (المترجم)

الحلول لها، وهو ليس من الشخصيات التي تتعیش من خزانه الدولة، إذ لا يمكن أن يكون هؤلاء ثوريين، ومن لا جهد ولا عمل لهم لا يُفلحون في العيش ولا يستطيعون توجيه الحياة، بل إنه لا هم ولا شاغل لهم من هذا القبيل، لذا فإنَّ الأستاذ كادح يرى نفسه بين الناس واحدًا من الناس<sup>(١٠٠)</sup>.

"جَيِّنُ أَلْفَانُ (Cetin Altan)" [الصحفي]

"إن إكساب الحياة معنًى بالعالم الداخلي وبالحبِّ والمهمومية يحتلُّ مكانًا أساسًا لدى فتح الله كُولُنْ، ومع هذا فثمة جذور مقاومة عظيمة فيه تُشعرُ بوجودها، وتُضيفُ بأنَّ كُولُنْ يؤمنُ بالفردِ ويَعْتَقِدُ أن الإنسان لا يستطيع تحقيق تكامله الذهني والقلبي ما لم يتعمق في وجدانه ويحاسب نفسه، وتشير إلى أنه يحمل في داخله تركيبة ثقافية مهمة إلى حدِّ ما بالنسبة لتركيا فتتقل عنه قوله: "ألا فلا ينبغي لنا أن ننسى "بسكال (Pascal)" ونحن نحلق في سماء إشراق الغزالي، ولا "باستور (Pastör)" وهو في مختبره ونحن مع مولانا جلال الدين الرومي".

ويرى كُولُنْ أن تجديد الذات هو الشرط الوحيد للبقاء والاستمرار، وأنَّ التعليم والنهضة يسيران جنبًا إلى جنب في عالمه، وأن اتِّحاد ما هو ثقافي مع ما هو اقتصادي شرطٌ بالنسبة للمستقبل، ويقترح الديناميكية العلمية للتصدي للجهل، والعمل والثراء من أجل التصدي للفقير والعوز، والتسامح والحوار والتكاتف في مواجهة محاولة إثارة الفرقة في الداخل...

إن المثقفين العاجزين عن إنتاج تركيبة الثقافة الشعبية، المنكرين للتركيبة العثمانية السلجوقية يستحيل عليهم الوصول إلى الشعب؛ فدائمًا ما بعثرتهم وجهة النظر الشكلية التي لا أساس لها، ونظرًا لأنهم لم يتخلصوا من عقلية ولاة المستعمرين

(١٠٠) "عبد الله أَرْغُونُ: فتح الله كُولُنْ في مرآة الاعلام (Medya Aynasında Fethullah Gülen)", ص ٩٨-٩٩.

وذهبتهم فقد عجزوا عن إنتاج أيديولوجية خاصة بالبرجوازية التركية الصاعدة، إن المثقفين والبيروقراطيين الذين عجزوا عن إنتاج تركيبة وتوليفة من تاريخ هذا البلد الخاص به وظروفه وثقافته دائماً ما كانوا قمعيين... وإنهم استحقروا كل شيء سواهم.

فَأُوْكَدُ عَلَى أَنْ فَتَحَ اللهُ كَوْلُنْ لَمْ يَكُنْ شَكْلِيًّا فَارِغَ الْمَحْتَوَى كَغَيْرِهِ، بَلْ إِنَّهُ اسْتَطَاعَ بِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ أَدْوَاتٍ أَنْ يُنْتِجَ قِيَمَةً جَدِيدَةً، وَرَأَى الْمَعْرِفَةَ مَرَحَلَةً وَفَعَالِيَةً ذَهْنِيَّةً وَعَقْلِيَّةً تَسْتَطِيعُ إِقَامَةَ بِنَاءٍ، وَلَيْسَتْ مُجَرَّدَ كَوْمَةٍ حَجْرِيَّةٍ، وَأَنَّهُ شَكَّلَ تَوَلِيفَةً إِسْلَامِيَّةً ثِقَافِيَّةً فِي تَرْكِهَا الْحَدِيثَةَ" (١٠١).

"نُؤَالِ سُونِيْنْدِي (Neval Sevindi) [عالمة الأنثروبولوجيا] (١٠١)"

### الجهاد والتبليغ

هناك الكثير من المفاهيم الإسلامية الرئيسة يُفهمُ اليومَ فهمًا خاطئًا لِعِدَّةِ أسبابٍ منها:

ما تعرَّضَ له عبرَ التاريخ من تغييرٍ وتحوُّلٍ في المعنى.

وفهم المسلمين إياها فهمًا خاطئًا وبالتالي حَطُّوهم في تمثيلها وتجسيدها.

وتفسيرُ الأوساط المناهضة للإسلام والمعادية له هذه المفاهيم تفسيرًا مختلفًا، ولا سيَّما ما فعله المُستشرقون في القرون الأخيرة، وتقديمهم هذه المفاهيم خلافًا لحقيقتها.

وأحدُ أهمِّ هذه المفاهيم التي راحت ضحيةً لهذا النوع من الفهم الخاطيء هو: الجهاد.

(١٠١) "عبد الله أرغون: فتح الله كولن في مرآة الإعلام (Medya Aynasında Fethullah Gülen)", ص ١٠٣-١٠٤؛

"نُؤَالِ سُونِيْنْدِي (Neval Sevindi): لقاء مع فتح الله كولن في نيويورك" (Fethullah Gülen ile New York Sohbeti).

(١٠٢) ولقد أجزت "نُؤَالِ سُونِيْنْدِي" حوارًا مُهمًّا مع فتح الله كولن، ونشر هذا الحوار كتاب بعنوان "لقاء مع فتح

الله كولن في نيويورك (Fethullah Gülen ile New York Sohbeti)", أغسطس/آب (١٩٩٧م). (الناشر)

وبأريحية تامّة يمكننا تسمية حركة وعمل فتح الله كُولُنْ "جهاداً"، وقبل الانتقال إلى الحديث عن مفهوم الجهاد في الإسلام وفي علم المصطلحات الإسلامية نرى أنه من المفيد والنافع الوقوف بإيجاز على السبب الذي يجعل فتح الله كُولُنْ يضع كلمتي "الجهاد والتبليغ" في مقدّمة مفرداته.

أولاً: من الضروري معرفة أن فتح الله كُولُنْ إنسان حركة وعمل، تأتي شخصيته الدينية في المرتبة الأولى، فهو يرى أن خدمة بلاده والإنسانية تكمن بالدرجة الأولى في استقرار القيم الدينية، كل في مكانه المناسب، وقيامها بوظيفتها الحقيقية الخاصة بها في حياة الناس، وبالتالي فطبيعي للغاية أن يتحدث مستخدماً المفاهيم الدينية.

ثانياً: لكل علم ومهنة وعمل مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة به؛ بحيث يستحيل فهم أي علم دون معرفة مفاهيمه أو بإحلال مفاهيم أخرى مكانها، وكما قد يتعذر فهمه فقد يُساء أو يحدث خطأ في فهمه، هذا إلى جانب أن هناك مفاهيم مشتركة بين أكثر من علم ومهنة، إذ إن الفهم الخاطيء يكون مؤكداً ما لم يُعرف معنى تلك المفاهيم ومحتواها في كل علم منها، ولذا فإن كان ينبغي فهم الإسلام بشكل صحيح فلا بُد من تقديمه بمفاهيمه الخاصة به، ومعرفة تلك المفاهيم بمعانيها ومحتوياتها معرفة جيّدة، واستخدام كل منها في موضعه المناسب أيضاً، ومن ثم فإن اهتمام فتح الله كُولُنْ بالجهاد والتبليغ كحركة وعمل، وجعله إياهما في الصدارة؛ يُمثّل ضرورة أكثر من كونه أمراً طبيعياً.

وعقب هذا التوضيح القصير ننظر إلى ما يعنيه الجهاد، وكيف يُقيّمه فتح الله كُولُنْ؛ فيقول:

"الجهاد: كلمة مشتقة من (جَهَدَ)، وهي تعني بذل الوسع، أي بذل الإنسان كل ما في وسعه وطاقته، وتحملُه المشاق في سبيل الوصول إلى هدف معلوم"<sup>(١٠٣)</sup>.

ويستمرُّ كَوْلُنْ في شرحِه فيما يتعلَّقُ بالجهادِ على النحو الآتي قائلاً:

"إنَّ مهمَّةَ النبوةِ أقدسُ وظيفَةٍ عهدَ بها إلى أشخاصٍ أخصَّارٍ مصطفين من بين الناس، أما وظيفتهم فهي التعريف بالله، وبالدين الذي تلقوه منه سبحانه، فهُم بهذا التبليغ يُعلِّمون الإنسان الذي يبدأ من نطفةٍ مستقدرةٍ وينتهي إلى جثَّةٍ نبتةٍ قدرةٍ؛ طُرُقُ البلوغِ إلى عالمِ الخلودِ، إلى عالمِ الأبديةِ والاستقرارِ في مواطنِ السعادةِ والرفعةِ الدائمةِ، وبذلك تطمئنُّ قلوبهم المحتاجةِ والمشتاقةِ إلى البقاءِ والأبديةِ؛ تطمئنُّ بالإيمانِ بالبقاءِ والدنورِ إلى الأبديةِ.

إن الهدفَ المقدرَ في مهمَّةِ النبوةِ هو الإيمان بالله ومعرفته تعالى وإبلاغ الإنسان طريقَ الخلود بتلك المعرفة والإيمان، وإيصاله إلى الله ﷻ بعد عبوره من هذه الدنيا، وتبصُّرته جَلَوَاتِ البقاءِ والخلودِ في هذا العالمِ الفاني، وإشعاره بألوانِ الوجودِ في الفناء، حتى يبلغ بأفكارِهِ مبلغَ الهالةِ المشعَّةِ بالأبديةِ ولا يرى نفسه إلا تحت ظلِّ قوسِ نصرِ الخلود العظيم، فالذين يُفعلون هذه الماهية المغرورة في فطرة الإنسان المرشَّح للخلود؛ إنَّما هم الأنبياء والرسول الكرام ﷺ الذين تَقَلَّدوا وظيفَةَ النبوةِ، لذا فالنبوة هي أقدسُ وأنزَهُ مهمَّةٍ عند الله، حتى إنه ﷻ وجَّه الأنظارَ بعد ألوهيته جل جلاله إليها مباشرةً، هذا وإن أُسْمِيَ وظيفَةٍ في هذه المهمَّةِ المقدَّسةِ هي الجهاد"<sup>(١٠٤)</sup>.

(١٠٣) فتح الله كَوْلُنْ: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، دار النيل - القاهرة (٢٠١١م)، ص ٢١.

(١٠٤) المصدر السابق، ص ٤٣-٤٤.

ويعتبر الجهاد اسمَ وظيفة الأنبياء، ويُعرّف الهدف منه بقوله:

"إن الهدف المقدر في مهمة النبوة هو الإيمان بالله ومعرفته تعالى وإبلاغ الإنسان طريق الخلود بتلك المعرفة والإيمان"<sup>(١٠٥)</sup>.

ويتناول الجهادَ في فِئتين هما: "الجهاد الأكبر" و"الجهاد الأصغر" مُنطَلِقًا في ذلك من الحديث المشهور في هذا الباب<sup>(١٠٦)</sup>، وهذا التقسيم مهمٌ لأقصى درجة من أجل فهم مفهوم الجهاد ومحتواه.

والجهاد الأكبر كما عرّفه رسول الله ﷺ هو: مجاهدة النفس والهوى؛ إنه تطهّر الإنسانية، وبلوغها مرحلة الصفاء، وفوزها باليسمة المرجوة عند الله، أي أن يتخلّص العقل من القناعات والآراء والأفكار الخاطئة والمعتقدات الباطلة، وأن يتطهّر القلب من آثامه عبر أعماله الخاصة بنفسه مثل العبادة والاستغفار والرياضة (قلّة الأكل والشرب والنوم)، وأن يتعلّم الكتاب والحكمة بقلبٍ وعقليةٍ طاهرة نقيّة، إلى جانب اكتساب غير ذلك من المعلومات الضرورية<sup>(١٠٧)</sup>.

إن انشغال الإنسان بنفسه فحسب لهو صنف من صنوف الأناثية؛ لأن من جملة واجباته أن يوجّه الآخرين إلى ذلك الهدف السامي أيضًا، وأن يبذل ما في وسعه في هذا الموضوع بماله ونفسه وهو "الجهاد الأصغر" أي إرشاد الآخرين إلى طريق الجهاد الأكبر وتعريفهم إياه، وصرف الجهد اللازم كي يتمكنوا من السير في هذا الطريق، وبهذا المعنى فإن المدرّس الذي يُعلّم تلميذه الطرق المؤدّية إلى الإنسانية بما يحمل من نيّة خالصة لله، والذي يُنشئ مدرسة بهذا الهدف؛ كلٌّ منهما إنسانٌ مجاهدٌ، ومن يستطيع

(١٠٥) المصدر السابق، ص ٤٣.

(١٠٦) عن جابر رضي الله عنه قال: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزَاةٍ لَهُ، فَقَالَ: "قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنْ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ"، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مُجَاهَدَةُ الْعَبِيدِ هَوَاةً". (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٦٨٥/١٥).

(١٠٧) فتح الله كُولُنْ: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ص ٢٦-٤٣؛ أسئلة العصر المحيرة-٣: الاستقامة في

الوفاءً بهذين الشكّلين من الجهاد هو الإنسان الحقيقي الناضج، وقد خسر الذين لم يستطيعوا الوفاء بالجهاد الأكبر، واختزلوا رؤيتهم للدين بمجموعة من القواعد الواجب شرحها للآخرين؛ فمن المستحيل أن يكونوا مخلصين في تصرفاتهم، ولا ناجحين كذلك، وفي المقابل فإن من يُشغَلُ بنفسه ويهتمُّ بها فحسب، و"لا يحبُّ للآخرين ما يحبُّه لنفسه"، وبالتالي لا يعمل لخيرهم؛ إنّما هو إنسانٌ أنانيٌّ؛ لا ينجح في جهاده الأكبر، وسيصدأ قلبه مع مرور الزمان حتى يصير كميّاه راكدةً غطّتها الطحالبُ.

وثمة شكلٌ مهمٌّ من الجهاد الأصغر هو مواجهة العدوِّ الخارجيِّ في الجبهات عندما تقتضي الضرورة ذلك، وهو حقيقة إنسانية، وإن الإسلام لم يغض الطرف عن لزوم الدخول في الحرب إذا اقتضت الظروف ذلك، إلا أنه حدّد لها حدوداً، ووضع لها قواعد، وربّطها بهدفٍ مقدّس، هذا الهدف هو إزالة العقبات التي بين الناس وبين الله، أي العقبات التي تقع بين الإنسان وبين ضميره الحرّ وقلبه واختياره الإراديِّ، وترسيخ حرّيّة الاعتقاد، وفتح السبيل المؤدّيّة إلى الله تعالى، بالإضافة إلى هذا فإن توفير العدالة، والدفاع عن الوطن، وضمان الحقوق والحريات الإنسانية الأساسية وحفظ الكليّات الخمس الضرورية من دينٍ ونفسٍ وعرضٍ وعقلٍ ومالٍ، وعدم السماح بالفساد في الأرض؛ كلّ هذا يدخل ضمن تلك الأهداف باعتبارها من أبعاد ذلك الموضوع، وإلا فإن الحرب تُصبِحُ عصياناً وتمرداً وفساداً، والإسلام لا يرغب في الفساد ولا في الإفساد أبداً.

### التبليغ

وثمة مفهومٌ آخر يمكن أن يُطلق على حركة فتح الله كولن وعمّله هو التبليغ، وهذا مفهومٌ قرآنيٌّ تماماً مثله مثل الجهاد، ويتمتّع بمكانةٍ مهمّةٍ في علم الاصطلاح الإسلاميّ.

والتبليغ من حيث اللفظ مصدرٌ مشتقٌ من الفعلِ "بَلَّغَ" ويعني "الانتهاء إلى أقصى المقصد والهدف، مكانًا كان أو زمانًا، أو أمرًا من الأمور المقدّرة"<sup>(١٠٨)</sup>، أما من حيث المصطلح فيعني: إبلاغ الناس بوحى الله ﷻ على النحو الذي يمكنهم من فهمه بشكلٍ ودرجةٍ أفضل، وإيصاله إليهم على النحو الذي يمكنهم إدراكه.

ويركّز فتح الله كَوْلُنْ على مفهوم التبليغ تركيزًا بالغ الحساسيّة، فالتبليغ -بالنسبة له- يعدلُ الجهاد في أحد جوانبه من حيث المعنى، وهو غاية وجود الأنبياء والمرسلين كلهم فقد عرّفونا "ماذا نحن؟ ومن أين جئنا وإلى أين نذهب ومن هو مرشدنا في رحلتنا هذه"، فأجابوا بذلك على جميع الأسئلة التي شغلت الفلاسفة والمفكرين أجمعين، وعلمونا الغاية من الحياة، وحقيقة الموت، وأزالوا بذلك كلَّ مخاوفنا المتعلقة بهذا الأمر، فكان إبلاغهم الناس تلك الرسائل المتعلقة بهذه الحقائق غاية وجودهم، وهو ما نسميه التبليغ<sup>(١٠٩)</sup>.

وتشكل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أي نشر الخير والبرّ في المجتمع، وحثّ الناس على فعله، والتصدي للشرور، والعمل على إبعاد الناس عنها) بُعدًا أو جانبًا مهمًّا من جوانب أو أبعاد التبليغ، إن أهملت هذه الوظيفة المهمة لأقصى درجة بالنسبة لحياة الأفراد والمجتمعات؛ يتعرّض الخير والبرّ والحسن للتلاشي والأفول بينما تروج الشرور وتتشرّ الآثام، ولا شك أن للوفاء بهذه الطريقة أصولها ومبادئها الخاصّة، فقد أنشئت مؤسسات بهذا الغرض عبر التاريخ مثل مؤسّسة الحسبة لدى العثمانيين، والنصيحة منهج أو بُعد مهمّ جدًّا من أجل الوفاء

(١٠٨) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ١٤٤/١.

(١٠٩) انظر: فتح الله كَوْلُنْ: النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، ص ٥٧.

بهذه الوظيفة، حيث ورد في الحديث النبوي الشريف: "إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ"، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ"<sup>(١١٠)</sup>، أي كما أن الدين يستطيع حماية وصون بقائه في حياة الأفراد والمجتمع عبر النصح والنصيحة؛ فإن الأفراد والمجتمع أيضاً يحتاجون إلى النصيحة والتذكير، ولا يمكنهم البقاء دون تفسُّخ إلا بهذا الشكل، وفي بقية الحديث يجري التأكيد على ضرورة أن لا تُستهدفَ ولا تُشَدَّ أيُّ غاية ولا مصلحة من وراء النصيحة سوى رضا الله ورسوله، وإبلاغ الناس عبرها بالله والرسول وتحبيبهم فيهما، بالإضافة إلى إمكانية نُصح الجميع بمن فيهم الإداريون والمسؤولون، بل ولا بدَّ من فعل ذلك.

### الهجرة

يتحدَّث القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته عن منظومة حركة وعملٍ قوامها الإيمان والهجرة والجهاد، ويمتدُّ من حياتهم عبارة عن هذا في العديد منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢١٨/٢).

وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: ٧٤/٨).

وقال جلَّ شأنه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (سورة التوبة: ٢٠/٩).

وهؤلاء هم المؤمنون رفيعو الدرجات، كما أنهم هم من يستطيع أن يرجو رحمة الله تعالى ويأملها.

(١١٠) صحيح مسلم، الإيمان، ٩٥؛ سنن أبي دود، الأدب، ٦٧؛ سنن النسائي، البيعة، ٣١ (واللفظ لأبي داود).

إن الإيمان والهجرة والجهاد أمورٌ مهمّةٌ جدًّا في حياة كلِّ من ينشد الغايات المثلى، فقد وجَّهت منظومة الحركة والعمل ذات المقومات الثلاثة هذه حياة الإنسان وتاريخها أيضًا، ولذا فإن فتح الله كُولُنْ يتناول الهجرة كما يتناول الجهاد والإيمان بأوسع معانيه، بل الأصحُّ أنه يتناوله في إطار المصطلح بكل جوانبه، فهو يرى أن الإنسان مهاجرٌ دائمٌ، أي إنه في هجرةٍ مستمرةٍ، تمتدُّ هذه الهجرة إلى ما أبعد من ذلك؛ إذ تمتدُّ في حياة كلِّ فردٍ من عالم الأرواح إلى رَحِمِ الأمِّ، ومنها إلى الطفولة، ومنها إلى الشباب والنضج فالهرم والموت، ومنه إلى الخلود في الآخرة.

وكما أن الشمس مخلوقةٌ لِثَبِيرٍ وتبعثُ الدفءَ في الجوّ، ولا يمكن التساؤلُ: "لماذا تُتير، ولماذا تنشرُ النور؟"، والأكثر من ذلك، أن انتظار الإضاءةِ منها ونشرها النور في الكونِ أمرٌ طبيعيٌّ تمامًا مثل أن يجري الإنسانُ المخلوقُ في "أحسنِ تقويمٍ" إثرَ مثاليّةٍ (فكرة سامية)، وأن يقدحَ زنادَ عقله بهذا القصد، ويؤمنَ قلبه بها، بل وأن ينقل الإنسانُ المؤمنُ إلى الآخرين كلاً من الإيمان والعلم؛ فالأوّلُ يضيءُ القلوبَ مثل الشمس، والثاني يُنورُ العقولَ؛ فالعلمُ نورٌ والجهلُ ظلامٌ، والأمر كذلك بالنسبة لمن يَسْتَخْدِمُ إرادتهُ في الطريقِ الصحيح، ولا يطمسُ فِطْرَتَهُ بالتصرُّفات المنافية للفطرة أساسًا، ولا يذهب ضحيّةً للأحكام المسبقة الخاطئة، ويستطيع الحفاظ على جوهره الإنساني.

وهكذا الأمر بالنسبة لفتح الله كُولُنْ، فالهجرةُ اللازمةٌ لكلِّ فردٍ تبدأ عند هذه النقطة:

"والحقيقةُ أنه يمكن الحديث عن هجرةٍ قلبيّةٍ وروحيّةٍ في الأدوار المتعدّدة لهذه المرحلة؛ هجرةٌ تحدثُ عند تحوُّل الإنسان من وضعه السابق إلى الوضع المطلوب، ومن وضعه الهامد

المتَّسِم باللامبالاة إلى الحركة والنشاط والنظام، ومن وُضِعَهِ  
الجامد المتفَسِّخ إلى تجديد النفس وإصلاحها، والارتفاع من  
مستَنقَع الآثام الخائق إلى حياة القلب والروح... هناك معنى ما  
للهجرة في جميع هذه الأدوار، ومَن كَانَ فِي أطوارها فهو في  
هجرة دائمة<sup>(١١١)</sup>.

وبالتالي فإن حياة الإنسان ما هي إلا حركة وعمل وهجرة من أولها إلى  
آخرها، وانتفاء هذه الهجرة يعني تجمد الإنسان وتطُّحُّلُه، وفقد جوهره  
الأصلي، وعدم الوفاء بمكانته ووضع الاستثنائي المميِّز بين الكائنات.

في حين أن إنسانية الفرد الحقَّة تكمنُ في أن يحيا حياةً تليق بشرفه  
وذاته، ولا يُمكن أن يتحقَّق له هذا إلا بالهجرة، ومَن يعيشون هذه الهجرة  
بصورة دائمة في أنفسهم يُحرِّكون ويؤثِّرون إيجاباً على الواقفين من  
حولهم أيضاً؛ مثلما يؤثِّر جسم متحرِّك على ما حوله في الغالب، ولهذا  
السبب فإن تلك المعالم تبدو وكأنها نقاط مُشتركة في حياتهم: الإيمان  
والعشق أولاً، ثم مواجهة الأخطاء والانحرافات التي تحاصر الحشود  
والجموع، ثم الارتحال بحثاً عن قلوب عارفة أخرى، تُضجِّي إن لزم الأمر  
بكلِّ شيء في سبيل سعادة الإنسانية وهناكها...

ويقول فتح الله كولن:

"يعزو علماء الاجتماع تأسيس معظم المدنيات إلى البدو  
الرُّحَل، وبحث المؤرِّخ المعروف "أرنولد توينبي (Toynbee)  
وكتب عن سبع وعشرين مدينةً وَضَعَتْهَا وَأَسَّسَتْهَا البدو الرُّحَل،  
وهذا يُشيرُ إلى أن الأقوام المتقلِّة المهاجرة هي التي أسَّست  
حكمتها وسيطرتُها في التاريخ الإنساني طوال جميع العصور"<sup>(١١٢)</sup>.

(١١١) فتح الله كولن: ترانيم روح وأشجان قلب، دار النيل (٢٠١٠م)، القاهرة، ص ١١٧.

(١١٢) فتح الله كولن: ترانيم روح وأشجان قلب، ص ١١٩.

ويرى أن ثَمَّةَ أساسين أو حركةً وعملاً مُهمَّين جدًّا في كلِّ طريقٍ يُوَدِّي من الموت إلى البعثِ، ومن الجمود إلى الحَرَكَةِ والحياة، أحدهما: الجهاد بنوعيه: الأكبر والأصغر، والآخر: الهجرة، وأياً كانت العلاقة بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر؛ فهي عينها بين الهجرة التي تتحقَّقُ ويجب أن تدوم مدى الحياة في الروح والعقل والتصرُّفات في إطار الفرد؛ والهجرة التي تتحقَّقُ عبرَ الانتقالِ من مكانٍ إلى آخرٍ في الإطار المادِّيِّ المكاني، والإنسانُ الذي يُنشئُ نفسهُ بهِجْرَتِهِ الداخليَّةِ لا شكَّ أنه سيتخلَّصُ مِنْ تعليقاتٍ وتقييماتٍ بيَّنته الأولى الخاصَّةِ بشأنِ هِجْرَتِهِ الخارجيَّةِ:

"بينما يكتسبُ بالهجرة محيطًا جديدًا يكونُ فيه موضع التقدير والاحترام لأفكاره النيرة وتضحياته الكبيرة، كما أنَّ كلَّ فردٍ هاجرَ من أجلِ مبدأٍ سامٍ يشعرُ في كلِّ لحظةٍ من لَحَظَاتِ حياته بهاجسٍ سَبَبِ هِجْرَتِهِ، ويُحسُّ بحُجْمِ مسؤوليَّةِ هذه الهِجْرَةِ، فَيَنْظُمُ حياته كُلَّها على ضوءها"<sup>(١١٣)</sup>.

## المبادئ الأساسية في حركة وعمل فتح الله كولن

يقفُ فتحُ الله كولنُ على مجموعة من المبادئ الأساسية المهمة في مجال التعليم والحوار والتسامح، والتعليم القلبي والعقلي على حد سواء، ويمكننا إيجازها على النحو التالي تحت عناوين مُحدّدة:

### أ. استهدافُ رضا الله فحسب: الإخلاص

يرى فتح الله كولن أنه يجب على الإنسان أن يستهدفَ رضا الله تعالى في كلِّ عملٍ يقومُ به؛ يعني أن يفعل كلَّ ما يفعل طلبًا لرضا الله ليس إلا، وعليه ألا يتتَّظَر من ورائه ولو حتى أصغر نفعٍ ومصلحةٍ دنيوية؛ كأن يشتهرَ ويُعرفَ ويُصبِحَ مدارًا للحديث الناس، وهذا هو الإخلاص، فإن لم يكن ثمة إخلاصٌ في العمل، ولا سيما فيما يُنجزُ في سبيل الدِّين من أعمال، أي إنه ما لم يكن رضا الله تعالى فحسبُ هو المطلوب في هذا العمل استحال الوصولُ إلى الغاية المنتظرة، بل إن نجاح الإنسان فيه لن يُكسبه أي شيءٍ أخروي<sup>(١١٤)</sup>.

"إذ ينبغي اليوم للمؤمنين العازمين والناوين الاقتداء بهم في كل شؤونهم ألا يُعكروا صفاء أفكارهم بخواطر فضولية لا تعينهم كهذه، وعليهم أن يضاعفوا همهم في خدمة القرآن والإيمان، وأن يستخدموا كل طاقاتهم لنيل رضا الله، وأن ينسجوا نسيجهم حوله؛ والحقيقة أنّ الخواطر الأخرى تعني -معاذ الله- مساومة الخالق ﷻ، أي كلُّ خاطرة مثل: "إذا عملت كذا فسأعيش حياةً هكذا وهكذا، أو لا بد أن تكون... أمورٌ غير لائقة، وهي خلافُ

وعى العبودية لله مطلقاً، ومن يلج دوائر فاسدة كهذه يتعذر عليه الخلاص منها. " (١١٥).

### ب. إنجاز العمل وترك أمر النتيجة إلى الله

أولاً: يُرَكِّزُ فتح الله كُولْن تركيزاً شديداً على أن ما يقعُ على عاتقِ الإنسان هو أن ينجزَ بِنِيَّةٍ خالصةٍ تماماً ما يجب عليه إنجازُه، ثمَّ يتركِ النتيجةَ لله تعالى، ووفقاً له كذلك فإنه يلزم ألا تُخالط الأهواء والرغبات الشخصية تلك الأعمال، وأياً كان الواجب عمله فلا بدَّ من عمَلِه كما هو مطلوب، فلو خلطَ الإنسانُ نزواتِه ورغباتِه الشخصيةَ بالعمل فقد يخطئُ ويُفسدُ طهارةَ وصفاءَ نيَّتهِ، ومن ثمَّ يحدُثُ كابوس نتيجةً لذلك.

ثانياً: ليس بمقدور الإنسان هدايةَ الآخرين وتغييرُ أنماطِ تفكيرِهم وسلوكياتِهم ومعتقداتهم ومعيشتهم؛ فالقلوبُ بيدِ الله تعالى، هو الهادي، أي هو الذي يوجِّهُ الناسَ إلى الحقِّ والصواب، إلا أن ثَمَّةَ واجباً ينبغي للإنسان القيام به هنا؛ ألا وهو سلوكُ كلِّ طريقٍ مشروعٍ من أجل تبليغِ وإيصالِ الرسالةِ الحقَّةِ إلى الجميع، وما بعد ذلك فهو بيدِ الله تعالى، وهو ما قرَّره القرآنُ الكريمُ وهو يُخاطبُ نبينا ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة القصص: ٥٦/٢٨).

"أجل، على الإنسان أن يفعلَ ما يقعُ على عاتقِه، وألا يتدخلَ في أمرِ الله تعالى" (١١٦).

### ج. تحديدُ الغايةِ والوسيلةِ

ويُبيِّنُ فتح الله كُولْن أنه من الضروري أولاً تحديدُ الهدفِ والغايةِ

(١١٥) فتح الله كُولْن: الموشور، ١٠١/١.

(١١٦) فتح الله كُولْن: سلسلة الفصول ١-١٠٢، ص ١٠٢.

تحديداً جيّداً في كلّ عملٍ وحملَةٍ، وكما سبق ذكرُهُ آنفاً فإنه لا بدُّ وأن يكون هدف كلِّ إنسان هو الخالق العظيم ورضاه أولاً وآخراً، فإنَّ ذرَّةً من الأعمال المبدولة في سبيل رضا الحقِّ تعالى تساوي الشمس، وقطرةً منها تساوي المحيط، ولحظةً منها تساوي الدهر، وقيمةً الوسائل والوسائِلِ تتحدّدُ بقدرِ توصيلها إلى المقصد وسلامتها في التوصل إليه.

إن الإسلام لا يُجيزُ أيَّ طريقٍ يُؤدِّي إلى الغاية؛ إذ لا بدُّ وأن يكون الطريقُ المؤدِّي إلى الغاية مشروعاً؛ تماماً مثلما ينبغي أن تكون الغاية ذاتها مشروعاً، ذلك أن الطريق غير المشروع يَحيدُ بالإنسان إلى خلاف هدفه، وبالتالي فالمسلم لا يستطيع أن يسلك كلَّ طريقٍ بذريعة احتمال الوصول إلى الهدف، إذ المهمُّ هو إنجاز ما يجب إنجازه بالشكل اللازم، وفي إطار مشروع، والأكثر من كون الوسيلة مشروعاً هو أن تتسم بِسِمَةِ تطوير احترام الحقِّ وفكرة الحقيقة، علاوةً على أن غير ذلك قد يؤدِّي إلى نسيان الغاية، والغرق في خضمِّ الوسائل المؤدِّية إليها، ومن ثم يجعلها الغاية والهدف؛ وهذا خطرٌ عظيمٌ في الحركة والسير، والمعابد والبيوت والمدارس التي نسي هدفها والغاية من إنشائها تظلُّ تُضربُ بنفسها في خطِّ معاكسٍ تماماً لأهدافها وغاياتها؛ مثلها كمثل إنسانٍ نسي الغاية من خَلْقِهِ.

وثمَّةَ نقطةٌ أخرى ركّز عليها كولن تركيزاً شديداً هي أن الإنسان يلزمه ألا يحتكر الفكر، وألا يختزل الصواب عنده وعند من يحمل ذات أفكاره فحسب، بل عليه أن يعترف بحقِّ الأفكار الأخرى في الحياة، وأن يأخذها بعين الاعتبار والدرس، سيما أن مشاعر الحقد والبغض تجاء من يتقاسمون اعتقاداً وشعوراً وفكراً واحداً تعني الحرمان من الهدف والغاية، ومن يظنون الكون يدور وفقاً لهندسة فلّكهم الخبرة ليسوا شيئاً غير عبيد للنفس لا يرضون بالتحرُّر من عبوديتها.

### د. الحركة الإيجابية والمساهمة الفعالة

إن فتح الله كُولَنْ يُعارض بشدة الحركة القائمة على ردة الفعل، فهو يرى أن مثل هذه الحركات تتسبب في التحرك بِكُرْهِ الآخر وِبُغْضِهِ، والعيش بغضاً وحقداً له؛ فتصبح كلُّ واحدةٍ من هذه الحركات حركةً الساخطين، ولا تُخَلِّف وراءها سوى الحسرة والفراقِ والخرابِ، ويَحْدِرُ كُولَنْ قائلاً:

"يُشْتَرَطُ لإنجاز ما يمكن إنجازُه من أجل حاضرِ الأُمَّةِ ومستقبلها ألا يكون ذلك لِحِسابِ التَّخريبِ وألا يُلْحَقَ الضررُ بِوَحْدَةِ البلدِ وانسجامها، أي إنه ينبغي عند الهَمِّ "بالبناء" النَّأي عن الدخول في "تدميرات" يستحيلُ إعمارها على مدى أجيال، وإلا فإننا نَعاقِبُ بخلاف هدفنا، ونتعرَّضُ لِلْعَنَةِ وَبُغْضِ الأجيال القادمة، إلى جانب فقداننا كثيراً من المعاني الأخروية".

إن الحركة والعملَ وليس ردة الفعل، وبتعبير آخر: إن القيام بما يجب القيام به، والانشغال بإنشاء وتعمير ما يجب إنشاؤه وتعميره، وعدم محاولة التَّخريبِ إطلاقاً؛ كلُّ هذا يُطلَقُ عليه اسم "الحركة الإيجابية"، وهذا الأساسُ واحدٌ من أهمِّ سَمَاتِ حركةٍ وعملٍ فتح الله كُولَنْ، فهو يقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة: ١٠٥/٥) مذكِّراً بالتصريفِ الإيجابيِّ، ويقول:

"ليس المهْمُ وليس ما يجبُ فعلُه هو سبُّ الظلامِ ولعنه، وإنما المهْمُ إشعالُ شمعةٍ تَقْشَعُ الظلامَ وترفعه".

### هـ. الوعي الجمعيُّ والشورى

تتمتَعُ الشورى والوعي الجمعيُّ -وفقاً لِرَأْيِ فتح الله كُولَنْ- بأهميَّةٍ لا غنى عنها بالنسبة لآبِيَّةِ حركةٍ إيجابِيَّةٍ، فهو يرى أن الوعي الجمعيُّ هو

العقل والفكر المشترك بين الأشخاص المثاليين الذين يُفكِّرون في مصلحة المجتمع؛ فيُقَدِّمونها على مصالحهم الشخصية، متلاحمين مع حاضر المجتمع وِعَدِه مندمجين معه، سائرين على الأمل والوفاء والإخلاص والصدق، مختارين الفناء والتواضع والمحوية بدلاً من الشهرة، مُؤَثِّرِينَ الآخرين على أنفسهم، معتبرين التفكير في ذلك أمراً أساسياً بالنسبة لهم، وهذا الفكر والعقل مع اعتماده على الله تعالى في كل أمره؛ فهو لا يُخطئُ التدبير في كل عمل يُباشِرُه، فيأخذ بكل الأسباب اللازمة، حسَّاسٌ لأقصى درجة في مواجهة ما يحدث من حوله، لا يتصرَّفُ بمشاعره لا في الأعمال الدنيوية ولا الأخروية، يَرِنُ كل حملاته وحركاته بميزان رضا الله تعالى، لا يتناقض ولا يتضاد مع الأشياء والحوادث، يتحرَّك حركة تُوافق القوانين الإلهية التي هي موضوع العلوم المتعلقة بالحياة والكون<sup>(١١٧)</sup>.

ويرى فتح الله كولن الشورى "وصفاً حيويًا، وقاعدةً أساسيةً"، وأنها الشرط الأول لصحة وسلامة أي شأنٍ أو قرار، ويقول:

"تأكَّد وتبيَّن أن ما تُتخذ من قراراتٍ تتعلَّق بالفرد والمجتمع دون تروٍّ في التفكير، ودون استماع لآراء الآخرين وانتقاداتهم انتهت في كثير من المرات بخسائرٍ ونتائجٍ وخيمة".

فيرى أن الفرد المغلِق على أفكاره الشخصية، الذي لا يحترم آراء غيره يتعرض لمزيد من الأخطاء والكبوات -وإن كان سليم الفِطْرَة ساميها، راجح العقل والفكر، بل حتى وإن كان داهيةً- أكثر من أي إنسان عاديٍّ بسيطٍ يأخذ بمبدإ الشورى في كل آرائه، ويدافع عن الشورى قائلاً:

(١١٧) انظر: فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-٦، أفكار في طور الاخضرار (Yeşeren Düşünceler)، مقال "الوعي الجمعي (Kolektif Şuur)"، ص ١٠٨-١١٤، [مجلة "بزنئي"، أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٤م)].

"الإنسان الأعقل هو الأعظم اعتدادًا والتزامًا بالمشورة،  
واستفادة من أفكار الآخرين"<sup>(١١٨)</sup>.

ويذهب كُولُنْ إلى ما هو أبعد من ذلك فيقول:

"ولا ينجو الذي يكتفي في عمله وبرامجه بأفكاره، أو يسعى  
لفرضها على غيره؛ من فقدان قدرة حركية مهمة، وِزْد على ذلك  
نفورًا وكرهاً واستتقالاً يلقاه ممّن حوله لا محالة، فالمشورة هي  
الشرطُ الأوّل لاستحصال المرء خيرٍ حاصلٍ من كلّ عملٍ يعملُه،  
كذلك هي الوسيلة المهمة لاستمداد قدرة تزيد على قدرته وطاقته  
أضعافًا مضاعفةً، فينبغي إجراء أوسع استشارةٍ وتحريٍّ قبل مباشرة  
أيّ عملٍ من الأعمال، والجدُّ في الأخذ بالأسباب والتدابير، حتى  
تجنّب الوقوع في تصرفات مُضِرَّة تُضاعفُ المصيبة في النتيجة،  
مثل تَجْريحِ القَدْرِ أو اتِّهامِ الوسطِ القريب"<sup>(١١٩)</sup>.

إن فتح الله كُولُنْ إذ يُؤكِّد على الشورى دائماً يقفُ ويركِّز بحساسةٍ  
شديدة على أن هذا العصر هو عصرُ الوعي الجمعيّ ولا يُمكنُ الوصولُ  
إليه إلا بإبداءِ كلّ ذي رأيٍ رأيه وبإفصاحه عن فكرته، ويؤمن بأنه يمكن  
عبر ذلك فحسبُ تحقيقُ وتطبيقُ الأفكار والنيات التي تبناها الجميع  
والتفوّق حولها واستقرتْ في القلوب والأذهان، ويستشير من حوله ومن  
يَشُق في علمه من الأشخاص حتى في المسائل المتعلقة به شخصياً،  
ولذلك يستطيع كلُّ صاحبِ رأيٍ أو فكرةٍ أن يُصرِّح برأيه أمامه، ناهيك  
عن أن فكرة التسلُّس الهرميّ، ومظنّته أن أفراداً أُسمى من غيرهم، وحسّ  
السبق والتفوق، من أكثر الأمور التي تُزعجُ فتح الله كُولُنْ.

(١١٨) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٨-١٩، ١٨٣-١٨٤.

(١١٩) فتح الله كُولُنْ: ونحن نقيم صرح الروح، ص ٤٥-٤٦؛ الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٨-١٩،

## و. الصدق والأمانة

يقول فتح الله كولن:

"إن الصِّدْقَ محورُ النبوَّة" (١٢٠).

فهي تدورُ في فَلَكَ الصِّدْقِ، وكما لم يتفوّه الأنبياء ولو بكَلِمَةٍ واحدةٍ منافيةٍ للحقيقة؛ فليس في قاموسهم أيُّ شيءٍ من التصرفات والطبائع المبتدلة، أو من قبيل الخداع والتغيير، ولذلك فإنَّ الصِّدْقَ ومجالسةَ الصادقين من أهمِّ وأصلِّ أُسسِ الحركة والعمل.

وأداء الأمانة أيضًا خصلةٌ إسلاميةٌ وإنسانيةٌ، ومبدأٌ أساسٌ من مبادئ الحركة والعمل، وهي والصِّدْقُ على حدِّ سواء، فالمؤمنُ هو من يبعثُ الأمن وبيتُ الأمان، ويُقدِّمُ القرآن الكريم الأنبياء على أن كلَّ واحد منهم أمينٌ، ويذكر أن صفتهم الأولى هي كونهم أمناء، قال الله تعالى في عدّة مواضع على لسان أنبيائه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة الشُّعْرَاءِ: ١٠٧/٢٦، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨؛ سورة الدُّخَانِ: ١٨/٤٤)، ومن هنا فإنَّ المؤمن مصدر ثقة تامّة، فهو لا يُسيءُ ولا يؤذي أحدًا، ولا يغتابُ ولا يَنِمُّ، ولا يطمع في مال أحدٍ ولا عرضه ولا شرفه، والأمانة من أهمِّ صفات جبريل عليه السلام أيضًا، قال تعالى: ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ (سورة التَّكْوِينِ: ٢١/٨١)، والمُطَاعُ الأمين هنا هو جبريل عليه السلام الذي نزلَ بالقرآن على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن حركةً وعملاً حقيقياً لا بُدَّ وأن يُبنى على الأمانة، وألّا يكونَ فيه مكان لأبي خداعٍ وكذبٍ، بل وباختصارٍ لأصغرِ كلمةٍ وتصرفٍ يسيءُ استعمال الأمانة (١٢١).

## ز. الفطنة

كما أن الفِطْنَةَ من أهمِّ صفاتِ النبوَّة فهي واحدةٌ من جملة صفاتِ

(١٢٠) فتح الله كولن: النور الخالد محمد صلى الله عليه وآله مفخرة الإنسانية، ص ٧٥.

(١٢١) انظر: المصدر السابق، ص ١٢٤-١٣٧.

لا غنى عنها بالنسبة لأية حركة وعمل، وتعني التحرر من العقل والمنطق المُتَحَجِّرِ، والتغلب عليهما بعقل وفكر يعتمد على الوحي باستخدام العقل في ضوءه، وتتحد مع هذا الفكر والمنطق كل من الروح والقلب والحس وجميع الملكات الذهنية من منطق ومحاكمة عقلية وتفكير وفكر وغيرها، والحكمة أهم بعد من أبعاد العقل، والأصح أن الحكمة -أي إدراك أسباب الأشياء والهدف والغاية منها، والقدرة على التفكير السليم واتخاذ القرار السليم في كل موقف- هي توأم هذا العقل أو هي وهو اسمان لمُسَمَّى واحد.

أجل، لما كانت الفطنة لا تعني المنطق والعقل المتحجر الجاف كان الزعم بأن "الإسلام دين العقل" وأنه يختزل الإسلام ويحبسه في الفكر والمنطق المتحجر مجرد ادعاء ليس إلا، فالإسلام يعتمد بالدرجة الأولى على الوحي، غير أنه يخاطب العقل فيحمله على قبوله والرضا به، وليس في الإسلام أية قاعدة ولا حكم على الإطلاق يعارض هذا العقل، إلا أن هذا لا يعني أن كل عقل يستطيع أن يصل إلى الفهم التام والحكم السليم، فالإسلام هو الذي يوجه العقل بالدرجة الأولى، ويُرشدُه، وينير له الطريق، فيحوّله إلى قوة حركية (دينامية) في إطار من التكامل مع القلب والحس والملكات الذهنية جميعها، وهكذا فإن العقل الذي انصهر في هذه البوتقة يستطيع -دون غيره- أن يفهم الإسلام حق الفهم، ويستحيل أن يجد فيه أية ثغرة أو مناط اعتراض مطلقاً، وهذا العقل هو الذي يستطيع تقييم الأشياء والحوادث في فلکها الحقيقي، ويستنبط ما فيها من معانٍ، ويطالع الكون ورسالتة الحقة، ومن ثم فإن هذا العقل الذي أسميناه "الفطنة" والذي يُمثّل صفة من أهم صفات الأنبياء واحد من أهم أسس الحركة والعمل<sup>(١٢٢)</sup>.

## ح. التوبة واجتناب الأثام

يتحدّث فتحُ الله كُولُن في العديد من لقاءاته وكتاباته عن الذنبِ والتوبة، بل وعمّا هو فوق ذلك: "الإنبابة" و"الأوبة":

"فالتوبةُ التي ستتعرف عليها مع شروح بسيطة هي: التوجّه إلى الله تعالى بلمّ الشعث مجدّداً، مع الاعتراف بالأخطاء، وتجرّع غصص الندم، والعزم على تلافي ما فات، هذه التوبة لدى أهل الحقيقة هي معاودة بذل الجهد لبلوغ الموافقات والمطابقات في ضوء أوامر الله ونواهيه ﷺ، نجاةً من مخالفات وقعت تجاه الذات الإلهية؛ في الشعور والتفكير والتصوّر وفي السلوك، وليست التوبة ترك ما يعافه الوجدان والشعور بالتقرّز منه فحسب، بل هي الرجوع إلى الله سبحانه عمّا لا يحبه ولا يرضاه تعالى حتى لو كان ذلك الشيء جميلاً ونافعاً بظاهر العقل.

والتوبة التي هي تجديد الإنسان لنفسه باستمرار، أو رجوعه إلى صفائه الأصلي وانسجامة مع فطرته الذاتية، بعد تعرّضه لتشوّهات طبعية وداخلية، تحتوي كل مرتبة من مراتبها على أمثال الأمور الآتية:

- ١- الندم من أعماق القلب.
  - ٢- تذكّر الأخطاء السابقة بارتعاش ورعدة.
  - ٣- إزالة المظالم ونصرة الحق.
  - ٤- إيفاء الواجبات والتكاليف الفائتة حقّها وإمعان النظر مجدّداً في المسؤوليات.
  - ٥- ملء الخواء الذي أحدثته الأخطاء والزلات في الروح، بالعبادة والطاعات واغتنام التضمرعات في جوف الليالي.
- إن أول منزل للسالك وأول مقام للطالب هو "التوبة"، أما مقامه الثاني فهو "الإنبابة"، ونمر مرّ الكرام على الإنبابة الشائعة بين

الصوفية وهي الأصول والآداب والأعراف المتبعة في مراسيم الانتساب إلى أي مرشد، فنقول:

مثلما أن في التوبة توجيهًا للشعور والفكر والسلوك من المخالفات إلى الموافقات ومن المعارضات إلى المطابقات، ففي الإنابة محاسبةٌ وتفقد لمطابقات الفرد وموافقاته الموجودة، فلئن كانت التوبة سياحة في أفق "السير إلى الله" فالإنابة هي "السير في الله" و"الأوبة" معراج في رحاب "السير من الله".

ويمكن أن نعرّف أيضًا هذه التوجهات الثلاثة بالآتي:

إن الالتجاء إلى الله خوف العقوبة هو التوبة، والفناء في الله برغبة الحفاظ على المقامات والدرجات هو الإنابة، والانغلاق تجاه كل ما سواه تعالى هو الأوبة.

فالأول: صفة جميع المؤمنين، وشعارهم: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة النور: ٣١/٢٤) من جميع الزلات والخطيات.

والثاني: صفة الأولياء والمقربين، وإقامة عبادتهم من حيث المبدأ ﴿وَأَنبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ (سورة الزمر: ٥٤/٣٩) ومن حيث المنتهى ﴿وَجَاءَ يَقْلَبٌ مُنِيبٍ﴾ (سورة ق: ٣٣/٥٠).

والثالث: خاصية الأنبياء والمرسلين، وشعارهم ﴿نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص: ٤٤/٣٨) فهذا تقدير وتكرمة إلهية، فلا توبة لمن هم في معية الله في كل وقت حيثما كانوا وكيفما كانوا غير فاقدين للشعور بالحضور الإلهي ولو للحظة، لذا فكلماتهم المعبرة عن التوبة تفيد معنى "الأوبة" أو "الإنابة"، فلا يمكن فهم قول سيد الأنام ﷺ: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً" (١٢٣) إلّا على هذه الصورة.

نعم، التوبة لمن لا يعرف "القرب" و"المعية"، لأن الذين يديمون حياتهم في آفاق القرب، يعدّون الرجوع إلى الله المهيم على جميع تصرفاتهم والرقب على كل ما يعملونه والأقرب إليهم من كل شيء، يرونه -بمعناه لدى العوام- غفلة، فهذه المرتبة ليست مرتبة أهل وحدة الوجود بل أهل وحدة الشهود، بل هي مرتبة أعلى منهما وأرفع، فهي مرتبة السائرين في ظل مشكاة محمد وسنة أحمد عليه أكمل التحايا وأتم الصلوات<sup>(١٢٤)</sup>.

ويقول فتح الله كولن عن الذنب:

"الذنب انهيارٌ داخليّ، وتعارضٌ وتناقضٌ مع الفطرة السليمة، إنه بصفةٌ وسببٌ في وجه الإرادة، وزقومٌ أشربته الروح، الذنب عاصفةٌ تُخوّدُ تمامًا المشاعرَ الساميةَ والاستعدادَ الموهوبَ للإنسان، إنه دخانٌ سامٌ يُلْفُ الحياةَ القلبيةَ تمامًا".

ويحدّرُ منه قائلاً:

"من يقترب الذنب مسكينٌ وتعيّسُ أسلمَ نفسه لعذاب الضميرِ والأزماتِ القلبيةِ، وجميعَ ملكاته واستعداداته الروحية إلى الشيطان، فإنّ داوَمَ على ارتكابِ الذنب فقد غرِقَ تمامًا؛ ولن يتبقّى لديه إرادةٌ ولا مقاومةٌ ولا طاقةٌ لتجديدِ نفسه"<sup>(١٢٥)</sup>.

ويبيّن فتح الله كولن أن الذنوبَ قد تقطع على الإنسان طريقه في كلّ خطوةٍ يخطوها في رحلة الخلودِ مثل أفعى الكوبرا، فكما أنّ لدغة الأفعى سامةٌ مادّيًا فكذلك لدغة الذنب سامةٌ معنويًا، ولذا سمى النبي بعضَ الذنوب بالسبعِ الموبقات؛ أي المهلكات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟

(١٢٤) فتح الله كولن: التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، ص ٣٢-٣٧. (بتصرف)

(١٢٥) فتح الله كولن: ترانيم روح وأشجان قلب، ص ١٢٠.

قَالَ ﷺ: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ" (١٢٦).

ويذكر كُولُن من بين الذنوب الخطيرة تعريض الوطن إلى الخطر بالميل به يمينا ويسارا، وإبعاد آية أمة مسلمة عن جوهرها الحقيقي، وهدم محرابها بالأفكار الأجنبية، وتغيير مكان منبرها، وجعل الأجيال مجردة حشود بلا هدف ولا غاية مثلى محرومة من الاستقامة والاعتقاد والفكر وميزان الحق، والاعتداء على روح الأمة وأجيالها ودينها ومالها، ثم إقامة المشانق بهدف معاقبة لهؤلاء؛ كل ما سبق يندرج ضمن الذنوب التي لن يغفرها الحق تعالى ولا التاريخ، ثم يُضيف إلى ذلك تحذيرا آخر قائلاً:

"ثُمَّ ذَنْبٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ جَمِيعِهَا؛ أَلَا وَهُوَ أَلَا يَعْتَرِفُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ الْكِبَارَ الَّذِينَ حَرَقُوا الدُّنْيَا وَأَغْرَقُوا بَأْنَ مَا ارْتَكَبُوهُ إِنَّمَا هُوَ ذَنْبٌ وَجْرَمٌ. أَجَلٌ، إِنْ كَانَ ثَمَّةَ ذَنْبٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا يَصْفَحُ عَنْهُ التَّارِيخُ فَهُوَ: عَدَمُ اعْتِبَارِ الذَّنْبِ ذَنْبًا، وَعَدَمُ التَّأْدِي مِنْ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ" (١٢٧).

وينبه على أنه يصعب أن يجدد المجتمع نفسه إلى أن يشعر بأن هذا أعظم الذنوب، ثم ينبه ويُنوّه بشدة إلى ضرورة محاسبة النفس والقبض عليها بقبضة من حديد (١٢٨).

### ط. العشق خميرة الحركة والعمل

"الإنسان الذي أصلح قلبه بالإيمان والمعرفة، وجَهَّزَهُ بهما يشعر -حسبَ دَرَجَتِهِ- بِعِشْقٍ وَاسِعٍ وَمَحَبَّةٍ عَمِيقَةٍ نَحْوِ النَّاسِ

(١٢٦) صحيح البخاري، الوصايا، ٢٤.

(١٢٧) فتح الله كُولُن: ترانيم روح وأشجان قلب، ص ١٢٢.

(١٢٨) المصدر السابق، ص ١٢٠-١٢٣.

أجمعين، بل نحو الوجود كله؛ يشعر بذلك فيعيش طيلة عمره بين مدّ وجزرِ العشقِ والوجدِ والجذبِ والانجذابِ والأذواقِ الروحانيّةِ التي تحتضنُ الوجودَ كلياً<sup>(١٢٩)</sup>.

هكذا يقول فتح الله كولن، ويرى أنه لا يمكن تحقيق أية حمله وحركة دائمة أبداً دون وجود العشق، سيما الحركات التي ترغب في العقبى وما بعد الحياة الدنيا؛ فإنها لا تستطيع الوصول إلى هدفها المنشود دون أن يخالط العشق خميرتها:

"فالعشقُ الإلهيُّ الذي سنقدّمهُ عبر إطار تحديد مكاننا في العلاقات الموجودة والفاعلة تجاه الله تعالى، والشعور بمتع الخلق باعتبار أنّ وجودنا ظلّ لوجوده وضيائه ﷺ، والإقرار بأن رضاه هو غاية الخلق، والسعي الدائم لتصيّد هذا الرضا دائماً هو مصدر قوّة ملعّزة، لا حدود لها"<sup>(١٣٠)</sup>.

فينبغي لرجال الحركة والفعل ألا يُهملوا هذا المصدر، بل عليهم أن يعيشوه جيّاشاً<sup>(١٣١)</sup>.

### ي. التكامل والانضباط في الفكر والتصرفات

هناك بُعد آخر من أبعاد الفطنة، أو ديناميّة حركة وفعل مختلفة في حركة وفعل فتح الله كولن، أو مادة منها ألا وهي تحقيق التكامل القلبي والذهني، وإنارة الذهن بإدراك شؤون الله في الأشياء والحوادث باستخدام العلوم القائمة على فلك الحقيقة، والمحافظة على نقاء القلب وطهارته بالعلوم الدينيّة والصفاء والصدق والإخلاص والبُعد عن الذنوب، والقدرة على الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل والتفكير الكليّ بهذا الشكل،

(١٢٩) فتح الله كولن: ونحن نقيم صرح الروح، ص ٣٥.

(١٣٠) المصدر السابق، ص ٣٥-٣٦.

(١٣١) فتح الله كولن: سلسلة الفصول-٢، ص ١٤٦.

وإلى جانب هذا أيضاً يحظى النظام بأهميّة واضحة في الفكر والحركة والعمل بالنسبة لفتح الله كُولُن.

ولا شك أن اعتماد التفكير الجزئيّ بديلاً عن التفكير الكليّ الذي لا يرفض التخصّص، لكنه يراه نوعاً من الانفصال عن الكلّ، ويعتني بالقيمة على نحو امتلاك المعلومة والتجربة الأكثر فيما يتعلّق بأجزاء الكلّ، وفي إطاره واحدٌ من أعظم أخطاء الفكر الحديث ونقائصه، هذا الفكر يتناول الكونَ والإنسانَ والحياةَ جزءاً جزءاً، ولذلك فإنه وإن تقدّم أكثر من ناحية الكميّة فوق الأجزاء، أي باعتبار حُرْمَةِ المعلومات إلا أنه يبقى ضحلاً فقيراً لأبعد الحدود في الجودّة والكيفيّة نظراً لعجزه عن تحقيق التكامل بين الأجزاء، في حين أن الإنسان الكليّ هو من يستطيع التفكير بشكلٍ شموليٍّ كُليّ، فيُدركُ الأشياءَ والحوادثَ في إطار تكاملِ الإنسانِ والكونِ، ويهتمُّ بالأجزاءِ في إطارِ هذا التكاملِ، ورؤية الرابطة بينها جميعها، إلا أن مثل هؤلاء الناس يستطيعون أن يكونوا موجّهين حقيقيّين للحركة والعمل، ولأن العالم الإسلاميّ بُعد في القرون الأخيرة عن هذا التكامل وعن اتحاد القلب والعقل، وأقصى العلوم من المدرسة، ولم يضع الدين والأُمورَ المعنويّةَ في المناهج المدرسيّة فلم ينجُ من الانهيار، كما عجز عن تحقيق انبعاثٍ بالمعنى المطلوب<sup>(١٣٢)</sup>.

### ك. القوّة

يُرَكِّزُ فتح الله كُولُن على "القوّة" بصفةٍ خاصّةٍ بالنسبة للحركة والعمل، ويؤكدُ أن الله خلَقَ القوّةَ لحكمةٍ، ولذلك يستحيلُ إغفالها، غير أنه يجب أن ترتبطَ القوّةُ بالعلمِ والمعنى والحكمة، ومن زاوية أخرى بالحقِّ والقانون، ويبيّنُ "أن الحقَّ ليس في القوّة وإنما القوّةُ في الحقِّ"، ويُحذّرُ أنه في حالِ

حدوثِ العكسِ تتولَّدُ قوَّةٌ مجنونةٌ متهورَةٌ فيقول:

"إن القوة المتهورة التي تؤمن بأنها تستطيع حلَّ جميع  
المشكلات لا تُصغي لصوتِ العقل والمنطق والمحكمة العقلية  
ولا حتى الدهاء".

إنه يرى أن الإنسانية تشهد في عصرها الأخير هذا ألواناً شتى من  
ظلمٍ قوَّةٍ كهذه، وأن القوَّة المتهوِّرة المجنونة تُخضع الإمكانيات التقيية  
لأمرٍ أحقادها وكراميتها وأطماعها، فتستطيع أن تحشد في بضعة أيام  
أشدَّ التدميرات والتخريبات إرهاباً وإرهاباً مما كان يستحيلُ حشدهُ في  
العصور الماضية؛ فتستطيع بذلك أن تقوِّض في حملةٍ واحدةٍ أقوى النُظمِ،  
وتنسِفها نفساً ثم تستعِضُ عنها، وتزهقُ أعرق وأصل طُرزِ الفكرِ وأمتنَ  
صنوفِ الفُهمِ وأقواها، وتستطيعُ القضاء على مقاومة الجموع والحشودِ،  
كما تتمكنُ من تحديد المعتقدات وتحدُّ من حرِّيَّتها، ولا سيما في الآونة  
الأخيرة فقد استقوت بقوَّة الإعلام؛ فأظهرت الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً؛  
فأنشأت بذلك صراعاً في القيم على مستوى المجتمع، ولهذا السبب  
فإنه ينبغي ألا تُترك القوَّةُ حرَّةً طليقةً، وألا تُهمَل وتُغفل أبداً، بل يجب  
أن يستخدمها الأبطال الحقيقيون -الذين جعلوا مبدأً حركيَّتهم وأساسها  
السلام العالمي؛ من أصحاب الأفكار النورانية المتدبِّرة بالحب- في  
حركاتهم في ضوء إرشادِ المنطقِ والحقِّ والمحكمةِ العقليةِ<sup>(١٣٣)</sup>.

### ل. الاحتياط والتدبير ومراعاة الأسباب

ومن الأمور التي ركَّزَ عليها فتح الله كولن بالنسبة للحركة والعمل  
"التدبير والاحتياط ومراعاة الأسباب"، ففي رأيه أنه لا توجد في الدنيا

(١٣٣) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل -٦-، "أفكار في طور الاخضرار (Yeşeren Düşünceler)"، مقال "جنون  
القوة (Kurvetin Çılgınlığı)"، ص ١٦٨-١٧١، "مجلة "سزنتي"، ديسمبر/كانون الأول (١٩٩٥م).]

حركةً أبداً، ولا عملٌ ولا هدفاً يُبنى على المعجزات والخوارق وعلى انتظار مدد الله، وقد يمدُّ الله ويعين على أيِّ نحوٍ؛ فيفتح علينا من الأبواب ما لم نكن نتوقَّع، غير أن الدنيا دارٌ حكمةٍ يسري فيها حكمُ الأسباب، وقد قرن الله تعالى كلَّ أمرٍ ونجاحٍ فيها بسببٍ من الأسباب، ومن هذه الناحية فإن السيرَ في كلِّ عملٍ وطلبه بالأخذِ بأسبابه الخاصَّة، والوفاء بهذه الأسبابِ دون نقص، ثم التوكُّل على الله تعالى في انتظار النتيجة شرطٌ كلِّ عملٍ ومصدرٌ كلِّ نجاح، ودائماً ما يُذكر كُولُن قائلاً:

"لا بدَّ لكم من مراعاة الأسبابِ في الدنيا حتى يزعم من يراكم "عبدة الأسباب"، ولا بدَّ من التوكُّل على الله حقَّ التوكُّل بعد الأخذِ بالأسباب، حتى يقول الراؤون: "إن هؤلاء لا يعرفون شيئاً سوى التوكُّل".

ويسردُ كُولُن ما يأتي فيما يتعلَّقُ بسلامة الحركة والعمل؛ فيقول:

"اتِّخاذُ الحيطةِ تصوُّفٌ مهمٌّ يحولُ دون الوقوع في الخسارة في أيِّ أمرٍ أو في أيِّ فعاليةٍ من دون مواجهة المصائب ثم إطلاق الحسرات، فما أكثر المحاولين الذين لم يُراعوا الأسبابَ حقَّ الرعاية؛ فكانت النتيجة الحتمية أنهم لم يجدوا أمامهم إلا إطلاق الزفريات أو ندبَ الحظِّ ولومَ القَدَر، فهم يُقصرُّون في رعاية الأسبابِ في البداية، ثم يقعون في الخطأ عندما ينتقدون القَدَرَ... إن آية حمله نشاطٍ وفعاليةٍ مثلها مثل اتخاذ التدابير، إنما هي طلب لرضا الله تعالى وعنايته، وهما في الوقت نفسه وجهان لحقيقة واحدة، وأيُّ قصورٍ يطرأ على أحدهما غالباً ما يُؤدِّي إلى انقطاع المددِ الإلهيِّ والعناية الإلهية، ممَّا يُؤدِّي بدوره إلى الفشل المحتمِّ، وإن الاستمرارَ في السير دون تعثرٍ لا يمكن إلا إذا استند السيرُ دائماً إلى البصيرة الواعية"<sup>(١٣٤)</sup>.

## النشاطات الأساسية في حركة وعمل فتح الله كُولَنْ

وبعد أن وقفنا على المبادئ الرئيسة في حركة وعمل فتح الله كُولَنْ،  
نلقي الآن نظرةً عابرةً على الديناميات الرئيسة فيها:

### أ. الإيثار

إن ثمة عنصرًا مهمًّا جدًّا في الحركة والعمل وفق ما يراه فتح الله كُولَنْ،  
ألا وهو الإيثار، ومعناه: تركُ ملذاتِ الحياةِ ومُتَعِبِها من أجلِ إحياءِ وإعاشةِ  
الآخرين، وما لم يكن هناك أشخاص مفعمةٌ قلوبُهُم بمشاعرِ التضحية  
والتطوُّع والإيثار ومجتمعٌ تتشكَّلُ غالبيُّتهُ من أفراد على هذا النحو؛ فلا  
يمكن أن يحيا وينبعثَ بالمعنى الحقيقيِّ من جديد مجتمعٌ أو أمة ما.  
ويقول فتح الله كُولَنْ:

"الشخص الذي لا يفكِّرُ إلا بنفسه، ولا يكثرُثُ إلا لها؛ فهو  
إما ليس بإنسان، أو هو مخلوقٌ ناقص، والطريق المؤدِّي إلى  
الإنسانية يمرُّ عبر تفكير الإنسان بالآخرين واستعداده إن اقتضى  
الأمر لإهمالِ نفسه في سبيل الآخرين".

ويتحدث عن أبعاد الإيثار المختلفة التي تؤدِّي جميعها إلى نتيجةٍ  
واحدةٍ فيقول:

- على الإنسان أن يتصرف تجاه أخطائه كمدَّعٍ عامٍّ، وتجاه أخطاء  
الآخرين كمحامٍ مدافعٍ.
- الإنسان الناضج والصدِّيقُ الصدوقُ هو الذي إذا خرج من النارِ  
أخرج معه غيره، وإذا دخل الجنةَ أدخل معه غيره.

- الإنسان الحقيقي هو الذي لا يَدْعُ إِنْاءَ الآخرين فارغاً عندما يملأُ إِنْاءَهُ، مهما كانت الظروف" (١٣٥).
- إن منزلة الإنسان عند الله تعالى تُقاسُ بِعُلُوِّ هِمَّتِهِ، وأبرزُ علاماتِ عُلُوِّ الهِمَّةِ هو تضحيةُ الإنسانِ بِمَنافِعِهِ وملذَّاتِهِ الشخصيةِ في سبيلِ سعادةِ الآخرين، ولا أدري إن كان هناك تضحية أكبر من قيام الإنسان بالدوس على كرامتِهِ وشرفِهِ في سبيلِ سلامةِ المجتمع؟ أو من كَظَمِ غَيْظَهُ بدلاً من إطلاقه زَبِيرَ الغضب؟ أو من وضع القيود على جميع رغباتِهِ الشخصيةِ فيما يتعلَّقُ بسعادته في كل مرَّةٍ من أجلِ إسعادِ الآخرين؟ قولوا برَبِّكم هل هناك تضحية أكبر من هذه التضحية؟ (١٣٦).

### ب. الحبُّ والأمل والرحمة

الحبُّ والأمل والرحمةُ كلُّ منها ذو مكانٍ خاصٍّ في الأدوات الرئيسة لحركة وعمل فتح الله كُولُنْ.

فالحبُّ وفقاً لـ "فتح الله كُولُنْ" هو النعمةُ الأولى التي تُكَيِّفُ الإنسانَ على الوجودِ، وأوَّلُ مَهْدٍ تَأرَّجَحُ فيه، ولن يُؤَسِّسَ عالمَ المستقبلِ المشرقِ السعيدِ إلا أبطالُ المحبَّةِ الذين سَمَّوا بالحب، فيقول:

"أبطال المحبة ترسِّم على شفاههم بِسَمَةِ المحبَّةِ، وتتعمَّرُ قلوبهم بنبضات المحبَّةِ، وتُرسلُ نظراتهم مشاعِرَ الإنسانيَّةِ والمحبَّةِ، وتفيضُ قَسَمَاتُهُم بالمحبَّةِ، ويرونَ في شروق الشمسِ وغروبها وفي بريق النجومِ وخفوتها رسائلَ محبة" (١٣٧).

(١٣٥) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٨٦.

(١٣٦) المصدر السابق، ص ١٧.

(١٣٧) المصدر السابق، ص ١٠٥.

وحسب فتح الله كُولَنْ لا يوجد شيء على وجه البسيطة يعجزُ الحبُّ عن التغلُّب عليه، فالحبُّ يسمو بالروح بقدرِ تمازُجها وتوحدُها معه، فيجهرُها لِمَا هو أسمى، ثم تشرعُ هذه الأرواح في تمكين ما شعرت به من أشياء أبدية وخالدة من السيطرة على القلوب جميعها، فتموت وتحيا في هذا السبيل؛ تنادي بـ"الحب" إذ تموت، وتنبعث بأنفاس الحبِّ إذ تحيا. ويقول كُولَنْ:

"لا سبيلَ إلى نضج الأرواح غير المُحِبَّة، ولا إلى ارتقائها إلى سماوات الإنسانية".

ويرى أن أمثال هؤلاء لن يتقدموا نحو النضج والاكتمال ولو قدر شعرة؛ حتى وإن عاشوا مئات السنين؛ فالصدور المحرومة من الحبِّ لا تُحبُّ أحداً لعجزها عن التخلُّص بأيِّ حالٍ من الأحوال من دوَّامات "الأنا" المظلمة، بل إنها تُقهَّر وتفنئ وهي لا تدري عن المحبة الكامنة في صدر الوجود شيئاً<sup>(١٣٨)</sup>.

ويرى فتح الله كُولَنْ أن أهمَّ ما يُميِّز القلبَ النابضَ بالإيمان هو أنه يحبُّ الحبَّ ويعادي العداوة، أما كُزُه الجميع والنفورُ منهم فهو تسليم القلب للشيطان أو أثرٌ من آثار الجنون، ويقول:

"عليك أن تُحبَّ الإنسان، وأن تعشق الإنسانية"<sup>(١٣٩)</sup>.

إن للرحمة والأملِ مكانتَيْنِ مهمَّتَيْنِ جدًّا في مفهوم الإسلام لدى كُولَنْ وفي حركته وعمله على حدِّ سواء، فكُولَنْ القائل:

"إن رأيتُ ورقةً سقطت من عُصنِها في الخريف؛ أَحْسَسْتُ بِأَلَمٍ وكَأَنَّ ذِرَاعِي قد بُيِّرَ".

(١٣٨) فتح الله كُولَنْ: سلسلة العصر والجيل-٣: نحو الجنة المفقودة، ص ١٠٤.

(١٣٩) فتح الله كُولَنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٠٥.

لا يستطيع نتيجة لهذا أن يتحمّل ذبول الأزهار التي في غُرْفَتِهِ، ولا جفاف أوراقها وتساقطها؛ فهو لا يترك في غرفته زهرة آلت إلى هذا الحال، ولا يتحمّل أن يُداسَ تحت الأقدام ويموت أي حيوان ولو كان نملة، إنه يرى أن الأرض انتظمت والسماء استوت بفضل الرحمة النازلة من عند الله، وأن كل شيء من عالم الذرات إلى عالم المجرات وصل في ظل الرحمة أيضاً إلى هذا التناغم ونظام العمل المتين، فكل شيء في هذا العالم يُفكّر وينطق رحمةً، ويعد بالرحمة، ولذا يمكن اعتباره سيمفونية من الرحمة المتناغمة، وعلى النحو الآتي يصف كُولُنْ الأرواح التعيسة التي تحكّم على الجوقة الساحرة الملغزة التي كوّنتها كل أنواع الشفقة والرحمة الموجودة في الكون، العاجزة عن الإحساس وإدراك أوسع الرحمات اللانهائية المحيطة بكل شيء... يشرع بوصفها فيقول:

"الإنسان أمام كل هذه الأحداث مسؤول ومطالب بأن يدرك هذه الرحمة الواسعة بشكلٍ "مركّز" مستخدماً شعوره وإرادته وإدراكه وفكره في ذلك، ويضيف إليها بأنفاسه نعمته الخاصة به، وهو مُكلّف بأن يزحم المجتمع الذي يعيش فيه والإنسانية جمعاء، بل وجميع الأحياء كذنين لهم عليه ويجب الوفاء به، إنه يسمو بقدر رحمته في هذا السبيل، كما يتدنى بقدر تردّيه في الغدير والظلم والجور، ويذل، فيصبح عاراً على الإنسانية"<sup>(١٤٠)</sup>.

أما الأمل بالنسبة لـ"كُولُنْ" فهو مسألة إيمانية بالدرجة الأولى، فالمؤمن أمل راجح، يُقاسُ أمله بقدر إيمانه، وبناءً عليه فقد يُظن البعض أن أشياء كثيرة تنتج عن الإيمان السليم أمراً خارقاً للعادة، والحقيقة أنه يمكن تحطّي المعايير البشرية حين يدخل الأمل والعزم والحزم قلباً عامراً

(١٤٠) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل - ١: العصر والجيل، مقال "المرحمة (Merhamet)"، ص ٦٩-٧٢، مجلة "بزنئي"، نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٨٠م).

بالإيمان، ومن لا يملكون حياةً قلبيةً بهذا المستوى يعتبرون هذا أمرًا خارقًا للعادة، ولا سيما أنّ الإنسان إن أحسن اختيارًا ما سيؤمّن به وعشيقه استحالةً تمامًا الحديث عن اليأس والتشاؤم والتّحسّ في عالمه الروحي.

الأمل بالنسبة لفتح الله كُولن عبارةٌ عن اكتشاف الإنسانِ روحه، وإدراكه ما فيها من سلطةٍ وقدرةٍ، فالإنسانُ بهذا الإدراكِ يتنقّل إلى القدرة المطلقة التي تفوق الكون، فيصِلُ بفضلها إلى قوّةٍ وطاقةٍ تستطيع أن تكفي لكلّ شيءٍ، وفي هذه الحالة تصبُحُ الذرّةُ شمسًا، والقطرةُ محيطًا، والجزءُ كلًّا والروحُ نفسًا من أنفاسِ الكون، والروح العاشقة لـ"اللون الناضر، والنور المضيء، والشمس الساطعة" يتنوّزُ ليُلهَا كُنُورِ الصباح، ويكون نهارها متباينَ الألوان كحدائق الجنان، فتتلاعبُ الشمسُ في آفاق أمثال هؤلاء الذين لا يعرفون الظلام، وتتوالى المواسمُ المتعاقبةُ مثل معارض ساحرةٍ خلّابةٍ لمناظرٍ مختلفة، هذه القلوب المرتبطة بالباقي السرمديّ والمفعمةُ بالأمل تأتي بكلِّ الثّمَارِ، وبما يُرجى منها صيفًا وشتاءً، ربيعًا وخريفًا<sup>(١٤١)</sup>.

### ج. التسامح والعفو

ويتمتّع التسامح والعفو -بمعنى "التصفيق للأخبار بسبب خيرهم وفضلهم، والتحلّي بالمرورة تجاه المؤمنين، واللين تجاه المنكرين إلى درجة تذوّب معها أحقادهم ونفوسهم، والتشبه دائمًا بالمسيح عليه السلام في سماحته وفي أنفاسه التي كانت تُحيي الموتى"<sup>(١٤٢)</sup>- بعمقٍ خاصٍ ومتميّزٍ في المصطلحات الخاصة بكولن، بالإضافة إلى أنّ دفع الإساءة بالإحسان، والتغاضي عن المعاملة الخسنة الفظة، وعلو النفس حتى أمام

(١٤١) فتح الله كُولن: سلسلة العصر والجيل-١: العصر والجيل، مقال "الأمل (Umit)"، ص ١٧، [مجلة "سيرتي"، ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٠م)].

(١٤٢) فتح الله كُولن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٢٠.

من لا يعرفون قواعد السلوك والأخلاق؛ كل ذلك من جملة شروط أو أبعاد التسامح والعفو الأخرى<sup>(١٤٣)</sup>.

وبينما يتحدث كُولُن عن تسامح ورأفة إنسان الحركة والعمل يستخدم عبارات مُلفتة جداً، فيقول:

- افتح صَدْرَكَ للجميع، افتحه أكثر ما تستطيع؛ ليكن كالبحر، فَلْتَمْتَلِيْ بِالْإِيْمَانِ وَبِمَحَبَّةِ الْإِنْسَانِ؛ فلا يبقينَّ خارجَ اهتمامِكِ أيُّ قلبٍ حزينٍ لم تَمُدِّيْ إِلَيْهِ يَدَكَ!...

- صَفِّقِيْ لِلْأَخْيَارِ بِسَبَبِ خَيْرِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، وكن ذا مروءة تجاه المؤمنين، وكن لِيَتْنَا تجاه المنكرين إلى درجة تذوب معها أحقادهم ونفورهم، وكن دائماً كالْمَسِيحِ ﷺ في سماحته وفي أنفاسه التي كانت تُحيي الموتى!

- لا تنسِ أَنْكَ وِراءَ مُرْشِدٍ كَبِيرٍ على علاقةٍ وثيقةٍ بالسماء يسيرُ على أفضلِ صراطٍ وأقومه ﷺ، لا تنسِ هذا، وفكر في الذين لا يملكون حظوة كهذه، وكن سَمْحًا منصفًا!

- ادفع السيئة التي هي أحسن، وإذا خاطبك الجاهلون فقل: "سلام"، إذ ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ (سورة الإسراء: ٨٤/١٧)، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٩٩/٧).

- أهم ما يميّز القلب الذي يجيش بالإيمان هو أنه يحب الحب ويُعادي العداوة، أما الذي يكره الجميع وينفر منهم فهو إما سَلَمٌ قلبه للشيطان أو هو شخصٌ مريضٌ، أما أنت فليكن شعارك هو حُبُّ الْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ!

- مع كلِّ حَذْرِكَ؛ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ بَيْنَ أَنْيَابِ نَفْسِكَ وَسَيَطْرَتِهَا ولو مرّةً واحدة، ولا تحكّما في أية قضية، ذلك لأنَّ الجميع

سواك - في نظر هذه النفس - متهُمون، وكلُّ من سواك مجرم سيء، وهذا الاعتقاد حسب قول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه يُسبِّب هلاكَ صاحبه، إذا فكن صارماً تجاه نفسك ولينَ الجانبِ تجاهَ الآخرين قدرَ استطاعتِكَ.

- اتَّخِذْ من معاملةِ الحقِّ تعالى لك مقياساً لكي تتصرَّفَ على ضوئه مع الناس، عند ذلك تكونُ مع الحقِّ وأنت مع الناس، وتتخلَّص بذلك من نوعي الوحشية.
- تستطيع أن تعرفَ منزلتَكَ لدى الخالقِ بمقدارِ المساحة التي أفردتها له في قلبك، وكما قال الحسن البصري: "إذا أردت أن تعرف مكانتك عند الله فانظر مكانة الله عندك"، وتستطيع معرفة منزلتَكَ لدى الناس بتقييم تصرفاتك تجاههم، لا تغفل عن الحق تعالى لحظة واحدة وكن بين الناس فرداً من الناس!
- وحمادى القول: إذا أردت أن تحفظَ منزلتَكَ ومحبتَكَ لدى الناس فعليك أن تُحبَّ للحقِّ وتكرهَ للحقِّ، وليكن قلبك مفتوحاً للحقِّ على الدوام" (١٤٤).

ويقول كُولُن: كما أن طلبَ العفوِ من الله ورجاءه والتحرُّرَ على الفُرسِ الضائعة أمرٌ قيِّمٌ ومهمٌّ نظراً لأنه يتعلَّقُ بالإدراك والوعي؛ فإنَّ عفوَ الإنسانِ عن أخيه الإنسان أكثرُ فضلاً وسمواً، فالعفوُ يعني الإصلاح، والعودةَ للجوهر، والعثورَ على الذات من جديد، ولأجل ذلك فإنَّ أحبَّ تصرُّفٍ إلى الله واسعِ الرحمة ما كان في إطار هذه العودة، ومن يعفُ فهو جديرٌ بالعفو، ومن لا يعرف العفوَ لا يُعفى عنه، ومن لم يعرف معنى العفوِ ولم يتلوَّ ولو مرةً واحدةً بسبب محاسبة النفس لن يستطيع أبداً إدراك الذوقِ السامي في العفوِ والصفح (١٤٥).

(١٤٤) فتح الله كُولُن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٩-٢١.

(١٤٥) فتح الله كُولُن: سلسلة العصر والجبل-١: العصر والجبل، مقال "التسامح" (Misamaha)، ص ٦٩-٧٢.

[مجلة "سبئي"، مارس/آذار (١٩٨٠م)].

### د. الصبر والثبات

وثمة بعدٌ آخر لا غنى عنه في الحركة والعمل في فكر فتح الله كُولُنْ ألا وهو الصبرُ والثباتُ، فهو يرى أن العثور على الحقيقة وعشقها كما أنه مهمٌّ فإن الصبر بعد العثور عليها والوفاء لها والثبات في تلك الطريق مهمٌّ بالقدرِ نفسِه، وهذا أمر خليقٌ بالوقوف عليه بحساسية واهتمام، ومن يتردّدون فينقضون عهدهم ووعودهم دائماً سوف يأتي عليهم يوم يفقدون فيه مشاعر الثقة بالنفس، وينصاعون رويداً رويداً لتأثير الآخرين، وإنّ مثل هذه الأرواح المفلوجة التي فقدت شخصياتها تماماً مع مرور الزمان لن تُحقّق لنفسها ولا لمجتمعها أيّ نفع<sup>(١٤٦)</sup>.

إن للصبر - من حيث ما يُصبرُ عليه في مفهوم كُولُنْ - مجموعة من الأبعاد منها:

- الصبر على أداء أوامر الله،
- والصبر على اجتناب ما نهى الله عنه،
- والصبر بمعنى عدم الاستعجال وعدم القنوط في مواجهة تصاريف الزمان والظروف،
- والصبر بمعنى الرضا بقضاء الله وقدره،
- ومن ثم تحمّل المصائب التي تقع دون تشكٍّ أو تظلم،
- والصبر بمعنى مقاومة مفاتن الدنيا وإغراءاتها<sup>(١٤٧)</sup>.

ويتناول فتح الله كُولُنْ أموراً أخرى أكثر اختلافاً ولا تُرى عند الكثيرين تساعدنا على التعرف على فهمه للإسلام والإنسانية والحركة والعمل فيما يتعلّق بالثبات والتحمّل، فهو يرى أنّ مَنْ أحبّ الحقّ وارتبط به لا يتردّد في ما يُنمُّ عن انعدام التجربة كأن يطلب في الدنيا أجرًا ما قدّمه من

(١٤٦) فتح الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٣٢.

(١٤٧) فتح الله كُولُنْ: التلال الزمرديّة نحو حياة القلب والروح، ص ١٦٥.

خدمات في سبيل الله، وأن يعتبر اهتمام العامة ثمرةً للعظمة والرفعة، وأن يستعظم نفسه، كما أنه ينبغي له ألا ينتظر تقديرًا ولا إجلالًا من أحد، وألا يقع في صغائر الأمور كأن يُمَنَّ بما يُقدِّمه من خدمات لأُمَّته، وبما يفعله من خيرات للآخرين؛ لأن هذا واجبٌ ووظيفة، وكل إنسان يقع تحت مسؤوليته الوفاء بهذه الوظيفة وهذا الواجب.

وبحسب كُولُن فإن الإنسان كما يمكن أن يواجه مجموعةً من الأمور الطيبة والإيجابية في مسيرة الحركة والعمل؛ يمكنه كذلك أن يتعرض لمجموعةٍ من السلبيات، وقد يكافأ دون أن يطلب؛ وقد يُعاقب، وربما يوبَّخ ويؤنَّب أيضًا، وعلى إنسان الحركة والعمل الحقيقي ألا يفرِّق بين المكافأة والعقاب، ولينظر إلى لطفِ الله وقهره على أنهما سواءً وسيان، علاوة على أنه يجب ألا يتحدث عمَّا فعله من خدمات، فإن نتج عنها مجموعة من النتائج الإيجابية فلا بد وأن يُرجعها إلى الله تعالى، ويراهن لطفًا إلهيًا ترتب على سعي وجهه أصدقائه.

ويقول كُولُن حول هذا:

"لا تحرك نوازع نفسك وغورها بحجة علمك أو عزة نفسك أو كرامتها، وإلا أفرحت أعداءك وأحزنت أصدقائك، فإن كانت لك مزايا فدعها تثمر سنابلها في العالم الآخر، ولتكن بطولات حياتك أناشيد أبدية تنشدها الملائكة" (١٤٨).

### هـ. الوفاء والولاء

الوفاء والولاء في فكر فتح الله كُولُن من أهم ديناميات وأدوات الحركة والعمل الصحيح، وللوفاء والولاء بُعدان اثنان؛ أحدهما: الثبات على العبودية لله تعالى، وعدم مبارحة بابه ولو للحظة واحدة، وطلب

رضاه طلبًا حثيثًا، والآخر: هو سَيْرُ الإنسانِ نحوَ الهَدَفِ الذي يَعِشُّهُ دونَ أنْ يَنْحَرِفَ أو يَضِلَّ الطريقَ، ويقولُ كُولُن:

"هناك من يُعْرِفُ الوفاءَ بأنه تلاحُمُ الإنسانِ وتكامله مع قلبه".

ويبين أنه يستحيل انتظار الوفاء ممّن لا يمتلكون حياةً قلبيةً روحيةً؛ إذ يرى أن كلَّ واحدٍ من مشاعر الحقد والكراهة والحسدِ سَمٌّ زعافٌ يقتلُ الوفاءَ، كما أن الصِدْقَ في الحديثِ والثباتَ على الوعدِ والوفاءَ بالقَسَمِ وتنفيذَ الوعدِ والعهدِ مرتبطٌ بحياة القلبِ فحسب، ويُضَيَّفُ كُولُنُ فيما يتعلّقُ بأهميّةِ الوفاءِ ما يأتي:

"يسمو الفردُ وَيَجْدُرُ بالثقةِ بفضلِ حبِّ الوفاءِ، فإن قام العُشُّ على حبِّ الوفاءِ استمرَّ، وظلَّ حيًّا نابضًا بالحياة، وتصلُّ الأُمَّةُ إلى الفضائلِ عن طريقِ هذا الحبِّ السامي الرفيع، وتستطيع الدولة الحفاظُ على مكانتها أمام مواطنيها بهذا الحبِّ فحسب، ويستحيل الحديثُ عن وجودِ فردٍ ناضجٍ وعُشٍّ يَشعُ أمنًا وأمانًا، ودولةٍ مستقرّةٍ آمنةٍ في بلدٍ فقد خُلِقَ الوفاءُ، بل إنَّ الشكَّ سيتسلَّلُ إلى النفوسِ، وستضطربُ البيوتُ وتزعزعُ في داخلها، وتُصبحُ الدولةُ أكثرَ نحسًا بالنسبة لمواطنيها، وينظرُ الكلُّ إلى الكلِّ باستغرابٍ.

وما يقتل حياةَ القلبِ، وبالتالي يُقوِّضُ مشاعرَ الوفاءِ والولاءِ هو فسادُ النفسِ الداخلي، وثمة علامةٌ مهمّةٌ على حدوثِ ضلالٍ في النفسِ تتمثلُ في تركِ الإنسانِ الأورادِ والأذكارِ، أي تركَهُ ما اعتاد على قراءتِهِ يوميًا من أدعيةٍ ومناجاةٍ وذكرٍ، وبالتالي فإنه لا بدَّ من المداومة على الأورادِ والأذكارِ، وتقويةِ الصِّلَةِ باللهِ، وتغذيةِ الأذهانِ بالعلمِ والحكمةِ، وتغذيةِ القلوبِ باليقينِ والقناعةِ دائميًا لِتَجَنُّبِ حدوثِ تعيُّرٍ في النفسِ، ومن ثمَّ الحفاظِ على الوفاءِ والصدقِ"<sup>(١٤٩)</sup>.

## و. تجديد الذات

إن "تجديد الذات" يتمتع بأهميّة خاصّة ومكانة فريدة في فكر فتح الله كولن وفي حركته وعمّله على حدّ سواء كما أسلفنا، فهو يرى تجديد الذات الشرط الأوّل للقدرة على البقاء والاستمرار، وأهمّ أسسه، كما يرى كذلك أن من يعجزون عن تجديد أنفسهم محكوم عليهم بالفناء والزوال إن عاجلاً أو آجلاً؛ حتى وإن كانوا أقوياء أشداء، فكلُّ شيءٍ يَظَلُّ حيّاً حين يجدّد نفسه؛ فيبقى ويدوم، وحيث تتوقّف عمليّة التجدّد يصير الشيءُ عُرضةً للتحلّل والاندثار والتفرّق كالجسد الذي تفرّقه الروح، ويقول كولن:

"ينبغي ألا يُخلط بين تجديد الذات وبين الانبهار بالحدائث والولع بكل شيء جديد، فأما الانبهار بالحدائث والولع بالتقاليع الجديدة فهو عبارة عن عمليّة طلاءٍ وجوه الحشود التي مُرّقت تماماً وإغلاق الشقوق فيها، وأما عمليّة التجدّد الحقيقيّة فهي عبارة عن حركةٍ وعملٍ إكساب المجتمع الخلود والبقاء بماء الحياة المنقول من نبع "الخضر" عليه السلام، إن التجدّد الحقيقيّ عبارة عن حماية صفاء الأصل والنوّة، وتكوين مزيج يجمع بين جميع القيم الموروثة منذ الماضي وحتى يومنا هذا، وبين نفحات الفكر والعرفان في الوقت الراهن، ومن ثم الوصول إلى فضاءات فكريّة أكثر بريقاً ونقاءً، وإلا فإن تميّز الحدائث من اللاحدائث والتفريق بين الحدائث والقِدَم من هيئة الثوب والعباءة إنما هو محض انخداع ليس إلا، وإنّ السعي لإظهار الأمر هكذا ليس إلا نوعاً من أنواع الخداع البصري والشعوذة السافرة، أما التجدّد الحقيقي فهو تقييم تطوّر العلوم وظهورها تقيماً جيّداً، وتوفير التقنية وتسخيرها إمكانيّات جديدةً لنا، وتسليط الموشور الشفاف الذي يحوزتنا على قلوبنا باطراد، إنه أن نُمخّص قناعاتنا وتصوراتنا وأفكارنا من

البداية ونضيف أشياء جديدةً يوميًّا إلى قرص العرفان في قلوبنا، ونُمَرِّز جميع الكائنات مرارًا وتكرارًا كل لحظةٍ من موشور الروح، و"ننَسِّط" الأذهان ونُرَوِّحُها به" (١٥٠).

### ز. الهمَّ الدائم

ومن أهم الديناميات في حركة وعمل فتح الله كُولُنْ الهمُّ الدائم؛ إذ يبدو كما يرى البعض وكأنه خميرة وجوده، فهو باعتباره نادرًا نفسه لعبودية الله ورضاه، وبالتالي لإبلاغ اسمه تعالى للجميع في هذا الإطار؛ وبالنظر إلى الغاية السامية التي تبناها وهي: أن يتحقق إيمان الناس جميعًا - إن أمكنَ وشاءت الإرادة الإلهية - كي يدخلوا الجنة ويتخلصوا من النار؛ وأن تظهر "الجنة المفقودة"، وأن يتكوّن عصرٌ ذهبيٌّ في آفاق الحياة الشخصية والاجتماعية للبشر، فيتحلّى الجميع بالفضائل ليعيشوا حياةً سعيدةً؛ إنّه باعتبار ذلك كلّ إنسان مهمومٌ، إنّه الشخصية التي خالطَ وجودها الهمُّ الدائم تمامًا، وكما يرى هذا الأمر ويشاهده من يعرفونه عن قُرْبٍ ولو معرفةً قليلةً؛ فإن النُّظَرَ ولو بشكلٍ عابرٍ في كتاباته، واستماع أحاديثه ولو عابرًا سيمكّن من رؤية حجم المكان الذي يحتلّه الهمُّ في حياته.

إن الهمَّ الذي لا ينقطع في رأي كُولُنْ هو السبيلُ الأمثل للوصول إلى الأهداف السامية وتحقيق النتائج العالية، وإن الهمَّ لِيُنَقِّي المسافر الذي يَنسُدُّ الحقيقة ويُصْفِيه من الذنوب؛ فيصفو به ويصل إلى جوهره تحت تأثيره، ولا يمكن الحديث عن النضج والتكامل مع الروح حيث لا يوجد الهمُّ؛ فالروح تبلغُ الكمالَ به، والقلبُ يكتشفُ بواسطته، والأرواح التي لم تتعرّض للمحنِ غرّة، والقلوبُ كذلك مهيضة الجناحين.

(١٥٠) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل - ٢: الإنسان في دوامة الأزمات، مقال "تجديد الذات (Kendini Yenileme)"، ص ٥٧-٥٨، [مجلة "سِرْنِي"، ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٢م)].

إن المحن تزيد وتضاعف قيمة وأجر العمل وما يُتحصّل عليه عبرها، أما ما نيل دون محنٍ ومعاناة فمثله مثل المال الموروث، فما جاء دون كدٍّ وجدٍّ؛ ذهب غير محزونٍ عليه ولا مأسوف، غير أن التضحية بالأرواح والأنفس تكون من أجل الحفاظ على الأشياء المكتسبة بالتعرضٍ لكثيرٍ من المعاناة والمحن... فإن تأسست أمةٌ وحضارةٌ تحت ريادة كبار المهمومين والملتحمين؛ كانت صحيحةً ومستقرةً تُبشّرُ بمستقبلٍ واعدٍ، وإن كان العكس بأن وُلدت وتطوّرت على أيدي من لم يبكٍ ولم يتألم ولم يعانٍ الألم ولو مرةً واحدةً في حياته فهي منحوسةٌ مرشحةٌ للضياع والزوال، ولا يُنتظر ولا يُتوقع أيُّ نوعٍ من التضحية والفداية من الأشخاص الخالين من المحن الذين لم يُعانوا الجوعَ والعطشَ في سبيل ما يملكونه من أشياء ولو مرةً واحدة، ولم يتعرضوا لما تقتضيه مرحلةٌ معينةٌ من هزاتٍ ومحن، ولا من الأنفس والأرواح الغرّة التي قضت عمرها في أدناسٍ وأقدارٍ المادّة والدّعة، كما أنه لا يمكن الحديث عن وجود حركةٍ وعملٍ صحيحين حيث لا يوجد الهمّ والتضحية<sup>(١٥)</sup>.

### ح. الاستغفار وسكب الدموع

يتبوأ الاستغفار والدموعُ مكانةً خاصّةً في حركة وعمل فتح الله كولن باعتبارِه إنساناً يؤمن بالإسلام بكلّ أبعاده ودقائقه، ويسعى إلى تطبيقه على المستوى القلبي والروحي بالدرجة الأولى، إذ يرى أن الدموع والدعاء والاستغفار تمثّل إلى جانب الهمّ؛ بضع كلماتٍ ملغزةٍ ومهمّةٍ تلخص حياة المؤمن المسؤول الواعي، فالمؤمن الواعي المدرك لإيمانه وإنسانيته ومعنى حياته ومسؤوليته ينسج حياته بهذه الكلمات، ويؤسّسها بناءً على معناها ومحتواها، فالمؤمن كأنه عبارةٌ عن حزنٍ وهمّ واستغفارٍ وبكاءٍ

(١٥١) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-٢: الإنسان في دوامة الأزمات، مقال "المحنة (Crisis)"، ص ١٤-١٦، مجلة "بزنسني"، يناير/كانون الثاني (١٩٨٢م).

ودعاء، وهكذا ينظر فتح الله كُولُنْ إلى الإسلام والإنسان ومعنى الإسلام والإنسانية من هذه النواذف.

إنه يرى الدموعَ عبارةً عن تجلّي رحمةِ الحقِّ تبارك وتعالى قطرةً قطرةً في عين الإنسان؛ فكلُّ قطرةٍ منها بمثابة قطرةٍ ندَى تحطُّ على تفتُّح زهرة اللحظة التي يتلاحمُ فيها القلبُ والحسُّ واللسانُ، وتتحدُّ وجهاً لوجهٍ، وتتداخل معاً؛ إنها عملية تنفيسٍ وتطهيرٍ للإنسان المخلصِ الصادق والأشخاص المتحرّقي الصدور والأكباد؛ إنها إذ تُهدئُ وتُسكِّنُ -ولو قليلاً- أَلَمَ نارِ العشقِ المتوهّجةِ التي لا تُحتمَلُ في الدنيا فهي الإكسير الوحيدُ الذي سَيُطْفِئُ لهيبَ جهنّم في الآخرة، ولذا تفقد الأقطار التي في آذان حُورِ الجنة قيمتها إذا ما وُضِعَتْ إلى جوارِ دموع العين<sup>(١٥٢)</sup>.

أما من ناحية الحركة والعمل بالنسبة للدموع فإن كُولُنْ يدعو الناس إلى البكاء قائلاً:

"أنتم يا من نسيتم البكاء طوال تاريخ كامل!

أيها المرخون، المُبْتَهِجُونَ الضاحكون على أحوالهم التي

تستدعي البكاء!

تعالوا الآن نقف عند هذا المأزق، فنهيّ بالبقاء حالة عدم الاكتراث التي نعيشها البالغة من الزمان قرناً؛ لِنَبِّك على جهلنا، ولنبيك على عدم معرفتنا بما فقَدناهُ! لنبيك على شخصيتنا التي استحالَتْ تمثالاً من العيوب، وعلى ضمور أحاسيسنا ومشاعرنا، وقلوبنا الفظّة الجِلْفَة الجافية! وَلِنَبِّك على أننا سنموت في هذا الوضع، وسنُبْعَثُ على ما مِثْنَا عليه، وأنا لن نستطيع العثورَ

(١٥٢) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل-١: العصر والجيل، مقال "العبرات (Gözyaşları)"، ص ٥٢-٥٦، مجلة "بیزنئِي"، سبتمبر/أيلول (١٩٧٩م)؛ سلسلة الفصول-٢، ص ٥٣-٥٤.

على مكان بين عظماء الماضي الذين سيمرُّون أفواجًا في أعظم المراسم، لِنَبِّكَ خوفًا من أن نكونَ مكبِّلين مقيدين في ذلك الامتحان العظيم، لِنَبِّكَ على تردينا وسقوطنا كَثْمَرَةٍ سَقَطَتْ من الغصنِ، وعلى انسحاقنا تحت الأقدام، وابتعادنا عن الرحمة...! لِنُحَلِّقْ عاليًا مثل الحمام، ولتأوّه في الأفاق تأوُّها يهزُّ السحاب التي كَوَّنَتْها الدموع، ثم لتنهجر تلك القطرات من مآقينا متحدِّرةً كالطرير فتطفئ لهيبنا، ولتطفئ نارنا! نار الحقد والكُره، نار الدنيا والآخرة كلها...

إلهي نسألك ونتوسَّل إليك: اللهم حرِّك عيوننا فتدمع! اللهم أبكنا على عدم إحساسنا بحسرة البعد عنك، اللهم أبكنا على نشوة القلب، واحتراقه بنار الأغيار حتى تتقدَّ الصدور؛ فنصدر عنها صرخة تجعل الملائكة والأفلاك من شدَّتها تُولول<sup>(١٥٣)</sup>.

ويورد كولن بعض الآيات مثالاً على مدى تقدير القرآن الكريم الدموع وامتداحه إياها، إذ يحذر القرآن الكريم بينما يمتدح المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (سورة الإسرائ: ١٧/١٠٧) ويدعو إلى البكاء من حاصرتهم ذنوبهم قائلاً: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة التوبة: ٨٢/٩). كما أن سيدنا رسول الله ﷺ يتضرع إلى الله تعالى ويستعيد به قائلاً: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَرْبَعِ"<sup>(١٥٤)</sup>، فالدموع الصادقة علامة من علامات الرقة والحساسية القلبية، فلا دموع ترى عند من تحجرت قلوبهم، وتعطلت وتبلدت مشاعرهم<sup>(١٥٥)</sup>.

(١٥٣) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-١: العصر والجيل، مقال "العبرات (Gözyaşları)"، ص ٥٢-٥٥،

[مجلة "ميزثي"، سبتمبر/أيلول (١٩٧٩م)].

(١٥٤) سنن الترمذي، الدعوات، ٧١.

(١٥٥) فتح الله كولن: سلسلة الفصول-٢، ص ٥٣-٥٤.

## عقباتُ أمامَ الحركةِ والفكرِ

وضعَ فتح الله كُولُنَّ المبادئَ اللازمةَ لحركةٍ وعملٍ صحِّيٍّ -وقفنا على قسمٍ منها آنفًا- وساقَها للنظرِ والدرسِ، كما لفتَ الانتباهَ إلى ما يعترضُ طريقَ مثلِ هذه الحركةِ والعملِ مِنْ عقباتٍ وما يواجهها من مخاطرٍ، وأكثرُ ما ركَّزَ عليه بينَ هذه العقباتِ والمخاطرِ ما يتخلَّلُ الطريقَ مِنْ حُفَرٍ وهاوياتٍ تستطيعُ ابتلاعَ الأفرادِ والمجتمعاتِ واحدًا تلو الآخرِ؛ كالاستسلامِ للمتعمِّجِ الجسديةِ، والولعِ بالشهرةِ والمنصبِ، والأنانيةِ، والإلْفُ والعادةِ، والتذبذبِ والغوصِ في الذنوبِ.

### أ. الولعُ بالشهرةِ والمنصبِ

يرى كُولُنَّ أَنَّ الإنسانَ لديه طباعٌ جميلةٌ تتمثَّلُ جوهرَ وبدورَ أشياءٍ جدُّ طيبةٍ كالفداءِ والصدقِ والإيثارِ والاستغناءِ مثلًا، كما توجدُ لديه -إلى جانبِ ذلك- أسسُ أشياءٍ سيئةٍ فُطِرَتْ لديه لمجموعةٍ من الفوائدِ والحكمِ النسبيةِ كالخصالِ السيئةِ التي تُشُلُّ الروحَ وتُميِّتُ القلبَ كحبِّ المنصبِ والتفكيرِ فيه، وحبِّ الشهرةِ مثلًا.

والصدقُ والإخلاصُ؛ أي القيامُ بالأعمالِ ابتغاءَ مرضاةِ الله فقط دونَ انتظارِ أي مقابلٍ هو روحُ العملِ وشرطُ قبوله؛ فالعاجزون عن تخليصِ أنفسهم من الخصالِ السيئةِ -الطبيعيِ وجودها عند الكلِّ تقريبًا مع اختلافِ نسبها- إن عجزوا عن السيطرةِ عليها بشكلٍ مشروعٍ فربَّما يلحقون أضرارًا كثيرةً بأنفسهم وبالمجتمعِ الذي يعيشون فيه أيضًا.

ويوضح كُولَنْ رأيه الموضوعي هذا بمثالٍ يقول فيه: لو أن أحدهم أراد استخدام عذوبة صوته وقدرته الموسيقية لتحقيق الشهرة والمال فَوَجَّه لأنواع أخرى غير ضارة كالاتهالات والقصائد بدلاً من "أن ينثُر الضبابَ والدخانَ حولَه" مصحوبًا بمعزوفات مستجھنة لكان ذلك هو الأنسب والأفضل.

ثم يصوغ كُولَنْ الحقيقةَ الأساسيةَ وما يجب أن يكون في صورة رجاءٍ ورجبةٍ قائلاً:

"يا ليت القلوب قنعت بما وهبها وسيهبها الله تعالى ويبحث دائماً عما يرضيه"<sup>(١٥٦)</sup>.

### ب. دُؤامةُ الأناية

أولاً: إن فَتَحَ اللهُ كُولَنْ يلفُتُ الانتباهَ بالعبارات الآتية إلى الوظيفة والماهية الأصلية لأناية الإنسان - أي فكرة ووعي الأنا وأناية الإنسان - قائلاً:

"إن أمانةَ الأناية المنعمة على الإنسان هدية مقدسة أُعطيت له كي يبحث عن الحقيقة الكبرى ويجدها... فيها يدرك الفردُ خالقَه، وقدرتهَ وعلمَه وإرادتهَ اللامحدودة، وأنه تعالى مبرُّاً من كلِّ نقص، ثم يُذِيها - أي أنايته - في لهبِ معرفةٍ وحبِّ الله المُتَّقَد في صدره، فلا ينظر ويرى إلا بالله... به يفكرُ وبه يعرفُ وبه يصل إلى المعرفة... وبه يتنفَّس أنفاس الحق".

إلا أن هذه الأمانة إن جُعِلت مصدرًا للعجب والغرور وحبِّ النفس فإنها تكبرُ وتتفخخ إلى أن تُصبح عفريتًا يبتلع صاحبه.

ويرى كُولُنْ أَنَّ استخدام الأناية استخدامًا سيئًا والعجب بالنفس يحولان دون رؤية الحقِّ وإدراكه، ويتسببان في عدم التقدُّم ولو خطوة واحدة في طريق الخلود، بل إنه البقاء في المكان نفسه مع عَصَبِ العينين. وَمَنْ يفكرون دائميًا وأبدًا لصالح الأناية لا يبرحونها ولا تَبْرَحُهُمْ، ومن يبحثون عما ينشدونه في مناخ "الأنا" المظلم لن يتقدّموا خطوة -ولو بقدر مَخِيطٍ- وإنْ قطعوا ما لا يُحصى من الفياضي والسهول، ومهما كانت الأعمال المنفّذة ثقيلة ومتعبة فإنها لا تُعدُّ فضيلةً ولا تحظى بالقبول الإلهي طالما كانت لصالح الأناية.

ويقول كُولُنْ:

"قد تنشأ الأناية من العلم أو الثروة والسلطة، أو تنبع من الذكاء، أو تتضحّج بالجمال، وغيره، ولما كان الإنسان لا دخل له في إيجاد هذه الصفات، فإنَّ أيَّ ادعاءٍ أناني يُعدُّ وسيلةً لِعَصَبِ حقِّ المالك الحقيقي وجلبِ سخطه، وتؤدي في النهاية إلى هلاك أرواح هؤلاء المغرورين".

ثم يحذر ويرسم لوحة الإنسانية الحقيقية هكذا:

- الرغبة في عرض النفس للآخرين والتحدّث عنها على الدوام ناتجة عن عقدة الشعور بالنقص، ويستمر هذا الوضع عند هؤلاء حتى تلقّيهم دروسًا جيّدة في تربية النفس والروح يصلون بها إلى فداء وجودهم لصاحب المُلْكِ الحقِّ، فكلُّ أمر من أمورهم تفوح منه رائحة الأناية وحبّ المظاهر، وكلُّ مظهر من مظاهر تواضعهم إما خداعٌ ورياء، وإما محاولة لدفع الآخرين للحديث عنه...
- إنَّ ارتفاع أي شخص إلى مرتبة الإنسانية لا يكون إلا بتواضعه، ولا يظهر هذا التواضع ولا يتوضح إلا عندما يعجزُ المنصبُ والجاهُ

والشهرة والعلم - الأمور التي يُقدَّرُها العوامُ - عن تغييره، فإن استطاع واحدٌ من هذه الأمور تغييرَ سلوكه أو تفكيره تعدَّرَ الحديث عن أيِّ تواضع، وعن أيِّ ارتفاعٍ إلى المستوى اللائق بالإنسان.

• يكاد يكون التواضع مفتاحًا لجميع السجايا الحميدة، ومن يملكه يستطيع امتلاك السجايا الحميدة الأخرى، ومن يُحرِّمهُ يُحرِّم - على الأكثر - من السجايا الحميدة الأخرى<sup>(١٥٧)</sup>.

### ج. حُبُّ الدعة

يصفُ فتح الله كُولَنْ حُبَّ الدعة بأنه "حُبُّ الجسد"، ويرى في كثير من المواضع أنه السببُ الأهمُّ في تحلُّل الإنسان وزواله، فيقول:

"كما تأسن المياه التي فقدت حركتها وركدت، كذلك يكون الذبول والضياع مصير الكسالى الذين تركوا أنفسهم للتراخي والركود، وإن الرغبة في الراحة والخمود هي إنذارٌ بالموت وباكورة الإشارات إليه، ولكن الشخص الذي انقاد لمشاعره وأحاسيسه فقط وانشغل بها لا يفهم هذه الإشارة ولا يسمع هذا الإنذار، ولا يستفيد من نصائح أصدقائه وتحذيراتهم..."<sup>(١٥٨)</sup>.

ويحدِّرُ من أن الكسلَ والانقياد للراحة والدعة من أهم أسباب الذلِّ والحرمان، وأن الأرواح التي أَلَّتْ بأنفسها في أحضان الكسل سيأتيها يومٌ تضطرُّ فيه إلى التذلُّل للآخرين كي تحصل على مستلزمات المعيشية الضرورية، ويرى أنه إذا ما أضفنا إلى حُبِّ الراحة والارتخاء التوهُع بالزوجة والأولاد صار التراجع عن حِطِّ الخدمة والنضال أمرًا لا مفرَّ منه.

ويسعى تاركو منهج الخدمة والنضال إلى الدفاع عن أنفسهم، وانتقاد رفاقهم في الخدمة متذرعين بحجج مختلفة متأثرين في

(١٥٧) فتح الله كُولَنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٤٤.

(١٥٨) المصدر السابق، ص ٢٤.

ذلك بالحالة الروحية لما ارتكبه من خطأ، هؤلاء الذين أصاب الشللُ إرادتهم وعزيمتهم يؤثرون تأثيراً سلبياً خطيراً على الجسارة والقوة الروحية للمُحيطين بهم، وأمثال هؤلاء لا يستطيعون العودة إلى رُشدِهم أبداً ما لم يعترفوا بأخطائهم وعيوبهم بكلِّ صدقٍ وإخلاصٍ<sup>(١٥٩)</sup>.

#### د. التناقضات

وبعد أن يلفت فتح الله كُولُن الانتباه إلى "أمراض" تودي بصحة الحركة والعمل يحرك مكوّن الفكر بين الأقطاب الإيجابية والسلبية بالنسبة للحركة والعمل ونضج الإنسان، فيقول:

- كيف يمكنك الوصول إلى نقاء في الفكر وفي الأحاسيس، وكيف يمكنك تنمية ملكاتك الإنسانية وقابلياتك لكي تكون من الرابنيين دون أن تتملّص من الشهوات الجسمانية والشهوات البهيمية وتعلن عصيانك لها وتمردك عليها؟
- إن كنت ترغب في الوصول إلى "التوحيد" في حياتك القلبية وتذوّق اللذائذ الروحية والغرق فيها... كيف يتسنى لك هذا وداخلك يغصّ بتراقص آلاف الرغبات والأهواء؟ وكيف يُتاح لك هذا وأنت طوعُ أمرٍ رغباتك الجسدية في كل مُنعطف؟!
- إن كنت تعتمزُ الانطلاق إلى الأعالي، والسمو إلى عوالم وراء هذه السماوات... إن كنت تتمنى هذا فكيف يليق بك التعلّق بأحوال هذه الدنيا كطفلٍ ساذج؟
- أنت تنتظر على الدوام فجراً جديداً يُطلُّ على أفقك، ولكن كيف يمكن ذلك دون أن تُزيّن قلبك بالمثُل السامية، ودون أن تستعيد

مكانك وموضعك القديم، ودون أن تكون صرخةً تُدوي في مسامع الدنيا...!".

- إنك تريد إيجاد حلول للمشاكل المزمنة المتراكمة منذ عصور وعصور... لكن إن لم تتحلّ بالأمل، أو إن لم تملك عزيمةً على الانتظار سنوات وعصورًا فكيف يمكنك فعل ذلك؟!
- إن كنت تروم عيش حياة الروح والقلب، وإن كنت تصبو إلى التسامي في مشاعرك وعواطفك... إن كنت تبغي هذا وذاك فكيف تحصل عليهما دون أن تتحلّى بصبرٍ وعزيمةٍ لا تنفد؟!
- أنت ترى نفسك دون أيّ نقص أو قصور، وتريد من الآخرين أن يروا هذا الرأي أيضًا... ولكن أنى لك ذلك وأنت تحمل على ظهرك ألفَ إثم كلِّ يوم! وكيف يمكن هذا وتصرفاتك في المجتمع تنم عن تناقضات عديدة؟<sup>(١٦٠)</sup>.

## فتح الله كُولُنْ مُرَبِّياً

إنَّ حركةَ وعملَ فتح الله كُولُنْ كُلَّهُ تمكنَ معالجته وتناوله في إطار مفهوم التعليم بأوسع معانيه؛ إذ يرى أنَّ العنصرَ البشريَّ يكمنُ في جذور جميع المشاكل التي نواجهها على وجه الأرض، أي إنَّ المشاكلَ كُلَّها تبدأ بالإنسان، وتنتهي به أيضاً، والتعليم هو أكثر الوسائل تأثيراً وفاعليَّةً سواء بالنسبة للنظام الاجتماعي ولأي نظام مجتمعي يسير على نحو جيد أو متعطل عن السير أو به خلل بسيط، أو بالنسبة للقبر وما بعده؛ ومن هنا فكما أنَّ مهنة التعليم والمعلم أقدس المهين، فإنَّ أفضلَ وأنفعَ خدمةٍ تُقدَّم لأية أمة أو بلدٍ هي تلك التي تُنجز عن طريق التعليم<sup>(١٦١)</sup>.

### أهمية التعليم والتربية

يرى فتح الله كُولُنْ أنَّ الحياة الحقيقية بالنسبة للإنسان تتحقَّق بالعلم والعرفان؛ لذا فإنَّ من يُهمَلونَ التعلُّمَ والتعليمَ هم في عدادِ الموتى وإن كانوا على قيد الحياة؛ ذلك لأنَّ الغايةَ من خلقِ الإنسانِ هي النظرُ والتأمُّلُ وتحصيلُهُ المعرفة ونقلُهُ ما تعلَّمَهُ إلى الآخرين، ومن ثَمَّ فإنَّ قراراته الصائبة والدقيقة تكون بقدر ارتباطه وعلاقته بالعقل والمنطق، وهما لا يصلان إلى النور والوضوح، بل وإلى الكمال إلا بالعلم والمعرفة، لذا فمتى ما خلا موضعُ من العلم والمعرفة ترى فيه العقل عاطلاً والمنطق خادعاً والقرارات خاطئة، ولا تظهر إنسانية الإنسان واضحةً إلا عند محاولته

(١٦١) "خلوصي نُوزُغُوْت (Hulusi Turgut): فتح الله كُولُنْ والمدارس (Fethullah Gülen ve Okullar)، صحيفة "يُني يُوْزُيْل (Yeni Yüzyıl)" التركية، ١ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م).

التعلّم ثم تعليم غيره وتنويره، ومَنْ لا يحاول التعلّم -مع كلّ جهله- ولا يرغب فيه، ولا يجدّد نفسه بما تعلّمه، ولا يكون قدوةً لغيره؛ هو إنسانٌ شكلاً لا جوهرًا؛ فما أعجب أمره... والمنصبُ والمقامُ المُكتسَبُ بالعلم والمعرفة أسمى وأدوم من المناصب والمقامات المُكتسَبة بالطرق الأخرى؛ ذلك لأن العلم يُعيدُ صاحبه في الدنيا عن السوء ويجعله من أرباب الفضائل، كما يجعله من أصحاب السعادة في الدار الآخرة بما يحصل عليه من منصب ومرتبة لم يكن يتخيلهما، لأن القلوب الخالية من الحقيقة، والأرواح الخالية من المعرفة بمثابة بيئةٍ صالحة لنمو شتى الأفكار الضارة<sup>(١٦٢)</sup>.

ويرفع فتح الله كولن من شأن العملية التعليمية المتمثلة في التعلّم والتعليم لدرجة أنه يرى التعلّم والتعليم والتربية وظيفةً ساميةً ترتقي إلى السماء؛ حيث تتكشف الجدارة والكفاءة الكامنة في روح الإنسان وتظهرُ عبر الوفاء بتلك الوظيفة التي تُعتَبَرُ تجليًا لصفة الربوبيّة الخاصة بالله تعالى في حياة الإنسان، ومن ثمّ تصبح بمثابة هدية للمجتمع، ومن العبث البحث عن صفة "الاجتماعية" عند إنسانٍ لم يمرّ من مصفأة التربية والتعليم؛ فلم تتطوّر لديه الصفات الإنسانية والخصائص الرفيعة<sup>(١٦٣)</sup>.

ويرى كولن أن التعليم والتربية أكثر المسائل المصيرية التي ينبغي للأفراد والمجتمعات على حدٍ سواء أن تقفَ وتركزَ عليها؛ إذ تُقاسُ إنسانية الفرد بقدر بُعد مشاعره وأحاسيسه عن الأشياء السلبية، وربما يدرك الجميع الجانب التربوي الخاصّ بالبدن لكن مَنْ يستطيعون فهم

(١٦٢) فتح الله كولن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٠-١١.

(١٦٣) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-١: العصر والجيل، مقال "نظامنا التعليمي (Bizim Maarifimiz)"،

"نيل يايُنلري (Nil Yayinlari)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ١١٧، [مجلة "ميزنئي"، أكتوبر/تشرين الأول (١٩٧٩م)].

التربية الفكرية والحسية والروحية التي تسمو بالإنسان إلى الإنسانية الحققة فعلاً هم نزرٌ جدٌ يسير.

ثانياً: إن إصلاح الأمم لا يكون بالقضاء على الشرور، بل عن طريق السموِّ بالأجيال إلى الإنسانية عبر تربيةٍ تدورُ في فلكِ الحقائق الثابتة والقيَمِ الدينية، وما لم تُبذر في كلِّ ربوعِ الوطنِ تلك البذرةُ المقدَّسة المكوَّنة من خليطٍ من الوعي التاريخي والمثالي والديني وعشق خدمة الإنسانية والأعرافِ فلسوف تنبت مجدداً فسائلٌ من الشرور والمفاسد التي كان قد قُضيَ عليها<sup>(١٦٤)</sup>.

"إن الأمم تبقى وتعيش بالأجيال الجديدة، وكل أمة ترغب في ضمان مستقبلها ينبغي لها أن تنفق على تنشئة وتربية الأطفال والشباب -الذين يمثلون رجال المستقبل العظماء- بعض إمكانياتها من طاقةٍ ووقتٍ كالتي تنفقها هنا وهناك، لذا فإنَّ الأمم التي تُهملُ أبناءها، وتركهم فريسةً للانهايار والسقوط في أيدي الأعراب القاسية محكومٌ عليها أن تفقد جوهرها وذاتيتها، والراغبون في التكهنِ بمستقبل إحدى الأمم إن نظروا إلى ما يلقاهُ أبناء تلك الأمة وشبابه من تربيةٍ حاليةٍ فإنَّ تكهناتهم وأحكامهم المستقبلية تصدقُ وتُصيبُ كبدَ الحقيقة، وبالتالي فإن ما يجبُ بذله لرفقي الأجيال وسموها إلى سماء الإنسانية سيظلُّ مصدرًا لا ينضبُ من الخير"<sup>(١٦٥)</sup>.

ويدرس كَوْلُنْ قضيةَ التربية والتعليم على مستوى الدولة والشارع والإعلام؛ فيرى أن كلَّ واحد من أفراد الأمة يؤثر على الآخر بدرجة معيَّنة كما يتأثر به إذ يستقي بعض الأشياء منه، وتأثير مثل هذه الأعراف والشارع والإعلام والأوساط القريبة والبعيدة يحتلُّ مكانةً مهمَّةً في النشأة

(١٦٤) فتح الله كَوْلُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٧٧.

(١٦٥) المصدر السابق، ص ٨٣.

والتربية؛ فكما يتمتع ربُّ الأسرة بتأثيرٍ ونفوذٍ قويٍّ بين أفراد أسرته، يتمتع المسؤولون عن إدارة الأمة بتأثيرٍ ونفوذٍ معينين بين مختلف قطاعات المجتمع وأفراده، وارتقاء أمةٍ إلى أعلى نقطةٍ تستطيع السموُّ إليها بقدر استعدادها وقدرتها وقيامها بوظيفتها على الوجه الأكمل أمرٌ وثيق الصلة بفكر أفرادها وتصوراتهم وثقافتهم، وخطُّ حُكَّامها وبصيرتهم وتطوعهم وتضحيتهم.

وينظر كُولُنُّ إلى التربية والتعليم من زاويةٍ أخرى؛ فيرى أن ما يميِّزُ الإنسانَ عن غيره من الموجودات هو أنه جاء الدنيا وكأنه يرجو غيره أن يُعلِّمه شيئاً ويرشده إلى الصواب حيثُ هو بدعوة التربية والتعليم، بينما يُرسلُ الحيوانُ إلى الدنيا وكأنه تكامل في عالم آخر فيتعلم في ساعتين أو يومين أو شهرين كلَّ ظروف الحياة وقوانينها وعلاقته بالكون، ومن ثمَّ يكون صاحب ملكة وفطرة خاصة به، ففوة الإنسان الحياتية يكتسبها في عشرين سنة، بينما القدرة على العمل والفعل يكتسبها حيوانٌ كالعصفور أو النحلة في عشرين يوماً، والأصحُّ أنه يُلهِمُها في هذه الفترة الزمنية، وهذا يعني أن وظيفة الحيوان الأصلية ليست التكامل بطريق التعلُّم، ولا الترقِّي باكتساب المعرفة (الصناعة والمهنة)، وليست الدعاء القوليَّ وطلب المَدَدِ مُظهِراً عجزه؛ بل على العكس من ذلك إنَّ مُهمَّته هي العملُ وفقاً لملكاته وقدراته وعبادة الله تعالى فعلياً.

أما الإنسان فيلجُ الدنيا جاهلاً بقوانينها محتاجاً إلى تعلُّم كلِّ شيء فيها، حتى إنَّه لا يستطيع أن يتعلَّم ظروفَ الحياة وأحوالها في عشرين سنة؛ بل يستمرُّ يتعلَّمها ربما طيلة حياته؛ فهو يُرسلُ إلى الدنيا في غاية الضعف والعجز؛ فما يقوى على الوقوف على قدميه إلا في مدة تتراوح بين سنة وستين، وما يستطيع التفرقة بين الضار والنافع إلا في أرض

خمس عشرة سنة، وما يستطيع تحصيل المنافع ودفع الشرور إلا بمساعدة المجتمع كله...

وهو ما يعني أن وظيفة الإنسان -الذي يحلُّ بدار الضيافة المؤقتة هذه حاملاً في داخله أنقى الفِطْرِ وأطهرها- هي الاستقامة في الفكر والخيال والعقيدة والوصول إلى النقاء والصفاء، والوفاء بمسؤوليات العبودية، وإعمال القلب والروح، والتعاقب مع عالم اللدُنْ المليء بالأسرار، وإدراك سرِّ الوجود<sup>(١٦٦)</sup>.

### المدرسة والمعلم

يخصّص فتح الله كَوْلُنْ مكاناً خاصاً للمدرسة والمعلم بشأن قضية التربية والتعليم؛ فهو يرى المدرسة بيئةً تعليميةً وتربوية يُعلَّم فيها كلُّ مقتضيات الحياة الدنيا وما بعدها، والحقيقة أن الحياة ذاتها مدرسة، ومع ذلك فإننا نتعلّمها؛ أي الحياة في ظل المدرسة ومحيطها.

فالمدرسة ترسل حُرَمَ أشعة العرفان على الحوادث المصيرية الحياتية فتتربها، وتمنح طلابها قدرةً على إدراك بيئتهم وفهمها، كما تفتح في الوقت ذاته السبيلَ أمامهم -بالسرعة القصوى- للتعرف على الأشياء والحوادث، وترقى بالإنسان إلى الكمال الفكري والاستقامة في الفكر، وتدفعه في أثناء الكثرة وغمرتها إلى الأحديّة.

والمدرسة الجيدة بمثابة خيمة ملائكية تكشف مشاعر الفضيلة لدى الفرد، وتكسب طلابها السمو الروحي، وكما أن المدرسة هي المكان الذي تكتسب فيه الحياة المناسبة من كلِّ حذبٍ وصوبٍ هويةً وسمّةً خاصة بها؛ فهي أيضاً أهم مكان وبيئة تعليمية يأخذ فيها الطفل شكله الحقيقي، ويصل إلى أسرار ذاته.

ويعتقد فتح الله كُولُن أَنَّ المدرسة والعملية التربوية والتعليمية التي تجري فيها تَشْمَلُ الحياة بكلِّ تفاصيلها، ووفقًا له أيضًا؛ فإنَّ الطالب الملتحق بالمدرسة يُكْرِرُ طيلة حياته ما حصَّله في المدرسة من دروس، كما أن المهاراتِ والعلومَ المستحصلةَ في المدرسةِ والمعزَّوةَ إلى الذاتِ تُمثِّلُ دليلًا بالنسبة لصاحبها يرشده في الطرق المؤدية إلى الفضيلة، ومفتاحًا سحرًا يفتح له الأبواب الموصدة.

ويولي فتح الله كُولُن المعلمَ أكبرَ قيمةٍ وتقديرٍ في المجتمع؛ فهو يرى أَنَّ المدرَّسَ مرشدٌ ودليلٌ محترمٌ يُشكِّلُ الكيانَ العاليي للمدرسة التي تشبه المعبد من ناحية ما، والحياةَ كُلِّها منذ الميلاد وحتى الموت من ناحية أخرى؛ فيقول:

"يستحيل أن يكون ثمة مخلوقٌ ثانٍ على وجه الأرض يساوي هذا المخلوقَ الساميَّ المتبلورة فيه أنفاسُ الملائكة، الذي يَزُوذُ أمته في إطار القدر، ويُعلي من أخلاقها وسماتها، ويغرس فيها الوعي والشعور بالخلود والأبدية".

كما يرى كُولُن أَنَّ المعلمَ أكثرُ تأثيرًا على الفرد من الأب والأم والمجتمع؛ فهو الذي يعملُ في المدرسة بمثابة خيمةٍ ملائكيةٍ تضمُّ الحبوبَ النقيَّةَ الطاهرةَ في ثنايا تربتها، ثمَّ يتعهدها بالحماية اللازمة، وكما أن وظيفته هي الانشغال والاهتمام بالجدِّ وبغيره من الناس في هذه البيئة؛ فإنَّه يقع على عاتقه هو أيضًا عبءٌ توجيههم وتحديدِ الهدف لهم في مواجهة الحياة والأحداث؛ ذلك أنَّ المدرَّسَ الذي يؤثِّرُ في قلب الطالب تأثيرًا يتباين يوميًا، وينقش في ذهنه خطوطًا بألوانٍ شتى لا يتمحي بفضل دروسه وتصرفاته هو معلِّمٌ ومرَبٌ لا يُعوَّضُ، ولا يتحقَّقُ تقديمُ نماذجٍ جيدةٍ هاديةٍ ومربيةٍ للطالب إلا بمُعَلِّمٍ ينضجُ وجهه بالحقيقة، ذي نظراتٍ عميقة لأبعد الحدود، وكلُّ شيءٍ يمنحه تلاميذه يتدفَّقُ من ثنايا القلب.

ويقول فتح الله كَوْلُنْ:

"إن مجتمعًا بدويًا عثر على معلمه سَمًا كما تسمو الملائكة،  
وارتقى إلى درجة المعلم لأكبر الحضارات والدول في العالم".

ويؤكد على أنه ليس هناك مصنع على الإطلاق يعمل ويؤثر بشكل  
مُمنهج ومنظم مثلما يعمل ويؤثر المعلم، وأنَّ عمليّة نقلِ أطيافِ كلِّ  
المشاعر والأحاسيس في لحظةٍ واحدةٍ إلى مئاتٍ من البشر أمامه  
وتحويلهم في كيانهم وذاتهم لمخلوقٍ ثانٍ أمرٌ لم يتيسر لأبي شخص  
سوى للمعلم<sup>(١٦٧)</sup>.

ويتطرق كذلك إلى الدروس الواجب تدريسها في المدرسة وما  
يجب إكسابه للطلاب فيها؛ فيرى أنَّ المعلومة تعني قيمة خاصّة في ذاتها،  
غير أنَّ المعلومة التي تجعل من الطالب مجردَ حَمَالٍ للمعلومات تمثّل  
حَمَلًا ووبالاً على عاتقِ ذلك الطالب ليس إلا، ومن هذه الناحية فإن  
كلَّ ما يُتعلّم ويُعلّم لا بُدَّ وأن يكون موجِّدًا للشخصية الإنسانية ومُوجِّهًا  
لاكتشاف العلاقة الدقيقة الحساسة بين العالم الداخلي من جانبِ الأشياء  
والحوادث من الجانب الآخر، بل الأمرُ أكثر من ذلك؛ إذ يجب أن يكون  
كلُّ جزءٍ خاص بالشيء المُتعلّم بمثابة سند سليم للتطبيق، ودعامة أساسها  
الوصول إلى تركيبات جديدة، بالإضافة إلى ذلك يقول كَوْلُنْ:

- الكتب التي تدرس في مرحلة الطفولة ومرحلة الدراسة؛ شعراً  
كانت أو نثرًا، لا بد وأن تمنح الفكر قوّة، والروح متانّة وصلابةً،  
والأمل والعزيمة نورًا وضياءً؛ حتى تتمكن من تنشئة أجيال قوية  
الإرادة، سليمة الفكر.

(١٦٧) فتح الله كَوْلُنْ: سلسلة العصر والجبل - ١: العصر والجبل، ص ١٢١.

- العلم يُعزى ويُملَك للذات في المدرسة، وفي ظلّه يتجاوز الإنسان أبعاد العالم المادي الفاسي الذي يعيشه، ومن ثمّ يكاد يصل إلى أسرار الخلود، وكلُّ نوع من أنواع التذكير والتحفيظ لا يعبُد الفكر بالتؤوير والروح بالتحليق في الأفاق هو مبرّد يؤدي إلى تآكل الذات، وضربة تنال من الفؤاد.

- المعلومة غير الموجهة لحلّ الأسرار الكامنة بين الأشياء وبين شخصيتنا لا تُضيف للطالب ولا تُكسبه أيّ جديدٍ أو مفيدٍ فيما يتعلّق بالعالم الخارجي واندماجه وتوحيده معه.

- إن التعلّم العاري عن الضوابط والمعايير والنظام أخطر من عدم التعلّم نظرًا للنتائج السلبية المترتبة على ذلك، فمن الضروريّ التركيز والاهتمام بالأمر التي تدفع الإنسان إلى التكامل والاندماج مع الكون، وهذه النقطة هي أولى مراحل الفكر، وأقوى علامة ومؤشّر على روح التعلّم وجدّيته.

بعد ذلك يحدّد فتح الله كولن الخطوط العامة لبرنامج جيّد من أجل العملية التربوية والتعليمية فيقول:

- "لا بدّ من تعليم الطفل في أولى مراحل الدراسة بالمدرسة اللغة أولاً، والمثاليّة والدين والأخلاق وبناء الشخصية، ثم تأتي بعد ذلك الشخصية الاجتماعية التي تنبني على كلّ تلك الأسس، ولا بدّ أن تُوضَع في الحُسبان ظروف ذلك العصر الذي يعيش فيه، وأن يكون مجدّدًا في العلوم، وبمعنى أصحّ: لا بدّ أن يُوصَل عبر انبعاثٍ مستمرّ إلى فهم متجدّد ونضيرٍ دائميّ، ثم يُدرّب -انطلاقًا من هذه النقطة- على قضايا مثل الفن والتجارة والزراعة والعلم والتقنية، ويُكَيّف عليها واحدةً تلو أخرى، وقدرة أيّ مجتمع على مواصلة البقاء والتناغم الدائم مرهونٌ -إلى جانب هذه الأمور- بجهدِهِ وسعيهِ كي يتبوأ مكانه في التوازن العالمي بين الدول".

وفيما يتعلّق بأداب التعامل مع الطالب أوردَ فتح الله كُولُنْ تحليلاتٍ مطوّلةً، يشترط فيها معرفة الطالب معرفةً جيّدة بكل جوانبه في العملية التعليمية التربوية التي ستُدار في المدرسة، والتدرّج في هذه العملية دون عجلة، ويؤكد على ضرورة ضبط الجرعة التي ستقدّم للطالب في هذا الإطار ضبطاً جيّداً، والصبر والثبات في نقل هذه الأمور إليه، وعدم اليأس والقنوط بدعوى أن أثر الإرشاد والتربية لا يظهر عليه، ولا بدّ من الاهتمام والعناية بمخاطبة العقل مثل مخاطبة القلب والأحاسيس، وكذلك الأخيرين مثل مخاطبة القلب، وكذلك إشباع العقل والقلب والروح جميعاً في عمليّة التربية والتنشئة، ينبغي العمل لأجل القضاء على عيوب الطالب عبر نصائح عامة دون التصريح بعيوبه في وجهه، أو إفشائها أمام الآخرين، فإذا أخفق في أمرٍ فليكن الحديث معه على انفراد تامّ ولنتهمّ به على نحوٍ خاص، وفي مكانٍ خاص، وكل شيء طيّب يُراد تلقينه وتعليمه للطالب لا بدّ وأن يُجسّده أبطالُ هذا العمل، والفتية الذين تصدّوا لكل أنواع الشرور والبلايا وقاوموها وكافحوها... يجب تجهيز قلب الطالب بالمثل العليا وتزويده بها، والحفاظ على قيم الحب والخوف والتوازن في العملية التأديبية، وثمة مبدأ آخر ربما هو الأهم من كلّ ذلك؛ ألا وهو ضرورة أن يكون المعلم بنفسه وبمنهجه في الحياة مثلاً ونموذجاً - في الوقت ذاته - لجميع أوجه الجمال والخير والحسن التي يلقنها الطالب ويثبثها فيه، ومن ثمّ يجعله يتقبّله بفضل ما يملكه من معرفة ومعلومات في كل موضوع ومسألة.

إن المدرسة - التي رسم فتح الله كُولُنْ لوحتها بسماتها وخصائصها الداخلية والخارجية عندما قال: "مدرسة مفتوحة على الآفاق، تحتضن الإنسان بكل جوانبه وتستكشفه، وكأنها خيمة ملائكية" - هي المعمل أو المختبر الذي يُصهر الإنسان فيه؛ فيظهر جوهره الحقيقي، ويصبح ذهباً

خالصاً؛ فيستنير عقله بالعلوم والفنون، ويتحلّى قلبه بالإيمان والأخلاق وأنقى الصفات، والمُعَلِّمُ الذي يشحذُ هِمَّةَ الطالبِ في ضوء عقلٍ وقلبٍ على هذا النحوِ هو الأستاذُ الحقيقيُّ المباركُ في هذا المختبرِ العجيبِ الذي يُصهَرُ فيه أملُ المستقبلِ وضمانه وهو الأجيال<sup>(١٦٨)</sup>.

### المدارس التركية المنتشرة في العالم

إنَّ أولَ ما يتبادرُ إلى الذهن عند الحديث عن فتح الله كُولُنُ والتربية في اليومِ الراهنِ هو تلكِ المدارس التي افتتحتها رجال الأعمال الأتراك في تركيا وخارجها، وتجاوز عددها الآن أكثر من ألفي مدرسة.

فقد أخذَ بعين الاعتبارِ بعضُ رجالِ الأعمالِ الأتراكِ توصياتِ فتح الله كُولُنُ الشفهيةِ والكتابيةِ بشأنِ إنشاءِ المدارسِ الخاصةِ، وسعوا لتطبيقها، وحين حَقَّقَتِ بضعةُ مدارسٍ افتتحوها في تركيا نجاحاً حقيقياً حاول آخرون غيرهم القيام بالأمر نفسه في أماكن أخرى، وراح هذا النظامُ ينتشرُ على وجه الأرض كله؛ وتأتي في مقدمة ذلكِ الجمهوريات التركية التي نالت استقلالها بانتهاء الستار الحديدي (الاتحاد السوفيتي).

وقد أوصى كُولُنُ وشجَّع صراحةً على هذا الانتشار في كلِّ المحافل بما في ذلك منابر المساجد، وكسببٍ لذلك فقد أشار أولاً إلى ما يتمتع به التعليم الصحيِّ السليم من أهمية عالمية بالنسبة للجميع، وأنَّ طريق الخدمة من أجل تحقيق رضا الله بخدمة الناس يتأتى من هذا بالدرجة الأولى، وله مقال مطوّل كتبه في هذا الموضوع إلى مجلة "تركيا الجديدة (Yeni Türkiye)"<sup>(١٦٩)</sup>، ركّز فيه كُولُنُ على أكثر احتياجات البشرية اليوم، وأوجز تلك الأمور على النحو الآتي:

(١٦٨) فتح الله كُولُنُ: سلسلة العصر والجيل - ١: العصر والجيل، مقال "نظامنا التعليمي (Bizim Maarifimiz)"، ص ١١٦.

(١٦٩) العدد ١٥، (١٩٩٧م)، ص ٦٨٥-٦٩٢.

"إن حركات الإصلاح والنهضة والحركات العلمية والاكتشافات الجغرافية، كُلُّها على حدِّ سواء، يكْمُنُ في جوهرها توفيرُ الاحتياجات المادية، ولأن تلك الحركات تطوَّرت رَدًّا على الكنيسة والفلسفة المدرسية (السكولائية) المسيحية التي مثلتها الكنيسة في العصور الوسطى؛ فقد نشأ صراع بين العلم والدين، وظهر العزوف عن الدين، ثم ظهرت المادّية والشيوعية، أما في الجغرافية الاجتماعية فكانت الحركة الاستعمارية التي طوقت العالم بأسره، وصراعات المصالح المتواصلة، ثم الحُرْبَانِ العالميّان (الأولى والثانية) والتكتلات التي تشكَّلت هي أبرزُ سماتِ تاريخ تلك الحقبة الزمنية الأخيرة لفتًا للنظر.

وإلى جانب أن الصراع بين الدين والعلم هو أكثر ما شغَلَ أوساط المثقِّمين والنخبة الغربية في العصور الأخيرة تأثرًا بهذه العوامل المذكورة آنفًا؛ فقد كانت "حركة التنوير" التي بدأت في القرن الثامن عشر ترى الإنسان مجرد عقل، بينما "الوضعية" والمادّية" اللتان أعقبتهما تزيّانهن مجرد مادّة أو جسد؛ ولذلك فقد توالى الأزمات المعنوية والروحية على وجه الخصوص في الغرب؛ ومن ثمَّ فإنَّ القول: إنَّ هذه الأزمات الروحية والاستياء المعنويّ لتمثّل أكثر العناصر إذكاءً لصراعات المصالح التي شملت العالم بأسره في القرن المنصرم، وبلغت الذرى في أثناء الحرب العالمية الثانية - إنَّ قول ذلك - لن يكون نوعًا من المبالغة على الإطلاق.

وإنني لأعتقد أن لدينا بعض القيم الأساسية في هذه النقطة يمكننا تقديمها إلى الإنسانية بصفة عامة وإلى الغرب - بصفة خاصة - الذي تربطنا به علاقات متجدّرة من الناحية الاقتصادية، وبالتالي من الناحية الاجتماعية، بل والعسكرية؛ باعتبارنا نمتلك تاريخًا متميزًا، ونظامًا عقديًا حافظًا على أصالته، ويأتي في مقدمة

هذه الأشياء التي نستطيع تقديمها مفهومنا للإنسانية، ونظرتنا للإنسان.

وهذه النظرة في الأساس خاصّة بنا نحن؛ أي إنها ليست نظرة ذاتية غير موضوعية؛ إنها النظرة الأكثر موضوعية التي تكشف عن حقيقة الإنسان. أجل، وكما سيعترف به الجميع، فإنّ الإنسان ك مخلوق ليس جسداً فحسب، ولا عقلاً ومحاكمةً عقليةً فحسب، ولا أحاسيس فحسب، ولا روحاً فحسب، إنه كلّ في ذاته؛ أي إنّهُ موجود مركّبٌ بجسده المتألّوي في شبكة كثيرٍ من الاحتياجات، وعقله الأشد احتياجاً من جسده حيث يجمع عليه آلام الماضي ومخاوف المستقبل، ويدفعه للبحث عن إجابةٍ لأسئلة: "من أنا؟ وما ماهية هذه الدنيا؟ وماذا تريد مني الحياة والموت؟ من أرسلني إلى الدنيا، ولأنيّ هدف؟ إلى أين أذهب؟ وما هدف هذه الحياة؟ من مُرشدني في رحلة الدنيا هذه؟"، وأحاسيسه التي تبحث عن الطمأنينة أكثر مما يبحث عنه العقل، وروحه التي تمنحُه هويتها الإنسانية... وهكذا فإنّ الإنسان الذي تدورُ حوله كلّ الأنظمة والجهود يستطيع الوصول إلى السعادة الحقيقية إنْ دُرِسَ وقيّم ك موجود مركب بكلّ جوانبه هذه، ووفّرت كل احتياجاته، وهكذا فإنّ ترقّيه الحقيقي في هذا الصدد، وتكامله بصفته مخلوقاً؛ لا يُمكن أن يتحقّق إلّا من خلال التعليم فحسب".

إن فتح الله كولن المتطرّق إلى أهميّة التعليم على هذا النحو يعتقد أن إنساننا لديه الكثير من الأشياء التي يمكن أن يقدّمها للعالم، ويعبرُ على النحو الآتي عن العامل والعنصر الدافع الداعم للحملة التعليمية التي بدأت في تركيا أولاً، وانتشرت في آسيا بعدها، ثم العالم أجمع فيقول:

"يقول "سانت مارتين": إن الثمار كلّما نضجت تصبّ في الغرب، فجدع الشجرة في آسيا، والنع المتفجّر من الشرق يفيض أنهاراً وأنهاراً باتجاه الغرب كي يُذهب ظمأً كلّ الموجودات".

ولست أدري إن كان في تثبيت وتقييم هذا الغربي الذي يفوح  
اعتراضاً نوعاً من المبالغة أم لا! كما أنني لا أنتوي التفريق بين الشرق  
والغرب أيضاً، إلا أنه ما من شكٍ ألبتة في أنه توجد في بلدنا  
مُرَشِّحات العقل والمحكمة العقلية التي ستُصَفِّي وتقي مشاعرنا  
النابعة مما نشعر به من فراق وشوق في أعماق كياننا نحو  
آسيا الثاوية فيها جذورنا، وعند الدخول في هذه الأمور تتبين  
ضرورة التصرف في إطار إدراك النطاق الاقتصادي والاجتماعي  
والسياسي لذلك العصر والعصر الذي نعيشه، ويتم هذا عبر  
توحيد العقل والذهن، والمادة والمعنى على أفضل وجه وأتوبه،  
والأحاسيس والمنطق مع العقل بدلاً من تلك المشاعر التي لا  
تلامس أقدامها الأرض، ومن ثم التصرف التام في سياق الحكمة.  
وفي إطار هذا الفهم الأساسي حاولت توجيه بعض أوجه  
حسن الظن بشخصي لصالح خدمة البلد والدولة والأمة، ودعوة  
شعبنا لإعانة الدولة في عملية التربية والتنشئة البشرية عبر افتتاح  
المدارس، فلا تتحقق هزيمة الجهل إلا بالتعليم، ولا هزيمة الفقر  
إلا بالعمل والثراء، ولا التغلب على التشرذم والانقسامات الداخلية  
إلا بالتوحد والحوار والتسامح، ولكن كل أنواع المشكلات  
ترجع إلى الإنسان في نهاية المطاف.

أجل، إن جميع المشكلات على وجه البسيطة تبدأ بالإنسان  
وتنتهي به؛ ولذلك فالتعليم هو أكثر الوسائل تأثيراً وفاعلياً سواء  
بالنسبة لنظام مجتمعي سائر على نحو جيد أو متعطل عن السير،  
أو به خلل بسيط، أو بالنسبة للقبر وما بعده.

وثمة مسألة أخرى تتعلق بهذا الموضوع؛ وهي أن ثمة عبارة  
منتشرة بين الشعب تقول: "لا غنى لجارٍ عن جاره"؛ فإن لم يكن  
لديكم ما يحتاجه الآخرون فلن يهتم بكم أحد، ومن ثم فيجب أن  
يكون عطاؤنا للبشرية أكثر من أخذنا منها، واليوم فإن المؤسسات

التعليمية التي بثتها ونشرتها وأسستها في كل أرجاء الدنيا في نشوة وسعادة عظيمة أوقاف وشركات قطاعات كثيرة من شعبنا قد مثلها كثير من المؤسسات الخيرية، تحظى بالقبول في كل مكان، وبالرغم من الصعوبات العظيمة التي تواجهها من حيث الإمكانيات المادية فقد صارت تتسابق مع مثيلاتها الغربية في فترة زمنية قصيرة، بل إنها تفوقت عليها، ولا بد أن هذا دليل على استحالة إنكار ما ذهب إليه".

وبعد هذه التحليلات يجيب كولن عن سؤال: "لماذا آسيا أولاً؟" إجابة موجزة على النحو الآتي:

"لقد تفتت الكتلة السوفيتية، ونالت الدول التي كانت ضمن هذا التكتل وصرنا اليوم نسميها "الجمهوريات التركية"<sup>(١٧٠)</sup> - استقلالها واحدة تلو الأخرى، وكان من الممكن أن تكون هذه البلاد الشقيقة الواقعة في آسيا أول مكان يجب أن تساعده وتسانده بلادنا التي تحتاج، وبشكل طبيعي، إلى تحالفات خارجية كي تحافظ على وجودها في عالم يتقلص، بل والأكثر من ذلك كي تتمكن من أن تتبوأ المكان المُشرف اللائق بها في التوزانات الدولية والأممية، وقد كان كبار رجال دولتنا ممن على رأس الدولة آنذاك يشيرون إلى تلك الجهة؛ فنحن بحاجة إلى جماعات ضغط للحصول على دعم الدول الكبرى في التعريف ببلدنا، وحل كثير من مشاكلنا العالمية، وندفع لهذه الجماعات الضاغطة مبالغ مالية لا يُستهان بها، وبدلاً من هذا فإن تكوين تحالفات طبيعية والتفافنا بيئتها يُشكلها الأصدقاء وليس الأعداء - كما هو الحال اليوم على المستوى القريب والبعيد - سيكون لصالح بلدنا قطعاً، علاوة على أنه يمكننا التواصل مع تلك البلاد بكل راحة

(١٧٠) يُطلق مصطلح "الجمهوريات التركية" على دول آسيا الوسطى والقوقاز التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي عام (١٩٩١م)، وهي: أذربيجان وأوزباكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وتركمانستان. (المترجم)

من الناحية الاقتصادية، ولا شكَّ أنَّ دخول مؤسسات القطاع الحكومي ولا سيما القطاع الخاص هذه البلاد بسرعة سيكون وسيلةً لكثير من الخير بالنسبة لنا ولتلك البلاد على حدِّ سواء، أما كان حرياً بدولتنا أن تُنجزَ وتُسهِمَ في كل هذه الأمور؟ إنني أترك تقدير ذلك لأهل الإنصاف.

وكمسألةٍ أخرى في هذا فإنَّ آسيا هي موطننا الأصلي، ونحن نُدْرِسُ لأبنائنا منذ سنوات عديدة في كتب التاريخ ودروسه أننا انتشرنا بالعالم انطلاقاً من آسيا؛ هاجرنا أفواجا إثر أفواج منها إلى هذا الجانب، واتجهنا نحو الغرب دائماً... كما كانت آسيا القناة التي سَقَّتْنا الإسلام ماءً عذباً زلالاً، وإن إعادة هذه الهجرة التاريخية التي تحرَّكت من آسيا متَّجهة إلى هذا الجانب قبل عشرة قرون من الزمان -إنَّ إعادتها- بواسطة فدائتي المحبة الجُدد المكوِّنين من المعلمين ورجال الأعمال وأبطال التربية والتعليم إلى حيث أتت يعني الوفاءً بدينٍ مستحقَّ الوفاء، وكي نكتسب في هذه المسيرة التاريخية والاجتماعية وضعَ المُحاورِ القويِّ في مواجهة الغرب الذي لم تقبله بأية حال رغم محاولتنا التكامل والاندماج معه منذ التنظيمات وحتى اليوم، والذي طُرَدنا واستُقلنا فيه لتورُعنا عن إبراز شخصيتنا وهويِّتنا الأصيلة أمامه والكشف عنها، وكي تجري علاقتنا وتدور في إطار الدول المتكافئة بحيث تكونُ أنفع بالنسبة لهم أنفسهم أيضاً... كل ذلك مرتبطٌ بأن تكون أسس وجودنا في آسيا سليمة تماماً، وإننا حين ننفصم عن آسيا التي هي ديار أجدادنا نُصبح بلا جذور، وبالتالي نصبح كشجرة حُكِمَ عليها بالجفاف والانهيار المدوِّي على الأرض".

#### أ. نظرةٌ عابرةٌ على الانفتاح التربوي في الخارج

إن أهل الأناضول الذين شجَّعهم وحثَّهم فتح الله كَوْلُنْ بهذه الأفكار والمشاعر شرعوا في القيام بحملة تعليمية في آسيا أولاً، ثم في العالم

تاليًا؛ وذلك بفضل بعض رجال الأعمال الذين أفرزهم الأناضول من داخله، وقد دعم هذه التعبئة دعمًا قويًا رئيس الجمهورية "طُوزْغُتْ أُوْزَالُ" (*Turgut Özal*)<sup>(١٧١)</sup> على وجه الخصوص، وكذلك "سليمان دَمِيرَالُ" (*Süleyman Demirel*)<sup>(١٧٢)</sup> بعض الشيء أيضًا؛ فقد أسهم رئيسا الجمهورية هذان بفضل ما خطّاه من رسائل إلى رؤساء وقادة العديد من الدول والجمهوريات في انفراج ما كان يظهر من أزمات أحيانًا، وقد مهدت هذه الحملة التعليمية السبيل لمبادرات اقتصادية لصالح رجال الأعمال الأتراك، والحقيقة أن هذه المبادرات لم تتحقق بالمستوى الذي تحققت به الحملة التعليمية؛ فتصرفت تركيا ببطءٍ وقلقٍ أكثر من دول أخرى عديدة؛ فتخلفت عن ركاب غيرها في هذا الميدان، ومع هذا فقد كان المكسب الأساسي يصبُّ في صالح تركيا أيضًا على حدِّ قول الإعلامي "جَنَكُ قُورَايُ" (*Cenk Koray*):

"حين نالت كازاخستان استقلالها هُرعت إليها الدول الأجنبية؛ فسيطر الكوريون على صناعة النحاس، والأمريكيون على صناعة النفط، وتصدّر الألمان في مجال البنوك، وعلى حين سارع كل واحدٍ من هؤلاء إلى الثروات والموارد الطبيعية هناك اهتمَّ الأستاذ فتح الله بأهم مصدر فيها: ألا وهو الإنسان؛ فالنحاس ينفد يومًا ما، لكن الإنسان هو عنصر الاستثمار الأثمن والأعلى.

(١٧١) طُوزْغُتْ أُوْزَالُ (١٩٢٧-١٩٩٣م): سياسي تركي، هو الرئيس الثامن لتركيا حيث تولى رئاستها في التاسع من نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٨٩م) حتى تاريخ وفاته في السابع عشر من أبريل/نيسان (١٩٩٣م)، وكان قبلها قد تولى رئاسة الوزراء بالفترة من الثالث عشر من ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٣م) إلى الحادي والثلاثين من أكتوبر/تشرين الأول (١٩٨٩م). (المترجم)

(١٧٢) سليمان دَمِيرَالُ (١٩٢٤-٢٠١٥م): هو سياسي تركي ورئيس تركيا التاسع من (١٩٩٣م) إلى (٢٠٠٠م)، وقبل ذلك شغل منصب رئيس الوزراء لخمس مرات من سنة (١٩٦٥م) إلى (١٩٩٣م)، وكان زعيم "حزب العدالة" من سنة (١٩٦٤م) إلى (١٩٨٠م)، ورئيس "الحزب الديمقراطي" من (١٩٨٧م) إلى (١٩٩٣م). (المترجم)

فإنَّ هذا الاستثمار الذي توفَّر لصالح شعب آسيا بهذه الطريقة حَقَّقَ رواجًا وقبولًا حقيقيًّا؛ فقد حظيت المدارس -بخلاف بعض الاستثناءات المحدودة- بمعاملةٍ خاصَّةٍ وقبولٍ واستحسانٍ من جانب حكومات وشعوب البلاد التي أنشئت فيها، فمن ذلك على سبيل المثال أن "صابر (صفر) مراد نيازوف" رئيس دولة تركمانستان أرسل عندما خُرِجَت المدارس المفتحة هناك أوَّلَ دفعةٍ من طلابها رسالةً عبَّرَ فيها عن شكره وتقديره الشخصي لتركيا دولةً وشعبًا<sup>(١٧٣)</sup>.

ومثال آخر على ذلك أنه تمَّ تخصيصُ قسمٍ من مبنى قيادة الأكاديمية الحربية للمدرسة التي افتتحت في "تيرانا" عاصمة ألبانيا، وهذا تعبيرٌ مهمٌّ جدًّا عن الثقة المتوفرة تجاه المدرسة والدعم المُقدَّم لها في الوقت نفسه، علاوةً على هذا فإن "رجب مَيْدَانِي" -الذي أُنْتُخِبَ فيما بعد رئيسًا للجمهورية في ألبانيا- عمِلَ مدرِّسًا للفيزياء في تلك المدرسة.

وأما "فرائي طينج (Ferai Tinç)" الكاتبة في صحيفة "حُرِّيَّتْ (Hürriyet)" فقد زارت المدرسة التركية الروسية في "موسكو"، ونقلت أن السيد "كوزنتسوف (Kuznetsov)" -مساعد رئيس لجنة التعليم الحكومي في "موسكو" آنذاك- قال عن هذه المدرسة بكلِّ نشوة وامتنان:

"إنَّ هذه المدرسة ثمرةٌ حبِّ أناسٍ يتبادلون المحبة فيما بينهم ويرغبون في تنشئة جيل جديد من المواطنين في كلِّ من تركيا وروسيا"<sup>(١٧٤)</sup>.

ويمكن التعرفُ على أسبابِ نيلِ هذه المدارس هذا القدرَ من القبول والاستحسان من خلال مراجعة آراءِ زوّارها من الصحفيين والكتّاب:

(١٧٣) صحيفة "أقسام (Akşam)" التركية، ١٦ مايو/أيار (١٩٩٧م).

(١٧٤) صحيفة "حُرِّيَّتْ (Hürriyet)" التركية، ١٩ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م).

### ب. عوامل نجاح المدارس

هذه المدارس تُقدِّم تعليمًا وتربيةً في غاية الحُسْنِ والجودة، وقد ثبت هذا الأمر بحصولها على أعلى الدرجات وأرفع القلادات والأوسمة خلالَ حقبةٍ زمنيةٍ قصيرةٍ، وذلك عن طريق المسابقات العلمية في شتى بقاع العالم، ناهيك عن التحاق خريجيها كلهم تقريبًا بالجامعات، ووفقًا لرأي الصحفي "خلوصي طُورُغُتْ" (*Hulusi Turgut*) الذي نُشِرَ سلسلةً من المقالات حول تلك المدارس استمرت ثلاثة أسابيع في صحيفة "القرن الجديد" (*Yeni Yüzyıl*) ما بين ١٥ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م) - ٤ فبراير/شباط (١٩٩٨م) فقد نافست هذه المدارس -وما تزال- مثيلاتها في تركيا في مجال المسابقات العلمية، ونظرًا لنجاحاتها فإنَّ الملحقيات والبعثات الأجنبية في الدول التي توجد بها قد فضَّلَتها لأبنائها بصفةٍ عامة.

وقد أجرى "بِكِيمُ أَغَايِي" (*Bekim Agai*) الباحث التربوي المقدوني المعروف عالميًا وداخليًا في ألمانيا، وأحد أفراد المجموعة البحثية التابعة لوقف "ولكس واجن" (*Volkswagen*) الألماني دراسةً دكتوراه حول هذه المدارس، وقد قال ما نصَّه:

"لقد أحسِنَ تجهيزُ هذه المدارس إحسانًا، وهي تُقدِّم تربيةً وتعليمًا يَبْزُ أيُّ مدرسةٍ أخرى في المنطقة، وتُلْمَسُ نتائج هذا في صورة نجاحٍ عظيمٍ جدًّا في الإطار المحلي، بل والعالمِي أيضًا".

وهذه المدارس لا تكتفي بتقديم تعليمٍ عالي المستوى فحسب، بل إنها -علاوةً على ذلك- تقدِّم تربيةً في غاية الرقيِّ والجودة، ويعبَّر "بِكِيم" عن هذا بقوله:

"إنهم كما يُعلِّمون طلابهم العلوم التطبيقية فإنهم إلى جانب ذلك يُربُّونهم ويؤدبونهم بأدبٍ رفيعٍ ليكونوا أناسًا نافعين للآخرين".

وبذلك يبدأ البناء الأسري يتأسس من جديد بعد أن بدا منهازًا في أماكن كثيرة، وفي ظلِّ هؤلاء الطلاب المداومين على تلك المدارس تُلملمُ كثيرٌ من العائلات المتفرقة شملها من جديد، ووفقًا لما سجّله "جَنكُ قُوراي":

"فإنهم يُنْسئُون الطلاب ويربّونهم على خصالٍ كادت تنمحي من بلدنا مثل: احترام الكبير، ومحبة الصغير، والتسامح والصبر والخير والاستقامة"<sup>(١٧٥)</sup>.

وعلى حين يتحدث الصحفي "علي بايرام أوغلو (Ali Bayramoğlu)" عن انطباعاته المتعلقة بتلك المدارس يقول: "إنها أحدثت تغييرًا أخلاقيًا لدى الأطفال، وغرست في الطلاب احترامًا رائعًا يعتمد على القيم التقليدية"، ويضيف أنه أحسَّ بتكوّن نظامٍ خالصٍ بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ جدًّا<sup>(١٧٦)</sup>. وبينما يؤكد "خلوصي طورغُت" في سلسلة مقالاته حول المدارس أن طلابها أقلعوا عن التدخين والكحوليات؛ ينقل "محمد ألتان (Mehmet Altan)" أيضًا ما قالته سيدتان من أولياء الأمور في "موسكو":

"نرسل أطفالنا إلى هذه المدارس لأنها تُدرّس باللغة الإنجليزية، ولا تُدخّنُ فيها السجائر"<sup>(١٧٧)</sup>.

والخاصية الأخرى الأهم التي تميّز هذه المدارس ومثيلاتها في تركيا عن غيرها من المؤسسات التعليمية ولا توجد بهذا القدر على الأقل عند غيرها أنها تُسكّلُ وفاقًا وسلامًا اجتماعيًا ومناخًا من التسامح والطمأنينة حيث وجدت، وهي السمة البارزة التي تتطرّق إليها بالدرجة الأولى

(١٧٥) صحيفة "أقشام (Akşam)" التركية، ١٦ مايو/أيار (١٩٩٧م).

(١٧٦) صحيفة "يني يوزيل (Yeni Yuzyl)" التركية، ٢ نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٩٧م).

(١٧٧) صحيفة "صباح (Sabah)" التركية، ٢٢ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م).

كُلُّ مَنْ "نَوَال سَوِينْدِي" (*Newval Sevindi*)<sup>(١٧٨)</sup> و"نَازَلِي إِيْلِيَجَاقْ" (*Nazli Ilıcak*)<sup>(١٧٩)</sup> مثلاً، أمَّا "محمد ألتان" الذي زار بعضًا من تلك المدارس في روسيا فيركز على النقطة نفسها قائلاً:

"تعجز أزمات المرحلة الانتقالية أن تتسلل إلى هذه المدارس؛ فطقوس الحبِّ والاحترام هي السائدة فيها، والعوائل تعلمُ أينَ وكيفَ يعيش أطفالها، وهم مسرورن من هذا".

أما "بكيمة أغائي" فيؤكد على أن المدارس ما هي إلا واحاتٍ استقرارٍ وسلامٍ.

والتائج التي توصل إليها كُلُّ مَنْ "جَنَّتْ أَنْعِينِ دَمِيرِ" (*Cennet Engin Demir*)<sup>(١٨٠)</sup> و"عائشة بالجي" (*Ayşe Balcı*)<sup>(١٨١)</sup> اللتين أجرتا دراسة حول المدارس الموجودة في "تركمانستان" و"قيرغيزستان" تحت إشراف أ. د. "فُوسُونُ أَفُوقُ" (*Fusun Akkok*)<sup>(١٨٢)</sup> بقسم العلوم التربوية بكلية التربية في "جامعة الشرق الأوسط للعلوم التقنية" (*ODTÜ*)<sup>(١٨٣)</sup> وذلك عبر لقاءات مباشرة مع الطلاب والمدرسين وأولياء الأمور فإنها لم تكن مختلفة عن ذلك؛ فهم -أي أولياء الأمور- أيضًا يذكرون أن الأسباب الرئيسة في تسجيلهم أبناءهم بتلك المدارس تتمثل في نشأة الطلاب مُتَحَلِّينَ بالأخلاق، صادقين، منظمين ومجتهدين، يحسنون معاملة أبويهم وأصدقائهم إلى جانب نجاح تلك المدارس وتفوقها في تعليم اللغات والعلوم الطبيعية والحاسوب<sup>(١٨٤)</sup>.

وثمة شأنٌ آخر يجب التأكيد عليه فيما يتعلّق بالمدارس هو أن المدرّسين تربويون جيّدون وفدائيون في الوقت ذاته، وهذه نقطة مهمّة

(١٧٨) "عبد الله أرغون" (*Ergün*): "فتح الله كولن في مرآة الإعلام" (*Medya Aynasında Fethullah Gülen*)، "مُزَكُّورُ يَأِينْلَرِي" (*Merkür Yayınları*)، إسطنبول (١٩٩٩م)، (باللغة التركية)، ص ٣١٦-٣١٧ نقلًا عن صحيفة "يَني يُوْزُيْلُ" (*Yeni Yüzyıl*) التركية.

(١٧٩) صحيفة "أقسام" (*Akşam*) التركية، ٢٥ مارس/آذار (١٩٩٧م).

(١٨٠) [http://literacyonline.org/products/ili/webdocs/carlf\\_dem.html](http://literacyonline.org/products/ili/webdocs/carlf_dem.html)

جدًّا لفتت انتباه جميع المراقبين، وأكدوا عليها بصفة خاصة، وتبيّن كل من "جنت أنغين ديمير" و"عائشة بالجي" أن المدرسين والإداريين أقاموا علاقات طيبة جدًّا بين المدرسة وبين أولياء الأمور، وأن أولياء الأمور مسرورون جدًّا من هذا الأمر، علاوةً على أن المدرسين يُساعدون طلابهم دومًا، ويتصرفون بإيجابية شديدة تجاه أولياء الأمور، وبلغت الباحثة الاقتصادي "مصطفى أوزل" (*Mustafa Özel*) كذلك الانتباه إلى هذه النقطة التي تحظى بالمرتبة الأولى في انطباعاته فيقول:

"تتراوح أعمار المدرسين الأتراك ما بين ٢٠-٢٥ عامًا؛ فكلهم شبابٌ ومثاليّة، يفهم من كلّ أحوالهم أنهم قصّروا يومهم على تربية طلابهم وتعليمهم، أما روايتهم الشهرية فكانت مقصورة على قدر احتياجاتهم الضرورية، أي إنَّ ما يدفعهم لهذا العمل ليس المقابل المادي، بل الفكرة المثالية"<sup>(١٨)</sup>.

وتوضح "بُرْنَا توراُم" (*Berna Turam*) "من جامعة ماكجيل" (*McGill*) الأمريكية أن المدارس التي ارتبط ذكرها ب"كُولُنْ" تهدف إلى بناء جسور بين الدّين والمؤسسات العلمانية في إطار مشروع المجتمع المدني، كما تذكرُ أن كُولُنْ يضطلع بدورٍ مهمّ في تكوّن المجتمع المدني في تركيا وانضمامه إلى المجتمع الدولي، ثم تضيف قائلةً:

"إن المقررات الدراسية المعتمدة فيها لا تقدم الإسلام وتركيا على ما سواهما؛ فالتعليم فيها علماني، إنها لا تدرس تعليمًا دينيًا، وإنّما تُدرّس تاريخ الأديان، ومن هذه الناحية يتّضح أن المدارس لا تركز على مصالح خاصة بالذين بنوها، ناهيك عن أن تركز أو تضع قضايا تركيا ومصالحها القومية في الصدارة، ومع هذا ومهما كانت اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم الرئيسة في تلك

المدارس؛ إلا أن فتح الله كُوْلُنْ يهدف إلى جعل اللغة التركية لغةً تواصلٍ وتفاهمٍ عالميّة، كما أنّ المدرسين الذين تحدثت معهم تطرّقوا إلى أهمية إجادة اللغة التركية وحُسن استخدامها، والطلاب الذين التقيتهم في كازاخستان يعرفون التركية جيّدًا، ويمثّل الخريجون جسرًا ممتدًا ما بين تركيا وكازاخستان.

المدارس تمحو التصرفات والسلوكيات غير الأخلاقية الباقية من العهود السابقة، ويتكامل النجاح المتحقق في المسابقات العلمية العالمية، ويتجانس مع عنصر الثقافة والنظام والتعليم الأخلاقي.

والنموذج التعليمي الذي تتبعه المدارس يعمل على تحقيق التوافق بين المفاهيم والتقاربات المتصارعة ما بين الدّين والعقل من ناحية والتعليم العلماني من ناحية أخرى، وبين الحدائث والتقاليد، ويلاحظ في المدرسين تضحية وتفانٍ عالٍ جدًّا، ولم تُرصد في المدارس رغبةً في التوسع العالمي؛ فبالرغم من الشكوك والرّيب التي تردّدت من أن الأتراك سيحلون محلّ النفوذ والتفوق السوفيتي إلا أن المدارس تظلم بمهمّة بناء جسرٍ للحوار بين الدول والحضارات، بينما القِيم الإنسانيّة تُتصدّر قائمة أهدافها كلها<sup>(١٨٢)</sup>.

### ج. موضوع دعم المدارس ماديًا وفكرة الاقتصاد لدى كولن

وكما هو حال فتح الله كُوْلُنْ في غير ذلك من المواضيع نجدّه -بين الحين والآخر- يُخرِجُ أفكاره الاقتصادية للرأي العام ليقمّمها وينظر فيها، والتي حين نتناولها وندرسها بصورة كليّة ومتكاملة حيويّة نجدها -رغم أنها ليست أفكارًا متخصّصٍ في الاقتصاد- بمثابة مجموعة من المبادئ العامة التي تخصّ الجانب الاقتصادي من حركته وعمله؛ فمثلاً في مقالته

(١٨٢) بحث مقدم في ندوة: "الولاءات الوطنية والتحالفات الدولية (Loyalties and International Alliances)".

المعنونة بما ترجمته "التآكلات وروح الأمة" المنشورة في العدد رقم (١١٠) من مجلة "سزيتي" التركية بتاريخ مارس/آذار من عام (١٩٨٨م) يؤكّد على ضرورة إعمار تركيا بدءاً "من أكبر المدن إلى أصغر القصاب، ومنها إلى أبعد قرية فيها"، ولأجل ذلك لا بدّ من إضافة أبعادٍ جديدة على القضايا الاجتماعية الاقتصادية المتوارثة منذ عصور، والانتباه إلى الظروف العالمية المتنامية، وإضافة أبعادٍ جديدة كذلك إلى حياتنا الفكرية وإيجاد الحلول، ويقول ما يأتي:

"لا بد من إضافة أبعاد جديدة إلى الزراعة عبر استخدام التقنية الحديثة، والبلوغ بالصناعة إلى المستوى الذي تتنافس فيه مع البلاد المتقدّمة، التي رادت فيها بواسطة السعي والكّد سنين عدداً، وينبغي الاستفادة من ثرواتنا سواء الكامنة منها في باطن الأرض أو التي على سطحها، وتقديمها ليستفيد منها أهلونا، ولا بد كذلك أن نتلق من عندنا أفواجاً أفواجاً قوافل التصدير متّجهةً إلى كلّ أنحاء العالم، ومهما كانت التكلفة فإنه ينبغي لعملتنا أن تأخذ مكانها اللائق بها في أسواق المال العالمية؛ ولا بد أن تُحقّق دون تأخير تلك الوعود المبذولة منذ سنوات من قبيل: "تقوية الأمة"، و"رفع مستوى الرفاهية والمعيشة لدى الشعب" (١٨٣).

وفي تقييم آخر له يقول فتح الله كُولُنْ:

"ينبغي لكلّ مؤمن أن يجد سبيلاً للشراء؛ على أن يكون ذلك في إطار دائرة الشرع، وينبغي كذلك دمج الثروات إن لزم الأمر، ولا بد من السير نحو الاستثمار في كل أنواع الاستثمار السائدة، والمفتوحة للمنافسة في الداخل والخارج، ويلزم ألا تُنسى التأثيرات الاقتصادية في هذا الشأن من أجل احتضان الأجيال

(١٨٣) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل-٣: نحو الجنة المفقودة، مقال "التآكلات وروح الأمة" (Erozyonlar ve Millet Ruhu)، ص ١٣٥، مجلة "سزيتي"، مارس/آذار (١٩٨٨م).

القادمة وتحويل الزمان بكلّ جوانبه لصالحنا عبر أشخاص مرّبين ومزودين بالعلوم الدينية والطبيعية، فكلُّ سبب مشروع في طريق الخير وكل سبب يؤدي إلى ذلك الخير هو عبادة<sup>(١٨٤)</sup>.

وعلى صعيد آخر نجد فتح الله كوّلن يركّز على بعض الشروط الأساسية السارية بالنسبة للجميع في كل مكان وزمان؛ فوفقاً له سيكون دور التجارة المستقبلية وما تبشّر به من أشياء أكثر من التوقعات المنتظرة في المستقبل بكثيرٍ من الوقت الراهن، وكما هو الحال في كل شيء؛ فإن للعلم والتخصّص في التجارة والحرفة أهمية عظيمة، ومع هذا ينبغي ألا يُنسى أن هاتين الحرفتين تعتمدان أساساً على التلمذة والتدريب الصناعي، وفي الكتب كمّ هائلٌ من المسائل المشروحة تكشف أنه من غير المتوقّع أن يتحقّق المأمول والمنتظر ما لم يقف المتعلّم الماهر والحرفيّ المتدرّب على جوهرٍ وجوهرة المهارة.

وفتح الله كوّلن الذي يرى في ضوء بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن "ما يقضيه التاجر من وقتٍ في شؤون تجارته وهو يراعي الحلال والحرام إنّما هو محض عبادة"؛ يؤكد على أن الاستقامة والأمانة وإدراك روح العصر الحالي والتصرف بكل لباقة وأدب مع الزبائن هو روح التجارة، كما يرى أن التاجر والحرفي ينبغي له أن يكون عذب اللسان طلق الوجه متواضعاً، صادقاً في كلامه، لا يسأم ولا يضجر، ويركز كوّلن على نقطة أخرى مهمّة في موضوع التجارة؛ إذ يقول:

"الذين يفتحون أماكن عملهم قبل ساعة من المعتاد، ويغلقونها بعد ساعة من المعتاد يجعلون أيام أشهرهم خمسةً وثلاثين يوماً وأيام سنتهم أربعمئة وعشرين يوماً..."<sup>(١٨٥)</sup>.

(١٨٤) فتح الله كوّلن: سلسلة المؤشور-٢، "نيل يابنلوي (Nil Yayinlari)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ٤٥-٤٦.

(١٨٥) فتح الله كوّلن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٨٤-٨٥.

وقد أوصى فتح الله كَوْلُنْ رجال الأعمال المبادرين بالانفتاح على الخارج أيضاً في المجال الاقتصادي إلى جانب المجال التعليمي؛ ومن ذلك على سبيل المثال كلماته الآتية المتعلقة بالانفتاح على آسيا الوسطى:

"لقد تأخرنا كثيراً في الانفتاح على آسيا الوسطى، ولا سيما في المجالين التجاري والصناعي؛ فقد تعذّر علينا أن ننجح في كلا المجالين السابقين بقدر ما وُفّقْنَا ونجَحْنَا في المجال التربوي والتعليمي... ينبغي للدولة أن تتناول هذا الموضوع وتهتمّ به بشكل أعمق، أي إنه كان ينبغي لها أن تُنشئ مكاتب استشارية، وتسهم في التنظيمات القانونية، وتقدم تسهيلات وتيسيرات لمن سيذهب إلى هناك ويستثمر من رجال أعمالنا، وتبرم اتفاقيات دولية، ولكن إن كانت هذه المسألة لا تُدرُس على مستوى الدولة، فإننا كأمة وشعب يلزمنا أن نفعل ما يقع على عاتقنا من مسؤولية أو ما زلنا نستطيع فعله؛ فكل ثانية تمرّ هباءً في هذا السبيل خسارة عظيمة"<sup>(١٨٦)</sup>.

لقد دأوم فتح الله كَوْلُنْ على نُصح المبادرين الأتراك في مجالي التعليم والاقتصاد على حدّ سواء، في سبيل الوصول إلى مثل هذه الغاية، ووجّه ما يحظى به من احترام لدى الرأي العام إلى خدمة هذا الوطن، ومن ثمّ فإنّ بعض الذين اهتمّوا بتوصياته وتحركوا بناء على ثقتهم به حقّقوا أنشطة في المجالين التربوي والتعليمي والاقتصادي داخل تركيا وخارجها، وما زالوا يحققون وفقاً لمعايير محدّدة، ومن ثمّ فلا بدّ أن يُبحث في هذه المبادرات عن تمويل تلك المدارس الذي جعل موضوعاً للتخمينات والتكهّنات المغرّضة من قِبَل البعض في تركيا؛ فالعديد من المبادرين الأتراك الراجين الفوز برضا الله تعالى وبالأخرة المفكرين في

مصلحة الإنسانية أفرزوا -دون أن يكون للدولة أي إسهام مادي في ذلك- حركة من المتطوعين تسير على الخط الذي جعلوا فيه التنافس في الخير فلسفتهم في الحياة، ولذا فإنَّ تواجد أناس من مختلف الأفكار بين أفراد هذه الحركة ينبغي ألا تُحيرنا على الإطلاق.

وعلى هذا فإنه يمكن القول إنه قد بدأت مرحلة من التعبئة والتعاون في التعليم التطوعي، وفي الناحية الاقتصادية كذلك وإن لم تكن بقدر ما في المجال التعليمي، ويُركّز "خلوصي طُورُغُت" على هذه النقطة أيضًا في سلسلة مقالاته السالفة الذكر فيقول:

"إن الفرق والمجموعات الصارفة جهداً غير عادي من أجل افتتاح المدارس في الجمهوريات التركية بأسيا الوسطى والقوقاز ودول الستار الحديدي أقامت علاقات طيبة مع البيروقراطيين، حيث ذهبت إليهم ونالت ثقتهم في فترة زمنية وجيزة.

وفي تلك الأثناء كان مؤسسو المدارس الذين ساعدوا المبادرين القادمين من تركيا إلى بلادهم للعمل يوفرون لهم أفضل ما يملكون من إمكانيات، وكان من المتوقع أن يبدأ رجال الأعمال هؤلاء في ربح أموال جيدة مع مرور الوقت، فيسعون بكل مودة وعن طيب خاطر لسد العجز في تمويل تلك المدارس، ويبيجاز فإنَّ ممّولي المدارس الموجودة في الخارج سينتهجون المنهج ذاته.

وقد أُتستت شركات للمدارس المنتشرة في خمس قارات من العالم، وراجعت هذه الشركات وزارة التربية والتعليم التركية بشأن المدارس التي ستفتتحها بالخارج، وحصلت على التصاريح اللازمة، وفي إثر ذلك برزَ مربّون سيتولون المهمة، واختير المدرّسون من بين الشباب خريجي أحسن جامعات بلدنا".

#### د. بعض الانطباعات والتقييمات المهمة

لقد زار كثيرٌ من الأشخاص -من داخل تركيا ومن خارجها- المدارس المنتشرة في شتى ربوع العالم، وعبروا عن انطباعاتهم وتقييماتهم لها إما كتابة أو مشافهة.

وسوف ننقل هنا بعض الانطباعات والتقييمات الخاصة بهذه المدارس:

#### • نتاج المبادرات المدنية اللامركزية

"هذه المدارس لا تتبع تمويلًا مركزيًا بالمرّة؛ فكلُّ مدرسة تُمَوَّلُ من قِبَلِ محافظة أو مركز، أو من جانب أحد الأثرياء، أما المدرّسون فقد تخرجوا في جامعات تركيا مثل "جامعة مَرَمَرَة (Marmara)" و"جامعة بُوغَازُ إِيچِي (Boğaziçi)" و"جامعة الشرق الأوسط للعلوم التقنية (ODTÜ)"، ويُدرّسون باللغة الإنكليزية، وكلّهم تقريبًا بدؤوا العمل بالتدريس بعد تخرجهم مباشرة، وروايتهم محصورة في قدر احتياجاتهم الضرورية، وليست لديهم القدرة على إِدْخَارِ أيِّ شيءٍ تقريبًا"<sup>(١٨٧)</sup>.

"عَلِي بَايْرَامُ أُوغْلُو (Bayramoğlu)" [الصحفي]

#### • ميزة ودرجة إضافية لصالح تركيا

"إنَّ كان ولا بدَّ من قول الحقيقة فقد كنت أظنُّ أنني سأشاهد في المدارس الموجودة في آسيا الوسطى تنظيمًا يسعى لتوسيع جماعته بواسطة التعليم الديني، وبعد جولتي فيها تعيّر حكمي المسبِّقُ هذا؛ إذ رأيت أن الفعاليات التي تضطلع بها هذه الحركة تصبُّ في خانة تركيا وتضيف إليها نقاطًا أكثر مما تصب في خانة الحركة"<sup>(١٨٨)</sup>.

"أَطْلَعَانُ بِيَارُ (Atılgan Bayar)" [الصحفي]

(١٨٧) صحيفة "يني يُوزُيُل (Yeni Yüzyıl)" التركية، من ٣١ أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٦م) إلى ٢ نوفمبر (١٩٩٦م).

(١٨٨) صحيفة "حُرَيَّت (Hürriyet)" التركية، ١ نوفمبر (١٩٩٦م).

• الأستاذ فتح الله تربويّ تقدمي

"إن الأستاذ فتح الله تقدّمِيّ فيما يتعلّق بالمجال التعليمي؛ فقد تجولت في جامعة لهم ومدرستين، وأنا يراودني سؤال: أهذه المدارس مدارس دعوية إسلامية تقوم كل واحدة منها على الأسس الدينية؟! إلا أنني رأيت على أرض الواقع أنها لا تمتّ إلى التبشير بصلة، وشهدت على أن الأولاد الذين تربوا فيها قد تربوا تربية جيدة"<sup>(١٨٩)</sup>.

"عُزَيْرْ غريخ (Garih)" [رجل أعمال]

• المدارس هي رؤية تركيا

"لقد أمدّ الأستاذ الشاب التركيّ المتعثر المتلثم بسبب اللاغاية -أمده- بغاية سامية، فكروا!! إن هؤلاء الشباب يخدمون براتب جزئيّ بسيط في بلد تصل حرارته صيفاً إلى أكثر من (٣٥) درجة مئوية، بينما تنخفض شتاء إلى أقل من (٦٥) درجة مئوية، إن شعور التعبئة والتفاني هذا حادثة ندر أن صادفها التاريخ، وإنني لسعيد جداً لأنني تعرّفت على أفق كهذا وإن كنت جاوزت السبعين من عمري.

التّفوّا كلكم حول هذه الهالة من الحبّ، فواجبنا أن نواصل هذه الحملة الجميلة؛ إذ لا أحد فينا مخلد، الله ربّنا فحسب هو الأبدى الباقي.

وقد قال لي أحد السفراء السابقين في "أنقرة":

عُين شابٌّ كان يعمل في الخارجية التركية سفيراً بـ"أولان باتور (Ulanbatur)" عاصمة دولة "منغوليا"؛ فذهب إلى أحد أساتذته من ذوي الخبرة وسأله: "ليست لديّ أية معلومة عن هذه المدينة، فهل أذهب إليها؟".

فأجابه أستاذه السفير:

"اذهب وتفحص الأمر، فإن لم تكن الظروف ملائمة فارجع!".  
 وحين نزل هذا السفير التركي الشاب من الطائرة استقبله  
 شابٌ تركي مهذبٌ قائلاً:  
 "أهلاً بكم يا سيدي!"

فلما سأله السفيرُ المندهبس لهذا الموقف قائلاً:  
 "من أنت؟"  
 أجابه مُستقبلُهُ:

"أنا منسّق المدرستين التركيتين هنا، سمعنا بتشريفكم، فجننا  
 للترحيب بكم، وقد هيّأنا مكاناً لإقامتكم، وجهزنا مكاناً للسفارة،  
 تفضلوا وابدؤوا عملكم؛ فنحن والمنغوليون ننتظركم".

فلما جاء عيد الجمهورية في التاسع والعشرين من أكتوبر/  
 تشرين الأول فكّر السيد السفير وحاوّر في الأمر؛ فليس لديه  
 مخصّصات ولا إمكانيات، إنه في مكان أجنبي ولا يعرف أحداً،  
 فإذا بذلك الشاب أيضاً يُهرع إلى مساعدته؛ فيفتح قاعة إحدى  
 المدرستين، وينظّمون مع المنغوليين احتفالات عيد الجمهورية،  
 وعند عودة السفير الشاب ملفوفاً بالحيرة إلى تركيا راح يقصّ الأمر  
 باكياً على السفير السابق الذي يخاطبه بكلمة "أستاذي"، ويسأله:

"آية حالةٍ روحيةٍ هذه، من ربّي هؤلاء؟".

إن فهم الجمال وإدراك كنهه لا يمكن إلا بمعرفة معنى  
 الجمال، فنحن وأنتم، كلنا في عصر نعرف فيه الجمال والحب،  
 ندين لكم بالحبِّ، وكل الأماكن تستحيل قادرة وقوية حين  
 تنشرون حبكم" (١٩٠).

"آيدُنْ بُولَاقْ (Ayдын Bolak) [رجل أعمال]

• المدارس مفخرةٌ

"فهذا نظام ناجح يعمل جيّدًا، ويجب على الدولة أن تدعمها؛ إن ظهرت ضرورة إلى المساعدة؛ فالمدارس تحقّق انفتاح بلادنا على العالم وإقامة الروابط الثقافية بينها وبين العالم الخارجي" (١٩٦).

"سامي كوهين (Sami Kohen)" [رجل أعمال]

• تزرعون التسامح

"هذه المدارس تساهم إيجابيًا في تطوّر التعاون القائم بين دولتنا وشعبنا في المجال التربوي التعليمي، وفي تنمية هذا التعاون بشكل متوازن وشامل في كلّ المجالات في صورة كلّ متكامل، وفي زيادة الفهم بين الأجيال الشابة".

"سليمان دميرال (Süleyman Demirel)" [رئيس الجمهورية التركية التاسع]

"إن خدماتكم سنسطر في تاريخ نهضة شعبنا القومية بحروف لا تمحى".

"صابر مراد نيازوف" [رئيس جمهورية تركمانستان]

"إنّ أكبر عمل تربوي وتعليمي في العالم هو ذلك الذي يقوم به فتح الله كولن ورفاقه، علينا ألاّ نفسد مساعي وجهود هؤلاء البشر المجتهدين الأوفياء، وألاّ نضع العراقيل أمامهم؛ ففي هذه المدارس تنشأ النماذج المثقفة الجديدة، العاشقة لبلادها".

"كوكسال طوبطان (Köksal Toptan)" [وزير التربية والتعليم التركي السابق]

"إنّ التقدير ليعجز أمام الإسهامات والخدمات التي تنجزها هذه المؤسسات الفريدة لصالح العالم، وأمام كلّ كوادرها التعليمية أيضًا، فهي تُدرّس عبر مناهج معاصرة تمامًا وتنشئ أفرادًا لمجتمعات المعرفة في القرن الحادي والعشرين".

الجنرال "خالص برهان (Halıs Burhan)" [قائد القوات الجوية التركية المتقاعد]

"رأيت في زيارتي أن التعليم في هذه المدارس نزيه وغير متحيز، ويتم بنمطٍ علميٍّ وجاد".

"أزدينچ توره (Erdirç Türe)" [قائد القوات الجوية التركية المتقاعد]

"إن اشتراكي في هذا الحفل -الذي تنظمه الثانوية التركية الدولية في "كوستنجة (Köstence)"، والتي هي مدينة البحر الأسود الجميلة- في "رومانيا" الصديق المقرب جدًا من بلدي تركيا ليمثل شرفًا وسعادة حقيقية بالنسبة لي".

"كول أمره آيبرص (Gülemre Aybars)" [العميد البحري التركي المتقاعد]

"المهم هو تحقيق مستوى من الجودة التعليمية؛ فقد شاهد كثير من معارفي هذه المدارس، وامتدحوا التعليم المعاصر الذي يُقدّم؛ بل إن أبناء المسؤولين في تلك الدول يتعلمون في هذه المدارس، لقد حظي هذا التعليم المعاصر المتسامح المنفتح على العالم بأسره بالقبول والاستحسان في العالم؛ حيث لا ينحاز لبيئية أيديولوجية بعينها".

"فياض بركو (Feyyaz Berker)" [رئيس مجلس إدارة مجموعة شركات "تكفن (TEKFEN)"]

"لقد سمعت أخبارًا طيبة جميلة بحق المدارس التركية حول العالم، وفيها يُقدّم تعليم معاصر".

"شارق طارا (Şarık Tara)" [رئيس مجلس مجموعة "انكي (ENKA)"]

هـ. الفكر التربوي لدى فتح الله كُولُنْ ومثاليته وملاحظة مهمة بشأن المدارس

حين رأى الأب "توماس ميشيل" أمين جمعية "يسوع" لحوار الأديان وأمين اتحاد مؤتمرات الأساقفة الآسيويين للشؤون الدينية ثانوية التسامح الفلبينية التركية في مدينة "زاموانغا (Zamboanga)" -التي حاربت فيها قوات الدولة أتباع حركة "مورو (Moro)" لسنوات طويلة، والتي يشكل المسلمون نصف سكانها بينما يشكل المسيحيون النصف الآخر- زارها

شغفًا وتطلعًا إليها؛ فشهد بدهشة بالغية كيف أن هذه المدرسة المقامة "في هذه المدينة التي انتشرت فيها حروب العصابات وحوادث الخطف والمداهمات والاعتقالات وحالات الاختفاء المفاجئ والقتل حتى صارت كل هذه الأشياء أمورًا عادية" - على حدّ قوله- تُؤوي بداخلها، وفي جو من التلاحم والتعاقد، أكثر من ألف طالب بعضهم مسلمون وبعضهم مسيحيون، وذلك إلى جانب ما تقدّمه من تعليم وتربية عالية الجودة، ثم تجول ميشيل في "قيرغيزستان" لاحقًا وتحير لمستوى التعليم في المدرسة المقامة في "بشكك" (*Bişkek*)، وتعلّم التلاميذ اللغة ومهاراتهم في استخدامها، وكذلك ما حققوه من نجاحات في المسابقات الأكاديمية، بل قد رأى ما هو أكثر من ذلك؛ رأى كيف أن التلاميذ الأمريكيين والكوريين والأتراك يتلقون تعليمهم سويًا مع التلاميذ الأفغان والإيرانيين في مناخ رائع وممتاز من التألف والتلاحم أيضًا، كما لفت انتباهه ما يتحلّى به المدرّسون من صدقٍ واجتهادٍ ووعيٍ ضميريٍّ وتناغمٍ متبادل، كلُّ هذا جذب "ميشيل" إلى التعرّف على الفلسفة الداعمة لهذا المنظر واللوحة، ونظرًا لأن هذه المدارس تُقدّم إلى الرأي العام بشكل أو بآخر على أنها لصيقة الصلة بـ"فتح الله كولن" فقد بدأ هو كذلك يقرأ مؤلّفات الأستاذ، فتوصل الأب ميشيل -الذي طابق بين ما قرأه في مؤلّفات الأستاذ وما رآه على أرض الواقع- إلى مجموعة من النتائج تحدّث عنها في ورقة بحثية قدمها لندوة نُظّمت حول كولن في جامعة "جورجتاون" (*Georgetown*) في أبريل/نيسان عام (٢٠٠١م) يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

"يرى كولن أن المدرسة والمؤسّسات التي تُحصّل فيها العلوم والمعنويات الواجب تلاحمها وتكاملها إن صارت متنافسة متناحرة معادية لبعضها فإنها تُمهّد السبيل لصراعٍ قال عنه كولن نفسه: إنه يجب ألا يحدث: إنه صراع العلم والدين؛ فقد وضع

هذا الصراع الذي لا طائلَ من ورائه رجالَ العلم في جانب والسياسيين والزعماء الدينيين في الجانب الآخر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مما تسبب في تحلُّلٍ وانقساماتٍ حادَّةٍ في فلسفة التعليم ومناهجه، وإنَّ علماء التربية العلمانيين المحدثين يرون الدِّينَ - في أفضل نظرة لهم تجاهه - مضيعةً للوقت، بينما يرونه في أسوأ تقييماتهم إياه عقبهً في طريق التقدُّم، والنقاش يدفع علماء الدِّينِ إمَّا إلى معارضة التحديث، وإمَّا إلى رؤية الدِّينِ واعتباره أيديولوجيةً سياسيةً وليس دينًا في إطار معناه ووظيفته الحقيقية<sup>(١٩٢)</sup>، وكعلاج لهذا؛ فإن كُولُنْ يقترح نموذجًا تعليميًا يجمع في داخله بين رجالِ دينٍ مزودين ببنية علمية صحيحة ورجالِ علمٍ ملتزمين بالقيَمِ الدينية والمعنوية، ويبين أنه بهذه الطريقة فحسب يمكن لصراع العلم والدين المستمر أن ينتهي، وتظهر عبثية هذا الأمر على الأقل<sup>(١٩٣)</sup>...

ويمثِّل فتح الله كُولُنْ نهجًا يُعنى بالمستقبل يختلف عن الصراعات القائمة في الأوساط اليمينية واليسارية والعلمانية والدينية على حدِّ سواء، بل ويتجاوزها جميعًا، ويقترحه ويقدمه للاستفادة منه، كما يعتقد أن التحديث الحقيقي يمرُّ من تنشئة الناس أجمعين، وهو ما يمكن أن يتحقَّق فحسب عبر بناء نظامٍ تعليميٍّ جديدٍ يقوم على الروافد الرئيسية للتيارات التعليمية الموجودة، ويلبي متطلَّبات عالمنا المتغيِّرة، وينشئ المستقبل...

ونَهج كُولُنْ هذا يختلف تمامًا عن المشاريع الرجعية الهادفة لِنَقْلِ الماضي إلى يومنا الحاضر، وهو يصرِّح أن النظام التعليمي المطبَّق في المدارس - التي تُذكرُ مقرونًا باسمه - نظامٌ لا يستهدف إعادة تأسيس النظام العثماني ولا الخلافة من جديد، ويؤكد مرارًا

(١٩٢) فتح الله كُولُنْ: *Towards the Lost Paradise*، دار "قَيْنَانُ" (Kaynak) - إزمير، (٢٠٠٨م)، ص ٢٠.

(١٩٣) المصدر السابق، ص ٣٩.

وتكرارًا على أن هذه المدارس موجهة لإنشاء وبناء المستقبل،  
وبينما يفعل هذا يُذكر بعبارة:

"دوام الحال من المحال؛ فلا بد من حالٍ جديدٍ وإلا فالأفول  
والاضمحلال"<sup>(١٩٤)</sup>.

إن المؤسسات التعليمية الحديثة عمومًا تُشبه المصانع التي  
تنتج بالجملة وتضخ للسوق العالمية؛ فهي تفتقر إلى التعمق  
الفكري والحسي، ووضوح الفكر، والميول المعنوية والثراء  
الثقافي التي دائماً ما يركّز عليها كولن، وبالتالي فإنَّ كولن يقفُ  
إلى جانب تعليم يهتمّ بالعناصر المذكورة آنفاً، وينادي به في  
مواجهة هذا النوع من المؤسسات"<sup>(١٩٥)</sup>، إنه يرى أنه:

"من الممكن أن يكون أكثر الناس معلّمين، ولكن التزّر اليسير  
منهم يستطيع أن يكون مربياً"<sup>(١٩٦)</sup>.

ويقول: "إنَّ المعلّم والتربوي كلاهما يمدّ الطالب بالمعلومات  
ويعلمانه مجموعة من المعارف؛ غير أن التربوي يرشد الطالب  
إلى التعمق في الفكر والتأمل واكتساب شخصية تميّزه عن غيره  
أكثر، علاوة على أنه يؤسّس الشخصية وبيئتها، ويساعد الطالب  
في السيطرة على نفسه، والتحلي بالخصال الحميدة مثل المسامحة  
والمسؤولية وما إلى ذلك".

وينبغي استيضاح بعض المفاهيم التي يكرّرها كولن في  
كتاباته حول التعليم حتى لا يكون هناك مجال لإساءة فهمها؛  
فمثلاً مفهومها "المعنويات أو الروحانيات" و"القيم المعنوية أو  
الروحية" اللذان يستخدمهما بكثرة قد يتصوّر البعض أن المقصود

(١٩٤) "لين إيميلي ويب (Lynne Emily Webb)، "فتح الله كولن: هناك الكثير يجب أن تراه العيون (Fethullah Gülen)

Is There More to Him Than Meets the Eye?"، ص ٨٩.

(١٩٥) فتح الله كولن: Towards the Lost Paradise، دار "قَيْنَأَق (Kaynak)" التركية - إزمير (٢٠٠٨م)، ص ١٦.

(١٩٦) فتح الله كولن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٧٩.

منهما الدين، فإن كان هذا البعض حساساً بشأن العلمانية فربما يعتبر هذا التأكيد رغبةً وحسرةً إلى تمكين الدين في المجتمعات العلمانية وفرض سيطرته عليها، في حين أن كَوْلُنْ يستخدم هذين المفهومين في معنى أوسع وأرحب، والمعنويات - بالنسبة له - ليست تعليمًا دينيًا بالمعنى الضيق للكلمة، بل إنها تشتمل على الأخلاق والمنطق والتوازن الروحي والصدق أيضًا، ولنهم ذلك يكفي النظر إلى المفاهيم الرئيسة الأخرى التي يستخدمها؛ ومن ذلك على سبيل المثال مفهوما "الرحمة" و"المسامحة"<sup>(١٩٧)</sup>؛ إذ يسجل هنا ما يأتي:

"إن مفخرة الإنسانية محمدًا ﷺ يعرّف المسلم الحقيقي بقوله: "المُسلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ"<sup>(١٩٨)</sup>.

فالمسلم هو الأجدر والأوثق بتمثيل السلم العالمي، ووظيفة التعليم في رأي كَوْلُنْ تتمثل في جعل مثل هذه الصفات التي لا تدخل في هذا النوع من قالب الكثرة طبيعةً ثانيةً في الطالب، وتهذيب رغباته وميوله النفسية.

وعلى حين يتحدث كَوْلُنْ عن الطلاب الذين نذروا أنفسهم للعيش وفقًا للقيم الأخلاقية والسمات الإنسانية فتحلوا بالفضيلة؛ يتحدث عن الدساتير الأخلاقية العالمية التي تعلمها من الإسلام بصفته مسلمًا، وهو لا يقصد المسلمين فحسب بما يقوله؛ إذ يدُرُسُ في تلك المدارس المقترن ذكرها باسمه طلابًا من غير المسلمين أيضًا، دون أن يُطلَبَ منهم أن يبدلوا دينهم على الإطلاق.

(١٩٧) انظر: فتح الله كَوْلُنْ: النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، ص ٢٤٦-٢٥٦ (الرحمة النبوية بُغْد من أبعاد فطنته ﷺ).

(١٩٨) صحيح البخاري، الإيمان، ٤٣؛ صحيح مسلم، الإيمان، ٤٦٥؛ سنن الترمذي، الإيمان، ١٢ (واللفظ للترمذي).

ويتحدّث فتح الله كُولُن دائماً عن "القيّم الثقافية والتقليدية" أيضاً، وهناك البعض يعتبرون دعوته إلى الاهتمام بالقيم الثقافية والتقليدية دعوةً إلى العودة للمجتمع العثماني قبل الجمهورية، ويتهمونهم بالرجعية. نعم، إنه يرى من الخطء أن يُنحَى الماضي جانباً ويُستخَفَّ به لِمَا فيه من حِكَمٍ متنوّعة، بل لا بدّ من الاستفادة منه بكلّ تأكيد، إلا أن استعادة الماضي بحذافيره مجدّداً خيالاً لا يُمكن تحقّقه، فإن كلّ محاولةٍ في هذا الشأن محكومٌ عليها بالفشل الذريع، وتتمّ عن ضيق أفقٍ صاحبها.

أجل، فكما أن كُولُن لا يرتضي رفضَ الماضي جملةً واحدةً، فإنه يرى محاولاتٍ إعادة إنشائه بكل ما فيه مجدّداً ضرباً من العبث، ومن هذه الناحية فإنه يرفضُ اتّهامه بالرجعية رفضاً قاطعاً<sup>(١٩٩)</sup>.

إن فكرَ كُولُن لا يتشغل بالتيارات السياسية في تركيا ولا بالنقاشات الدائرة حولها، إنه مشغول بالتعليم الذي من شأنه بناء المستقبل؛ فهو يبحث عن المصلحين في كلّ مكان، أي إنّه يرغب في تربية شخصياتٍ مزوّدةٍ بمنظومة القيم التي تُلمُّ بكلّ جوانب الإنسان المادّيّة والمعنوية، ويتنظر التغيرات والإصلاحات التي ستُحدثها في المجتمع، والتعليم المشغول به كُولُن يعتمد أساساً وبالدرجة الأولى على تحوّل الفرد وتغيّره؛ فهؤلاء -بالنسبة له- لا بدّ وأن يتخلّصوا من التفكير المحدود والمجتزأ، وأن يتحلّوا بمحاسبة النفس والانضباط، فمثل هؤلاء الأفراد دون غيرهم هم من يستطيعون الإسهام بشكل ثابت ودائم وإيجابي في تقدّم المجتمعات ونهضتها.

ويرى كُولُن أن المدرسة ليست مجرد مكانٍ يكتسب فيه الطلاب العلوم والفنون ويحصلونها، بل يراها معملاً يسألون

(١٩٩) "لين إيميلي ويب (Lynne Emily Webb)، "فتح الله كُولُن: هناك الكثير يجب أن تراه العيون: (Fethullah Gülen)

"Is There More to Him Than Meets the Eye?"، ص ٩٥.

فيه عن كل ما يتعلّق بالحياة، ويجتهدون لفهم معاني الأشياء، ويُدرِكون فيه العلاقة بين هذا العالم والعالم الآخر في إطار إيجابيّ، والأكثر من ذلك أنه يتحدّث عن المدرسة في بعض كتاباته مستخدمًا مصطلحات تبدو دينيّة، وينظر إليها وكأنّها مكانٌ مقدّس لفعاليات وأنشطة مقدّسة فيقول مثلاً:

"المدرسة تُرسل حزم العرفان على الحوادث الحيوية فتضيئها، وتهيئ لطلابها القدرة على فهم البيئة من حولهم، وهي في الوقت ذاته تفتح السبيل أمامهم ليكتشفوا الأشياء والحوادث بسرعة فائقة، وتسوق الإنسان إلى إدراك التوحيد في الكثرة، والاستقامة في التأمل، والتكامل في الفكر؛ فالمدرسة بهذا المعنى مثل المعبد، وقِيَمُو هذا المعبد هم المدرسون".

إن نموذجًا تربويًا تعليميًا يتناول الدراسات العلميّة على نحوٍ متداخلٍ متلاحمٍ مع بناء الشخصية والوعي الاجتماعي والمعنويّات النّشِطَة ربما يراه النّقّاد نوعًا من المثالية المُفْرِطَة، وربما يرونه وهمًا وخيالًا، غير أنه يمكننا القول: إنّ النظام التعليمي الذي رسمه كُولُنْ يُطبّق في هذه المدارس، ورغم وجود قسم من الاختلافات في المستوى بينها، فإنّ المدارس تبدو وقد حقّقت قدرًا عظيمًا من آمال كُولُنْ<sup>(٢٠٠)</sup>.

## فتح الله كُؤلنَ مُرَبِّياً للنفس

من الضرورة بمكان أن نعلم بأن فتح الله كُؤلنَ لم يزعم في أي وقت قط أنه مرشد أو شيخ، لا من حيث المفهوم ولا من حيث المقام الخاص بالتصوف، إنه ليس منتسباً بأية طريقة من الطرق الصوفية، غير أن هذا لا يعني أنه أَدانَ الطريقة والتصوّف ورفضهما، والنقطة التي يجب الانتباه إليها هنا هي أنه بالرغم من أن تربية النفس أساس في الإسلام إلا أنه "لا يلزم الانتساب إلى طريقة ما بشكلٍ قطعي كي يتحقق هذا"، ولكي نفهم الموضوع فهما أفضل فمن المناسب أن نذكر مجدداً بالآية الكريمة التي كنا نقلنا معناها في الفصل السابق بينما كنا نقف على وظائف الرسل، ولا سيما سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٥١/٢).

وكما صرّحت به الآية الكريمة وأشرنا إليه سابقاً؛ فإن أهم وظائف الأنبياء تنقية أذهان الناس من الأفكار والخرافات والقناعات الخاطئة من جانب، ومن جانب آخر تطهير قلوبهم وحيواتهم وأنفسهم من الذنوب والآثام وكل أنواع الحقد تطهيراً تاماً، وقد تعذّر على مر التاريخ أن يتمثل فرد واحد تيك الوظائف الواردة في هذه الآية الكريمة؛ إذ عيشت بدلاً من هذا حالة من إعادة توزيع الأعمال والمهمّات؛ فبينما تحمّل العلماء مهمّة تشكيل أذهان الناس وأفكارهم وتكوينها، تحمّل أهل الحكمة مهمّة تعليم الناس الحكمة وما خفي من أسرار وراء ستار الأشياء والحوادث، وأسبابها

القدرية، أما مهمة تطهير قلوبهم وتربية نفوسهم فقد تحملها المرشدون الروحانيون، والحق أنه ظهر في التاريخ كثير من العلماء والمُربيين والمرشدين العظام قاموا بهذه المهمات الثلاث مجتمعة، وقد انتقل الأمر اعتباراً من القرن السادس عشر بصفة خاصة إلى تيارات متباينة، حاولت -على نحو أضرت فيه ببعضها أحياناً- الوفاء بواجباتها تحت مظلة المدرسة الشرعية والتكيفية، بيد أن فتح الله كُؤلُنْ رغم أنه لم يكن في الأساس طرفاً في هذا التوزع من جديد إلا أنه انتقد المدرسة الشرقية ومنهجها في تربية النفس، وتزكها بتدريس العلوم الطبيعية، والتكيفية أيضاً وإقصاءها العلم جانباً، لكنه نظر نظرة إيجابية إلى كل من المدرسة والتكيفية طالما أدتا وظائفهما كما يجب عبر التاريخ، بيد أنه يركز -بحساسية شديدة- على أهمية تربية "إنسان كليّ وكامل" في يومنا الحاضر يجمع في كيانه وذاته منهج التكيفية في تربية النفس والهيجان والعشق، وعلم المدرسة الشرعية في أعلى مراتبه، وعلوم المدرسة الحديثة والانصاف بصفة الإنسان الكليّ؛ كما سيتبين في هذه الدراسة كل في موضعه، ولذلك فإنه يولي التصوف وتربية النفس أهمّ الأماكن والمواقع في الفهم الإسلامي في إطار معناه ومحتواه الأصيل، وليس في إطار المصطلح الذي اتخذ تاريخياً بالمعنى الضيق.

### منهج الصحابة

إن العلماء والمفكرين الذين لا ينحازون إلى الفصل والمباعدة بين المدرسة الشرعية والتكيفية والمدرسة الحديثة أو بين العقل والقلب والروح، بل ويعالجونها مجتمعة في كُؤل متكاملاً يرجعون قضية تربية النفس إلى فئتين اثنتين هما: "منهج الصحابة" و"منهج بعض أولياء الله"، ويرون أنه لا بد أن يتم تقييم العقل والقلب والروح مجتمعة ثلاثتها في منهج الصحابة؛ حتى إنه يمكن القول إنه لا مجال لتقسيم وتفرقة من هذا

النوع، ولا بد أن الإنسان يُدرُس ويعالج ككيان كامل، وفي هذا المنهج لا يُقتل بُعد النفس "الأمانة" بواسطة غير الفروض من العبادات كالنوافل و"رياضة النفس"، أي بُعدها الداعي إلى الشرِّ والأهواء والرغبات؛ بل إنَّ جهادًا ضدَّ هذا البعد يستمرُّ حتى الموت، وبه يترقَّى الإنسانُ دومًا، وقد لا يدرك الإنسان وهو في خِصَمِّ هذا الجهاد أنه يترقَّى؛ فربما لا يحظى بخوارق العادة المسماة "الكرامة"، والواقع أن هذه الأمور ليست أساسًا؛ إذ المهمُّ هو الوفاء بأحكام الإسلام بكلِّ شروطها العامة في إطار التوجُّه إلى الله تعالى توجُّهًا تامًّا تنتظم فيه كلُّ المشاعر مع القلب والذهن وهذا ما يُسمَّى "طمأنينة القلب"، والانتباه التامَّ والخشية والخضوع والحفاظ على الاستقامة على هذا المنهج؛ فمثلًا يرى الأحناف أنَّ للصلاة اثني عشر فرضًا نصفها شروط ونصفها الآخر أركان، ويوجد إلى جانب هذه الشروط أيضًا ما يمكننا أن نطلق عليه شروطُ الصلاةِ الداخليَّةِ اللازمة لتحصيل الفيض والبركة منها؛ ألا وهي الخشوع والخضوع والإحسان كما ورد في أحد الأحاديث النبويَّة الشريفة، أي أداء الصلاة تحليًا بوعي أننا نرى الله تعالى، وأنه تعالى يرانا وإن لم نكن نراه نحن، إنَّه أداؤها بوعي يستطيع أن يُثني الإنسانَ عن ارتكاب كلِّ أنواع الشرور والآثام، ونفسُ الأمر مطلوبٌ بالنسبة لغير ذلك من العبادات أيضًا.

والإخلاص رأسُ العبادة جميعها؛ أي أداء كلِّ عبادة من العبادات من أجل الله تعالى فحسب، ولمجرد أنه ﷺ أمر بها دون انتظار أيَّة منفعةٍ وفائدةٍ من وراء ذلك، بالإضافة إلى أنَّ التقوى والزهد -الذي هو عدم تعلُّق القلب بالدنيا ولا بأيِّ شيءٍ من متاعها- وطلبُ رضا الله ﷻ في كلِّ قولٍ وتصرفٍ وفكرٍ، والرضا بكلِّ ما يُقدِّره ﷻ؛ والوصول إلى اليقين في الإيمان -أي الإيمان الحقيقي- وإلى الأفق الإيماني المُعتمد على التزام العقل والقلب والضمير والافتناع التام، والتحلي بجميع الفضائل

ومحاسن الأخلاق، وكذلك الأمور الواردة في أساس الدين واستهدافها أمرٌ في غاية الأهمية بالنسبة لمسألة تربية النفس، ولا يشترط اتباع طريقة بعينها من أجل تربية نفسية حقيقية وجادة تشتمل على كل هذه الخصائص أو الأبعاد.

فكما أن أبسط أنواع التعليم والتربية لا يتحقق دون معلّم أو مُربٍّ؛ فإنّ التعليم الصعب الذي يصقل الإنسان ويجعل منه إنساناً بمعنى الكلمة لا يتحقق بسهولة دون وجود مرشدٍ وموجه، ولأجل هذا فإنّ القرآن الكريم يأمرنا في سورة الفاتحة التي تُقرأ أربعين مرة في الصلوات يومياً - بما في ذلك السنن - بالدعاء قائلاً: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ثم يُعرّف ذاك الصراط أو الطريق المستقيم عقب ذلك، ونظرًا لأن فهم الجميع هذا الطريق الذي يمكننا أن نعتبره تمام الدين فهما سليماً كما يجب وإدراكهم إياه بأبعاده كلها ليس ممكناً فإن القرآن الكريم يلفت أنظارنا إلى مجموعة من المرشدين بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة الفاتحة: ٧/١) ويوضح في آية أخرى مَنْ هم أولئك الذين أنعم عليهم فيقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء: ٦٩/٤)، فالصديقون هم المرشدون المتمسكون بالدين حقّ التمسك المصيبون في كلّ أفعالهم، البعيدون كل البعد عن الخداع والمكر والحيلة والكذب؛ والشهداء هم مَنْ يبدون وكأنهم يرون الحقائق التي نؤمن بها نحن غيبياً دون أن نراها، الواقفون على حقائق الأشياء والحوادث، الذين يشهدون على حقيقة الإسلام بحيواتهم؛ والصالحون هم من سلّمتم وصلّحت تماماً كل تصرفاتهم ومعتقداتهم وأقوالهم، الذين يتبعون الإصلاح والبعدون لأقصى درجة عن الفتنة والفساد؛ ولذلك فإنّ السير دون مرشدٍ ولا دليلٍ من أجل تربية النفس في إطار الدين الهادف إلى الارتقاء بالإنسان من مستوى الإنسان الكامن إلى

مستوى الإنسان الحقيقي الكامل صعبٌ جداً، لكن تحقق هذا لا يعني ضرورة وجود تيارٍ مستقلٍّ، أو نظامٍ آخرٍ سواء سُمِّيَ بـ"الطريقة" أو غير ذلك من الأسماء، فالتصوُّف وإن كان قد وُجد روحاً ومعنى في عصر سيدنا رسول الله ﷺ أفضل القرون التي عيش فيها الإسلام، ثم في عصر الخلفاء الراشدين فعصر التابعين، ثم عصر تابعي التابعين؛ إلا أنه لم يوجد بشكله الحالي كنظامٍ آخرٍ مستقلٍّ كما هو عليه الحال في يومنا؛ فمنهج الصحابة ليس تجمُّعاً في مكانٍ ما على منوال "الطريقة"، وإنما هو المنهج الذي يتناول الإنسان كلياً ويتبنَّى تربيته في غمار الحياة والحوادث.

وكذلك الأمر بالنسبة لفتح الله كُولن فهو نصيرٌ منهجٍ على هذا النحو، كما أن إرشاداته وإضاءاته في هذا الموضوع تُشكِّل أهمَّ جوانب شخصيته وحرسته وعمله.

### تربية النفس أو حركة الوصول إلى الكمال الروحي

ينظر فتح الله كُولن من زاوية الإنسان أولاً إلى تربية النفس التي فيها جانبٌ أو بُعدٌ تعليميٌّ وتهذيبيٌّ؛ فالإنسان -في منظوره- كائنٌ مجهَّزٌ بأحاسيس علوية، ذو استعداد للفضيلة، عاشقٌ للأبدية والخلود، فأكثر الناس بؤساً من ناحية المظهر يحمل في جوانحه حباً للخلود وعشقاً للجمال وإحساساً بالفضيلة، وطريقُ السمو بالإنسان والارتفاع به نحو الخلود يكون بتنمية هذه الاستعدادات والقابليات عنده<sup>(٢٠١)</sup>.

وطبيعيٌّ أن الإنسان ليس كائناً يمكن فهمه والتعريف به ببضع كلماتٍ بسيطةٍ؛ فهو -وفقاً لما يراه كُولن أيضاً- كائنٌ من الصعب معرفته والإحاطة به، واختلافه وتميُّزه يُعلن عن نفسه منذ مجيئه الدنيا، فكلُّ مخلوقٍ حيٍّ سواه حين يخطو أولى خطواته في الدنيا يخطو وكأنه ربي في عالمٍ آخر؛

(٢٠١) فتح الله كُولن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٧٥-٧٦.

فيأتي وهو على معرفة بقوانين الحياة، والأصح أنه يُرسل هكذا، أما الإنسان فيأتينا محروماً من المعرفة والمعلومة الضرورية من أجل الحياة رغم أنه أروع وأكمل المخلوقات، وهنا -أي في الدنيا- يتشكّل كلُّ شيءٍ يتجاوز النظام الفطري لوجوده الحيواني، ويتحقّق ذلك في ظلّ العقل والذهن والإرادة والحرّيّة والحسّ والكشف الداخلي، وبهذه الصورة يصل الإنسان إلى تكامله الداخلي والخارجي، وإلى ذاتيته أيضاً عبر هذا السبيل فحسب؛ أي إنّ الإنسان يتكامل ويسمو بالتعلّم والإيمان والعيش فحسب، فيرقى ويصبح إنساناً حقيقياً بكلّ ما للكلمة من معنى<sup>(٢٠٢)</sup>.

ويستمر كَوْلُنْ في بيان آرائه التي سردها في مقالات ولقاءات مختلفة حول الإنسان وتربيته المعنوية وتربية النفس وتهذيبها فيقول:

"إنّ للإنسان جانبيين هما: الملك والملكوت؛ ويمكن تسميتهما بأسماء أخرى، وقد أطلق بعضهم عليهما الملائكي والشيطاني أو الجسدي والروحاني أو المادي والمعنوي أو النفسي والوجداني، وسعوا الشرح الحقيقة نفسها بعبارات مختلفة.

والأفضل تناول الجانب المعنوي والماديّ من الإنسان في صورة آليتين مختلفتين، وتقييمهما في ضوء ذلك؛ ولنُطلق على المعنويّ اسم "آليّة الوجدان"، وعلى الآخر "آليّة النفس".

فبينما يُشكّل آليّة الوجدان القلب والروح والسر والخفي والأخفى واللطائف الربانية المتعلقة بعالم الأمر والإرادة والإدراك والشعور والحسّ والمشاعر؛ تُشكّل آليّة النفس الغرائز والنزوات والأهواء والحقّد والبغض والغضب والعناد... هذه المشاعر التي وُهبّت للإنسان لغاياتٍ وحكمٍ معيّنة... وهاتان الآليتان تعملان غالباً على النقيض، غير أنّ آليّة النفس تغدو إيجابيةً إنّ تغلبت

(٢٠٢) فتح الله كَوْلُنْ: سلسلة العصر والجيل -١: العصر والجيل، مقال "تقدير الإنسان (İnsanı Yükseltme)"، ص ٤٦، مجلة "بیزنّی"، يوليو/تموز (١٩٧٩م).

عليها آليّة الوجدان، ثم تتحوّل إلى آليّة تعمل على رفعة الإنسان ورقية.

نعم، يمكن أن تصير آليّة النفس نافعة للإنسان حينما يحتاز مرتبة النفس الأمّارة -وفقاً لتصنيف الصوفية- إلى مرتبة النفس اللّوامة فالملمّمة فالمطمئنّة فالراضية فالمرضية فالصافية، ولأجل هذا فإنه من النقص والخلل تناول الإنسان من جانبه المعنويّ فحسب، واعتباره مجرد آليّة للوجدان فحسب؛ إن الولاية الحقيقية هي ولاية الصحابة؛ وقد صبغ الصحابة آليّة النفس بـ"صبغة الله"، ووضعوا خاتماً من أختام الولاية حتى على المشاعر السلبية لدى الإنسان.

ولنتناول الشهوة مثلاً: إن هذا الشعور يغدو منبعاً محضاً للشرّ إن تمّ تفعيله من الناحية المتعلقة بنفسه فقط؛ لكن هذا الشعور أضيفت عليه في نهج الصحابة كيفية تجعله بعداً من أبعاد الولاية؛ أي إن الشهوة حينما توضع في الحلال يثاب الإنسان حتى على علاقته مع أهله؛ وقد عجب الصحابة حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ذلك، فتساءلوا: "يا رسول الله، أيأتي أحياناً شهوته ويكون له فيها أجر؟"، فأجابهم الرسول إجابةً منطقيّةً، وفطريّةً بقدر منطقيّتها قائلاً: "أرايتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"؛ إذا ترك الحرام يُكسب الإنسان ثواب القيام بأمر واجب؛ وهذا يعني أن الإنسان في استطاعته أن يفوز بالجنة بهذا الشعور الخاصّ بآليّة النفس.

ولنا أن نعد جميع المشاعر الخاصة بآليّة النفس وسيلةً للشعور بأحوال الجنة؛ أي كما يستطيع الإنسان بالأحاسيس والمشاعر الخاصة بآليّة الوجدان أن يشاهد بعض الأبعاد الخاصة بالجنة ويعايشها، فيمكنه كذلك أن يُحس ويدرك بعض الأحوال

الخاصة بالجنة بواسطة بعض الأحاسيس الخاصة بألية النفس المزكّاة، ويبدو أن هذا أحد أسرار وحكم إبهاج الجنة للروح والجسد معاً؛ وفي حديث القرآن عن خلق آدم عليه السلام من تراب وطين وصلصال وغير ذلك إشارة إلى بعض المواد التي تكشف ماهية الإنسان؛ وإلا فمن القصور حصر تفسير هذه المواد على أنها التراب والطين والصلصال التي نعرفها.

وهاك شعور الغضب لدى الإنسان، إنه شعور يُفسد الإنسان إن بقي على حاله، وربما يحوِّله إلى فرعون جانٍ ملطّخ الفكر والمشاعر واليدين والعينين بالدماء، غير أن الإنسان إن استخدمه في غاية نبيلة، أي إن دخل مثلاً في نزاع من أجل الدفاع عن دينه وعرضه وشرفه ووطنه بالشعور نفسه وقَتَلَ مَنْ أَمَاهَهُ فهو غازٍ، فإن قُتِلَ فهو شهيد؛ فغضبٌ على هذا النحو مقبول عند الله مثل "الحلم" أو أكثر... وإذا كانت الجوانب الترايبية ترفع الإنسان إلى هذه الدرجات إن عولجت جيّداً، فلکم أن تتخيلوا ماذا يُمكن أن يحدث إن أحسنّا استخدام آليّة الوجدان.

أجل، يمكن للإنسان بلوغ مستوى الملائكة في أي وقت شاء ولو بخصائصه الترايبية، بل إنه قد يفوق الملائكة عندما تبدأ آلية الوجدان عملها؛ ذلك أنه لا شيء يدفع الملائكة إلى الشر، فأرادتهم تتجلى في اختيارهم عملاً من الأعمال المعروضة المرضية عند الله، أمّا إرادة الإنسان فهي مكلفة بالاختيار بين الحسن والردّيء، ونظراً لأن "الغنم بالغرم" فإن اجتياز الإنسان تلك المعضلات التي تواجهه يُعدّ وسيلةً وطريقاً ليكون أفضل من الملائكة.

بالوجدان يجد الإنسان ذاته وربّه؛ ولأجل هذا فإن مئات الناس بدءاً من عظماء الإسلام كالإمام الرباني والإمام الغزالي ومولانا جلال الدين الرومي وبديع الزمان سعيد النورسي، وصولاً إلى

كثير من المفكرين الغربيين تناولوا الوجدان إما بالكشف وإما بالحدس، وتوقفوا كثيراً عند تلك الخاصية؛ وإنني لأستخدم بصفة خاصة عبارة "الكشف والحدس" هنا؛ فالأولياء يعلمون خصائص الوجدان كشفًا، أما الفلاسفة فيعرفونها حدسًا، وقد اتفق الفريقان على أن الوجدان لا يكذب.

ويدرج الأستاذ بديع الزمان الوجدان في مؤلفاته الأولى بين البراهين الرئيسية والأساسية التي تدلُّ على وجود الحق تعالى؛ غير أنه لا يرى الوجدان دليلًا موضوعيًا واضحًا بالقدر الذي يفهمه الجميع؛ لذا تجده في كتابه "الكلمات" اقتصر من هذه البراهين على ثلاثة: الرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن، وكتاب الكون.

أجل، لا يستطيع كل إنسان أن يفهم لغة الوجدان الخفية؛ ولأجل هذا لا يُعدُّ دليلًا موضوعيًا، غير أنه أعظم دليل وأقوى برهان عند من يفهم لغته؛ فلا قيل لأية معلومات أو مكتسبات على الإطلاق أن تُشعر الإنسان بما يُشعره به وجدانه.

ففي الوجدان نقطة استناد ونقطة استمداد: بهما يُدرك الإنسان عجزه وفقره، ويعتمد بهذا الإدراك على الله، فيطلب ما يطلب منه تعالى؛ وما دام لدى الإنسان حس "طلب المدد"؛ فهذا يعني أن هناك من سيُمدُّه، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان منح الإنسان هذا الحس نوعًا من العبث، ولا عبث في الكون ألبتة، فلا شك أن هناك مقابلًا لكل شعور لدينا، إذا إنَّ ثمة مقابلًا لكل من نقطتي الاستناد والاستمداد الكامنتين في الوجدان، بيد أن من لم يصغ إلى وجدانه ولو مرة واحدة في حياته، يتعذر أن يشعر أو يحس بهذا؛ وإن الشعور قسم تابع لآلية الوجدان، غير أنه لا يُعنى بقيمته الشخصية قيمة قائمة برأسها؛ وحين ينضم إلى الإرادة والحين والقلب يصبح وكأنه وجدان مستقل بذاته.

إن الوجدان صوت إلهي سماوي يصدع ويجهر وحده دائماً بالحقّ والحقيقة؛ مثله في ذلك مثل كل شواهد وجود الحق التي لا تصمت في أي وقت أبداً؛ بيد أن هذا منوط بالوجدان الذي يدخل في إطار تعريفنا نحن للوجدان، وإلا فإنه من المستحيل ألبتة انتظار النتائج نفسها من وجدان خضع لآلية النفس، وانسحق تحت وطأتها.

أجل، تصوّروا إنساناً تحوّل برمته إلى عاشقٍ للشهوة والحقّد والغضب والمنصب والمقام؛ إنه بذلك يخضع في كلّ شؤونه لتأثير تلك المشاعر السلبية التي أحاطت بروحه، فالوجدان لدى مثله مكتوف الأيدي عاجزٌ عن التأثير، وأمثال هؤلاء ليست لديهم أية معلومات عن آلية الوجدان؛ لذا فإن إدراكهم معنى الوجدان وغايته الأسمى من كل الغايات أمرٌ غير ممكن.

وثمة أمرٌ آخرٌ مهمٌ نشير إليه هنا:

يقول "كانط" في كتابه المسمى "نقد العقل المحض": إن الله يُعرف بالعقل العملي، لا بالعقل النظري، فإن التصرفات الحسنة، والأعمال الحسنة سرعان ما تتحوّل إلى طبيعة في الإنسان، وتبلغ به نقطة لا تُبلغ بالعلم المجرد. أجل، إن المعرفة والمعلومات المجردة لا ترفع الإنسان إلى هذا المستوى ألبتة، فمن حُرّم التطبيق والعمل يعجز قطعاً عن الإحساس بما يجب عليه الإحساس به في ضميره مهما قرأ من كتبٍ وأسفارٍ.

أما ما يجب على الإنسان عمله فهو الأعمال التي استحسناها الدين ووصفها بـ"الصالحات"؛ وإعمال آلية الوجدان واستثمارها ذو قرابة قريبة جداً من تطبيق مفهوم "الصالحات" في الحياة<sup>(٢٠٣)</sup>.

وهكذا فإنَّ عمليَّة سلوك الإنسان طريقًا كهذا ووصوله إلى الإنسانية الحقة تُسمَّى "تربية النفس" أو "حركة بلوغ الكمال الروحي" وهي تُحتَم على الإنسان أن يكون على وعي بنفسه وبما فعَله في المقام الأول؛ فهو حين يدرك عجزه واحتياجه الحقيقي وأنه لا يكتفي بنفسه ذاتيًّا، ويصل إلى حكمة مجيئه الدنيا دون أن يُؤخَذ رأيه، ومن أboين لم تُترك له حُرية اختيارهما، وبلونٍ وبنيةٍ جسمانيَّة وشخصيةٍ خارج اختياره، وفي مكانٍ وتوقيتٍ حُدِّد دون سؤاله، ورحيله عن الدنيا في مكانٍ وزمانٍ حُدِّد واختير بعيدًا عن استشارته أيضًا؛ فهذا يعني أنه خطأ أولى خطواته في سبيل تحقيق هذه الحركة والعمل، فيشعرُ نفسه بعد هذا بضرورة معرفته خالقه ومرشده في الدنيا، وكيف ينبغي له السير في رحلته الدنيويَّة هذه، وسيواصل بفضل هذا الشعور مسيرته وطريقته عبر وسائلٍ متعدِّدة كالتأمُّل والتعلُّم، وتحويل ما تعلَّمه إلى تجارب مفيدة من جانب، وممارسته الحياة بوعيٍّ وشعورٍ، وإدراكه كلِّ فكرةٍ وتصرفٍ، ومراقبته نفسه دائمًا ومساءلته إياها، ورجوعه عن أخطائه مباشرةً بمجرد إدراكه إياها، والبعد عن كلِّ شيءٍ حرَّمه الله، وتنفيذ كلِّ ما أمر به تعالى، والتواضع والصدق والشكر والصبر والذكر والعشق والشوق من جانبٍ آخر، وهذا أصعب جانبٍ بالنسبة لتربية الإنسان أو تعليمه، ونظرًا لأنه يمثُل أيضًا أصعب النضالات التي يخوضها في الدنيا بنفس الشكل؛ فقد وصفه سيدنا رسول الله ﷺ بالجهاد الأكبر.

وهكذا فإنَّ فتح الله كولن يتناول عمليَّة تهذيب النفس في هذا السياق ويحقِّقها بالدرجة الأولى في نمط الحياة المثاليَّة، ونموذج المعيشة الذي طرحه، وعلاقته العميقة بالله التي تُشكِّل شخصيته وسمته وتساب من نظراته إلى المعاني المرتسمة على مُحيّاه، ومن تبسّماته إلى حركات يديه وطريقة مشيته وأسلوب حديثه، وتوجّه كلِّ عناصر لغة الجسد الأخرى،

وتسري إلى قلوب كل من يروونه ويسمعونه ويعرفونه بصورة مؤثرة وشعورٍ وعشقٍ، ثم بأحاديثه ومقالاته؛ فلقاءه ومقالاته هذه تجري في نطاقٍ يمكنه أن يشمل الإسلامَ تمامًا بداخله بدءًا من معرفة الله تعالى بالشكل اللائق وصولاً إلى محبته ﷺ، ومن العبادات التي تُشكّل أركان الإسلام كالصلاة والصيام والزكاة والحجّ إلى الأوصاف الخاصة التي هي لبّ العبادات وخلاصتها، وكل واحدة منها فضيلة وحالة مثل التقوى والإخلاص والإحسان، ومن سُبلِ الحماية في مواجهة الذنوب والهَرَمِ المعنوي إلى سُبلِ الخلاص من الصفات السيئة كالعُجب بالذات والسمعة والرياء.

"إن أعظم هموم إنساننا اليوم هو النقص في علاقته وصلّته بالله جل جلاله، وإذا كان الأمر كذلك وجبّ عليه أن يلجأ يوميًا إلى كلّ وسيلةٍ تضمن تلك العلاقة والصلة، ويراجع دومًا وباستمرارٍ الطرق المؤدّية إليه تعالى، وإلا فإنه لا بُدَّ من هدم وتدمير كلّ ما يُبعدنا عنه تعالى هدمًا نهائيًا حتى وإن كان تكيّةً أو زاوية!"<sup>(٢٠٤)</sup>.

هكذا يقول فتح الله كَوْلُنْ؛ فيضع بذلك معيارًا ومقياسًا للصلة بالله تعالى؛ إذ يرى أنه ينبغي للإنسان "ألا يحزن على ما يفوته، ولا يفرح بما يجده" حتى تقوى علاقته بربه، لأن الفوز والخسارة كلاهما وسيلة من وسائل الامتحان، علاوةً على أننا لا نستطيع أن نجزم أيهما لنا أو علينا في الآخرة؛ فربّما أن لحظّاتنا الحزينة والمهمومة تتسبب -مقارنةً بأوقاتنا السعيدة- في أن ننال قدرًا أكثر من الجزاء والمكافأة في الآخرة؛ لذلك يلزم أن ننتبه إلى أن يتوافق كلّ ما نفعله مع رضا الله تعالى، ومن ثمّ فإنه ينبغي أن يُفرحنا ويُسّرنا اضطلاعنا بالأعمال التي تبلغنا رضا الله وتُكسبنا مرضاته<sup>(٢٠٥)</sup>.

(٢٠٤) فتح الله كَوْلُنْ: سلسلة الفصول-١، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢٠٥) فتح الله كَوْلُنْ: سلسلة الفصول-٣، ص ٥٦.

### مكانة العبادات في الوصول إلى التوحيد

يهتمُّ فتح الله كُولُنْ لأقصى درجة بالصلة بالله، ويربط كلَّ قولٍ وفكرٍ وتصرفٍ بمرضاته تعالى، ويُرجِعُ كلَّ نجاحٍ وتوفيقٍ إليه سبحانه، وباختصارٍ إنَّه يُرجع الأمر كله إلى إدراك الصلة بين العبد وربِّه ووعيتها بشكلٍ جيِّدٍ جدًّا وقبولِ النفس لها، ويرى ذلك قضية الإسلام الأولى، ويعتبر العبادة شرطاً أصيلاً لا يمكن الاستغناء عنه إلى جانب الإيمان والعلم من أجل الوصول إلى هذا المستوى، ووفقاً له فإنَّ معرفة الله أمرٌ متوقَّفٌ على المستوى المرتبط بالعبادة في جانب منه؛ إذ لا تتحقَّق معرفة الله بالشكل الواجب إلا بالعبادة، ويلفت الانتباه إلى النقاط الآتية فيما يتعلَّق بهذا الأمر قائلاً:

"لا نستطيع العيش مدى الحياة بتحويل مرآة القلب إلى الربِّ مرَّةً واحدةً فحسب، والمدد الرباني والذوق الروحاني الذي نحصل عليه بتجليِّه في تلك اللحظة، ومن ثم يجب الانفتاح الدائم على تجلياته سبحانه.

كما أنَّ الأشياء التي تكفي الإنسان في صغره لا تكفيه عند بلوغه، فإننا كذلك لا نستطيع التطوُّر ولا النموَّ ما لم نكن منفتحين دائماً على الرب بحسب مستوانا الفكري والروحي.

يجب تناول العبادة بشكلٍ موسَّعٍ جدًّا؛ فالصلاة عبادة، والصوم عبادة، والحجَّ عبادة؛ حتى إنَّ كلَّ شيءٍ يُفعلُ طاعةً لله تعالى وفي الخطِّ الذي ارتضاه الإسلام وصحَّحه عبادةٌ<sup>(٢٠٦)</sup>.

وفي موضعٍ آخرٍ أيضاً يُذَكِّرُ كُولُنْ هذا التذكير بالبالغ الأهمية:

"الإنسان مؤمن بما في قلبه من إيمان، وليس بما في ذهنه من ازدحام المعلومات، ولهذا السبب فإنَّه بعد أن يقطع المسافة

التي توصل إليها عبر أدلة الأنفيس والآفاق، لا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام في سبيل الترقّي والسمو ما لم يستطع التخلص من تلك الأمور، فعلى الإنسان أن يطرح كل هذا خلف ظهره، ويسير مباشرة في طريق القلب والوجدان النوراني تحت أطياف نور القرآن، كي يتمكن من الوصول إلى النور الذي ينشؤه ويبحث عنه<sup>(٢٠٧)</sup>.

وكما مرّ سابقاً؛ فإن فتح الله كَوْلُنْ الذي يركّز بحساسية على العبادات وفي مقدمتها الصلاة والزكاة بل والإنفاق بمعنى أوسع وإطار أشمل، وعلى الصوم والحجّ، كذلك يلفت الانتباه إلى أمور معيّنة تتصل بالعبادات كلّها؛ فالإنسان يلزمه أن يراقب نفسه ويحاسبها دائماً في عباداته كلّها كما هو مطلوب منه في أفكاره وتصرفاته جميعها، وعليه كذلك أن يتفحص نفسه ونيته بصفة دائمة، فيفكر فيما يجب عليه فعله فيفعله، وما يجب عليه تركه فيتركه، كما يرى أنه يجب على الإنسان حتى وهو في أكثر أعماله اللائقة بالقبول ألا ينسى لحظة واحدة أنه قد يهزم، وأن النفس والشيطان يوسوسان له، وبالتالي فعليه أن يجد لذلك نوعاً مناسباً من المراقبة والتدقيق.

وفي هذه النقطة يلفت كَوْلُنْ الانتباه إلى موضوع آخر في غاية الأهمية؛ فالإيمان على ضرورة أن يكون الإنسان حساساً يقظاً إلى هذا الحدّ فيما يتعلّق بعبادته وأعماله الشخصية؛ يؤكد بصفة خاصة على ضرورة أن يُفكّر الإنسان فيما يتعلّق بالآخرين بالشكل نفسه، ويبين أنه من الخطأ أن يُسيء الظنّ بهم، فيقول:

"إنّ للنفس دوراً في التفكير بحقّ الآخرين بنفس الشكل، وإساءة الظنّ في عباداتهم، وهذا يعني سُمّاً زعاقاً قاتلاً - نسأل

الله السلامة- وانخداعًا مرعبًا مخيفًا، ومن المحتمل أن الآخرين أدركوا مبكرًا ما حاولتم أنتم إدراكه والوصول إليه؛ إلا أنكم لا تدرّون عن ذلك شيئًا" (٢٠٨).

### النجاة من الرياء، وتكامل القول والفعل

أكثرُ شيءٍ ذكّر به فتح الله كُولَنُ ونَبّه إليه في هذه النقطة هو الرياء وكيفية النجاة منه؛ فيقول:

"يقال إن كل إنسان قد يقع بداية في الرياء، وقد يصحبُ الرياءَ الدخولَ من باب العبوديّة، غير أن العبوديّة لا تستمرّ مع الرياء؛ فكلّما قطع العبدُ مسافةً وتقدّم في طريق الإخلاص كلّما زال الرياء عنه ولم يبقَ له أثر في نفسه".

كما يُتّابع حديثه عن الرياءِ وسبيلِ الخلاصِ منه فيقول:

"لا يسعى الإنسان ولا تتكوّن بداخله محاولة لتحقيق الإخلاص دون أن يتعرّف على الرياء ويدرك ماهيته؛ فإن كان الإنسان يُراني وهو لا يدري استحالَ عليه تحقيق الإخلاص، فكما أنّ معرفة النفس بابٌ يؤدّي إلى معرفة الله، فإنّ تعرّف الإنسان على معنى الرياء يتحقّق في إطار سعيه ونيّته إدراكُ الإخلاص وتحقيقه؛ فيدخل من ذلك الباب ويصل تدريجيًا إلى الإخلاص، وربما يفعل الإنسان ما يفعله بمحض النصّح في البداية دون أن يدرك معناه ولا محتواه ولا عمقه، وإنما يفعله لمجرد الأمر به فحسب، وبالتالي فإنّ بعض التصرفات التي ربما نراها في أول الأمر نوعًا من أنواع الرياء قد تبدو طبيعيّة عاديّة، إلا أنّ الإنسان يسيطرُ على نفسه في نهاية الأمر ويُخضعها للمراقبة والمتابعة إمّا لوصوله إلى أفق معرفة معين بالنسبة لذاتِ الحقّ جلّ جلاله وعمّ نواله وتقدّست أسماؤه وصفاته، أو لسببٍ آخر، ويشرع في تصرفات

مخلصة مسافراً في عالم الإخلاص؛ فيبحث دائماً، ويستقلُّ ما يجده فيبحث مجدداً ليستزيد إخلاصاً، ويمرّ بهذا الشكل -وحتى آخر لحظات عمره- ربما من ألف مرتبة من مراتب الإخلاص، إلا أنه يظلّ يطلب "الإخلاص" ويتلوّى توقفاً وشوقاً إليه، إلى أن يكون دعاؤه كله إخلاصاً؛ فينام ويقوم طالباً الإخلاص من الله متضرعاً إليه بقوله: "اللهم ارزقني الإخلاص"، حتى إنه إن نسي طلب الإخلاص في أحد أدعيته فسرعان ما يعود يطلبه وينشده قائلاً: "اللهم ارزقني الإخلاص"، فكما أنكم كلما رغبتم في المرور من تحت قوس ألوان الطيف هرباً وابتعد عنكم كلما سرتم وجريتم؛ فإن الأمر عينه بالنسبة للعبودية الخالصة المخلصة؛ إذ إنها عشق لا يدرك بسهولة، فتظلُّ تستركض الإنسان خلفها، وتستطلبه إياها، نسأل الله أن يوفّقنا في هذا السباق آمين! (٢٠٩).

ويشير كُولُنْ إلى أن عصرنا يبدو في جانب منه وكأنه عصر رياء، فيقول:

"لم تُشاهد مرءة بقدر ما هو موجود في عصرنا منذ أن خُلِقَت الدنيا؛ لأن العوامل التي تدفع إلى الرياء في يومنا الحاضر كثيرة جداً، فالكل يقع في شباك نوع من الرياء؛ حيث يقع البعض في كتاباته، والبعض بحديثه، والبعض بكثرة مطالعته الكتب، والبعض بعلمه بالسير الذاتية والمصادر، والبعض بشبكة علاقاته الواسعة وما شابها، وعلاوة على هذا فهناك الجوائز والطرود والتصفيق والمدح والتسابق والمراثونات والاعتزاز الشخصي والاعتزاز الجماعي والاعتزاز بالقومية... وفي ساحة أخرى التكريمات والكرامات والكشف والإنطاق بالحق وتبؤ حدوث الأشياء مسبقاً... وهناك الكثير والكثير، حتى لكأنه ليس هناك من أحد يضع الله في حسبانته؛ إذ تنسب كل أنواع التوفيق للإنسان، ويفتخر الإنسان بكثير من الانتصارات المغتصبة التي ليست من عمله..."

ثم يحذر قائلاً:

"الواقع أن كلَّ قولٍ وفعلٍ مُرائٍ كذبٍ ونفاقٍ، فالله يفيض بالإحسان أما البشر فإنهم ينسبون إحسانات الله إلى أنفسهم بدلاً من استخدامها في الوصول إلى الله، ويجعلونها حجاباً بينهم وبين الله، إن كل ما نملكه من الخير والملكات والنجاحات هو من عند الله تعالى، لكن الإنسان الجاحد المنكر الأناني يجعل من كلِّ هذا سبباً لنسيان الله في وقتٍ أدعى له أن ينجذب حتى وهو في أصغر النَّعم، فيقول: "اللهم إنه منك، اللهم إنه منك!"<sup>(٢١٠)</sup>.

وثمة أمرٌ آخر مهمٌّ يؤكِّد عليه كُولُن من أجل حياةٍ قلبيةٍ سليمةٍ؛ ألا وهو تكامل القول والفعل وتطابقهما، فيذكِّر بأن أكثر ما خاف منه سيدنا رسول الله ﷺ بالنسبة لأُمَّته هو نفاق العالمِ ودهمائية المنافق، ويقول:

"المسلم ليس إنساناً جدلياً، إنه إنسانٌ يسعى ليكون كتاباً يتحرَّك على الأرض بتصرفاته وتحركاته أكثر من أقواله وكلماته، فرسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون لم يسعوا في أيِّ وقتٍ قطُّ إلى زخرفة القول وتنميته، بل سعوا لأن يكونوا قدوةً لمن حولهم بتصرفاتهم وأفعالهم.

وثمة بُعْدٌ آخر من أبعاد تكامل القول والفعل وتطابقهما ألا وهو القدرة على تحقيق وَحْدَةِ البداية والنهاية، ومقصدي من هذا: أن سيدنا رسول الله ﷺ لم يُعَيِّر طوال حياته قطُّ سلوكه المتواضع النزيه الذي تحلَّى به منذ البداية، فهل كان النبي ﷺ هكذا وكان صحابته على خلافه؟ كلا وألفُ كلا!... فمن أسلموا قلوبهم لقصيدةٍ مقدَّسةٍ ينبغي لهم ألا يستغلُّوا ما يحظون به بسبب تلك الدعوة من تقديرٍ وفضلٍ؛ وعليهم أن يعتبروا ولو حتى مجرد غرس شجرة في حدائقهم الاستفادة من الدعوة خيانةً، فعليهم أن يفعلوا مثلما فعل

رسول الله وصحابته الأجلاء؛ ويرحلوا عن هذه الدنيا كما جاؤوها في إطار تكامل وتطابق بين المبدأ والمنتهى<sup>(٢١١)</sup>.

### القلب السليم

يركز فتح الله كَوْلُنْ على ضرورة سلامة القلب من أجل حياة معنوية سليمة وصحيحة، ويؤكد على أهميّة سلامته مستدلًا بهذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٢﴾﴾ (سورة الشعراء: ٢٦-٨٨-٨٩)، ويُسَبِّه كَوْلُنْ القلبَ السليمَ بالقِدْرِ البخاريّة فيقول:

"كما أن القِدْرَ البخاريّة لا تُسَرِّب شيئًا خارجها أبدًا إلى أن تُضْفَر؛ فالقلب السليم كذلك أو يجب أن يكون كذلك؛ فالواقع أن الرحمة وإحسانَ الظنِّ بالجميع يضعُ الإنسانَ بطريقة أو بأخرى في قالبِ سلامة القلب، ويكفي أن نسير نحن في هذا الطريق".

وعقب ذلك يُذَكِّرُ كعادته دائمًا بشيء آخر فيقول:

"ينبغي للإنسان ألا يرى عيوب الآخرين على الإطلاق، وعليه أن يتصرّف كنائبٍ أو مُدَّعٍ عمومي تجاه نفسه، ومحام بالنسبة للآخرين، انظروا إلى الأخلاق والكرم الإلهي؛ إن المولى يمنح حقَّ الحياة حتى لمن يَكْفُرُون به وينكرونه، ويرزقهم رغم كلِّ ما يبدر منهم، انظروا إلى تجلّي عدالته يوم القيامة أيضًا؛ فهو يعفو عمن تَبَرُّ حسانته سيئاته، وهكذا فإنه ينبغي -نزولًا عند فلسفة "تخلقوا بالأخلاق الإلهية"- رؤية الجوانب الإيجابية لمن حولنا دومًا، والتغاضي عن جوانبهم السلبية إن وجدت؛ ففي ظل هذا فحسب نستطيع الفوز بالقلب السليم<sup>(٢١٢)</sup>.

(٢١١) فتح الله كَوْلُنْ: سلسلة الفصول-١، ص ٩٦.

(٢١٢) فتح الله كَوْلُنْ: سلسلة الفصول-١، ص ١٠٠-١٠١.

### اتِّقَاءُ الرِّدَّةِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْعَاقِبَةِ

يُذَكِّرُ فَتَحَ اللهُ كَوْلُنَ دَائِمًا بِضُرُورَةِ أَنْ يَكْتَنِفَ الْإِنْسَانَ شَعُورُ الْقَلْقِ تَجَاهَ عَاقِبَتِهِ؛ وَأَنْ يَتَسَاءَلَ فِي سِرِّهِ هَلْ سَيُحْتَمُّ لِي بِخَاتِمَةِ الْإِيمَانِ أَمْ لَا؟! وَكَمَا أَنَّ هَذَا التَّذْكِيرَ يَشْمَلُ الْقَلْقَ مِنَ الْعَاقِبَةِ بِمَعْنَاهِ الْعَامِ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَهْدَفُ اتِّقَاءَ الْمُسْلِمِينَ الرِّدَّةَ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ:

"لقد حدث مع أولي العزم من الرسل - وهم سادتنا: محمد وعيسى وموسى وإبراهيم ونوح ﷺ أجمعين - أن ارتدت طائفة من قوم كلٍ منهم وإن كانت قد وقعت حالات من الردة حتى بين من عاشوا الجؤ والمناخ الذي عاشه الرسل في الماضي؛ فبدهي حصول نظائرها في هذا العصر الذي لم يدرك أو يتذوق أربابه لذة العيش في طمأنينة، ولم يصطبغ بالصبغة النبوية؛ ولذا فعلى الجميع أن يقلق بشأن عاقبته".

ويعرض فتح الله كَوْلُنَ النقاط الآتية كأدوات للوقاية من الرِّدَّة:

- "القلق الدائم حيال الخاتمة، والحذر التام من اعتبار الإنسان نفسه في مأمن.
- شدة الخوف من الله.
- اتباع الشريعة الفطرية؛ أي مطابقة الدعاء الفعلي للدعاء القولي، والانشغال الدائم بالعبادة والطاعة، والبعُد عن مواطن الذنوب والآثام وما نُهي عنه.
- مداومة مطالعة - وليس حفظ - المؤلفات المتعلقة بالإيمان، وتدارسها.
- التعاون مع الأصدقاء وملازمتهم في حلقات العلم وتجنب الوحدة، والحرص الدائم على تذكير دساتير السلوك مثل:

﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التَّوْبَةِ: ١١٩/٩) و"فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ  
من الغنمِ القاصية" (٢١٣) والعملِ بها.

- تخصيصُ نصفِ اليومِ على الأقلِّ لخدمةِ الله تعالى إلى جانبِ الوظيفةِ والعملِ الرسميِّ.
- والأمرُ الأهمُّ هو التزامُ بابِ الحقِّ تعالى؛ فمن يَلْتَزِمُ البابَ مخلِصًا صادقًا يرجي من الله أن يغفر له ذنوبه، ومن ثَمَّ فإنه ينبغي للمنزعينَ من ذنوبهم المتضررينَ منها أن يُهْرَعُوا إلى خدمةِ الدين؛ فهذا أعظمُ الاستغفار، وللخائفينَ ممَّا حولهم البحثُ عن الأمان في الخدمة (٢١٤).

### العبوديةُ الحقَّةُ ومعاييرُ المحاسبةِ والمراقبةِ من أجل حياةٍ قلبيةٍ سليمةٍ

يُقَدِّمُ فتح الله كَوْلُنْ مجموعةً من المعاييرِ الثابتةِ وحزمةً من نماذجِ المراقبةِ والمحاسبةِ بغيةً الوصولِ إلى العبوديةِ والحياةِ القلبيةِ الحقَّةِ وحمايتها، وهاكم بعضًا منها:

- مرَّ الفاروقُ عمر رضي الله عنه برجلٍ بنى بيتًا من طابقين، فقال له: "الموت أقرب منك!" فما الذي تُبَيِّنُهُ لنا وتشرحه هذه العبارة؟
- ينبغي للإنسان -إلى جانبِ ضرورةِ تربيته وكسبه المالَ للإنفاقِ على عائلتهِ والتصدُّقِ في سبيلِ الله- ألا يُعَلِّقَ قلبه بالدينا، ولا يُمَسِّكُ أو يكتنز ما يفرضُ عن احتياجاته الضرورية.
- إن كان لدينا فائضٌ عن حاجاتنا الضروريةِ من مالٍ ومتاعٍ وغيره فلا بدَّ من التصدُّقِ به وبذِّلهِ في خدمةِ ديننا وشعبنا وبلدنا والإنسانيةِ ابتغاءَ وجهِ الله تعالى.

(٢١٣) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، ٣٣٠/١.

(٢١٤) فتح الله كَوْلُنْ: سلسلة الفصول-١، ص ١٢٢-١٢٣.

- لا بدّ من معرفة قيمة كلّ نعمةٍ من النعم؛ حتى وإن كانت إدراك الظلّ في طقسٍ حارٍّ، وضرورة إدراك ما تُلقيه النعم على العاتق من مسؤوليات، وأنّ تنزّل كلّ نعمة نستفيد منها كالصفعة على رقابنا تُنبئنا.
- يأتي الإنسان هذه الدنيا مرّةً واحدةً، ويُمنح فرصةً واحدةً للقيام بالواجبات والوظائف التي ينبغي له الوفاء بها، وهو إزاء هذه الفرصة اليتيمة إما رابحٌ أو خاسرٌ، فإن ضاعت منه تلك الفرصة لم ينفعه ندمه على ما ضيّع قطّ؛ ولا رغبته أن ﴿ارجعون﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، وإنما يُقال له: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٩٩/١٠٠-١٠١) (٢١٥).
- ويُقدّم كولن مبادئٍ أخرى للمحاسبة والمراقبة على النحو التالي:
- أداء العبادات بإخلاص.
- البحث عن وجود أيّ خللٍ أو تقصيرٍ حتى في أكثر العبادات التي أديناها بوعي وحساسة.
- استحقار النفس وازدراؤها، وملازمة شكر الله تعالى على نعمة الإيمان وأننا لم نكن كفارًا في الأقلّ.
- إنّ مَنْ يُحْسِنُونَ تَمِيْقَ الْعِبَارَاتِ وَيُجِيدُونَ الْحَدِيثَ بَيْنَ النَّاسِ يَحْظُونَ بِحُسْنِ ظَنِّ النَّاسِ بِهِمْ، وَالْمَهْمُ هُنَا هُوَ أَنْ يُقْنَعَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَعْنِي أَيُّ شَيْءٍ، وَإِلَّا وَقَعَ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ إِنْ ظَنَّ نَفْسَهُ شَيْئًا مَا وَاعْتَرَّ بِهَا" (٢١٦).
- ينبغي للإنسان أن يكون حساسًا ومتنبهاً دائماً لهبّاتِ الغرور والكبر، وأنّ يعرف كيف يكبح جماح نفسه بمحاسبته إياها

(٢١٥) المصدر السابق، ص ١١٨-١١٩.

(٢١٦) المصدر السابق، ص ١٣٢.

ومراقبته الدائمة لها، وإن أقصر الطُرُقِ إلى ذلك نسبة كلِّ الخيراتِ المُنعَم بها علينا إلى المنعم الحقيقي وهو الله ﷻ، والتصديقُ بهذا والاعترافُ به وإعلانه.

- إنَّ الغرورَ خواءٌ يشعرُ به صِغارُ الناسِ الذين لم يخبروا أنفسهم ويتمكّنوا منها؛ فلكلِّ إنسانِ نافذة يريد في أن يظهرَ ويُطلَّ منها في الحياة الاجتماعية، فبينما قصارُ القامة يسعى كلُّ منهم بالوقوف على أطراف أصابع أقدامه كي يظهر بمظهرٍ طويل القامة فيفضح قصره ويُظهرُ نقصه بفعله هذا؛ نجد طوال القامات يبتنون وينحنون اجتهادًا منهم كيلا يبدوا طوالًا. أجل، إن دليل العظمة التواضع والتصاغُر، ودليل الضعفِ والدناءةِ الزهو والتكابرُ.
- تكون لدى ضعاف النفوس عقدة نفسية، يكون الغرور علامةً عليها، فلا ينبغي للمؤمن الذي يحظى بكم هائلٍ من أطاف الله ونعمه أن تكون لديه مثل هذه المشاعر<sup>(٢١٧)</sup>.

### الليالي والدموع

يركز فتح الله كَوْلُنْ -إلى جانب الدعاء والاستغفار الدائم- على التهجد وذرف الدموع في الليل خاصةً، ولَمَّا تجد على مرِّ التاريخ مرَبِّيَا نفسيًّا ركزَ على هذا المحورِ قدرَ تركيز الأستاذ كَوْلُنْ عليه، وعن الدموع يقول:

"إنَّ الدموعَ تعبيرٌ وبيانٌ عن لحظةٍ تُلفُّ الروحَ فيها أحاسيسٌ ساميةٌ علويةٌ لَمَّا تَأَمَّنْ؛ فتصهر القلب وتنفى عنه الرغباتِ الحقيرة والخبث، وتُثير فيه مشاعرَ كالهية والخوف والاحترام والحب...  
الدموع لآلئُ هذا العالمِ الفانيِ الجديرةُ بالبقاء، التي تشبه برقيتها رقي السحاب، وتطوفُ في رحابِ رحمة الله... والبحثُ

عن أخباره في كلِّ مكانٍ، ثم الذوبانُ كالثلوج عند انفراجِ كلِّ ضيقٍ وانحلالِ كلِّ عقدة... والفيضُ والجريانُ، والندمُ والبكاءُ... أيُّ سعادةٍ وأيُّ متعةٍ ولذَّةٍ يمكن أن تكون أصدقَ وأخلصَ من هذه؟!..

البكاء من أجل اللقاء والوصول، ثم فرحًا باللقاء والوصول... هذا البكاء ليس بكاءً يتيمٍ ولا قانطٍ... هذا البكاء ينبع ويتأتى من العجز عن المعرفة التامة، من العجز عن الوصول إلى الجوهر، أو من نشوة الوصول، أو من هيبة الوقوف في حضرة الله، إنه لذيدٌ غدبٌ حيث ينتهي بنزول الرحمة؛ فلا خسران في هذا البكاء لأنه في سبيل الوصول وإرشاد الآخرين إلى ما وصل إليه.

لو خررتَ خريزَ الماء  
وانهمرت عيناك مثل أيوب بالدموع والبكاء  
لو وقفتَ له على الباب  
وفديته بالروح والنفس والأحباب  
وعملت بأمره، أما يُجزل لك الثواب؟<sup>(٢١٨)</sup>

ولم يقتصر تركيزُ كولن على البكاء على بضع مقالاتٍ فحسب، فلقد أظهرَ في العديد من لقاءاته وأحاديثه تركيزًا مُلحًا، حتى إنه من الممكن القول: إنه إنسانٌ غريبٌ عبّر -ولا سيما في لياليه التي لم يذُق فيها النومَ- عن عشقه وقلقه وشوقه وأمله ومعاناته بواسطة دموعه وهو في حضرة الله، وسعى وهو بين الحشود والجموع أن يذهبَ وحدهً ووحشةً نفسه بأنسيّة "مُعِين المحتاجين"، ونجده في توجّعاته الداخلية النفسية التي استطاع إفراغها في كتاباته بواسطة الفنون البلاغية من مجازٍ وكنايةٍ وجناسٍ وتوريةٍ يُصوِّرُ الليلَ على النحو التالي:

(٢١٨) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-١: العصر والجيل، مقال "العبرات (Gözyaşları)"، ص ٥٣، [مجلة "بیزنئی"، سبتمبر/أيلول (١٩٧٩م)].

"تُمَثِّلُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي أَدَاءً لَا يَنْمَحِي مِنَ الذَّاكِرَةِ حَيْثُ  
ازدحمت فيها كلُّ عناصرِ الفَنِّ والشَّعْرِ مع مشاعرِ الجمالِ والأملِ  
والعزيمةِ والإيمانِ الجاثمةِ على صدرِ الأحلامِ كالَمِيَاهِ الهادئةِ  
الراكدةِ في كلِّ الجهاتِ، وعجبت فيها المصابيحُ المتلاثلةُ هنا  
وهناك، والأحلامُ التي تلوح فتلُفُّ الأرواحَ، والبذورُ تبدو وكأنَّ  
كُلًّا منها عالمٌ خفيٌّ من الأسرارِ تعمَّقتُ وألغزتُ فيه أطيافُ السماءِ  
أكثرَ فأكثرَ، وأصواتُ الميَاهِ وصيحاتُ الطيورِ والحياةِ والوجودِ  
على نحوِ أكثر... وهناك المزيدُ من صنوفِ الجمالِ والحسنِ نثرها  
على وجهِ الطبيعةِ اللهُ النورُ الموجودُ الحيُّ القديرُ، يستيقظُ كلُّ  
واحدٍ منها في غزاةِ الليلِ كالْبُدْرَةِ النابتةِ، ويختمرُ في أعماقِ الليلِ  
البهيمِ، وينمو راضعًا من صدره الحنونِ فيتطورُ ويظهرُ للعيانِ،  
وأرى أن موسيقى الحياةِ الحقيقيةِ تُلحَّنُ في الليلِ دائمًا، وفيه أيضًا  
تتردَّدُ، وتجذُّ نغمتها في أحزنِ ساعاته، وتتولَّدُ من أشدِّ المناظرِ  
المتوهِّمةِ في اللحظاتِ التي يُخَيِّمُ فيها الظلامُ على النورِ، ومن  
الأشكالِ المتخيَّلةِ التي كوَّنتها تلكِ المناظرِ والمشاهدِ.

أجل، إنَّ الليلِ فرقةٌ موسيقيةٌ ساحرةٌ رائعةٌ إلى حدِّ بعيدٍ يلحَّنُ  
فيها القلقونُ والمهمومونُ قلَّهم ومعاناتهم، ويتغنَّونَ فيها بمزاميرِ  
القلبِ؛ فالأصواتُ الصادرةُ عنها تعرجُ إلى السماءِ في نَفْسٍ واحدٍ  
فتنتشُرُ في الآفاقِ، ولكن ما أغربُ أن يكونَ معظمُ المتدثرينِ بستارِ  
الليلِ لا يسمعونَ هذا الصوتِ، ولا يفهمونَ شيئًا مما يحدثُ  
حولهم... لا يسمعونَ ولا يفهمونَ؛ لأنَّ عيونهم غيرَ وفتية، ونياتهم  
ميتةٌ، وأفكارهم معوجةٌ، وقناعاتهم منحرفةٌ، إنَّ الشعورَ بالوجودِ  
مرهونٌ بأن تملأَ المناظرُ والمشاهدُ الجميلةُ العيونَ والقلوبَ وتنفذُ  
إلى الأرواحِ، وإنَّ الإحساسَ به مرهونٌ بمعرفةِ الأشياءِ والتكاملِ  
معها، والتفتيشِ عن كلِّ شيءٍ بمعاييرِ القلبِ العارِفِ، والتيقُّظِ  
والتنبُّهِ الدائمينِ، إنَّ هذه الأرواحِ العارفةِ والحساسةِ تتعقَّبُ كلَّ

شيء بعناية تامة؛ سعياً منها أن تُدرك كل المعاني التي يُعبّر عنها الوجود، وتُقيّم وتستفيد من الحقائق التي توصلت إليها في مناخ الوجدان المنير؛ فتصل من خلال هذا الطريق المنير إلى عوالم وأفكار جديدة وتخبُر أبعادها تماماً، وتصل إلى متع تُوازي متع الجنان، والوجود كله في نظرهم بمثابة لسان حالٍ ناطقٍ وشارحٍ ومثيرٍ مُهَيِّجٍ يفيض بالمعاني والأحاسيس<sup>(٢١٩)</sup>.

### الوقاية من الذنوب والآثار

من المهم جداً أن يجتنب الإنسان الذنوب في حياته الروحية، ويحافظ على المستوى الذي اكتسبه -مع ضرورة اجتناب المنافسة على الدرجات وقطع المسافات وما شابه ذلك- ويترقى إلى درجات أعلى وأسمى، وكثيراً ما يُذكر فتح الله كولن بهذا الأمر، ويُقدّم توصياته حوله؛ فنجد في موضوع الوقاية من الذنوب مثلاً يلفت الانتباه إلى ضرورة أن يُطبّق الإسلام في يومنا الحاضر تطبيقاً جيّداً، ويشير إلى أن فاعل ذلك يشبه من يمسك جمرةً في يده أو من يسير على الجمر الملتهب انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف القائل: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ"<sup>(٢٢٠)</sup>، لأنه يرى أن الرغبات المفطورة في طبيعتنا والنفس والنزوات البدنية -التي يُغذيها الجو العام المحيط بنا- قد رفعت ذيلها ذا الغدة السامة كما العقارب؛ تسعى أن تلدغنا، غير أن كولن يسوق بشارةً في هذه النقطة فيقول:

"لَمَّا كَانَ الْمَغْنَمُ عَلَى قَدْرِ الْمَغْرَمِ؛ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نُفَكِّرَ فِي الْمَزَايَا الَّتِي سَتُكْسِبُنَا إِيَّاهَا كَثْرَةُ الصَّعَابِ، فَتَرْوِّحَ عَنْ أَنْفُسِنَا،

(٢١٩) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-٤: شريحة الزمن الذهبية، مقال "اللبالي وبهاؤها الخاص (Kendi Güzelligiyle Geceler"، ص ٨٦-٨٧، مجلة "سينثي"، أكتوبر/تشرين الأول (١٩٨٨م)].

بل إننا نفرح ونُسْرُ؛ لأننا حين نستطيع تجاوزَ هذه العقبة ونتغلب عليها يكون ربُّنا كبيرًا بقدر تلك النسبة والكمية أيضًا.

ثم يوصي من أجل الوقاية من الذنوب بما يلي:

أولاً: اتخاذاً أعلى درجات الحيطَةِ والحذرِ في المشي على مثل هذه الأرضية الزلقة والخطيرة من جميع الأوجه؛ فكما يتم المشي بكلِّ حذر في الأراضي المزروعة بالألغام أو في مدينة للأعداء، يجب التدرُّع بالحذر نفسه أيضاً عند التجوُّل في الأسواق والشوارع اليوم.

ثانياً: لا بُدَّ قبل الخروج إلى الشارع والأماكن المليئة بالذنوب والآثام من تفحصٍ واختبارٍ مشاعرنا وأحاسيسنا وتغذيتها بالغذاء الروحي، ومحاسبة النفس، والدخول في مثل هذا الجوّ الروحي.

ثالثاً: عدم بقاء الإنسان وحيداً، ولا سيما في البيئات التي تروج فيها الذنوب، بل الخروج دائماً مع صديق أو أصدقاء يُساعدُ ويحفظُ حيويةَ الروح ويقظتها.

رابعاً: عند خروجنا إلى الشارع علينا أن نصحب معنا دائماً ويقدر الإمكان عناصر التذكير والمراقبة كالكتب والمجلات والأوراد والأذكار فهذه المواد تكون سترًا يحجبنا عن الآثام ووسيلةً للمراقبة والتذكير الدائم.

خامساً: عند اقرارِ أيِّ ذنبٍ أو الوقوع في أيِّ خطأٍ يجبُ على الفورِ الندمُ وإعلانُ التوبة حتى لا يُفسح للذنب أيُّ مكان، إذ يجب أن يكون قلبُ المؤمن أقلَّ القلوبِ حملاً للذنوب، ولا يُسمحُ للذنبِ بالاستيطان فيه أبداً، وكلما تأخرت التوبة كلما اسودَّت الأرواح وتهيأت سبُل الذنوب والآثام الأخرى وسهَّل اقرارها.

سادساً: صلاةُ التهجد هي نورُ عالم البرزخ، وهي من أسرع العوامل في محو السيئات، لأنك تتوجّه فيها إلى ربك في أحلك

ساعات الليل المظلم البهيم تدعو وتتضرّع بقلبٍ يُراوحُ بين  
الخوف والرجاء، فسيلقى بإذن الله قبولاً حسناً من الله تعالى.  
سابعاً: حين يغفر الله تعالى لنا زلّاتنا وأخطاءنا التي وقعنا فيها  
بين كل صلاتين إذ نقف بين يديه في الصلاة نعلن له عبوديتنا بكلّ  
خشوع وخضوع، علينا أيضاً أن نسعى إلى كسب رضا بالنوافل  
والتهجّد.

### الحفاظ على الشد المنعوي في مواجهة الألفة والتعود

يسوق فتح الله كولن على النحو السابق بعضاً من توصياته بشأن  
الوقاية من الذنوب، ويُردفها بمجموعة أخرى من الوصايا حتى لا ينزلق  
أحدٌ في الألفة والتعود، ويحافظ على حياته الروحية وصحوة قلبه ونشاطه  
وشده المنعوي؛ ويخصّ الألفة بكلامٍ في غاية الأهمية فيقول:

"أفصد بالألفة أن يتعود الإنسان على شيء؛ فلا يابه بالأشياء  
البديعة والخارقة التي يراها عن يمينه وشماله ومن خلفه ومن  
أمامه، فأية مسألة تكون حيّة وجاذبة عند أول تعرّف عليها  
وإحساسٍ بها؛ إلا أنها بعد مرور مدة من الزمان ترتسم في أذهاننا  
بخطوطها وأنماطها الباهتة مجرد حكاية عادية، وسرعان ما تظّل  
هكذا وتستحيل أولى اضطراباتنا الروحية، وموجات الحماس،  
ورقة القلوب، بل ودموغ العينين إلى محض خيال، وتغدو الأمور  
الجادة والمهمّة في حياتنا تؤدّي بشكل دون مضمون، ويسيطر  
على الروح جفافٌ وضعفٌ وسطحيةٌ لا نفوذٌ إلى الجوهر واللّب  
والمعنى حتى إنّ القلوب تصبح غليظة فظةً تماماً، ويتبدّل شعور  
الإنسان وأحاسيسه".

بعد هذا التصريح يلفت فتح الله كولن الانتباه إلى أن الخدمات  
المبدولة في سبيل الله تعالى فحسب ومن أجل الدين والأمة والوطن

والإنسانية إنما هي بمثابة درعٍ واقٍ مهمٍّ في مواجهة الألفة، وأن الإنسان يكون دائماً محطَّ مَدَدِ إلهيِّ بسبب خدماته الدائمة، ويُذَكَّرُ بأنَّ ذلك يحمي حيويته ويحافظ عليها، ويقول:

"أياً كان من لا يسعى سعياً بهذا المعنى فمن المحتمل بالنسبة له دائماً أن يتحجَّرَ قلبه، وتجفَّ عيناه، ويفقدَ الجذب الميتافيزيقي والحيوية الداخلية بسبب الألفة، وبالتالي يتردَّى في خدع الشيطان ووساوسه؛ فتسلَّلَ الذنوبُ إليه تترى".

ومن أجل حماية الحياة القلبية والروحية والحفاظ على الشدِّ المعنويِّ من الضياع يورد فتح الله كَوْلُنْ بعد ذلك ما يأتي من الوصايا بشكلٍ موجزٍ:

- لا بدَّ من قتلِ الأنانيةِ وسَحْقِ فكرةِ ال"أنا".
- الإرادةُ أعظمُ أمانةٍ مُنَحِّها للإنسان؛ وبالتالي فلا بدَّ له من الوفاء بحقوقها، وتوجيهها إلى ما خُلِقَتْ له.
- لا بدَّ من التخلِّي عن الوَلَعِ بالنفس، والتضييقِ عليها بالجوع والعطش والحرمان من الرغبات والأهواء.
- إنَّ معرفةَ الله تعالى تجعلنا نتخطَّى كلَّ الأهواءِ والرغباتِ وما قد تُزَيِّنُهُ لنا النفسُ من متعٍ كاذبةٍ زائفةٍ، وتمكِّننا من التغلُّبِ عليها؛ وبالتالي فلا بدَّ من التعمُّقِ في معرفة الله.
- ينبغي لكلِّ إنسانٍ أن يتعمَّقَ ويُغرقَ نفسه في التفكيرِ والتأمُّلِ كلِّ يومٍ أكثر من سابقه، ويجمع كالنحلة تماماً رحيقَ المعرفة من كتاب الكون المفتوح أمامنا، ويتَّبِعَ الطريقَ الرحبِ الفسيح الذي مهَّده الأنبياءُ ثمَّ الأولياءُ؛ فيكسب الروحَ في ظلِّ هذا الطريقِ مزيداً من الحياة، وتُصبحُ كُلُّ خُطوةٍ تُخطى في هذا السبيلِ مصدرَ قوَّةٍ جديد. أجل، فبينما ينبغي ألاَّ ينفكَّ مبضعُ الكتابِ والسنة عن يدِ وجداننا فيستأصل أوراقتنا المعنويَّة؛ ينبغي في الوقت نفسه أن

لا تَبْتَعِدُ المؤلِّفات للمرشدين والمجدِّدين الذين تختلف أساليب تَطْبِيهِم على حسب العصور، وكذا الحقائق الخالدة التي تشمل عليها هذه المؤلفات المصنَّفة على أنَّها أدوية ومراهم لا نشكُّ بأنها سَتُطَبَّبُ جروحنا المعنويَّة في أقصر وقتٍ ممكنٍ.

- لا قِبَل لإنسان خلو من المعلومات أن يتأمل ويتفكر؛ فالإنسان يصل إلى تراكيب وصيغ جديدة بقدر ما لديه من معلومات؛ فيستخدم هذه التراكيب والصيغ كمقدمة لأحكام وتراكيب جديدة؛ فتحصل في عالمه التأملي والفكري استمرارية وتعددية في الأبعاد، وبالتالي فإنه تلزم كثرة المطالعة والقراءة والتزود بالمعلومات والمعرفة بانتظام.

- ولا بدَّ كذلك من تحقيق الاستقامة حتى في الخيال، فكلُّ صورةٍ تلتقطها كاميرات عيوننا، وكلُّ صوت يتنامى إلى مسامعنا، وكلُّ عمليَّة تذوِّقٍ تقومُ بها ألسنتنا، بل وحتى بعض الأشياء المؤثِّرة في البدن؛ كلُّ ذلك يمهد السبيل في مخيلتنا لخيالات خاصَّة بها، ولهذا السبب يلزم الانتباه التامُّ إلى المناظر والملاحح الداخلة ضمن الخيال الذي يمكن استخدامه في الخير والشرِّ على حدِّ سواء من أجل دفعه إلى جهة الخير.

- ضرورةٌ تذكُّر الموت باستمرار وعدم تناسيه أو الغفلة عنه؛ فقد ورد في الحديث النبوي الشريف: "أَكْثُرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ" (٢٢١).

- أهميَّة القيام للتهجِّد والبكاء والتضرُّع وسط أستار الليل الفاحم؛ فقد قال رسول الله ﷺ: "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (٢٢٢)، ومن ثمَّ فالدموع من هذه الناحية تعدل أنهار الجنان، وقد كان رسولنا ﷺ يعوذ بالله

(٢٢١) سنن ابن ماجه، الزهد، ٣١.

(٢٢٢) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ١٢؛ سنن أبي داود، مسند أبي هريرة، ٢٥.

تعالى: "مِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ"، أما التهجد فإنه المصباح المُنِير في الليالي الظلماء.

- بالنسبة لمن لا يستطيع الزواج؛ فعليه بالصوم والعبادة كي يكبح بعض نزوات النفس وشهواتها، وليبادر بالزواج حالما تتوفر له الإمكانيات اللازمة لذلك عملاً بالحديث الشريف: "مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ (أي الزواج أو مُؤْن الزواج) فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَعْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصُّومِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ"<sup>(٢٢٣)</sup>.
- ضرورة التعرّف على حيوات الصحابة الكرام ومَن خلفهم من العظماء، والسعي من أجل العيش مثلهم.
- الخوف والقلق الشديد من ارتكاب الإثم والنفاق.
- تحبّب الغزلة والانفراد بالنفس، بل يجب علينا ملازمة الأخيار وأن نتخذَ صديقًا يوجّهنا إلى الصواب ويوصينا بالخير دائماً؛ إذ يأمر القرآن الكريم بمرافقة الصالحين الصادقين الذين يُطابِقُ فعلهم قولهم، "فاصحبْ مَنْ يَنْهَضُكَ حَالَهُ وَبِدُلُوكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالَهُ"، ناهيك عن أن الإنسان بمفرده لا يستطيعُ كي يحقّق العدالة أن يُقاومَ التيارات المخريّة وسُيُول الذنوب الجارفة، كما أن ثَمَّةَ رحمة في مجالسة الأبرار والأخيار وأداء العبادات معهم، وقبولاً واستجابة في الدعاء الجماعي، إلى جانب كون الاتحاد والاجتماع وسيلة مهمة لدفع المصائب والبلايا، فالله تعالى يَرَعَى الأيدي والقلوب السماوية السامية التي تتضرّع إليه.
- الاستماع إلى الناصحين أيضاً من الوسائل والحلول الواقية من خطر الألفة والتعود وهي كذلك واسطة لترقيق قلوبنا، وللتصدي لوساوس الشيطان وضغوط الذنوب والآثام.

- ينبغي حماية كُلِّ حواسنا الظاهرية، فالإنسان الذي يُغضُّ طرفه عن الحرام لا يتعرّض لأية خسارة ماديّة أو معنويّة.
- الإنسان العاقل الذي لا يشغل نفسه بشيء يعيش عُرضةً للذنوب، ويمنح الشيطان فرصة التسلّل إليه، لذا فلا بدّ من الانشغال والعمل الدائم في سبيل نيل رضا الله تعالى، فالإنسان الصادق المُنتج النافع المجتهد الذي يخدم بحقٍّ وإخلاصٍ يحافظ على نشاطه وحيويّته دائماً، ولا يقع أبداً فريسةً للغفلة والحياة الشيطانية<sup>(٢٢٤)</sup>.

### انبلاج الأحاسيس

يقدم فتح الله كولن الوصايا السالفة الذكر كوصفةٍ طبيّةٍ لتجنّب اقتراف الذنوب ولصيانة الحياة القلبية والروحية وحماية حيويّتها، ومن ثمّ الحفاظ على الشدّة المعنويّة، ويركّز انطلاقاً من الهدف نفسه أيضاً على الكيفيّة التي يُمكن بواسطتها تطوير الأحاسيس لأجل حياة الروح، ويوصي في هذا الشأن بما يأتي:

- تتطوّر الأحاسيس وترقى بالتفكّر والتأمّل في الجنة والنار والصراط وما شابهها من أمور، وبالتأمّل أيضاً في مبدإ الحياة ومنتهها عبر النظّر والتدبّر في الأنفس والآفاق كذلك.
- يُمكن أن تتحقّق معرفة الله تعالى بالعبادات والعمل إلى جانب الإيمان، وإن كان الإيمان قد فرض على النفس بشكلٍ نظريّ؛ فإنّ الإنسان يستطيع بالعمل والعبادة الإحساس بحقيقته وبجانبه الباطنيّ إحساساً تاماً، وبالتالي فإنّ انبلاج الأحاسيس وتطوّرهما يتطلّب العمل الصحيح الدائم؛ ولذا فالمحافظة المحافضة على قيام الليل، وإياكم وإهمال تلاوة القرآن الكريم والأوراد والأذكار، كما يلزم أن تؤدّي العبادات - وفي مقدّمها الصلاة - بنسيّة خالصة

(٢٢٤) فتح الله كولن: الاستقامة في العمل والدعوة، ص ٧٩-٨٥.

صادقة حتى تتطوّر الأحاسيس ويتخلّص القلب والروح من ريقه البدن وأسرّه، ناهيك عن أنّ المداومة على كلّ هذا شرطٌ أساسي.

- ضرورة تجنّب الذنوب والابتعاد عن المذنبين بكلّ الوسائل؛ إذ يقول الإمام الشعراني: "لو جالستُ تارك الصلاة برهَةً من الوقت لم أذوقُ متعة الصلاة أربعين يوماً"، كما أن تنفيذ الأوامر والاستعداد للأخرة من الأمور التي يجب التركيزُ عليها.

- مهمٌّ جدًّا ترديدُ أسماء الله الحسنَى؛ فذكرُهُ تعالى على نحو "يا كاشفُ" ربما يكون وسيلةً لانفراج ستارة الألفاظ والتّعم، والمداومة على ذكر أسمائه "الغفار والغفور والتواب" وسيلةً بالغة الأهمية من أجل انفتاح أبواب رحمته، أما بالنسبة لعدد ذلك فإنه يتغيّر وفقاً لطالب الرحمة والمغفرة... إلخ؛ فهذه الأعمال ترتبط بعض الشيء بالاستعداد والملّكة، علاوةً على أن الأهمّ في هذا كلّهُ هو سلامة القلب.

- لا بدّ من أن يكون المال والطعام حلالاً صرفاً، فهذا عاملٌ مهمٌّ ومؤثّرٌ جدًّا في انبلاج الأحاسيس وتطوُّرها.

- كذلك زيارة المقابر والمستشفيات تؤثّر بقوة في انكشاف الأحاسيس وانبلاجها إذ تذكّرنا بالنعمة التي مُنحناها وأنها ستزول يوماً ما<sup>(٢٢٥)</sup>.

### التوازن بين القلب والبدن

قبل أن نختِم هذا الموضوع في إطار هذه الدراسة نرى فائدةً في إلقاء نظرة على المعايير التي وضعها فتح الله كَوْلُنْ فيما يتعلّق بالتوازن بين القلب والبدن:

- "إن الحياة الحقيقية مرتبطة بدرجة إدراك حياة القلب والروح، والأرواح المحظوظة التي تعيش في هذا المستوى الرفيع للحياة وتدرِكُ علوَّها ترى الماضي خيمَةً وسُدَّةَ حكم للأجداد، وترى المستقبلَ طُرُقًا ممتدَّةً نحو حدائق الجنة، وتستمرُّ في العَبِّ من مياه الكوثر التي تفجرها في وجدانها إلى أن تُودَّعَ هذه الحياة الدنيا.

وبعد كلِّ هذا فإنه يمكننا أن نَصِفَ بطلَ الحقيقة بأنَّه:

- "رجلٌ يستطيع مجابهة كلِّ الدواهي ومقاومتها ببدنه وبأعصابه الفولاذية، أما فكرُه وعقلُه فقد مزَّجَ في بوتقةٍ واحدةٍ معارفَ عصره ومفاهيمه بالحقيقة الأزليَّة وصهرهما معًا، أي إنه يُشبه عالمًا كيميائيًا يُنشئ في كلِّ آنٍ تركيبةً جديدةً، أما ملكاته الروحيَّة والقلبيَّة فهي بنفسِ نكهة القابلياتِ والمَلَكاتِ التي نشأت فيها وترعرعت ملكاتٌ من أمثال "مولانا جلال الدين الرومي" و"يونس أمره"، أي إنه في النهاية قلبٌ ناضجٌ عارفٌ، يستطيع -بينما يرى نفسه إنسانًا وفردًا عاديًا بين الناس- أن ينسى بل يضحى بلذاته وحظوظه من أجل خيرِ الآخرين وسعادتهم" (٢٢٦).

### تلال القلب الزمرديّة

يمكن الاطلاع على منهج فتح الله كُولُن في تربية النفس بشكل شامل في كتابه الذي يتشكل من أربعة أجزاء، ويتكون من مقالاتٍ كتبها منذ سنوات في مجلة "سِرْنَتِي"؛ حيثُ جُمعت ونُشرت في صورة كتابٍ تُرجمَ الجزءُ الأول منه إلى العربية بعنوان "التلال الزمرديّة نحو حياة القلب والروح"؛ إذ يتناول فتح الله كُولُن في هذه السلسلة من المقالات البعدَ الروحي والمعنوي للإسلام في إطار المفاهيم والمصطلحات.

وهو يرى القلبَ مرآةَ المعرفة الإلهية، ومركزَ الشعور والإحساس والتعقل وقوة الإرادة، وحقيقة الإنسان الواقعية، المسؤول أمام الله تعالى، المكلف بالمسؤوليات والمهمّات، المعاقب والمكافأ، السامي بنور الهداية، المكرّم والمستحقّر في الوقت ذاته، ووفقاً له كذلك فإن القلب هو عين الروح، والبصيرة نظر القلب بحسب عالمها الذاتي، والعقل روح القلب، والإرادة ديناميّته الذاتية، والإيمان بالله ومعرفة الله ومحبة الله والمتعة الروحانية - التي نشأت من هذه الثلاث - سبب وجود القلب وغايته.

القلب موضع نظر الله ﷻ؛ أي إن الله ﷻ ينظر إلى قلب الإنسان ويعامله وفق قلبه كما جاء في الحديث الشريف<sup>(٢٢٧)</sup>، ذلك لأن القلب يشبه القلعة الحصينة بالنسبة إلى كثير من المزايا الحياتية للإنسان كالعقل والمعرفة والعلم والنية والإيمان والحكمة والقربة، فإن كان القلب حيّاً قائماً كانت هذه المشاعر حيّة، وإن خرب وانهدّ ببعض المهلكات تعسر دوام حياتية هذه اللطائف الإنسانية، وقد لفت الصادق المصدوق الأنظار إلى مكانة القلب في جسم الإنسان وأهمّيته بقوله: "أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"<sup>(٢٢٨)</sup>.

والجانب الأهم من هذا هو دلالة القلب إلى الحق تعالى بما في ماهيته من احتياج إلى نقطتي الاستناد والاستمداد، وذلك بما يورد على وجدان الإنسان دوماً ما يعرفه ويوضحه كتاب الوجود مفصلاً بلسان الحاجة والاستجابة، حتى إن الانتباه يُلَفْتُ إلى هذا البُعد اللاهوتي للقلب بالحديث الشريف الذي يقول: "إِنَّ لِلَّهِ آيَةً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَآيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحْبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيَنُهَا وَأَرْقُهَا"<sup>(٢٢٩)</sup>.

(٢٢٧) "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" (صحيح مسلم، البر والصلة، ٣٣).

(٢٢٨) صحيح البخاري، الإيمان، ٣٧؛ صحيح مسلم، المساقاة، ١٠٧.

(٢٢٩) الطبراني: مسند الشاميين، ١٩٢.

الإيمان رُوح القلب وحياته، والعبادة دمه الجاري في عروقه، أما التفكير والمراقبة والمحاسبة فأسس بقائه، ومن لا إيمان له فقلبه ميت، وموصدة أبوابه في وجه الغيوب... وإن قلب المحروم من العبادة لفي شراك الموت يكابد أمراضاً لا رجاء منها... أما إن كان فيمن يفتقر إلى التفكير والمحاسبة والمراقبة فمتعرضٌ لشتى أنواع المهلكات والمخاطر، ولا أمان له<sup>(٢٣٠)</sup>.

هكذا الأمر؛ ف"تلال القلب الزمردية" دراسة تتناول جميع العناصر اللازمة لحياة القلب وحيويته، ومؤشرات حيويته وما يكتسب بفضلها من حالة ومقام وفضائل؛ وبتعبير آخر: إنها دراسة تتناول حياة الإسلام المعنوية الروحية في إطار المفاهيم؛ لكنها لا تتناول هذه الحياة كعلم مجرد، بل إنها دراسة تشرحها باعتبارها حياة معنوية أو جانباً روحياً معنوياً من الإسلام التي هي تجربة وحالة وحياة معاشة.

إن "تلال القلب الزمردية" تُؤطّر للأمر من زاوية، بينما تزيل الأُطر كلها من زاوية أخرى؛ ومن حيث أن الحياة المعنوية الروحية ذات بُعد باطني في عمومها؛ وكما أن تجاوز المسافات نحو هذا المسار في غاية الصعوبة والخطر، فمن الواجب تناول هذا البعد في أُطر معيَّنة، لأنه لما كان الباطن أو طريق المعنى مفتوحاً على مصراعيه للانحراف أو الخطأ لما له من العديد من الخصوصيات فقد كانت قواعد الشريعة هي الحدود والأُطر التي تنيره بالأنوار الغامرة، وتمنعه من الانحراف، وعلى مر التاريخ استحال العلم التام بهذه القواعد أحياناً، وأُقصيت عن التدبر والتأمل تأثراً ببعض الآراء أحياناً، بينما أهملت في الأحيان الأخرى؛ ولذلك فقد ظهر في ساحة التصوّف العديد من المذاهب الباطنية الضالة، بينما الطوائف أو المذاهب التي ضلّت بفعل مؤثرات عدة اختارت طريق التصوّف أساساً لها، وهكذا فإن "تلال القلب الزمردية" تشير إلى حدود

الحياة المعنوية الروحية أو الطريق المعنوي كي تستطيع هذه الحياة أن تسير ضمن حدودٍ وأطرٍ القواعد الإسلامية دون أن تسمح بحدوث أي نوع من الانحراف والنشاز، وتظهر هذا الطريق بأصله المنير كما الشمس.

إن "تلال القلب الزمردية" بينما تَوَطَّرُ بهذا الشكل وترسُم حدود الحياة المعنوية الروحية من جانب، تُزِيلُ - كما سبق بيانه - الحدودَ والأطرَ من جانبٍ آخر؛ فطريق الباطن أو التصوّف كثيرةٌ منازلُهُ، ومراتبُهُ بَعْدَ من آمنوا من البشر بدءًا من أعظم الخلق سيدنا محمد ﷺ إلى أصغر مؤمن على وجه الأرض، علاوة على أنه - أي هذا الطريق - منفتحٌ للجميع من إحدى النواحي والجهات، كما أن له كثيرًا من المسالك والمسارات التي استطاع السير فيها عددٌ قليلٌ من الناس، فمثلاً يمكننا اعتبار منهج محيي الدين بن عربي أو مسلك "وحدة الوجود" واحدًا من أهم تلك المسالك والمسارات، وهناك الكثير أيضًا من الخصوصيات الأخرى التي ينحصِرُ فهمُها ورؤيتها على من يستطيع السير في هذا الطريق فحسب؛ فهذه الخصوصيات الموجودة لدى "منصور الحلاج" و"السهروردي" المقتول - على سبيل المثال - قد أوذت بحياة كلٍ منهما لأنها اصطدمت بحدود الشريعة في الظاهر، في حين أن تلال القلب الزمردية تستطيع أن تتناول جميع هذه الخصوصيات في إطار سَعَةِ الحياة الروحية المعنوية وفضائها الفسيح، وكذلك في إطار المعايير والضوابط الشرعية التي هي بمثابة حدود هذا الطريق المحيطة به إحاطة السور بالمعصم.

"تلال القلب الزمردية" تُعَرِّفُ بالله تعالى بمصاييح المعرفة، وتقدم شَهْدَهَا أو بالصفات والأسماء الإلهية مثل "الأحدية والواحدية" و"الأول والآخر والظاهر والباطن"، وهذا الأمر يتسبب في أن تتبلور وتظهر فيها علوم الكلام والتصوّف والحكمة في صورة كلِّ متكاملٍ على نحو علم المعرفة، وتقدّم إلى جانب ذلك كُلاً من العلاقة بين الخالق والمخلوق

التي تتراعى بالرموز والعبارات المملغزة الصعبة الفهم لدى محي الدين بن عربي وأمثاله، وخريطة التجلي الإلهي بصوره كلها، بالإضافة إلى أنها ترسم الخريطة الميتافيزيقية التي يمكنها تسليط الضوء على الكون وطبيعته الفلكية باستخدام هذه المفاهيم، ومفاهيم أكثر اختلافاً مثل "العوالم العلوية" على حدٍ سواء، وإلى جانب هذه المفاهيم فإن "تلال القلب الزمردية" تتناول -من جانبٍ آخر- تناولاً متعمقاً وبكل الأبعاد العلاقة بين الإنسان والله تعالى في الإطار الكوني بصفة خاصة عبر مفاهيم مثل: "النجماء والنقباء والأوتاد والقطب وقطب الأقطاب والغوث"، وبمفهوم "الإنسان الكامل" الذي ركز عليه خاصة ممثلو طريق الباطن أيضاً مثل "عبد الكريم الجيلي"، وتعرف الإنسان بأنه خلق في "أحسن تقويم" وأنه "خليفة الله في أرضه" وتصور العلاقة بين الله والإنسان بأدق نقاطها وأمورها.

وثمة جانب آخر مهم لـ"تلال القلب الزمردية" بقدر أهميته خصائصها التي حاولنا الوقوف عليها آنفاً؛ ألا وهو تقديمها الحياة المعنوية الروحية التي تشكل جوهر الإسلام، وبالدرجة الأولى جوهره الذي يُعاش كُله في إطار منهج الصحابة، ويُحس ويُجرَّب ويُستشعرُ به، ثم باعتباره نظاماً في غاية الأهمية بشكله الذي اتسم به عبر التاريخ، وأغلب الاحتمال أنه سيسود في عالم المستقبل إلى جانب الدين أموراً قد تصطمم بالدين مثل العقل والعلم والتقنية والبيان والرخاء، وستقطع التكنولوجيا المسافات إلى حدٍ قد يكون من الصعب حتى التنبؤ به، فـ"تلال القلب الزمردية" في هذا السياق يُقدّم المدرسة العرفانية الإسلامية في إطار الشمولية والتكاملية المعرفية الإسلامية على أنها طريقٌ سليم وآمن ويستند إلى قاعدة صلبة تكفل عدم الانزلاق.

## فتح الله كُولُنْ مَعْمَارُ فِكْرِيّ

إن الفكر التربوي لدى فتح الله كُولُنْ لا يتألف من الخدمات التعليمية "الرسميّة" المتمثلة في المدارس ودورات الإعداد والتأهيل للجامعة التي يوصي بها ويشجّع على إنشائها، فهو يتناول الإنسان ككلّ بجميع ملكاته العقلية وقلبه وروحه وضميره وبدنه، ويعطي الأوليّة في هذا الكلّ إلى الروح ثمّ العقل أيضًا بالدرجة نفسها، أو بدرجة أقلّ، وبالرغم من حرصه على التربية البدنية؛ فقد اقترب إلى التعليم من ناحية العقل والروح بالدرجة الأولى، ويمكننا رؤية هذا بوضوح في عبارته:

"يعرف الجميع تقريبًا ما يتعلّق بالتربية البدنيّة، ولكن مَنْ يعرف قيمة التربية الفكرية والعاطفية - التي هي الأصل - قليلٌ جدًّا، بينما ينشأ في التربية الأولى إنسان الجسد والعضلات، وينشأ في الثانية إنسان الروح والمعنى" (٢٣١).

### وظيفة الوعظ والمحاضرات

نجح فتح الله كُولُنْ في الامتحان الذي عقدته رئاسة الشؤون الدينية عام (١٩٥٩م)، وحُقّ له أن يعمل إمامًا؛ فبدأ يمارس الإمامة في مسجد "ذي الشرفات الثلاث" (Üç Şerefeli) في محافظة "أدرنه (Edirne)"، وكان كُولُنْ ذو البنية النشطة الحيوية والحساسة لأقصى درجة - باعتباره إنسانًا يحبّ الاستماع أكثر من الحديث، والقراءة أكثر من الكتابة - يعظُ في هذا المسجد قبل صلاة الجمعة في تلك الفترة التي عمل فيها، ثم يذهب إلى

جامع "السليمية" ليستمع الخطبة، ويصلي جمعته هناك، وكان يستثمر راتبه في شراء الكتب والمجلات، فيهدي إلى الآخرين معظمها بعد أن يقرأها، ويقضي أيامه بوضع لقيمات يقيم بها أودّه.

ويتمتع فتح الله كولن ببنية وشخصية حساسة للغاية في مواجهة الأخطاء، تُقدّر الأمور حق قدرها، وتتواصل مع الناس ذهنيًا وقلبيًا؛ ولذا فإنها تُعتبر جانبًا من أهم جوانب حياته التي تتطلب بحثًا مستقلًا، ومن هنا فقد عُرف أساسًا - وفي المقام الأول - بمواعظه ودروسه الإرشادية قبل أن يُعرف بحملته التعليمية التي تملكها الشعب والرأي العام بمدارسها الخاصة والدورات التأهيلية للجامعات الموصى بها من قبله، فقد وعظ حتى أثناء أداءه الخدمة العسكرية في "إسكندرون" عام (١٩٦٢ - ١٩٦٣م) أيام الجمعة في أحد جوامع المدينة بإذن قائده، وبعد أن أدى خدمته العسكرية واصل حياته الوظيفية في كلٍّ من "أدرنه" و"قيرقلز ألي (Kırklareli)"، وبنقله إلى "إزمير" عام (١٩٦٦م) بدأ مرحلة جديدة من حياته؛ فكان يعمل مديرًا ومدربًا في نفس الوقت في معهد "كستانه بزاري (Kestanepazari)" في "إزمير" من جانب، ويعظ في جامع (أي جامع كستانه بزاري) من جانب آخر، ومنذ ذلك اليوم وما تلاه صار يُعرف بحياته الوعظية التي سيواصلها في كل من "أدرميت (Edremit)" و"مانيسا (Manisa)" و"بورنوا (Bornova)" في "إزمير"، ثم في منطقة "إيجه"، وصارت تركيا كلها تعرف الواعظ الشهير باسم "الشيخ فتح الله"، كما صارت تسجيلات مواعظه متداولة بين جماهير الناس.

### حَلُّ أَسْئَلَةِ الْعَصْرِ الْمَحِيرَةِ

لم يكتف فتح الله كولن بالوعظ في المساجد فحسب في تلك السنوات؛ فقد خرج للوعظ في المقاهي في أولى سنواته بـ "إزمير"، ثم

بدأ في إلقاء سلسلة من المحاضرات والمؤتمرات بدءاً من منطقة "إيجه" مروراً بالخارطة التركيبية كاملة، وقد تناول في محاضراته هذه مواضيع عدة مثل: العلاقة بين القرآن والعلوم الطبيعية، والعدالة الاجتماعية في الإسلام ونظرية التطور، كما كان يُجيب عن أسئلة طلاب الجامعة بصفة خاصة في الجامع عقب الصلوات أحياناً، وفي أحد المنازل أحياناً، وفي البراري أحياناً أخرى، وحين نظر إلى مواضيع مواعظه ومحاضراته والأسئلة المطروحة عليه وندرسها نفهم الجانب الحركي والعملية في شخصيته كَوْلُنْ أكثر فأكثر، وكذلك نظرته إلى الإسلام، وعلى أيّ المواضيع ركّز باعتباره مربياً تربوياً، ومن بين المواضيع الرئيسة التي شدّد وركّز عليها عدّة أسابيع أحياناً أدلّة التوحيد (أدلة وجود الله ووحديته)، ثم سلسلة عقيدة الحشر والبعث التي استمرت شهوراً وجمعت في كتاب بعنوان "نفخة البعث (Ölüm Ötesi Hayat)" وكذا تربية الطفل التي استمرت شهوراً أيضاً، وقد جمعت في كتاب بعنوان "من البذرة إلى الثمرة"، وكذلك الحياة الأسرية وما شابهها، أما في مواعظه التي استأنفها فخرياً عام (١٩٨٩م) فقد تحدث فيها عن سيدنا رسول الله ﷺ بكل جوانبه على مدار عام كامل، وجمعت مواعظه هذه في كتاب بعنوان "النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية (İnsanlığın İftihar Tablosu: SONSUZ NUR)"، أما في مواعظه التي اضطلع بها أعوام (١٩٩٠-١٩٩٢م) فقد تناول مواضيع أكثرها من قبيل معرفة الله ومحبه، ومعرفة الرسول ﷺ، والصحابة الكرام، وإنسان الإرادة والروح، وحقوق الوالدين، والأخوة والرحمة والصبر...

وكما عُرض آنفاً فقد نُشر قسمٌ بسيطٌ فحسب من أجوبة فتح الله كَوْلُنْ التفصيلية حول أسئلة العصر كطبعة أولى مختصرة، ثم نُشرت لاحقاً في أربعة مجلدات بعنوان "أسئلة العصر المحيرة (Asrın Getirdiği)

(Tereddütler)"<sup>(٢٣٢)</sup>، وقد جاء كلُّ واحد من هذه المجلدات في الصفوف الأولى من قائمة أكثر الكتب مطالعة ومبيعاً في تركيا، وهاكم بعضاً من تلك الأسئلة التي طرحت عليه، وأجاب عنها:

- كيف يقال إنه سبحانه في كل مكان مع أنه واحد أحد؟
- يُقال إن الله خلق كل شيء.. فَمَنْ -حاشا لله- خلق الله؟
- لِمَ لَمْ يخلق الله تعالى الناس سواسية، وكان فيهم الأعمى والأعرج؟
- يتساءل البعض لماذا لا نرى الله في هذه الحياة؟ كيف نجيب هؤلاء؟
- يقولون: إن الله تعالى تكفل بالرزق، فما لنا نرى أناساً في بعض الدول يموتون من الجوع والقحط اللذين استغرقا خمسين أو ستين يوماً؟
- يقال إن الإنسان عندما لم يستطع إيضاح وتفسير بعض الظواهر الطبيعية اخترع فكرة الدين، فهل تقدّم المدنية يزيل الحاجة إلى الدين؟
- يقال إن الإسلام دين يلائم العقل والمنطق، ولكنه يستند إلى النصوص وهذا يستوجب التسليم والإذعان، فكيف الجمع بينهما؟
- ألا يمكن أن يكون القرآن من كلام رسول الله ﷺ؟ إن لم يكن كذلك فكيف يمكن البرهنة على هذا؟
- كيف يستطيع ملك الموت وحده القيام بقبض أرواح العديد من الذين يموتون في لحظة واحدة؟

---

(٢٣٢) ترجم ونشر هذا الكتاب باللغة العربية باسم سلسلة أسئلة العصر المحيرة: الجزء الأول: الرد على شبهات العصر، دار النيل- القاهرة، (٢٠١٣م)، الجزء الثاني: نحو عقيدة صحيحة، دار النيل- القاهرة، (٢٠١٤م)، الجزء الثالث: الاستقامة في العمل والدعوة، دار النيل- القاهرة، (٢٠١٥م). (الناشر)

- ما هي "وحدة الوجود" وهل توافق عقيدة أهل السنة؟
- لِمَ حُرِّمَ زَوَاجُ الْأَخِ بِأَخْتِهِ وَقَدْ كَانَ حَلَالًا لِأَوْلَادِ آدَمَ وَحَوَاءَ ﷺ؟
- هل وجود "الأثير" حقيقة؟ إن كان موجودًا فما هو؟
- لماذا يَصْرُّ الشَّيْطَانُ عَلَى الْكُفْرِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَالَهُ إِلَى جَهَنَّمَ؟
- هل هناك علاقة بين "الإيدز (AIDS)" و"دابة الأرض" التي تعدّ من علامات يوم القيامة؟
- هل يمكن لقاء الخضر عليه السلام؟
- كيف وصل الإنسان إلى قارة أمريكا؟
- ما الفرق بين أسماء الله تعالى وصفاته؟
- ما حقيقة التوسل؟ وما المشروع منه والمحظور شرعًا؟
- هل الشفاعة حق؟ ومن له أن يشفع؟ وإلى أي مدى؟
- هل لجهنم دور في إصلاح وتهذيب أهلها؟
- ما السبب الكامن وراء إصرار بعض المحافل العلمية على نظرية داروين رغم ظهور بطلانها وانكشاف عَوَارِها؟
- ما الخصائص التي لا بدّ من مراعاتها عند تعلّمنا للدين وتعليمه لغيرنا، وما الذي يجب أن يكون عليه منهجنا في التبليغ؟
- هل يمكن أن تحدّثنا عن جهود ومساعي النبي ﷺ والمسلمين الأوائل الرامية لإنقاذ إيمان غيرهم؟
- كيف نتصرف تجاه إخوتنا المسلمين الذين تهاونوا في خدمة دينهم وأمتهم، وفقدوا نشاطهم وانفعالهم في القيام بأفعال الخير؟
- إلّا مَ يَكُونُ الشُّدُّ الْمَعْنَوِيُّ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ؟ وَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ؟
- هل يمكن أن تشرحوا لنا كيف نحافظ على جيلنا ضدّ عمليات التخريب التي يقوم بها المفسدون؟

- كيف نستطيع صيانة أنفسنا من أخطار الحياة ونزوات الشباب؟
  - ما السبب في انتشار الإلحاد كل هذا الانتشار؟
  - ما الذي يجب ذكره أولاً للمُنكر والمُلحد، وكيف؟
  - هل توجد مشارب ومدارس مختلفة في الإسلام؟ وهل حدث مثل هذا الخلاف بين الصحابة الكرام؟ وما الفكر الذي يوحد بينها؟
  - لقد انتشر في أيامنا الاستعانة بالعلوم الحديثة في شرح الإسلام، كيف تنظرون إلى هذا الأمر؟
  - كيف يمكننا أن نعوّد إنساننا على القراءة؟
  - ما الذي ينبغي للإنسان من تهيئةٍ فكريّةٍ عند المثول في حضرة مولاه ﷺ؟ وما الذي يتوجب عليه وهو في هذه الحضرة الإلهية؟
  - كيف يكون حالنا إزاء فتن آخر الزمان؟ وكيف نحمي أنفسنا؟
  - ما معنى الجهاد؟ وهلاً تفضلتم بتعريف الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر؟
  - في أوقات فراغنا يُلقى الشيطان في قلوبنا كثيراً من الشبهات والشكوك وتصبح إرادتنا ألعوبةً في يد مشاعرنا حتى نحسّ بأن صبرنا عن المعاصي قد بدأ ينفد، فيماذا توصوننا؟
  - ما المعيار الذي يجب أن تكون عليه أزيائنا وأثاث بيوتنا؟
  - ما الذي يجب أن يكون عليه مقياسُ العَفْوِ والسماح عند المسلم؟
- هذا غيضٌ من فيضِ الأسئلة التي طُرِحَتْ على الأستاذ فتح الله كُولِنَ في أماكن مختلفة وأجاب عنها تفصيلاً، وعلاوةً على هذا أيضاً فقد وُجِّهَتْ إليه في أوقات مختلفة أسئلةٌ تتضمّن مواضيع تتعلّق بالظروف الراهنة نوعاً ما، وقد جُمِعَت الأجوبة المفصّلة التي أدلى بها عن تلك

الأسئلة أيضًا في سلسلة "الموشور"<sup>(٢٣٣)</sup> التي نُشِرَتْ في تسعة أجزاء حتى الآن (٢٠١٥م).

هذا وهناك أسئلة أخرى انتلقت مع أجوبتها إلى الكتب، وكانت إجابات كَوْلُنْ عن الأسئلة التي تطرح عليه في أثناء الدروس والمواظب واحدةً من مناهج وأساليب بنائِيته الأذهان والعقول.

وكان فتح الله كَوْلُنْ إلى جانب طبيعته المتواضعة الخجولة لا يتحدث ما لم يُوجّه إليه سؤال، وربما يكون السبب في هذا استحالة تحديث من لا يتلقّون من البشر، ولا يشغفون إلى المعرفة، ولا يهتمّون بالتأمّل والتعقّل، كما كان يهتمّ بمبدإ الإرشاد، ومن ثمّ بالمخاطب، بقدر اهتمامه بتوضيح السؤال وبيانه، يعني أنه يجب أن يستفيد طارحو السؤال وغيرهم من المستمعين على حدّ سواء من الإجابة بقدر ما يجب توضيح السؤال، وأن يحلّوا بتلك الإجابة إحدى قضاياهم، علاوة على أنه يجب أن يؤثّر هذا الجواب في حيواتهم القلبية، ومن هذه الناحية فقد تأتي الإجابة أحياناً على النحو الذي يُحقق أعظم فائدة لسائله وغيره من المخاطبين، وليست إجابةً تقابل ما في السؤال بالضبط فحسب، وإلى جانب هذا فكثيراً ما يقول فتح الله كَوْلُنْ ما يريد قوله لمخاطبيه منطلقاً في هذا من أحد الأسئلة المطروحة عليه، وقد لا يكون لهذا علاقة مباشرة بالسؤال؛ إلا أن ثمة رسالة معيّنة يقدّمها عبر تلك الإجابة، فيقدّم حلولاً للنوازل، ويُذكّر بشيء ما، ويحذّر من آخر.

يتحدّث فتح الله كَوْلُنْ بحذرٍ ودقّةٍ شديدة في مواظبه وأحاديثه وإجاباته على حدّ سواء، وقدرته على الخطابة حقيقة يُقرُّ بها الجميع،

(٢٣٣) نُشر الكتاب الأول من هذه السلسلة في اللغة العربية تحت عنوان "المُؤشور-١"، دار النيل - القاهرة، ط ١ (٢٠١٥م). (الناشر)

ومع أن هذه القدرة هبةٌ من الله دون شكٍ فهي مَلَكَهٌ نُمِّيَتْ وَقُوِّيتْ بالعمل عليها وتطويرها؛ ففتح الله كُولُنَ الذي كان يتحدث بسرعة في صغره اكتسب قُوَّته الخطابية الموجودة لديه أصلاً بفضل تعليمه نفسه بنفسه فن الإلقاء والحديث، هذا أولاً، أما ثانياً فلائِه نفسه كان يستخدم الكلمات والمصطلحات في مكانها الصحيح، سواء في خطاباته أو كتاباته، وهو كإنسان ملِّمٌ باللُغة والبلاغة كان إذا ما شعر واقتنع بأنه استخدم كلمة خاطئةً سرعاناً ما يُغيِّرُها ويُصوِّبُها، وخلافاً لذلك كان إذا ما استنتج أن ما استخدمه من كلمة أو جملة أو ما عبر عنه من فكرة ربما يخطئ المستمع إليها فهمها تحدّث مع ذلك الشخص حديثاً خاصاً في وقتٍ لاحق، وأوضح له الأمر، فيزيل الفهم الخاطئ المحتمل.

وكما يهتم كُولُنُ بإقناع العقل يتنبه كذلك إلى القلوب ويهتم بأن تنال نصيبها من الطمأنينة، وأن تحصل الملكات الإنسانية الأخرى أيضاً على غذائها اللازم لها، وذلك بحسب الموضوع المطروح في أجوبته عن الأسئلة المقدمة إليه سواء في مواعظه في المساجد أو في أحاديثه، وإن تباين ذلك واختلفت درجاته.

ويكثر كُولُنُ من استخدام الفنون البلاغية مثل التلميح والاستعارة والكناية والتورية، وهو بهذه الطريقة يُحمَلُ الكلمة معاني متعددة ومختلفة إضافةً إلى وظيفتها الأصلية، علاوةً على أنه يصوغ الكلمات التي دخلت اللغة التركية في المجال التقني في صورة مفاهيم، ويُحسن استخدامها، كما أنه يتميز بأسلوبه وتضمينه المنظومات والأشعار في كتاباته وأحاديثه، ونظراً لميزاته الأسلوبية فإنه أحياناً ما يتبّه ويحدّر من أمر بكلمةٍ قد يظنّها الكثيرون نوعاً من المجاملة، ولهذا السبب فربّما يُفسّر كلامه تفسيراً مختلفاً من قِبَلِ بعض مستمعيه من حين إلى آخر، ولتجنّب الخطأ

في هذا الموضوع ينبغي فهمُ ووعيُ بنائه الفكريّ ووجهة نظره وأسلوبه ولغته بمقاييس معيّنة على الأقل.

لا يجيب فتح الله كَوْلُنْ على أيّ من الأسئلة التي طرحت عليه تحريراً، وبالطبع لم يكن يعرف مسبقاً أيّ الأسئلة ستطرح عليه، فكان يجيب عن الأسئلة بطريقة ارتجالية.

وهو مَطَّلَعٌ وِضَلِيْعٌ في العلوم الإسلاميّة وأصولها مثل: التفسير والحديث والكلام والفقه، وهو يُدْرِسُ هذه الموادّ كلّها على نحوٍ خاصٍّ<sup>(٢٣٤)</sup>، وهناك طَلَّابٌ نشأهم وربّاهم في تلك المجالات؛ فكَوْلُنْ صاحبُ التجربة والمعرفة العميقة في التصفوّ أيضاً القائلُ: "انقضى عمري في دراسة السُّنّة المطهرة"؛ مُطَّلَعٌ على فلسفة الشرق والغرب، كما أنّه يملكُ معلومات موسوعيّة عن مبادئ العلوم الطبيعيّة والأسس التي تقوم عليها، فهو باختصار يُمثّل نقطة تقاطعٍ أو ملتقى العالمِ والعارفِ والمتقفِ.

## فتح الله كُولَنَ كَاتِبًا وشاعراً

فتح الله كُولَنَ هو -في الوقت ذاته- كاتبٌ منتظمٌ في الكتابة، وغالبية كتبه وإن كانت تتألف من المواعظ والدروس والمحاضرات التي ألقاها والأجوبة التي قدّمها ردًّا على تلك الأسئلة المطروحة عليه، إلا أن لديه أعمالاً خطّها بنفسه، إن كتبه مؤلّفة إما من المقالات أو الأشعار أو الحكَم التي كتبها بيده وإما دروس ومحاضرات سُجلت ثم فُرِغت فصيغت بأسلوب كتاب أي حُولت من أسلوبٍ خطابيٍّ إلى أسلوبٍ أكاديميٍّ ثم راجعها بنفسه قبل نشرها، وفي كل كتبه انتهج منهجاً وترتيباً معيناً، فمثلاً في كتاب "تلال القلب الزمرديّة" الذي تشكل من المقالات التي كتبها في مجلة "سِزِنْتِي" شهريّاً عالج الحياة القلبية والروحية للإسلام في إطار مفاهيمها ومن خلال مصطلحات الصوفية على ترتيب معيّن، أما الكتب التي تشكلت من الدروس والمواعظ فهو يخطط لها أولاً -وأحياناً يذكر منهج وخطة الدروس للمستمعين في أول درس- ويحدد الموضوعات التي سيتكلم عنها مرتباً ثم يطبّق هذه الخطة درساً بعد درس كأنه يكتب كتاباً<sup>(٢٣٥)</sup>.

إنّ المقالات التي كتبها بأسلوبٍ أصيلٍ بقدرٍ عالٍ وخاص به شخصياً تُنشر بانتظام في مجلات: "سِزِنْتِي" (*Sizinti*) [الرشحة] -المجلة العلمية الأدبية الأخلاقية التي ما زالت تصدر منذ الأول من شهر يناير/كانون الثاني عام (١٩٧٩م) وحتى اليوم- و"يُنِي أُوْمِيْتُ" (*Yeni Ümit*) [الأمل

(٢٣٥) وقد أوردنا في الملحق الرابع قائمة كتب فتح الله كولن. (الناشر)

الجديد] -المجلة الدينية العلمية الأخلاقية الثقافية الفصلية التي تصدر منذ عام (١٩٨٨م) - و"يَعْمُورُ (Yağmur) [الغيث]" -المجلة الثقافية الأدبية الفئتيّة الفصلية الصادرة منذ عام (١٩٩٨م) وحتى اليوم-.

وأما ما تُرجمَ من هذه الأعمال إلى الإنجليزية فقد صدر أولاً في مجلة "تراستر (Truostar)" في إنجلترا اعتباراً من عام (١٩٩٣م)، ثم في مجلة "فونتاين (The Fountain)" الفصلية التي تصدرها "لايت إينك (Light Inc)" في أمريكا، في حين أن ما تُرجمَ إلى الألمانية نشر في مجلة "دي فونتين (Die Fontäne)"، بينما نشر ما تُرجمَ إلى الروسية في مجلة "نوفيا غراني (Noviye Grani)"، ونشرت الترجمات العربية في مجلة "حراء" الدورية التي تصدر كلَّ شهرين.

ويمكن القول إن فتح الله كُولُنْ أحدثَ أمرين في الأدب التركي، بل وفي الأدب العالمي - وهو إنسان لم ينتبه إليه المطالبون بالانتباه - أحد هذين الأمرين حديث تاماً، والآخر حديث بأسلوبه وكيفيته ومنهجه الخاص به حتى وإن كانت له نظائر وأشباه في التاريخ، أول هذين الأمرين استنطاقه الصور، وقد بدأ أول ما بدأ في أعدادِ مجلة "سزيتي"، وهو يعني: وضعَ عبارةً تحت كل صورة، ورسالةً تتوافق مع تلك الصورة ومعياراً وفكرةً وتقييماً ما، وهذا أكثر دلالة وإفادة للمعنى من مقالةٍ تُكتب مراراً وتكراراً في موضوع واحد، وهي باعتبارها منهجاً أكثر تأثيراً وحيوية<sup>(٢٣٦)</sup>.

والمنهج الآخر هو أنه يقدم أفكاره ورسائله العلمية والفكرية في صورة "حكّم" قلّ وجودُ مثلها في التاريخ، ويستخدمها من أجل توجيه وتصويب الأحاديث والاعتقادات والأفكار والسلوكيات بحيث يمكننا أن نسميها "الشرح المُركّز"، ونماذجُ هذا الأسلوب الفني الذي نراه في أعداد

(٢٣٦) جُمعت هذه التعليقات على الصور بين دفعتي كتاب وترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية ونُشر باسم "الوان وظلال ١-٢"، دار النيل- القاهرة. (الناشر)

"سزيتتي" كلها تقريباً قد جُمعت في كتاب بعنوان "الموازن أو أضواء على الطريق" اقتبسنا منها نصوصاً مهمة في هذه الدراسة التي بين أيديكم. وأشعار فتح الله كُولُنْ وشاعريته موضوعٌ يجب الوقوف عليه وإجراء دراسات حوله أيضاً؛ فهو يَعْرِفُ العَرَبِيَّةَ والفارسيَّةَ معرفةً جيِّدةً إلى جانب إمامه بالعثمانية وفنون الأدب، وهو أديبٌ - وإن لم ير نفسه هكذا- يحفظ ما يزيد عن ألف بيتٍ من الشعر ما بين تركي وعربي وفارسي، ولا يعرف البلاغة مجرد معرفة سطحية بل يُتقنها ويُدْرِسُها وعلومها، ويعرف أدباء الشرق والغرب المهمين، ويعرف الفلاسفة أمثال "سارتر" و"كامو" بشكل جيد، ولم ينزلق قط في منازعات ومناقشات فكرية مثل "الفن لأجل الفن"، أو "الفن لأجل المجتمع"؛ فصاغ ثمار عقله وترانيم قلبه التي لم يستوعبها الثرُ شعراً منذ طفولته، ومنها صدر كتاب بعنوان: "ريشة العزف المكسورة (Kirik Mızrap)".

وهو يرى أن الشعر لا بدَّ وأن يشدو بنظام الوجود بما فيه من جبال ووديان وجُرف وبحارٍ وبراري ومنحدرات وتلال وأزهار وأشجار وأحزان وأفراح، ونظام العالم البشري ونعمته التي تبدو معقّدة، والوحدة في الكثرة، وهذا ما عبّر عنه الإمام الغزالي بقوله: "ليس في الإمكان أبدع مما كان" وعلى حدِّ تعبير "كولن" فإن:

"الشعر ليس سوى التعبير عن الجمال والتناسب المتواري في روح الكون، والتَّبَسُّمُ المرتسم على مُحيَا الوجود، والحالة الرقيقة في الأرواح الشاعرية المرهفة الحَيِّس؛ فالشعر هو "النغمة" المُستشعرة في الطريق إلى استكشاف العوالم الأخرى، أو أنه أناتُ الجهد والطاقة المبذولة في هذا السبيل، والشعر مع أنه صوت متعدّد الأبعاد يصعب فهمه وهو خاصٌّ بمناخٍ مبهمٍ بكثيرٍ من جوانبه، وكأنه الغسق في الطرق المُجَازَة، وكأنه الأسرار

في الفكر لأنّ موضوعه الحديث عن ذلك الموجود المجهول،  
وإنّ العيون تصل إلى الضياء الحقيقي في مناخ الشعر الحقيقي،  
فتفضّر المسافات، وتبلغ الأرواح عزماً وشوقاً لا ينطفئ<sup>(٢٣٧)</sup>.

ووفقاً لكَوْلُنْ فإنه "لا بدّ من أن يكون كلُّ شيءٍ محسوسٍ ومعتقّدٍ في  
الشعر قابلاً للتصوّر، وأن يكون متاحاً إخضاعاً التّصوّرات فيه للمحاكمة  
العقلية دون هدر، وينبغي لهذه العناصر الخفية التي تبدو في صورة نسائم  
تهبّ في عالم الشاعر الداخلي أن تتمكّن من حماية وجودها وحيويّتها  
حتى تلك اللحظة التي تصبح فيها هواءً يمكن تنفّسه بواسطة الكلمات  
والعبارات، ولا بدّ لتلك الرسالة المستعصية على الكلمات أن تنعكس  
على الأرواح في صورة أنات<sup>(٢٣٨)</sup>، ولهذا فإنّ الشاعر الحقيقي هو ذلك  
الشخص العالمي الذي يتجاوب مع الخالد تجاوباً لا ينقطع، ويثملُ  
مع ما وراء العالم المادّي، الواقف على نظام الأشياء وما وراء الحجب،  
المدرّك للأرواح من ناصيتها وأعماقها، الذي يعطي كل شيء قيمته  
ومكانته الحقيقية؛ سواء من حيث الشكل أو من حيث المعنى، يستطيع  
-حتى وإن بدا بسيطاً في أسلوب كلامه- مخاطبة الناس على اختلاف  
مستوياتها بفضل قدرته على أن يُلبس كلَّ معنى لباسه اللائق والخاصّ  
به؛ ومن ثمّ فإنّ الورد تتفتح واحدة تلو الأخرى في كلماته ومصاريعه  
وأبياته ومقطوعاته؛ وكما أن من يُقيّمون كلَّ شيء وفقاً للنظرة الظاهرية  
للعقل الدنيوي؛ كتشبيه أحد رعاة الحيوانات البحر حين يراه للمرّة الأولى  
بمرعى جميل، حتى وإن حسبوا عباراته بركة ماءٍ ضحلة، فإن شعره في  
الأساس يشبه محيطاً لا تُدرّك نهايته مهما غيص فيه، ولا يُعثر على قاعه،  
يمنح الدرّ والمرجان لكل جهد مخلص.

(٢٣٧) فتح الله كَوْلُنْ: ريشة العزف المكسورة، ١-٢، ص ٤٦١-٤٦٣.

(٢٣٨) المصدر السابق، ص ٤٦٢.

وجميع مؤلفات فتح الله كُولُن تقريبًا من أكثر الكتب قراءةً في تركيا، وباختصار يمكن القول إنَّ فتح الله كُولُن يتمتّع بجمهور من القراء على مستوى العالم نَدَرَ نَدُهُ لكاتبٍ آخر، وكتبه من أكثر الكتب مطالعة.

وقد تُرجمت بعض كتب الأستاذ فتح الله كُولُن التي نشرت حتى الآن إلى عديدٍ من لغات العالم في مقدمتها بالطبع الإنجليزية، ثم العربية والألمانية والفرنسية والروسية والإسبانية والصينية والأندونيسية واليابانية والأردية واليونانية والألبانية والرومانية... [تسعة وثلاثون لغة في أواخر (٢٠١٥م)] ونشرت في تلك اللغات، وما زالت تُترجمُ.

وقد أجرى "أيوب جان" حوارًا مفصلاً مع فتح الله كُولُن نُشره بعنوان "جولة في الأفق (Ufuk Turu)"، بينما نشرت ما أجرته معه من حوار "نَوَال سَوِينْدِي" بعنوان "لقاء مع فتح الله كُولُن في نيويورك (Fethullah Gülen ile New York Sohbeti)"، ونشر "محمد كوندم" أيضًا حوارَه مع كُولُن باسم "أحد عشر يومًا بصحبة كُولُن (Gülen'le 11 Gün)"، وخلافًا لهذا فقد سُجّلت تسجيلًا حيًّا باستخدام خاصيّة الفيديو مواعظه ودروسه التي ألقاها حسبةً في محافظات مثل: "أنقرة" و"إسطنبول" و"إزمير" ما بين (١٩٨٩-١٩٩١م)، وعُرِضت بعد الحصول على تصريح رسميٍّ بالنشر والعرض، كما سُجّلت على أشرطة صوتيّة مواعظه ودروسه ومؤتمراتَه التي ألقاها بينما كان موظفًا رسميًا بالدولة ما بين (١٩٧٣-١٩٨٠م)، ونُشِرَت أيضًا بعد الحصول على تصريح رسميٍّ بذلك<sup>(٢٣٩)</sup>.

(٢٣٩) لا تزال دروس الأستاذ فتح الله كولن القديمة والحديثة تُبثُّ صوتيًا أو تسجيلًا حيًّا في الموقعين الإلكترونيين [www.herkul.org](http://www.herkul.org) و [www.nil.tv](http://www.nil.tv) وقد ترجم بعضها إلى اللغة العربية نصًّا بحيث يُعرض أسفل الشاشة في الموقع [www.herkul.org](http://www.herkul.org) (الناشر)

## التسامح والحوار في حركة وعمل فتح الله كُولُنْ

إن حركة فتح الله كُولُنْ من أجل التسامح والحوار حركةٌ ينبغي تناولها ودراستها في بُعدين اثنين:

أحدهما: البُعدُ المجتمعيّ، أي عملية التسامح والحوار داخل المجتمع التركي أولاً والعالم ثانياً.

والثاني: البُعدُ الدينيّ، أي عملية التسامح والحوار بين أتباع الديانات المختلفة في تركيا وفي العالم بأسره.

### ١- التسامح والحوار على مستوى المجتمع التركي والإنسانية

ثَمَّةٌ فائدةٌ في إلقاء نظرةٍ على نسيج المجتمع التركي بأبعاده التاريخية الحديثة أولاً حتى يتسنى لنا التقييمُ العادلُ لدعوة التسامح والحوار المنادي بها فتح الله كُولُنْ داخل المجتمع التركي الذي فسَدَ سِلْمُهُ الداخلي إلى حدٍّ ما:

#### أ. بلورة متحضّمة

ظهرت تركيا عام (١٩٢٣م) كدولة قومية عقب تكرر سيناريوهات انهيار الدولة العثمانية، إلا أن حداثة الجمهورية -التي هي بمثابة استمرار للحداثة العثمانية غير أنها تبدو أكثر اتجاهاً من سابقتها للغرب- قد زجّت بالمجتمع التركي في غياهب استقطابٍ وانقسامٍ من شأنه أن يتسّع ويتطوّر مع مرور الزمن؛ ففي جانبٍ منها توجد طبقة النخبة التي سمّاها أحد وزراء الداخلية السابقين "اتفاقاً مقدّساً"، بينما في الجانب الآخر توجد جموع الشعب وعامته، وقد كانت الهوة بين هذين الطرفين واضحةً وجليّةً جداً؛ فمعارضة طرفٍ للدين بصفة خاصة وازدراؤه الطرف الآخر

مَثَلُ أَهْمِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْهَوَّةِ السَّحِيقَةِ وَالْفَجْوَةِ الْعَمِيقَةِ، حَتَّى إِنْ "فَتْحِي أَوْقِيَارَ (Fethi Okyar)" الَّذِي حَاوَلَ تَأْسِيسَ "الْحَزْبِ الْحَرِّ (Serbest Firka)" كَحَرَكَةٍ لِتَحْقِيقِ التَّوْازَنِ فِي الْمَجْتَمَعِ عِنْدَمَا وَصَلَ "إِزْمِيرَ" امْتَلَأَتْ الشُّوَارِعُ وَالْأَزْقَةُ بِآلَافِ النَّاسِ، وَفِي هَذَا الزَّحَامِ مَاتَ طِفْلٌ تَجَاوَزَ الْعَاشِرَةَ مِنْ عَمْرِهِ مَنَسْحَقًا تَحْتَ أَقْدَامِ الْمَارَّةِ نَتِيجَةَ الْإِزْدِحَامِ، فَاحْتَضَنَ جَسَدَهُ أَبُوهُ وَصَرَخَ فِي فَتْحِي أَوْقِيَارَ قَائِلًا: "أَنْقِذْنَا! هَذِهِ أَوْلَى ضَحَايَانَا!"، فَكَانَ "شَوْكَتُ ثُرَيَّا (Şevket Süreyya)" - نَاقِلُ تِلْكَ الْحَادِثَةِ - يَتَسَاءَلُ قَائِلًا: "مَنْ كَانَ الشَّعْبُ يَنْتَظِرُ أَنْ يَتَخَلَّصَ وَيَنْجُو؟ أَلَمْ تُنْقِذْ تَرْكِيَا قَبْلَ سِتِّ أَوْ سَبْعِ سِنَوَاتٍ؟".

وَبَيْنَمَا كَانَ اتِّفَاقُ نَخْبَةٍ تَمَثِّلُ فِتْنَةً قَلِيلَةً جَدًّا يَتَرَبَّعُ بِهَذَا الشَّكْلِ عَلَى قِئَمَةِ الْهَرَمِ مِنْ جَانِبٍ؛ يَصْبَحُ - مِنْ الْجَانِبِ الْآخَرَ - كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِخْتِلَافَاتِ الْعَرَقِيَّةِ وَالْمَذَهَبِيَّةِ الْعَادِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْبَلَدِ مُشْكَلَةً وَعُزْضَةً لِلِاسْتِغْلَالِ وَإِحْدَاثِ اضْطِرَابَاتٍ وَشَائِعَاتٍ نَظْرًا لَوْصَفِ الدَّوْلَةِ الْقَوْمِيَّةِ الْمُتَشَدِّدِ وَالْمَنْغَلِقِ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فَإِنَّ الْحُكْمَ الْجُمْهُورِيَّ جَاءَ رَفْضًا لِلْمَاضِي إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ، وَلَا سِيَمَا قِيَامَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ خَاصَّةً عَلَى طَرَحِ "قَوْمِي" بَحْتٍ، بِيَدِ أَنْ النِّظَامَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْتَضِنَ جَمِيعَ مَوَاطِنِهِ مَتَحَلِّيًّا بِشَخْصِيَّةٍ سَامِيَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ شَمُولِيَّةٍ، لَا سِيَمَا فِي زَمَنِ رَاهَنْتِ فِيهِ الْقَوَى الْعِظْمَى عَلَى الْإِخْتِلَافَاتِ الْعَرَقِيَّةِ، وَمَنْ ثَمَ فَلَيسَ مِنَ الصَّحِيحِ بَتَاتًا أَنْ يَتَبَنَّى سِمْمَةً وَسِيَاسَةً قَوْمِيَّةً مُتَشَدِّدَةً، عِلَاوَةً عَلَى أَنْ تَنَاقُلَ الْفِكْرَةَ الْقَوْمِيَّةَ كَمَبْدٍ أَسَاسٍ بَغْضِ النَّظَرِ عَنِ أَعْبَادِهَا التَّارِيخِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَإِهْمَالِ الْقَوَاسِمِ الْمَشْتَرَكَةِ، وَعَدَمِ النَّزُولِ إِلَى أَسَاسِ الْمَشْكَلَةِ... - وَإِنْ بَدَأَ أَحْيَانًا وَكَأَنَّهُ يَمْنَعُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ التَّدَابِيرِ الْمَقْنَعَةِ إِثَارَةَ الْجُرُوحِ النَّازِفَةِ وَتَحْرِيكَهَا - لَا يَتَجَاوَزُ كَوْنَهُ إِبْقَاءً عَلَيْهَا بِاعْتِبَارِهَا أَمُورًا كَامِنَةً دَفِينَةً، وَالْوَاقِعُ أَنَّ تِلْكَ الْجِرَاحَ ظَلَّتْ تَنْزِفُ وَلَمْ تَنْدَمِلْ قَطُّ، وَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا الْمَشَاكِلَ الْعَرَقِيَّةَ الَّتِي تَنَامَتْ تَنَامِيًّا مُرْعَبًا مَخِيفًا ظَهَرَ فِي صُورَةِ إِرْهَابِ

"حزب العمال الكردستاني (PKK) الجاري منذ ما يقرب من ثلاثين سنة في جنوب شرق الأناضول.

إن شخصية النظام التي تحدّثنا عنها أخذت مواقف معادية للدين؛ بحيث ضيّقت على الصادقين الملتزمين دينياً؛ فوصفّتهم بالرجعية والتخلف أحياناً، أضف إلى ذلك تزامناً هذا مع الاضطرابات الاقتصادية مما تسبّب في اتّساع هوة الاستقطابات والانقسامات في البلاد، وقد شملت هذه الانقسامات الساحة السياسية أيضاً مع انتقالها إلى فترة التعددية الحزبية، واتخذت لها غلّافاً فكرياً؛ فتفاقت بصورة أكبر في ظلّ مواقف مسؤولي الأحزاب المتناقضة غير المتآلفة، ومهدت الفوضى المدعومة من الخارج على أيديهم سبيلاً مناسباً تماماً لضياع موارد البلاد وإنهاك إمكانياتها وتشتت شبابها، تماماً كما حدث في حقوب سابقة من تاريخ تركيا، وكانت أسباب كلّ هذه السلبيات كامنة في الأعماق، فكان لا بدّ من البحث عن الحلّ في مجالات التعليم والثقافة والاقتصاد وتنشئة النسل وتربيته، بيد أنه لما عجز المسؤولون عن اتّخاذ الخطوات اللازمة في هذا الشأن بدأ الجيش يتدخّل كيفما يحلو له ويريد، وإن كانت ثمّة فوائد مؤقتة قد تحقّقت من وراء هذه التدخّلات التي استمرت تحدث بصورة روتينية وبشكلٍ دوريّ مع كلّ عقدٍ من الزمن فمن الصعب جدّاً إنكار أن أدوارها السلبية مثل إنهاء الجيش وتعميق الانقسامات الاجتماعية كانت أكثر بكثير من إيجابيتها<sup>(٢٤٠)</sup>.

(٢٤٠) الانقلابات العسكرية في تركيا:

- الانقلاب العسكري ٢٧ مايو/أيار (١٩٦٠م)، [أول انقلاب عسكري في تركيا]
- الانقلاب العسكري ١٢ مارس/آذار (١٩٧١م)،
- الانقلاب العسكري ١٢ سبتمبر/أيلول (١٩٨٠م)،
- المذكرة العسكرية ٢٨ فبراير/شباط (١٩٩٧م)، [الانقلاب ما بعد الحدائي]
- المذكرة العسكرية ٢٧ أبريل/نيسان (٢٠٠٧م). (المترجم)

وكان الاختلاف والتمايز السُّنِّي العلويُّ في تركيا مشكلةً أخرى من شأنها أن تؤثر في البلد ككلِّ، وأن تطفو على السطح في أيِّ وقتٍ أو زمان، كما وقع في أحداث مدينة "مَرَعَش" (Maras) و"جُورُوم" (Çorum)<sup>(٢٤١)</sup>، حتى وإن لم تبدُ في نفس المستوى والدرجة مع كل هذه السلبيات؛ فجدورُ هذا التمايز والاختلاف ضاربةٌ في أعماق التاريخ، ولا سيما أن الصَّفويين في إيران دائماً ما عزفوا على هذا الوتر الحساس في تركيا؛ إلى أن تعمَّق وقام بدورٍ خطيرٍ في "التمردات" "جَلَالِيَّة" (٢٤٢)، وقد توارى هذا جزئياً مع إخماد تلك التمردات، وزوال حكم الصفويين في إيران، إلا أنه حافظ على وجوده الكامن.

وقد أثر هذا إلى جانب عصيان "دَرْسِيم" (٢٤٣) -الذي وقع في العصر الجمهوري- في علاقات المواطن العلوي بالنظام الجمهوري الجديد، وعند دراسة الحركات اليسارية التي شكَّلت جانباً من الفوضى فيما بين عامي (١٩٦٨ و١٩٨٠م) وبعض المنظمات الإرهابية التي لا تزال تمارس جرائمها، وكذلك الأحداث الجماعية مثل ما وقع في "مَرَعَش"

(٢٤١) حدثت اشتباكات بين السنة والعلويين في مدينة "مرعش" إحدى مدن جنوب تركيا في ١٩-٢٦ ديسمبر/كانون الأول (١٩٧٨م) قُتل فيها أكثر من مائة نسمة وأصيب مئات، وفي مدينة "جوروم" في شمال تركيا في مايو/أيار ويوليو/تموز عام (١٩٨٠م) أحداث مشابهة راح ضحيتها أكثر من خمسين نسمة وأصيب مئات.

(٢٤٢) التمردات الجلالية: اسم عام أطلق على أحداث العصيان والتمرد التي وقعت في الأناضول ضد الإدارة العثمانية في القرنين السادس والسابع عشر؛ حيث اندلعت في أوائل القرن السادس عشر بزعامة "بوزوقلي شيخ جلال" الذي نُسبت إليه، إذ بدأت أولاً بتمرد الجماعات الساحطة على الحكم العثماني وبإثارة وتحريض الجماعات التركمانية الشيعية التوجه والصفويين أيضاً ضد الدولة العثمانية، ثم تفاقمت اعتباراً من أواخر القرن السادس عشر، وكانت الدولة العثمانية تصفها حسبما ورد في المصادر التاريخية بأنها "خروج على السلطان"، وكان من نتائجها أن تغير نظام الأراضي في الدولة العثمانية بقدرٍ كبير، وزادت الهجرات إلى المدينة.

(٢٤٣) "عصيان دَرْسِيم (Dersim)": اسم أطلق على الأحداث التي وقعت ما بين عامي (١٩٣٧ و١٩٣٩م) في محافظة "طُونجُلي (Tunceli)" بتركيا بين عشائر "درسيم" والحكومة المركزية ضد قانون إعادة التوطين (١٩٣٤م) الذي رفضته تلك العشائر؛ حيث تحركت القوات المسلحة لتحقيق سيادة الدولة المطلقة وشنت حملات لإخماد الأحداث، نتج عنها موت أكثر من ثلاثة عشر ألف مدنيٍّ ومائة وعشرة جنود، بينما هجر ما يقرب من اثني عشر ألفاً.

و"جُورُوم (Çorum)" في تلك الفترة، وحادثة فندق "سِيَوَاسْ/مَدِيمَاق" (٢٤٤) عام (١٩٩٣م) دراسةً دقيقةً متفحّصةً؛ تظهرُ مدى حساسية هذه المشكلة ويتبين كيف أُريدَ أن يتحوّل الاختلاف السنّي العلوي في تركيا إلى مشكلة جذريّة باعتبارها نقطة معرّضة للاستغلال.

وقد زيدَ على هذا المناخ الذي عرّجنا عليه سريعاً التناقض والتضادّ بين دُعاة العلمانية ومناهضيهم من جانب، ومن جانب آخر فكرة العلمانية المتشدّدة ومناهضة العلمانية لا سيما بعد عام (١٩٩٠م)، وعقب انهيار الاتحاد السوفيتي رأت بعض القوى العالمية الإسلامَ واعتبرته قطباً معادياً لها، وعندها لاقى هذا التناقض والتضادّ دعماً خارجياً ودون شكٍ داخلياً من أذئاب تلك القوى؛ مما أدخل البلادَ في آتونٍ منّاخٍ جديدٍ للصراع؛ زاد بشكلٍ كبيرٍ من وتيرة ارتكاب جرائم القتل المجهولة الفاعل! -التي لا شكّ في كونها من تدبير القوى الراغبة في تعميق هذا الصراع لدى بعض فئات الرأي العام على الأقلّ- وكذلك المظاهرات والتجمّعات التي نُظّمت متذرّعةً بتلك الجرائم، وباختصار فإنّ الإمكانيات العظيمة التي حبا القدرُ بها تركيا على طبّق من ذهب إبان نهاية العِقْدِ الأوّل من القرن العشرين إنّما أُهدرت بسبب إرهاب "حزب العمّال الكردستاني" ومشاكلٍ يمكن حلّها بكلّ راحةٍ وسهولةٍ كالمشاحنات السياسية العقيمة في الداخل، والأحقاد والمناوشات الشخصية وتصفيّة الحسابات الداخلية والاختلاسات وما تعانيه الحكومة ووحداؤها التابعة لها من تصدّع، والتوترات المختلفة المراد إثارتها مثل التوتّر السنّي العلويّ، والعلمنة ومناهضتها، وجرائم القتل مجهولة الفاعل ومشكلة الحجاب،

(٢٤٤) حادثة فندق "سِيَوَاسْ/مَدِيمَاق (Sivas/Madimak)": الأحداث التي وقعت في ٢ يوليو/تموز عام (١٩٩٣م) في مدينة "سيواس" بتركيا، حيث كانت جمعية علوية "بير سلطان أبدال" الثقافية تنظّم حفلاً في فندق "مَدِيمَاق" الذي أحرق أثناء الحفل من قبل المتطرفين، وأدى ذلك إلى وفاة ثلاثة وثلاثين كاتباً وشاعراً ومفكراً علويّاً، واثنين من العاملين في الفندق حرفاً أو اختناقاً، كما راح ضحيتها اثنان من المتظاهرين المتجمعين خارج الفندق.

وبينما كان تعاونٌ تساهم فيه بشكل متبادلٍ جميعُ الجمهورياتِ التركيّةِ التي نشأت حديثاً في وسط آسيا بعد تفكُّكِ الاتحادِ السوفيتي يمكن له أن يجعل من تركيا دولة قويّةً في الداخل ومفخرةً لجميع المواطنين الأتراك في التوازن العالمي عبر حِقبةٍ زمنيّةٍ وجيزة؛ إذ يعقارب الساعة تسير في عكس اتجاهها الطبيعي، بل وتعذّر تحقيقُ تعاونٍ اقتصاديٍّ مع هذه الدول، وتوتّرت كذلك علاقاتُ تركيا مع دول المنطقة، وظهرت ملامحُ وتوجُّهاتٍ جديدةٌ في العلاقاتِ الخارجيّةِ.

#### ب. أسس التسامح والحوار

إنّ أكثر ما يلزم عمله في زمانٍ تفسّخ فيه نسيجُ المجتمع على هذا النحو هو تصالحُ الشعب والدولة، ولا سيما في ربوع العالم الإسلامي؛ إذ يدعو فتح الله كولنُ دعوةً عالميّةً لإقامة حوار بين كلّ طبقات المجتمع تتمثّل في أن يقبل كلُّ غيره ويحترمه، ويصوغ هذه الدعوة في:

"قبول الجميع الجميع على اعتقاده ونمط حياته وجنسه ولونه ولغته ومهنته وثروته ومكانته في المجتمع ومنصبه وعمله دون تفریق أو تمييزٍ بسبب هذه الأمور، بل وقبوله بفكره ووجهة نظره وفلسفته وأسلوب معيشته".

وإن كان فتح الله كولنُ أطلق هذه الدعوة عام (١٩٩٤م)؛ إلا أنه يمكن تلصُّسها ورؤيتها كموضوع أساسٍ دائماً ما تناوله في كتاباته وخطاباته، بل وفي حياته كلها، ومن ذلك مثلاً ما نجده في كتابه "الموازن أو أضواء على الطريق" الذي طُبِع في أربعة أجزاء للمرة الأولى عام (١٩٨٦م)، ثم جُمِع في جزءٍ واحدٍ لاحقاً؛ إذ يقول:

- "ينبغي للذين يحاولون أن يصلحوا العالم أن يصلحوا أنفسهم أولاً. أجل، عليهم أن يطهروا قلوبهم أولاً من الغلِّ والحقد والحسد إلى

جانب استقامتهم في السلوك وفي التصرف ويُعدهم عما لا يليق بهم؛ وبهذا فقط يستطيعون أن يكونوا قدوةً لمن حولهم.

- الذين يبتغون إرشاد الناس وتنويرهم، والذين يبذلون جهدهم في سبيل سعادة الآخرين، ويمدُّون أيديهم إليهم لإنقاذهم من ورطات الحياة الكثيرة هم أصحابُ القلوب الكبيرة الذين فهموا أنفسهم وهم في المجتمع الذي يعيشون فيه كملائكة الرحمة وملائكة الحفظ والصيانة، يتصارعون مع مصاعب المجتمع ومصائبه، ويتصدَّون للرياح وللعواصف ويُهزِّعون لإطفاء الحرائق، وهم على أهبة الاستعداد لكل طارئ.

- أبطال المحبة فقط هم الذين يستطيعون إنشاء عالم المحبة والنور والسعادة في المستقبل... أبطال المحبة على شفاههم بسمه المحبة، وقلوبهم عامرة بالمحبة، ونظراتهم تُشعُّ بالمشاعر الإنسانية، يغمزون للكل غمزة محبة... ويرون في شروق الشمس وغروبها وفي بريق النجوم وخفوتها رسائل محبة<sup>(٢٤٥)</sup>.

وتلك الأسطر الآتية التي سطرها فتح الله كُولُنْ تحت عنوان "المسامحة" -والتي كُنَّا اقتبسناها سابقاً أيضاً- محمَّلة بالحبِّ والتسامح من أولها إلى آخرها؛ أسلوباً ومعنى، وهي صوتُ قلبٍ نَدَرَ نفسه لخدمة الآخرين:

- افتح صدرك للجميع، افتحه أكثر ما تستطيع ليكن كالبحر، ولتمتلئ أنت بالإيمان وبمحبة الإنسان؛ فلا تُبقي خارج اهتمامك أيَّ قلبٍ حزينٍ إلا وقد مدَّدت إليه يدك!...
- صمِّقْ للأخبار بسبب خيرهم وفضلهم، وكنْ ذا مروءةٍ تجاه المؤمنين، وكنْ ليئلاً تجاه المنكرين إلى درجةٍ تذبُّب معها أحقادهم ونفورهم، وكن دائماً كاليسوع المسيح عليه السلام في سماحته وفي أنفاسه التي كانت تحيي الموتى بإذن الله!..

- ادفع السيئة بالحسنة، و﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٩٩/٧) فكل إنسان يعكس طبيعته وأخلاقه بتصرفاته وسلوكه، أما أنت فاختَر لنفسك طريقَ المسامحة، وكن كريماً عالي الشِّيم حتى تجاه من لا يعرفون قواعد السلوك وأسس الأخلاق!...
- أهم ما يميّز القلب الذي يجيش بالإيمان هو أنه يُحبُّ الحبَّ ويعادي العداوة، أما الذي يكره الجميع وينفر منهم فهو إما شخص أسلم قلبه للشيطان أو أنه مريض نفسياً، أما أنت فليكن شعارك هو حب الإنسان والإنسانية!...
- مع كلِّ حَدْرِكٍ؛ إياك إياك أن تسقطَ بين أنيابِ نفسك وسيطرتها ولو مرةً واحدة، ولا تحكِّمها في أية قضية ذلك لأنَّ الجميع سواك -في نظر هذه النفس- متهمون، وكلِّ شخصٍ آخر هو شخصٌ غير سويٍّ وغير جيّدٍ، وهذا الاعتقاد حسب قول الصادق المصدوق ﷺ يُسبِّبُ هلاكَ صاحبه، إذا فكن صارماً تجاه نفسك ولينَ الجانبِ تجاه الآخرين قدرَ استطاعتك.
- انتبه إلى أنماط السلوك والتصرف التي تُحبِّب الآخرين إليك، ولا تنس أن هذه الأنماط من السلوك هي أيضاً سُنَّبتك إلى الآخرين.
- اتَّخِذْ من معاملةِ الحقِّ تعالى لك مقياساً لكي تتصرَّفَ على ضوئه مع الناس، عند ذلك تكونُ مع الحقِّ وأنت مع الناس، وتتخلَّص بذلك من نوعي الوحشية<sup>(٢٤٦)</sup>.

ومنذ اليوم الأول وفتح الله كُولنَ يركِّزُ ويشدِّدُ على المسامحة أو التسامح والحوار الدائم في المجتمع وإيثار الآخرين على النفس، وعلى حدِّ تعبيره: "التخلِّي عن مُتَمِّع الحياة رغبةً في إحياء الآخرين"، ويعتبر هذه الخصال المهمة أسس الحياة الاجتماعية المصيرية، وكما تطرَّقنا إليه

عند تناول "رؤية فتح الله كولن للإسلام (الفصل الأول)" و"فتح الله كولن رجل الحركة والفكر (الفصل الثالث)"، فقد كانت مواضيع وخصال مثل الحبّ والرحمة وتقدير قيمة الإنسان واحترامه والتواضع وأعمال الخير من الأمور التي وقف عليها ورَكَزَ بحساسيةٍ كبيرةٍ إلى جانب تلك الأمور أيضاً، ومن هذه الناحية فإنه لا بد أن تُعتبر حركة الحوار والمسامحة التي بدأها فتح الله كُولُنْ أواسط عام (١٩٩٤م)، وما ذُكر آنفاً أيضاً، والدعوة التي أطلقها في هذا الموضوع -أن تُعتَبَر- بمثابة إهداء حُلَّةٍ إلى المجتمع ظلَّ يُطَرِّزُها منذ زمنٍ طويل، وإنها كذلك بالفعل.

#### ج. الفعاليات والتقييمات

سَرَتْ دعوة التسامح والحوار التي أُطلقت من قِبَل فتح الله كُولُنْ و"وقف الصحفيين والكتاب" إلى طبقات المجتمع كُلِّها، وبينما كانت ألمانيا خلال حقبةٍ وجيزةٍ تَبَعَتْ مُجَدِّداً وتظهرُ على الساحة الدولية كعملاق عالميٍّ بعد أن خاضت الحريين العالميتين الأولى والثانية وانهارت فيهما، وتستقطب العمالة من تركيا ومن دُول أُخرى دون أن تمرَّ عشرون سنة على انهيارها في الحرب العالمية الثانية؛ كانت اليابان إحدى الدول التي هزمت في الحرب نفسها تظهر على الساحة العالمية كعملاق عالميٍّ آخر أيضاً... والواقع أن تلك الدعوة كانت مهمة جداً بالنسبة لتركيا التي سقطت في وضع لا تُحسد عليه عالمياً، وإنها وإن كانت قد أنجزت بعض الأشياء الجميلة الجديدة بالتنويه دون ريبٍ إلا أنها على مدى آخر ستةٍ أو سبعةٍ عقودٍ من الزمان أصبحت مسرحاً للشعارات والاحتفالات أكثر من أيِّ شيءٍ آخر، ومن ثم فلقد رَغِبَ فتح الله كُولُنْ في تمديد دعوة التسامح والحوار وانتشارها حول العالم كُلِّه كما تتمدد الأمواج في البحر، خصوصاً وأنها كانت في فترة دار الحديث فيها

عن "صراع الحضارات"، بل وربما أُعِدَّت الخطط لصنعه مسبقاً، وقد لاقت هذه الدعوة استحساناً كبيراً من قطاعات المجتمع التركي كلها مع وجود بعض الاستثناءات القليلة جداً؛ لدرجة أن عديداً ممن انخرطوا في الحركات اليسارية في زمن ما، بل وحتى من شاركوا في أعمال فوضوية فيما مضى شاركوا في فعاليات هذا الحوار أو ساندوه إما صراحةً وإما تلميحاً، وكان كل واحد من بينهم؛ سواء مَنْ أقرّوا قائلين: "لقد فهمنا؛ إنَّ الدِّين ليس أفيوناً ولا مُخَدِّراً، بل على العكس تماماً إنه بمثابة رابطة تربط الجموع ببعضها البعض وتوطّد أواصرها"، وَمَنْ قالوا: "عندما لم يُدرَس الإسلام لنا على مرِّ سنوات طويلة، ظننا أنه غير موجود"، وَمَنْ قدّموا نموذجاً حقيقياً ولو خاطئاً للمسؤولية المعتمدة على الضمير والواقعة على المثقفين والمستنيرين، وَمَنْ صرحوا برأيهم: "لقد تعاركننا كمجتمع سنوات طويلة وكأنا جهاتٍ معاديةٍ لبعضها، ربما أننا لم نتقاتل بالمعنى التام، إلا أننا لم نكن مُسالمين متوافقين فيما بيننا، لكن الحقيقة أننا كنا نبحث عن السِّلْم، ولم نرضَ بالبقاء داخل صندوق "الأعراف"؛ فقد اشتقنا إلى الجنة"؛ كان كلُّ منهم بمثابة بارقة أملٍ تُبشِّرُ بالسِّلْم الداخلي.

ونظير ذلك وأمثاله وحتى كلُّ جهدٍ فرديٍّ -بدءاً من رئيس الجمهورية إلى المواطن العاديِّ في الشارع، وَمِنَ الإعلاميين إلى السياسيين والمُطْرِبين- يُسهِمُ بكلِّ إخلاصٍ في إثارة نسيم السِّلْم الداخلي الذي بدأت تهبُّ نسائمه في البلاد؛ فكانت الأمسيات وحفلات توزيع الجوائز ومادبُ الإفطار تنظَّم لصالح السِّلْم الداخلي والصلح والتوافق المجتمعي، ومن ذلك على سبيل المثال:

حفلة التعارف الذي نظمه "وقف الصحفيين والكتاب" في فندق "دَدَمَان (Dedeman)" نهاية يونيو/حزيران عام (١٩٩٤م).

ومأدبة الإفطار التي أقيمت في فندق "بولاد رونانسس (Polat Rönesans Oteli)" في إسطنبول في الحادي عشر من فبراير/شباط عام (١٩٩٥م).

وفي فندق "بويوك أنقرة (Büyük Ankara)" في السادس والعشرين من فبراير/شباط عام (١٩٩٥م).

وفي فندق "هيلتون (Hilton)" يوم السابع والعشرين من سبتمبر/أيلول عام (١٩٩٦م).

وكذلك اجتماع "يداً بيد من أجل مستقبل سعيد (Mutlu Yarınlar İçin El Ele)" الذي أقيم في قاعة "لطفى قيردار للمعارض والرياضة الدولية (Lütfi Kırdar Uluslararası Spor ve Sergi Sarayı)" في الثلاثين من سبتمبر/أيلول عام (١٩٩٦م).

وحفل توزيع "جوائز التسامح (Hoşgörü Ödülleri)" الذي نُظِمَ في "قصر جيراجان (Çırağan Sarayı)" في الرابع من يناير/كانون الثاني عام (١٩٩٦م).

وحفل توزيع "الجوائز التشجيعية في مجال السلم الوطني (Ulusal Uzlaşma Teşvik Ödülleri)" الذي أقيم في فندق هيلتون في الخامس والعشرين من ديسمبر/كانون الأول عام (١٩٩٧م).

ومباراة كرة القدم التي نُظِمت لصالح البوسنة في التاسع عشر من سبتمبر/أيلول عام (١٩٩٥م).

والتقدير الذي عبّرت عنه الكلمات والتعليقات والآراء التي أُلقيت وصُرِّحَ بها في حفل المعايدة الذي أقيم في فندق "بلازا جواهر (The Plaza Cevahir)" يوم الثالث من فبراير عام (١٩٩٨م)، والمشاركات الصادقة في هذا، ومن ذلك على سبيل المثال "سليمان دَمِيرَال" -رئيس الجمهورية في تلك الفترة- حيث ألقى كلمةً في حفل توزيع الجوائز التشجيعية للصلح والوفاق الوطني الذي شارك فيه بصفةٍ خاصّةٍ رغمَ معارضةِ مجموعةٍ

من الجهات آنذاك، وفي أشد أيام مرحلة الثامن والعشرين فبراير/شباط<sup>(٢٤٧)</sup> سخونةً وتوترًا، قال فيها:

"إن الوحدة والتعاون والأخوة والتفاهم والوئام والنظام أهم مفاهيم يتبناها مواطنونا في فترة تعترض الاضطرابات العالم، وقد طُبِقَ هذا على واقع الحياة بالفعل، وليس مجرد كلام، لا تسمحوا للتفرقة أن تدب بيننا، وإن كان هناك من يرغبون في الوقيعة بينكم فلتصدّوا لهم أيًا كان اعتقادكم، وأيًا كان جنسكم؛ فكلُّكم بلا استثناء أبناء هذه الأمة العظيمة، فلنتعانق داخلًا ونحتضن بعضنا، إنني أقدر الجهود المبذولة في هذا السبيل، وكم تمنيت أن يتمكن جميع من في تركيا من مشاهدة هذا الحفل؛ فهذا البلد أمانة في أعناقنا، وسوف نحمل هذه الأمانة ونسلمها إلى الأجيال القادمة من بعدنا، وسوف يدرك مواطنونا هذا ويعوّنه، الإسلام دين السلام، وهو يوصي بالسلام ويأمر به، وإنَّ النجاح في هذا والقدرة على العيش في سلام واجب منوطٌ بأجبالنا، إنني كممثل للدولة والوحدة والتضامن التركي أقف إلى جانب جميع الحركات التي تعزّز التفاهم واللحمة والوحدة الوطنية للأمة التركية كهذه الأمسية".

هذه الاجتماعات جمعت أناسًا من مستويات شتى يمكن اعتبارهم يمثّلون كلّ قطاع من قطاعات المجتمع التركي، وقد شارك في بعض هذه الاجتماعات أو في معظمها عددٌ كبير من الناس من كلّ فئات المجتمع تقريبًا بدءًا من رئيس الجمهورية حتى رؤساء الوزراء والنواب ورؤساء البلديات وممثلي الأحزاب السياسية والبيروقراطيين، ورؤساء الجماعات الدينية المختلفة، وموظفي السفارات الأجنبية، والعلماء من كل التخصصات والصحفيين والكتّاب والفنانين، ورجال الأعمال والتجار...

(٢٤٧) عملية ٢٨ فبراير/شباط تشير إلى القرارات الصادرة عن قيادة القوات المسلحة التركية في اجتماع مجلس الأمن القومي يوم الثامن والعشرين من فبراير/شباط (١٩٩٧م)، والتي عجلت باستقالة رئيس الوزراء "نجم الدين أوزبكان" من "حزب الرفاه" وإنهاء حكومته الائتلافية. (المترجم)

وقد عبّر المشاركون عن انطباعاتهم ومشاعرهم إمّا في الاجتماعات نفسها أو على صفحات الصحف لاحقاً؛ فكانوا جميعاً يتحدثون عن القيم ذاتها مثل التسامح والحوار والسلم المجتمعي، ومن ذلك مثلاً "برثلماوس (Bartholomeos)" بطريك أساقفة كنيسة "فنر روم" إذ كان يهنئ مؤسسي الوقف وأعضائه باعتبارهم خطوا خطواتٍ جادةً في طريق السلام والطمأنينة والمحبة، ويقول:

"إن فتح الله كُولُنْ يرمز في شخصيته وأفكاره للسلام والتسامح والقيم السامية المهمة بالنسبة لرؤساء الدول والإنسانية جمعاء".

أما "جورج ماروفيتش (Georges Marovitch)" ممثل الفاتيكان لدى إسطنبول فيبين:

"أن العامل والعنصر الذي يجذب الناس من كل فئات المجتمع بمسلميه ومسيحيته ويهوديته إلى مكانٍ واحدٍ هو الحبُّ الكامن في قلب فتح الله كُولُنْ، وأنَّ حبَّ الله هو سلاح فتح الله كُولُنْ الوحيد، وأنه يشكل مثلاً عظيماً بالنسبة للعالم".

ويعبر الكاتب والمخرج السينمائي "خالد رفيع (Halit Refiğ)" عن مشاعره بقوله:

"القلب يأمل أن يكون كلُّ يومٍ من السَّنَةِ عيداً؛ فبينما رياح الحرب تهبُّ باتجاه بلادنا ومنطقتنا نعيش اليوم مناخاً خاصاً، علينا أن نحافظ على وحدتنا هذه".

ويساند الكاتب الصحفي "رضا زليوط (Rıza Zelyut)" أعمال الوقف وأنشطته بصدقٍ ويؤكد على ضرورة التخلُّص من "ظاهرة الاستقطاب والانقسام ما بين يساري ويميني الدخيلة التي أصبَحَتْ متوارثة"، ويؤكد على حتمية أن يعتبر الناس من ماضيهم وألا يحكموا على حاضرهم بأفكار تقليدية، أما المطرب "يِلْمَاظ مُورْكُولُ (Yılmaz Morgül)" فيصف

جمعَ الوقف بين أناسٍ من مختلف الرؤى والفلسفات بأنه حادثهٌ مهمّةٌ جدًّا بالنسبة لتركيا، ويبارك هذا الحدث، في حين يندد "أورخان كنجأبأي (Orhan Gencebay)" في آخر أغانيه وألحانه بجعل الاختلافات المذهبية والعرقية ذريعةً للفرقة والتشتت، ويدعو إلى الوحدة والتماسك.

ويؤكد الكاتب الصحفي "شكري قنبر (Şükri Kanber)" أن تركيا تعرضت لأزمات مختلفة لأنها عاشت فترات طويلة في بئر اللا حوار الجافة الصماء، أما الأستاذ الجامعي ورئيس وقف "الجمع" (٢٤٨) "أ. د. عز الدين دوغان (İzzettin Doğan)" فيؤكد على ضرورة عدم الخوف من الاختلافات، ويهنئ "وقف الصحفيين والكتاب" ويُقدِّره لأنه جمع بين أناس من مختلف الآراء والتوجهات المذهبية.

وقد شارك الكثير في الدعوات التي قدمها الوقف في إطار ما نظّمه من فعاليات لصالح الحوار والتسامح، ومن ذلك على سبيل المثال "خير الدين قراجه (Hayrettin Karaca)" رئيس "الوقف التركي لحماية الثروات الطبيعية والتشجير ومكافحة تآكل التربة (TEMA)"، والأستاذ الدكتور "نور وزكين (Nur Vergin)" و"عزير غريح (Üzeyir Garih)" رجل الأعمال، و"حسن فوزقماز جان (Hasan Korkmazcan)" رئيس البرلمان التركي الأسبق، و"إسماعيل قهرمان (İsmail Kahraman)" والدكتور "طوقتامش أتش (Toktamış Ateş)" من وزراء السياحة الأسبقين؛ كلهم كانوا يُصريحون بمشاعرهم الإيجابية وتقديرهم ومباركتهم لهذا العمل، أما "جاك كامهي (Jak Kamhi)" رجل الأعمال اليهودي -الذي عمل عضواً بالبرلمان لفترة-

فيقول:

(٢٤٨) إن العلوتين الأتراك يطلقون على طقوسهم الدينية كلمة "الجمع" ويؤدونها في غرفة كبيرة تسمى "بيت الجمع".

"الواقع أنني لا أتوقَّع شيئاً غير ذلك من الأستاذ فتح الله؛ إنه يسير في ذات الطريق الذي سار فيه أجداده على نحو لائق وجميل؛ فقد أحبَّ الأتراك الناس جميعاً واحترموهم على مرِّ العصور؛ فلم يخوضوا حروباً دينية، ولم يمارسوا قمعاً، وإنما فعلوا العكس؛ فقد مكَّنوا الناس من نيل حريَّتهم، لقد ذهبت إلى المجر، فكانوا يمتدحون الأتراك باستمرار، وذهبت إلى رومانيا فكانوا يبادلونهم نفس الحبِّ أيضاً، إنني أتابع منذ وقت طويل مبادرة الأستاذ فتح الله كُولُنْ "التسامح"، وأباركها... وأضيفُ أن أجدادي لو لم يروا ذلك التسامح ويحفظوا به من العثمانيين وتركيا؛ لما كنت أنا موجوداً الآن"<sup>(٢٤٩)</sup>.

#### د. السلام والتفاهم السنِّي العلوي

إن لدعوة فتح الله كُولُنْ إلى الحوار والتسامح بُعداً تُشكِّله المباحثات واللقاءات التي أجراها حول الغاية نفسها مع رجال الدولة ورؤساء الأحزاب التركية، بينما تشكل محاولته ومساعيه للقضاء على التوتر السنِّي العلوي الذي أمدته سلبيات تاريخية بُعداً آخر من تلك الدعوة.

وقد أجرى "أيوب جان (Eyüp Can)" حواراً مع فتح الله كُولُنْ طُبِع لاحقاً بعنوان "جولة في الأفق (Ufuk Turu)" قال فيه كُولُنْ:

"كما أن لدينا نحن -أي السنَّة- جوانبَ يجبُ تشذيبها وإعادة تشكيلها، فإن لديهم هم -أي العلويين- كذلك بعضُ الجوانب يجب تشذيبها وتشكيلها من جديد، نعرف أكاديميين من السنَّة أجروا دراساتٍ حول العلوية، يُلاحظ -بالنظر إلى آرائهم- أن العلوية تُشكِّلُ مصدرًا غنيًا في التميُّز الثقافي، لذا فمن الواجب الاستفادة من تلك الثقافة، لا تقويضها".

وإلا فإنه يلفت الانتباه إلى مجموعة من السلبيات حدثت لا سيما في تاريخنا الحديث، ويُحذّرُ كُولُنُ من اجترارِ سلبياتِ الماضي، ويتحدّثُ عن ضرورة أن يتعمّقَ السنة والعلويّون في عوالم بعضهم الداخلية وأعماقهم الروحية، ويقترح كي يتحقق توافقٌ وتفاهمٌ وترابطٌ أكثرُ حميميّةً وبقاءً وسلامةً أن يُرجعَ العلويون إلى الكتب حتى ينتقلوا من الثقافة الشفهية - التي هي معرّضة دائماً للتغيير والتحريف على أيدي الجاهلين والمغرضين - إلى الثقافة الكتابية فتكتسب ثقافتهم شخصيةً وهوية علمية، ومن ثم توضع كتبٌ ومؤلفات الرموزِ والروادِ لدى العلويين أمثال: "الحاج بكتاش" و"يونس أمره" و"نيازي مصري" في بيوت الجمع، وفي المقارن التي يتردّد عليها الشعب وقاعات المطالعة والمراكز التعليمية أيضاً، كما يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فيقترح على واحدٍ من كبار العلويين وكان قد تعرّف عليه في "إزمير" والتقى به - يقترح عليه - أن يفتتحاً سوياً، ويُنشئاً "بيت جمع" وجامعاً جنباً إلى جنب.

وبينما يُعرّفُ كُولُنُ العلويّةَ الحقيقيةَ المنشودةَ بأنها "اتباع سيدنا عليّ ﷺ في أعماله وتصرفاته وفكره، والافتداء به ﷺ عبر تمثّل جوانبه السامية العلوية"، فإنّ قسماً من العشائر التركية القاطنة في الأناضول تولّدت لديهم - إلى جانب إعجابهم بشجاعة سيدنا عليّ ﷺ وفتوته - فكرة الانحياز للعلوية نتيجة الظروف الاجتماعية والثقافية للمناطق التي نشؤوا فيها، وهذه الحقيقة تظهر وتُتضح عند تناول الموضوع من الناحية النفسية والمجتمعية، علاوةً على ذلك يلفت كُولُنُ الانتباه إلى أن المذهب السنّي ليس ولن يكون لديه أيّة مشكلةٍ على الإطلاق مع الفهم العلوي الذي تحلّق ودار حول سيدنا عليّ وآل البيت كما تدور الهالة النورانية حول البدر.

وبينما يؤكد فتح الله كُولُنْ على أن بعض المجموعات ذات الأيديولوجية "الرديكالية" ومن يوجهونهم يسعون دائماً لإذكاء نارِ صراعِ سنِّي علويّ؛ يؤكدُ أن الأمةَ التركيّةَ مجتمعٌ متّحدٌ متوحّدٌ بسنِّيّه وعلويّه، ويبين أن ثَمّةَ مجموعةً من التحريّضات تقف وراء الأحداث التي أُثيرت هنا وهناك مؤخّراً، ويصفُ حادثة حصد أرواح رواد أحد المقاهي في حي "غازي عثمان باشا" بإسطنبول -الذي أكثرَ قاطنيّه من العلويين- والتي وقعت عام (١٩٩٤م) بأنها "اعتداء شنيع"، وأنه "استقبلها باشمترازٍ وأسى"، ويؤكد كذلك على أن ثَمّةَ مساعي لخلق صراعِ سنِّي علويّ يُدبّرُ ضدّ مصلحةِ البلد والمجتمع، وأنّ هناك قوَى ترغب في استغلال هذا الصراع وتحقيق مآراب خاصّة بها.

ويؤكد كُولُنْ بِصِفَةِ خاصّة على أن الصورة الذهنيّة التي يُسعى من خلال رسمها إلى التمييز بين العلوي والسنّي، والتفرقة في التصرف بين كلّ منهما تضرّ بتركيا السائرة في طريق الاتحاد الأوروبي<sup>(٢٥٠)</sup>.

#### هـ. الأمل والرجاء

لا شكّ أن فتح الله كُولُنْ حين يُنادي في المجتمع بحركةٍ تسامحٍ وحوارٍ يرجو لها الانتشار في العالم كما تنتشر الأمواج على سطح البحر؛ يدركُ مجموعةً من الحقائق؛ من بينها أنّ هناك مراكز ومجموعات نفعيةٍ داخلية وخارجية تغذّي وتستفيد من وجود صراعٍ داخل المجتمع التركيّ وفي العالم أجمع، وبالتالي لا ترغبُ في تحقيق السَلْم الاجتماعي والحوار العالميّ والتسامح؛ ولهذا فإنه بينما يُنادي ويُعبّر عن أمله ورجائه خلال كلماته وأمسياته من جانب؛ تراه من الجانب الآخر يُعبّر عن مخاوفه وقلقه، وكأنه يُحدّرُ منها الحضورَ والمجتمعَ والعالمَ أجمع.

(٢٥٠) "إسماعيل عادل سونمُز (İsmail Adil Sönmez): "حقيقة فتح الله كُولُنْ" (Fethullah Gülen Gerçeği)، "قيناك يانيرلي (Kaynak Yayınları)"، إزمير (١٩٩٨م)، (باللغة التركية)، ص ١٥٢-١٥٧.

السنوات القابلة ستكون عصرَ مودَّةٍ وتسامح؛ فسوف نحتضن الجميع بالمحبَّة ونحقِّق -إن شاء الله- شيئاً الدنيا في أمسِّ الحاجةِ إليه، إلا أنني قلق من شيءٍ؛ هو أن قطاعاً سيواصل إفسادَ الطمأنينة والسلم المجتمعي عازفاً على أوتار الضعف فيه، ومُشعراً أفراد هذا المجتمع بأنه يمتلك قوَّةً تبطش، بعدها سيُعدُّون فخاً وكميناً للإيقاع بالتسامح، ومن الواضح أننا سوف نعرِّض لاحقاً لامتحان بأشياء صعبة جداً، وسوف تتصدى أمتنا لأعتى الخطوب بتحمُّلٍ بعضِها وتكاتفٍها فيما بينها، ونكزُّ على أسناننا في هذا الامتحان، ونتمثِّل الحكمةَ القائلة: "قابل الضارب بالصفح والسابِّ بالعفو"، ونحتضن كلَّ شيءٍ بمودَّةٍ وشفقةٍ دون أن نحقد أو نحمل ضغينة لأحد، ونسير إلى المستقبل متحابين<sup>(٢٥١)</sup>.

ويعبر كولن في كلمة أخرى له عن مشاعر مشابهة أيضاً فيقول:  
 "لقد تنازعنا، وشقَّ علينا أن يتقبَّل بعضنا البعض الآخر؛ فخبسنا وحدتنا، وفقدنا جنتنا نتيجةً لذلك، واستردادنا ما فقدناه حتى اليوم يكمن في أن نقبَل بعضنا؛ فهذا هو الشيء الذي يشعر إنساننا اليوم بأَمسِّ الحاجةِ إليه.

لقد رأينا أن مجتمعنا منفتحٌ ومستعدُّ بالفعل للحوار والتسامح، ورأينا فيه تمثُّل الأخلاق الإلهية تجاه ما اتُّخذ من خطوات في سبيل ذلك؛ إذ يقول الله تعالى على لسان نبيِّه: "مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"<sup>(٢٥٢)</sup>، فكلُّ مَنْ خطونا إليه خطوةً في إطار هذا الحوار جاءنا جرياً، ونحن كأنايس متسامحين ننادي: "ضع يدك في يدي" من أجل المستقبل، ونتنظرُ تلك

(٢٥١) عبد الله أزغون: المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٢٥٢) صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة، ٢٢؛ سنن ابن ماجه، الأدب، ٥٨.

الأيام التي يحتضنُ فيها مجتمعنا -الشاعرُ في داخله بشوق سيدنا يعقوب عليه السلام وحن سيدنا الحسين شهيد كربلاء -بعضه بعضاً بكلِّ قطاعاته، ويرشده ويوجهه إعلامنا وعلمناؤنا إلى ذلك؛ ويُراجِعُ حكَّامنا أيضاً أساليبهم مرّةً أخرى، ويعتمدوا التسامح أساساً في أفكارهم وعلاقاتهم المتبادلة، ونقولُ أيضاً: إن كان هناك من يُخطِّطون ضدَّ مستقبلنا ويفكِّرون في تحويل البلاد إلى ساحة من الدماء؛ فإنَّ التسامح هو الدرعُ الحامي والسدُّ المنيع الذي يُفَسِّدُ عليهم خططهم ويحول بينهم وبين تحقيقها"<sup>(٢٥٣)</sup>.

ويُبيِّنُ فتح الله كُولُنْ في كلمة أخرى له أنَّ جدورَ الحوار والتسامح ضاربةٌ في جوهر الإسلام؛ فيقول:

"من العبث البحث عن التسامح بكلِّ أعماقه وأبعاده الحقيقية بعيداً عنّا؛ فالتسامح سمئنا هو ما يشكّل فكر مولانا جلال الدين الرومي ويونس أمره... وإن استطعنا إدراك المعنى الدقيق الكامن في كلمات حبيب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله استطعنا فهم ما هو أساس ديننا، إنني أو من أن الدنيا -التي اختلَّ نظامها- ستدرك الحقيقة ولو بعد أن تتخبَّط يميناً ويسرةً، وأسألُ الله تعالى أن يُبنى المستقبل على المحبة والتسامح، لا على الحقد والكره والحدة والعنف"<sup>(٢٥٤)</sup>.

#### و. نقاط الاتفاق

لقد اعترض طرفان على دعوة فتح الله كُولُنْ للحوار والتسامح اعتراضاً جزئياً؛ أحدهما قطاع لا يرغب بسيادة السلام الداخلي في البلاد، بل أن تظلَّ البلادُ في حالةٍ من الصِّراع والشِّجار الدائم حيث يرى أن ذلك هو الأنسب لمصالحه ومآربه وأطماعه الشخصية، ومثلُ هذا القطاع ينظرُ إلى دعوة فتح الله كُولُنْ للحوار والتسامح من منظار "الطبقة"، بينما غيرهم

(٢٥٣) عبد الله أَرْغُونُ: المصدر السابق، ص ٢٥٠.

(٢٥٤) عبد الله أَرْغُونُ: المصدر السابق، ص ٢٥٤.

من بعض المعارضين لا يستطيع إدراكَ وتقَبُّلَ أن فتح الله كَوَلَنَ إنسانَ نشأ وترَبَّى تربيَةً إسلامية فأطلَّ على الدنيا من إمامة المسجد، أما القطاع الثاني المعارض لدعوة كَوَلَنَ فهو بعضُ مجموعات إسلامية يُمكن اعتبارها متطرِّفةً؛ إذ يزعم هؤلاء أنكم اهتمَّتمُم بحوار غير المسلمين وأهملتُم حوار المسلمين، وأنكم إن حاورتم غير المسلمين فسُتُفدُمون لهم التنازلات على حساب مبادئكم، في حين أن فتح الله كَوَلَنَ -الذي تعرفه تلك المجموعات بقدر معين في الأقل منذ سنوات عدة- لم يكن في الحقيقة يحظى بتعاطفهم سابقًا، وكان من أهم أسباب عدم التعاطف والتواؤم مع دعوته هذه أنه لم يكن لديه أي اتجاه نحو السياسة في أيِّ وقتٍ قطُّ، ولم يدعُم سياسيًا من يسعون إلى الجمع بين السياسة والإسلام، ولم يشارك البعضَ منهمجهم في خدمة الدين، والله تعالى فحسب هو الذي يعلم إن كان يخالط هذا الاعتراضَ الآنفَ ذكره شيءٌ من العوامل النفسية كالغيرة، وهو تعالى صاحب الحكم والأمر في هذا.

ولم يضطلع فتح الله كَوَلَنَ منذ البداية بأية محاولةٍ من شأنها أن تُلحِق ضررًا بأية مجموعةٍ مسلمةٍ، ولا سيما في شؤونها الخدمية الإسلامية، وكما أنه عبَّر صراحةً أحيانًا وتلمييحًا أخرى عن آرائه بشأن الأخوة والسلم والحوار بين المجموعات المسلمة؛ فقد أورد كلُّ أفكاره الخاصة بهذا تحت عنوان "نقاط الاتفاق" تقديمًا لكتاب "خطَّ السِّلْمِ" (*Sulh Çizgisi*) الذي ألّفه الأستاذ الدكتور "إبراهيم جانان" (*Ibrahim Canan*).

ويقول في بداية المقالة الآنفَ ذكرها:

"الصواب أن موضوع الاتفاق والافتراق من أكثر المواضيع طرحًا ومحافظةً على أهمّيَّتها في يومنا الحاضر، وهو وإن حافظ على أهميته في كل العصور؛ فقد صار موضوعًا مُلحًا يأتي في

المرتبة الأولى بين القضايا الاجتماعية قاطبة، وتزداد أهميته باطراد في فترة الاستعداد فيها لعالم جديد أمرٌ ضروري، بل ضروريٌ ومُلحٌ جدًّا، وعليّ أن أقول بكلّ أريحية: لا يمكن تصوُّر أن هناك شيئاً أعظم خطراً من الاختلاف والافتراق الذي يُهدِّدُ بعثنا ونهضتنا من جديد".

ويلفت فتح الله كُولُنْ النظر إلى أهميّة تحقُّق الوحدة في المجتمع وأضرار الفرقة والاختلاف، ويذكر أن أسباب ما بين المسلمين والمجموعات الإسلامية خاصّةً والدول عامة من نزاع واختلاف يتمثل فيما يأتي:

- ضحالة البنية الفكرية والعلمية لدى المجتمع، وفقر حياته القلبية والروحية، وعدم توفُّر مرشدٍ أو مُعينٍ أو رفيقٍ، ممَّا جعله في حالة يُرثى لها.
- ما ولّده هذا المناخ وغذاه من تعصُّبٍ أعمى.
- المركزية التي تدورُ حول "الأنا" وتُعبِّرُ عن حُبِّ النفس؛ هي شركٌ خفيٌّ من حيث إنها تُقيمُ الوسائلَ مقامَ الأهداف والغايات.
- عدم الاعتراف بحقوق الآخرين تبيُّناً للفكرة الخاطئة التي تقول: "إنني لا أريد خيراً يتسبَّب فيه الآخرون، ولا وسائلَ ذلك الخير أيضاً ما لم يكن من صنْعِ يدي!" .
- التعصُّب وتجاوز الحدود كاعتبار أحدهم أن الصواب والصحيح هو أتباع الآخرين له، ورمي الآخر بالكفر والضلال وارتكاب الذنوب والآثام.
- إعمال حُبِّ الجاه والمنصب المادّي والمعنوي لدى بعض الذوات والأشخاص العظام، ودفعهم إلى المنافسة مع غيرهم من المجموعات.

- التحركُ والعملُ فيما يمارَسُ من أنشطةٍ وأعمالٍ باسمِ الإسلامِ على تفويضِ الغيرِ من مجموعاتِ الخدمةِ الأخرى.
  - التشوُّفُ إلى ثمارِ العِلْمِ والفضيلةِ وما وراءها من مساعٍ وجهودِ صغيرةٍ في الدنيا في حين أن الآخرة هي المستقبلُ الأبعد؛ إذ تُمَثَّلُ مكانَ وزمانَ إدراكِ هذه الأشياءِ.
  - أساسيٌّ أن يعيشَ خادمو الأمة بحبِّ مَسْلِكِهِمْ ومنهجهم فقط، إلا أن انشغالهم وتشبُّعهم بعداوةِ الآخرين فقدانٌ وخسارةٌ عظيمةٌ للتوفيقِ الإلهي.
- وإلى جانب هذه العوامل النفسية يلفت فتح الله كُولُن الانتباهَ إلى مزيدٍ من العوامل الأخرى التي تتسبَّبُ في حدوثِ الفرقة بين المسلمين، ويعدِّدها على النحو الآتي:
- إن إهمالَ الخدماتِ الدينية فترةً طويلةً؛ ثم تحمُّلُ أفرادٍ وجماعاتٍ متعدِّدةٍ ومتنوعَةٍ هذه الوظيفةَ؛ ولا سيما عدم وجودِ دليلٍ ورائدٍ يخضَعُ ويذعنُ للجميع لتوجيهه؛ كلُّ هذا يؤدي في النهاية إلى أن تسلك كلُّ مجموعةٍ طريقًا مختلفًا ومستقلًا عن غيرها.
  - تعتبر كلُّ واحدةٍ من تلك المجموعات مرشدَها ورائدَها الذي يُضيءُ لها الطريقَ مُجدِّدًا، (ومع أن كُولُن يرى "اعتبار كلِّ مجموعةٍ رائدَها مُجدِّدًا أمرًا طبيعيًّا"؛ إلا أنه يرى أن هذا الفكر وهذه التقييمات قد تكون سببًا للفرقة والاختلاف في هذا الشأن عند ضِعافِ القلوب).
  - إثارة الاختلافات من قِبَلِ العناصرِ الخارجيّةِ والمدسوسةِ بين الجماعات، وإثارة الاختلافات المذهبيّةِ والمزاجيّةِ والمشريةِ، والعبثُ بالمناخِ الإثنيِّ أيضًا.

- أضف إلى هذا تعرُّضَ شعبنا لفراغِ قلبيِّ وروحِيّ، وإبعاده عن الحياة القلبية والروحية وتعلُّقِ الجموعِ ببعض الأفكار والأنظمة الخيالية الوهمية.

ومع أن فتح الله كُولُنْ يُعتبر أهميّة الوحدة بين مجموعات الخدمة الإسلامية بصفةٍ خاصّةٍ شرطاً أساساً لا غنى عنه بالنسبة للإسلام وتركيا على حدِّ سواء، يُبيِّنُ أنَّ دعوة كلِّ من نتعرض له أو نمر به في الطريق أن: "هَلُمَّ، نتَّحد!" عَرَضٌ غير مناسب، ويذَكِّرُ بأنَّ هذا العَرَضُ إن طُرِحَ بأسلوب ولغةٍ تدعو إلى الفكر الخاصِّ بالداعي على وجه التحديد، فهو ازدراءٌ بكلِّ ما للكلمة من معنى، ويؤكد على أن موقفاً من هذا القبيل لم ولن يفيد شيئاً سوى إثارة الحَمِيَّةِ الجماعية لدى الأشخاص المعتدلين مناصري الحق، ويقول:

"إنَّ الاجتماعات ضدَّ مجموعةٍ محدَّدةٍ والتجمُّعات القائمة على مشاعر العداوة والتجمُّعات والتقييمات التي تعيش في خِصْمِ حالةٍ روحيةٍ نفسيةٍ عدوانيةٍ إنَّما هي تجمُّعات عاطفية وليست فكرية".

مشدداً على أن التصالح والتفاهم لا بدُّ أن يقوم على العقل والمنطق أولاً وأخيراً.

ووفقاً لكُولُنْ فإنَّ حسَّ التجمُّع والتكثُّلِ مفطورٌ في الإنسان، واختلافَ الفكر والأفهام نتيجةً طبيعيةً لِلخَلْقِ شعوباً وقبائل، إلا أن البشر مطالبون بتوفير النظام والتناغم في الخلقة والكون مستخدمين إرادتهم البشرية لتحقيق ذلك، وفي حين يسود "العجز" في عالم المجرات؛ تسود الإرادة في إطار "الشرط العادي" في عالم البشر، وإن كان الخلق الأول إحساناً؛ فكلُّ إحسان يعقُّبه يعتمد على سبب معين، ومن هذه الناحية فإنَّ الشرط الأول الذي يَصُبُّ في صالح الوحدة والتعاون الاجتماعي هو

اهتمام الضمائر بالمجتمع، وتَخْمُرُ المروءةِ وحبِّ الإنسانية في القلوب، ويمكن أن يتحقَّقَ هذا بانتشار العلمِ والعرفانِ والتسامح.

يلفت كُولُنْ بَعْدَ هذا الشرط الأول الانتباهَ إلى النقاط الآتية كي تتحقَّقَ الوحدةُ السليمةُ والصِّحِيَّةُ:

- لا بدّ من اعتبار الأفكار غير المتعلقة بالمدائى الأساسية أمرًا طبيعيًا، ويجب أن يتنامى بين أفراد الأمة ومختلف المجموعات وطبقات المجتمع احترامًا ولفظًا ولو بقدر اللُطفِ المتصنَّع تجاه أحد الغرباء في الأقل.
- إن المنطقَ أو الفهمَ الراغبَ في رؤية غيره في كفرٍ وضلالٍ أو اعتبارهم مذنبين منطقٌ لا يُحقِّقُ أيَّ قيمةٍ فضلًا عن أنه لا يأتي بخيرٍ، كما أنه فهمٌ خطير، وعلى كل مجموعة تسييرُ في طريق الخدمات الإسلامية أن تشغَلَ بالتعريف بمنهجها الخاص وبيانه والتوصية بالخير والعيش بحبه، وألا تُضمِرَ العداوةَ للمجموعات الأخرى، بل عليها أن تعتبرها إخوةً لها وتُقَدِّرَ فضلها ونجاحاتها، وألا تُوجِّه انتقاداتٍ مُنفرةً ولاذعةً، ولا سيما أنه لا ينبغي أن يُنشدَ التقديرُ والتبجيل في القضاء على الآخر وتحقيره.
- إن المرشدين والرواد الذين إن أخطؤوا استُعْظِمَ خطؤهم بسبب وضعهم الاجتماعي عليهم أن ينأوا بأنفسهم عن اتهام الآخرين بالكفر والضلال نأيًا تامًا.
- ينبغي لنا الحبُّ والبغضُ لله وفي الله، والقضاء على حبِّ النفس؛ واعتبارُ الآراء والمفاهيم المختلفة وسيلةً للشراء والتنوع لا للعداوة والشحناء.
- الانتباهُ لِجِيلِ الأعداء ومكائدهم، وعدمُ الانسياق وراءهم ولا الانخداع بهم.

- التذكير بأن الحقد والغضب لم يحلَّ أيَّة مشكلةٍ حتى الآن؛ ويجب ألا يُنسى أن "الظهور على المدنيّين المثقّفين إنما يتحقّق بالإقناع وليس بالضغط والإجبار"<sup>(٢٥٥)</sup>.
  - لا بدّ من الشاء على خدمات الآخرين واحترام كبارهم.
  - ينبغي لكلِّ مسلم أن ينظر إلى الكون على أنه مهّد الأخوة، وبيحث عن سبيلٍ لإقامة العلاقات مع كلّ ما هو موجود فيه، ويكون لئِن الجانب دائماً لأهل الإيمان وينفتح عليهم.
- لم تتغيّر أفكار كُولُنْ هذه في أيِّ وقتٍ، إلا أن ما أبداه كُولُنْ -منذ البداية- من مودّةٍ وقُرْبٍ إلى المجموعات الإسلامية الأخرى ظلَّ بِصِفَةِ عامّةٍ دون مقابل؛ ففي إحدى المرات التي كنت حاضراً فيها سُئِلَ:
- "نذهب أحياناً لزيارة بعض المسلمين، فيحسنون التصرف تجاهنا؛ إلا أنه يرد إلى مسامعنا أننا ما إنْ نغادرهم حتى يتحدثون عنّا بأحاديثٍ مخالفةٍ ومغايرةٍ ومناقضةٍ لما تحدّثوا به في حال وجودنا؛ فكيف نتصرّف في هذا الموضوع؟"
- فإذ به يجيب هكذا:

"إن المسلم مُكَلَّفٌ ومطالبٌ دائماً بحسن معاملة أخيه المسلم، فإن كنتم تجدون من البعض غير ذلك فعليكم:

أولاً: أن تفحصوا نيّتكم من زيارتهم؛ أنذهبون لزيارتهم لأنه تجبُ عليكم زيارة إخوتكم في الإسلام، أم من أجل مداراتهم؟

ثانياً: هل تذكرونهاهم بالخير في دعائكم؟ إنني دائم الدعاء للمجموعات الإسلامية كلّها ولرؤادها، بل ولأجدادهم أجمعين.

ثالثاً: يقع على عاتقكم الإحسان وفعل الخير دائماً؛ إذ ورد أن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ

الأَعْمَالِ فَقَالَ ﷺ: "يَا عَثْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ،  
وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ" (٢٥٦).

## ٢- حركة الحوار بين الأديان أي بين أتباعها

إحدى الحركات التي بدأها فتح الله كُولُن للمرة الأولى في تاريخ تركيا هي محاولته نقل حركة الحوار والتسامح إلى حوارٍ بين أتباع الأديان السماوية بصفة خاصة: الإسلام والمسيحية واليهودية داخل تركيا وخارجها، وقد دار حيالٌ هذه المحاولةِ جدلٌ، ولا سيما من قبل المسلمين، وهي خطوةٌ يجب تناولها بشكلٍ جيدٍ على سبيل النقد الذاتي.

أ. فرصةٌ ذهبيّةٌ سانحةٌ من أجل الحوار

إن الحضارة الحديثة - وخاصةً في القرن التاسع عشر - ظنّت أنها تستطيع القضاء على الدّين بانتشار الوضعية والمادية العاجزتين عن استقراء التطوّرات العلميّة والفنيّة بشكلٍ صحيح، إلا أنّ التطوّرات الفيزيائية أوائل القرن العشرين تسببت في تبدّل الأفكار وتغيّرها إزاء هذا الموضوع، وفي حين أنّ الفلاسفة ورجال العلم في الغرب من أمثال: "ماكس بلانك (Max Planck)" و"بوريس باسترناك (Boris Pasternak)" و"شوارتز (Schwartz)" و"ألكسيس كاريل (Alexis Carrel)" و"جيمس جينس (James Jeans)" و"إدنجتون (Eddington)"، وكذلك "آينشتين (Einstein)" -الذي يمكننا القول إنه في الخط والمنحى نفسه- يتبنون فهمًا دينيًا عميقًا، فمما يؤسف له أن الوضعية الفظة بل والمادية في القرن التاسع عشر بتركيا صارت وكأنها منهجٌ عامٌ رسميٌّ سيطر على الأمور والإدارة أيضًا، وفي الفترة ذاتها، وفي النصف الثاني من القرن العشرين تحديدًا لانت هذه الغلظة بعض الشيء في ظلّ عناية الحق تعالى الممتدة إلى أعمال أشخاص

تجدُرُ جهودُهم الخارقة في خدمة القرآن والإيمان بكلِّ معاني التقدير والاهتمام، ومع هذا كانت ثَمَّة زُمْرَةٌ حاكمَةٌ متسيِّدة تظهر في صورة طرح رسمي، وهي غالبًا ما تحافظ على بقاء ذاك الفكر، وكذلك حين كان الدين في الغرب يَسْتَرِدُّ رويدًا رويدًا ما فَقَدَهُ من مكانة؛ فإن مجموعة من المثقِّفين الشكليّين التي ترى الحداثة على أنها نقيضُ الدِّين في الحياة الاجتماعية كانت تتمثَّل مواقف وفعاليات إبقاء الدِّين عامَّة خارج الحياة الاجتماعية، والحكم على المبادئ الإسلامية بالنظر إلى البلاد الإسلامية بصفة خاصَّة، وبينما أمثال "مانفرد هليبرن (Manfred Halpern)" يرغبون في أن يغرق الإسلام في سيول الحداثة على حد تقييم عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي "أ. د. ديلي ف. إيكيلمان (Dale F. Eickelman)؛" فإن أمثالهم أيضًا يرون أنه من الضروري أن يُحطِّمَ الزعماء السياسيون سلطةَ الزعماء الدينيّين، وأن يُقلِّلوا أهميَّة المؤسسات الدينيَّة التقليديَّة.

ودون أن تمضي عشرون سنة حدثت تغيّرات في العالم كذَبَت المثقِّفين السابق ذكرهم؛ فقد بدأ الاتحاد السوفيتي يتفكِّك في أواخر الثمانينات من القرن المنصرم وانهار الستار الحديدي، وتزامنًا مع هذا بدأ من كانوا كاثوليكين ومن كانوا أرثوذكسيّين في السابق يعودون مجددًا إلى أديانهم ويستكشفونها من جديد على حدِّ قول فتح الله كُولُن، ولا شك أن المسلمين سيحاولون استكشاف الإسلام وفهمه من جديد، وقد تطرَّق "إيكيلمان" إلى تلك التطوُّرات، وضرب مثلًا بالأنشطة الاجتماعية للكاثوليك في "بيرو"، والإنجيليّين في "غواتيمالا" والجماعات الدينية في الولايات المتّحدة الأمريكية، وشَخَّص كيف أفلست الأفكار والتكهُّنات المضادة في الستينات من القرن العشرين، وبينما تطرَّق إلى أهمية الدِّين في الحياة الاجتماعية بل والسياسية؛ أشار إلى كلمة الرئيس التشيكوسلفاكي

"فاتسلاف هافيل (Vaclav Havel)!"

"إنَّ حقوقَ الإنسان والحريات الإنسانية وشرفَ الإنسان تجدُّ أعمقَ وأدقَّ معانيها وجذورها خارجَ العالم المادِّي، البشرُ يؤسِّسون الدُّولَ، لكن خالقَ البشرِ هو اللهُ".

كما يبين "هافيل" أنَّ وجهة النظر الحداثية التي ترى إمكانيَّة معرفة العالم بشكل موضوعيٍّ، وتعميم المعلومات المستحصلة بهذا الشكل بالمعنى المطلق عاشت أزمةً صعبةً، ويؤكد على أن المخرَج من هذا هو أن يُثَقَّ سياسيو المستقبل بالروح والروحانيات الفردية.

وبعد أن سجَّل "إيكلمان" هذا تطرَّق إلى دور المسيحية في تكوُّن القيم الاجتماعية والسياسية في الغرب، بل وفي الحياة السياسية الراهنة، وانتقد ما يتَّخذُه بعضُ "العلمانيين المتشدِّدين" في البلاد الإسلاميَّة بصفةٍ خاصَّةٍ من تصرُّفات ومواقف معارضةٍ للإسلام.

ويرى المؤرخ "دومينيك كولاس" (Dominique Colas) أنَّ الخطاب الديني هو العامل الأكبر تأثيراً في تكوُّن المجال العام الحديث في أوروبا، وقد اضطلعت المسيحية حتى اليوم بدورٍ حاسمٍ دائماً في قوانين تزييف المقدَّسات والعطلات الدينية والطقوس والأدعية الجماعية، والمدافعون المعاصرون عن العلمانية وإن زعموا أنَّ المؤسسات العلمانية متفتحة الفكر؛ إلا أنَّ المتشدِّدين منهم -ومن ذلك على سبيل المثال مراكز القوى الموجودة في تركيا- قد اتسقوا مع القمع والتزُّمت أكثر من اتِّساقهم مع القيم التنويرية.

ويتناول "إيكلمان" ماهية التطوُّرات الدينية في البلاد الإسلامية، وخاصةً تلك التي في تركيا، وقيِّمها كالاتي:

"تخاطب الحركات الدينية في تركيا الحداثيين المتديِّنين، ويكوِّن الإسلام علاقةً وصلَّةً بين تعاون الغرب مع الشرق دون

صدام؛ ومع العلم والعقل والحدائثة أيضًا، وتضع هذه الحركات الدينية التعليم في المقدمة، وتستطيع الوصول إلى الأثر الك يومياً على نحو متزايد، إذن فالدين يُسهّم حيث تلتقي الحياة السياسية والاجتماعية في تشكّل المجتمع المدني، وهناك نقاش في العالم الإسلامي وحديث حول كيفية التكيف على الحياة الاجتماعية والسياسية باستخدام القيم الإسلامية<sup>(٢٥٧)</sup>.

"ليس من حقّ الحكومات أن تحتكِر أو تتحكّم في معرفة وتفكير شعوبها؛ فقد انهارت الاحتكارات الفكرية التي كانت في الماضي، وهناك أعدادٌ كثيرةٌ من المؤمنين تعملُ على إعادة إنشاء المجال الديني والاجتماعي العام من جديد"<sup>(٢٥٨)</sup>.

وقد أطلقَ فتح الله كُولُنْ دعوتَه للحوار والتسامح في فترة تاريخيةٍ ذهبيّةٍ؛ ينبني أحدُ وجهيها على القيم الدينية السامية وما استطلّع به من دور في تشكّل عالمٍ مبنيٍّ على السلام والطمأنينة والهدوء والاحترام المتبادل والتفاهم، بينما في الوجه الآخر منها تقريرٌ "هينتغتون" الذي يُقدّم الإسلامَ والعالم الإسلامي والجغرافية الإسلامية كلّها -المصوّرة والمقدّمة على أنها قطبٌ مُعادٍ- على أنّها مجال للصراع بين الحضارات الموجودة على حدود روسيا مع البلاد الإسلامية بصفةٍ خاصّة، وكذلك هناك الحركات الإرهابية الموجهة لإظهار المسلمين على أنهم أعداء القيم الإنسانية والحريّات والديمقراطية وحقوق الإنسان الأساسية، وكُولُنْ على وعيٍ تامٍّ بأن مجموعات رؤوس الأموال والمصالح المتحالفة مع مجموعة من مراكز القوى المسيطرة بقدر كبير على العالم وفي البلاد الإسلامية أيضًا سوف تستاء وتزعج من مناخ يسوده الاحترام المتبادل

(٢٥٧) الإسلام ولغات الحدائثة (Islam and the Languages of Modernity)، ديدالوس (Dædalus)، شتاء (٢٠٠٠م)، ص ١٢٠-١٢٢.

(٢٥٨) التحول القادم في العالم الإسلامي (The Coming Transformation in the Muslim World)، التاريخ المعاصر (Current History)، يناير/كانون الثاني (٢٠٠٠م)، ص ١٦.

والتوافق والتسامح والحوار الدائم المدعوم بالقيم الدينية، وقد صرحوا بمخاوفهم تلك - كما سبق آنفاً - منذ أن حطت حركة الحوار والتسامح التي أطلقها فتح الله كولن في تركيا خطواتها الأولى؛ حيث إن تحميل الجرائم المفجعة المرعبة للمسلمين في بعض الدول، ومحاولة البعض في تركيا وأد مبادرة فتح الله كولن للحوار والتسامح وهي في مهدها؛ ومناخ الحرب الذي ساد مؤخرًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول الذي لا تُعرف أبعاده العالمية؛ كل هذا كشف كم أن هذه المبادرة أو الحركة من الأهمية والضرورة بمكانٍ يستوي مع كونه محققًا في مخاوفه.

#### ب. لماذا الحوار؟

الحقيقة أن الحوار بين الأديان أي بين أتباع الأديان يُشكّل دعامةً أساسيةً من دعامات حركة فتح الله كولن للتسامح والحوار، سبقت كولن في هذا الأمر الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التي خطت عام (١٩٦٠م) خطوةً رسميةً مهمّةً لإطلاق حوارٍ مع اليهودية والإسلام على حدٍ سواء، ولا ريب أن هذه الخطوة يتعدّد ربطها بسبب واحدٍ بعينه كما أكد على هذا الأستاذ الدكتور "سعاد يلدريم":

"ومن المتوقع أن اتجاه الكنيسة الرومانية الكاثوليكية للتصالح مع اليهودية والإسلام ووجود مجموعة من العوامل الأخرى كاعتبار الكنيسة الانفتاح على العالم أمرًا حتميًا كي تستطيع البقاء والاستمرار، ورغبتها في إعادة ما فقدته المسيحية من بريق وجاذبية، وفي إقامة تعاون بين المسيحية واليهودية والإسلام - الذي يُقرّ كلٌّ منهم بإبراهيم عليه السلام ويؤمن به كرمزٍ من رموز التوحيد - قيمةً وسلطةً مشتركة في مواجهة التيارات الإلحادية الراغبة في القضاء على المظاهر الدينية بكل أنواعها، ومن العوامل أيضًا؛ استحالة مواصلة ما سبق بحق الإسلام من مزاعم وادعاءات

زائفة طيلة العصور، والرغبة في تقدير وتقديم أصحاب المفاهيم  
والمناهج الحدائثة والتاريخية التفسيرية للإسلام والقرآن بين  
المسلمين، بل وربما تقديم دعم جديد للهيمنة الغربية، وإدخال  
المرتدين عن الإسلام في المسيحية<sup>(٢٥٩)</sup>.

كُلُّ ذلك كان له تأثير في هذا الأمر، وأياً كانت غاية الكنيسة وهدفها  
من تلك المحاولة؛ كان ينبغي للمسلمين ألا يَفِرُّوا أو يمتنعوا عن القيام  
بشيء يلزم الاضطلاع به.

ومع ذلك فإن مجموعة من الأوساط الإسلامية تأثرت بالهجمات  
التي شنت عصوراً طويلة ضد الإسلام خاصة، واعتادت على النظر بعين  
الشك والريبة لكل مبادرة غربية وكَنَسِيَّة المنشأ والمصدر، وظلت في  
وضع الدفاع الدائم متأثرة بتلك الهجمات وما تسببت فيه من شكوك  
وظنون، وعَدَّت معارضة الحوادث المتنامية والظروف المتشككة خارج  
سيطرتها ودائرتها خدمة للإسلام، وبالتالي نَسِيَتْ منذ زمن أن تتبنى  
مبادرات تصب في صالح الإسلام، فعارضت هذه الأوساط متعاونة مع  
مجموعة من مراكز القوى المتخوفة من حركة فتح الله كُولُنْ للحوار  
والتسامح مبادرة الحوار بين أتباع الديانات التي أطلقها؛ في حين أنها  
كانت مبادرة مهمة لأقصى درجة لأن:

• "اللوحة والمشهد الذي يبرز أماننا عند تناول المسألة  
في إطار بيان الإسلام والتعريف به ونشره هو كالتالي:  
لا توجد على سطح الأرض اليوم أرضية صالحة للتبليغ بالإسلام،  
والعالم الحديث يتفوق على المسلمين تفوقاً كبيراً في المجالين  
الاقتصادي والسياسي اللذين يأتيان في المرتبة الأولى من اهتمام  
الناس في عصرنا، أما تفوق المسلمين في هذين المجالين فلأسف

صار تاريخًا، كما أنهم ليسوا في وضع يُمكنهم من إبراز تفوق الإسلام في هذين المجالين على نحو محسوس وملموح في الوقت الراهن؛ وبالتالي فإن أكثر ما يحتاجه العالم في عصرنا عند شرح الإسلام والتعريف به وتقديمه هو القيم الإسلامية الأخلاقية والروحية، ونظامه التعبدي، ونظرتُه للوجود والكون، ومبادئه القادرة على إنهاء فكرة الصراع بين الدين والعلم التي سيطرت على الغرب مؤخرًا، وإن أُسسَه القادرة على الكشف عن تفاهة هذا الصراع وخوائه في الأقل لتحتل الصدارة في الأهمية، وتقديم هذه الأمور وإبرازها، ولا سيما بتمثلها وتجسيدها يُحتَمُ ويستلزم وجود مناخ من المصالحة والسلام والحوار؛ إذ يستحيل بيان أي شيء على الإطلاق في مناخ تسوده الحروب والصراعات، ولأن الأوساط التي تعارض الحوار عن عمدٍ وقصدٍ تعلم هذا فهي لا ترغب أبدًا في أن يتكوّن مناخٌ وجوٌّ على هذا النحو والشاكلة.

• إن الصورة الذهنية التي رُسمت للإسلام في العالم أجمع منذ بداية التسعينات -خاصة- والمدعومة بكل السُّبل والوسائل صورةً مخالفةً تمامًا لجوهر الإسلام وروحه؛ إذ صُوِّرَ بأنه القتل والإرهاب والإجرام والتخلف، وكما أُشير إليه آنفًا؛ فإن مشاهد الإرهاب والعنف المُنفذَة لترسيخ هذه الصورة الذهنية عن الجغرافية الإسلامية دائمًا ما عمقت -للأسف- ذلك التصوّر المراد إلصاقه بمُحَيِّ الإسلام الطاهر، وعمِلت على تسويده وتشويهه، وهنا نجدُ تساؤلًا يطرحُ نفسه بنفسه بقوة: أهكذا تُعرَفُ حقائق الحضارات والديانات؟! وهل هذا هو المسار الصحيح الذي نتصّى من خلاله الحقائق الدينية؟! إن قيمًا كحقوق الإنسان وحياته الأساسية والديمقراطية والمحبة والتسامح والحوار والعناية

بالفرد قيم لم يعارض الإسلام أياً منها قط، وإن كانت له مجموعة من المُثَلِّ والموروثات والأحكام الخاصّة به فيما يتعلّق ببعض جوانب تلك القيم؛ فقد وضع هذه القيم في المرتبة الأولى سواءً من الناحية الاعتقاديّة أو التطبيقية على مرّ التاريخ، ومن ثمّ فإنّ تقديمه وتعريفه على نحوٍ يخالف ذلك تماماً يعني ادّعاءً شروقِ الشمس من مغربها، أو محاولةً تدويرِ الكوكب في عكس اتجاهه، وليس للمسلمين قدرةٌ وقوّةٌ لإثبات العكس في عالم أُسِّس على الصراع والعراك، وبالتالي فإنّ إبراز الإسلام وتقديمه بما يمتلكه من قيم أصيلةً تماماً وجاذبةً للناس في يومنا هذا، وبيانه بهويّته وماهيّته الحقيقيّة مرهونٌ بتوفّر مناخ يسوّده التصالح والتسامح والحوار والسلم.

- ثَمّةٌ حقيقةٌ شاخصّةٌ أمامنا؛ هي أن الغرب يسبق العالم الإسلامي بمراحل عديدة من النواحي: الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وأما العالم الإسلاميّ فإلى جانب أهميّة الإيمان والعبادة والأخلاق وعدم تقليلنا من شأنها بتاتاً إلا أنّ ثَمّةً حكمةً في وجود عوامل مثل القوّة في الدنيا والاقتصاد الذي يحقّقها، وهناك وجه آخر للحقيقة التي أشرنا إليها هو حقيقة أن الغرب يستحيل عليه -برغم ما يمتلكه من مصادر القوى الكثيرة- أن يمحو الإسلام من الدنيا ومن أذهان الناس وقلوبهم، وأنّ المسلمين يستحيل عليهم أيضاً الزحف نحو الغرب بما لديهم من قوّة مادّيّة، وبالتالي فإنّ تقاسم القيم ونشرها في عالمنا الذي أصبح بفضل تطوّر التكنولوجيا ووسائل الاتصال والتنقّل والمواصلات مثل قريةٍ صغيرةٍ من السهل تبادل العلاقات فيها؛ أمرٌ مرتبطٌ بالاعتقاد ووجهة النظر الخاصّة بكلّ فردٍ، أما ضرورة أن يعيش ما يخصّ الآخرين أياً كان دون تفريق، وأن يحظى بالاحترام ويتكوّن

مناخ يقوم على هذا فهو حتمي، وسيصُبُّ في صالح المسلمين أيضًا.

- لقد عرف المسلمون كيف يتعايشون مع أتباع الديانات الأخرى خلال حُكْمِ إسلاميٍّ دام أحدَ عشرَ قرنًا من الزمان، وشهد التاريخ في تلك الحقبةَ إمكانيةً تحقُّقِ ذلك على أعلى المستويات، وفي المقابل فإن تاريخ تعايش الغربيين - باعتبارهم أصحاب بيتٍ واحدٍ تقريبًا - مع المسلمين لا يرجع إلى ما قبل سبعةٍ أو ثمانية عقود؛ فالتكتلات الغربية التي رفضت الإسلام كدينٍ فيما قبل ذلك، ووصفت رسولنا ﷺ بأكثر الصفات تحقيرًا بدأت - ولو على مستوى المجتمع والمواطن في الأقل - تعترف بالمسلمين ثم بالإسلام، وقد زادت هذه الرغبة في التعرفِ بسبب علاقات الجوارِ مع المسلمين في مُدُنِهِمْ، ونتيجةً لذلك بدأت تتطوَّرُ علاقاتٌ يمكن وصفها بالحميمية، وصار واردًا أن تقع بعض التطوُّرات كروية الحقيقة لدى المثقفين المهمين والكهنة أو رجال الدين المسيحيين، وأصبح ممكنًا وجود شيءٍ من اللين تجاه الإسلام، بل والميل إليه.

فمثلاً يمكننا أن نذكر إلى جانب الكاتبة والباحثة الإنجليزية "كارن أرمسترونغ" (*Karen Armstrong*) مؤلفة كتاب: "محمد ﷺ: نبي لزماننا" المهم لأقصى درجة رجال دينٍ ومثقفين وغيرها الكثيرين أمثال كلِّ مَنْ: "لويس ماسينيون" (*Massignon*) و"كارلس ج. ليدت" (*Charles J. Ledit*) و"ي. مبارك" (*Y. Moubarac*)، و"إيرن-م. دالميس" (*Irene-M. Dalmais*) و"ل. غاردت" (*L. Gardet*) و"نورمان دنيال" (*Norman Daniel*) و"ميشيل ليلونغ" (*Michel Lelong*) و"ه. مورير" (*H. Maurier*) و"أوليفر لاکومب" (*Olivier Lacombe*) و"توماس مارتون" (*Thomas Merton*) و"سيدني غريفت" (*Sidney Griffith*) و"توماس ميتشيل" (*Thomas Mitchell*) و"جون

ايسبوسيت (John Esposito) و"دال ف. إيكلمان (Dale F. Eickelman)"، واستمراراً لهذا الجو مهمّ جدّاً بالنسبة لمستقبل العالم والبشريّة، ولا سيّما بالنسبة لحاضر الإسلام والمسلمين، وهو أيضاً يتطلّب مناخاً دافئاً من الحوار والتسامح والسلام.

• والخلاصة توافقاً مع أحد أهمّ المفكرين الإسلاميين: إنّ المسلم الواثق في إسلامه وعقيدته في ظلّ عالمٍ يسوّدُه العلمُ مستقبلياً بمعايير أكبر وأعظم تُحوّله تماماً إلى عصر المعرفة، وفي أنّ الإسلام يجعل العقل والعلم يُقرّان بأحكامه جميعها إنّ أقام حواراً مع أتباع الديانات الأخرى؛ فإنّ فعله هذا ليس تلطفاً منه، ولا عملاً يستوي القيام به من عدمه، بل يمكننا القول إنّهُ وظيفة حتميّة وضروريّة بالنسبة لمسلم يُدرِك معنى الإسلام ووظيفته وواجبه إزاء دينه على وجه البسيطة، والمسلمون الذين عاشوا حتى اللحظة خوفاً وقلقاً من "أن يتخطّفهم الناس" لعقده كامنّة في عالم اللاوعي عندهم، ورأوا الاستمرار في الدفاع هوساً بأنّ الأعداء يطوّقونهم من كلّ جانبٍ وكأنه ركنٌ من أركان الإسلام؛ حانّ الوقت أن يخرُجوا من سجن حبسوا هم أنفسهم فيه، ويدركوا ما الذي يجري في العالم الخارجي، فلقد صار العالم عالم ترقّ وتقدّم بالنسبة للآخرين، وعالم تدنّ وتأخّر بالنسبة لنا نحن، فلماذا يظلّ الأمر هكذا دائماً، لماذا يكون الإسلام دين الدلّ والخسارة والخرابات والعقول المتبلّدة والقلوب المتجمّدة والمحتقّرين الباحثين عن العيش في عوالم أخرى، والمنبوذين من العوالم الجديدة القائمة، لماذا؟ ثمة شرط في غاية الأهميّة للتخلّص من كلّ هذه؛ إذ يكفي ألا يجعل المسلمون الإسلام وسيلةً لرغباتهم في إثبات الذات، وسبباً للغرور بالانتساب إليه والتعالي على الآخرين، وسلماً يصلون به إلى أهدافهم الدنيويّة أو السياسيّة، وعليهم أن يتبنّوه ويعتقوه ويتمثّلوه

وَيُقَدِّمُوه كدِينٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا يَتَحَقَّقُ بِتَغْيِيرِهِم الصُّورَةَ الَّتِي كَوَّنُوها فِي أَدْهَانِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ حَالِيًّا؛ فَهِيَ صُورَةٌ الْإِسْلَامُ مِنْهَا بَرَاءٌ كِبْرَاءَةٌ الذُّبُّ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ، وَيَسْتَحِيلُ لَهَا أَنْ تُعَبِّرَ عَنْهُ أَصْلًا.

وَيَدْعُمُ كَوْلُنُ مَبَادِرَاتِهِ لِلْحَوَارِ بِتَطْبِيقَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمَطْهَّرَةِ وَالتَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، وَقَدْ جُمِعَتْ هَذِهِ التَّطْبِيقَاتُ فِي كِتَابٍ "مَنَاخِ التَّسَامُحِ وَالحَوَارِ فِي أَحَادِيثِ فَتْحِ اللَّهِ كَوْلُنُ وَكِتَابَاتِهِ (Fethullah Gülen'in) "الَّذِي أَعَدَّهُ "قُدْرَتُ أُونَالٍ (Kudret Ünal) " وَ"سَلْجُوقُ جَامُجِي (Selçuk Camcı) "، وَقَدْ أَدْلَى فَتْحُ اللَّهِ كَوْلُنُ بِتَصْرِيحٍ إِلَى إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ تَحَدَّثَ فِيهِ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَدْفَعُهُ لِلْحَوَارِ فَكَانَ مِمَّا قَالَ:

"خُلِقَ الْإِنْسَانُ كَرِيمًا، وَهُوَ يَسْعَى دَائِمًا خَلْفَ الْأَشْيَاءِ الْجَمِيلَةِ وَالْحَسَنَةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَنْهَالُ عَلَى رَأْسِهِ -أَحْيَانًا- أَحْجَارًا لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهَا أَوْ لَيْسَ لَهُ دَخَلَ فِيهَا، وَمَا فِي خَلْقَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ كَرَمٍ وَحَسَنِ هُوَ مَا يَحْتُنِي وَيَدْفَعُنِي إِلَى إِجْرَاءِ حَرَكَةِ حَوَارٍ عَلَى مَسْتَوَى عَالَمِيٍّ، وَلَدَيْي أَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ تَأْمُّ بِأَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ الْمَعْجُونَةَ خَمِيرُهَا وَجَوْهَرُهَا بِالْخَيْرِ وَالْجَمَالِ سَوْفَ تَصِلُ وَتُكْمَلُ ذَاتَ يَوْمٍ هَذَا الْخَطِّ الَّذِي تُحْتَمُّهُ وَتَسْتَوْجِبُهُ تَيْكُ الْخَمِيرَةِ، وَأَنَا عَلَى اقْتِنَاعٍ بِأَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ السُّيْمَةَ حَالِيًّا مِنَ الْحُرُوبِ وَالصَّرَاعَاتِ وَالدَّمَاءِ الْمَسْفُوكَةِ وَالْمِظَالِمِ الْمَرْتَكِبَةِ مَسْتَعِدَّةٌ لِحَوَارٍ وَسَلْمٍ عَالَمِيٍّ، كَمَا أَنَّ الْمَنَاخَ مَهِيًّا لِحَوَارٍ مِنْ هَذَا النُّوعِ، وَإِنَّا إِنْ لَمْ نَزَلْ خَطْوَاتُنَا وَلَمْ نَصِلْ طَرِيقَنَا لَفِي أَنْسَبٍ وَقَتٍ وَأَسْنَحَ فُرْصَةٍ مِنْ أَجْلِ تَحَقُّقِ هَذِهِ الْغَايَةِ السَّعِيدَةِ".

وَمِنَ الْوَاضِحِ تَمَامًا اسْتِحَالَةَ أَنْ يَتَحَقَّقَ أَيُّ شَيْءٍ إِبْجَابِيٍّ فِي ظِلِّ التَّصَرُّفِ بَارْتِكَاسِيَّةٍ وَالتَّرْكِيزِ دَائِمًا عَلَى الْأَعْمَالِ الْعِدَائِيَّةِ وَالْوُقُوفِ فِي مَوَاجِهَةِ الْآخَرِينَ وَفِي سَاحَةِ الصَّرَاعِ، وَمِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ فَإِنَّ مِنْ مَقْتَضَى الْفِطْرَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي تَصَدَّرُ فِيهِ

القيّم الحضاريّة أن يستطيع الإنسان الذي هو مخلوق اجتماعي حلّ قضايا ومشكلاته بالحوار فقط، وثمّة حقيقة دائمة الطرح بالنسبة لنا منذ القَدَم، لم يكتشفها العالم إلا عقب انهيار "الستار الحديدي"؛ هي أنّ الأديان ستكون صاحبة الكلمة في المستقبل، وهذا هدف طبيعي يسير نحوه البشر.

والإسلام والمسيحيّة في الوقت الراهن هما أكثر الأديان أتباعاً في العالم، كما تتمتع البوذية والهندوسية أيضاً بعدد كبير من الأتباع، أما اليهودية فإنها مؤثرة وإن بدت صغيرة بالنظر إلى عدد المنتسبين إليها، ولذلك فإن حواراً يبدأ بين هذه الأديان عند نقاط الاتفاق أولاً سيُسهم إسهاماتٍ مهمّة في تحقّق بعثٍ وصلاحٍ وسلمٍ عالميٍّ، وإننا لا نرتاب من قيّمنا الخاصّة، وكما أننا لا نعرض على أحد الانضمام إلينا أثناء عمليّة الحوار؛ فلا يخطرُ ببال أحد أن يعرض علينا مثل ذلك؛ فقد دعا القرآن الكريم أصحاب تلك الديانات إلى الحوار قبل أربعة عشر قرناً، إلا أنّ العصور الفاتية كانت -نتيجة للزمان والظروف- عصور قتالٍ وحروب في الأكثر، أمّا مؤخّراً فالزمان زمان انشراح الأذهان والقلوب، زمان التلاخيم والتواؤم في ظلّ الاحترام والمحبة المتبادلة، ومقارنة الوضع ما قبل الحديبية مع العامين المنصرمين بين الحديبية وفتح مكة تعطينا طرف الخيط اللازم الإمساك به في هذا الموضوع؛ فقد أطلق القرآن الكريم لفظ "فتح" على صلح الحديبية، قبل فتح مكة؛ إذ أغلقت أبواب الصراع بصلح الحديبية، وانفتحت أبواب القلوب، فكان هذا هو الفتح الحقيقي<sup>(٢٦٠)</sup>.

### ج. فعاليات الحوار

التقى فتح الله كُولُنْ بالبطريك "برثلماوس" رئيس أساقفة إسطنبول وروما الجديدة كأول خطوة في طريق الحوار بين منتسبي الأديان، وبما

(٢٦٠) مجلة "أكسيون" (Aksiyon) التركية الإخبارية، ١٤-٢٠ فبراير/شباط (١٩٩٨م)، ص ١٦٧.

يصبُّ في صالِح مبادرته في إجراء الحوار وإقرار التسامح في تركيا، ومما لا شكَّ فيه أن هذا اللقاء كانت له أصداءٌ عظيمةٌ، حقًا لقد كانت كذلك؛ فقد كانت بعضُ الأوساط الرسمية والإسلامية والقوى القوميَّة تنظر بعين الريبة والشكِّ دائماً إلى بطيركية الروم بإسطنبول، وتتوجَّس خيفةً من كَوْن المسيحيَّة تتجسَّسُ في داخلها لصالِح العالم الأرثوذكسي خاصة، كما ترى أنها تمارس نوعاً من العمل السياسي، وتسعى جاهدة لتحقيق غاية معيَّنة كإحياء جمهورية "بونطوس الرومانية"، وكان موقف النظام الرسمي يتطابق مع موقف كثير من المسلمين، وفي رأيي وقناعتي أن النظام السياسيَّ تسبَّب بالضرورة في إثارة حالةٍ نفسيَّةٍ بأنَّ الأعداء يتربَّصون بنا ويطوِّقوننا من كلِّ جانب، وأنا عُرضة للاعتداء داخلياً وخارجياً ومن ثمَّ يتحتم الدفاع والتصديِّ الدائمُ لذلك، ولم يتم تبني خطوة فاعلةٍ وموقفٍ إيجابيٍّ، وهو ما أثار قلقاً بشأن لقاء فتح الله كولن بالبطيرك برثلماوس، في حين أن هذا النوع من المباحثات يمكنه أن يحقق فوائد جمةً وعظيمةً.

لقد فهم لقاء فتح الله كولن - كمفكرٍ إسلاميٍّ - بالبطيرك كحادثة ستهزُّ وتزلزلُ السيادة المطلقة لـ "الدولة العميقة" التي جعلت - رغم ادِّعائها العلمانيَّة - سياستها العامَّة استخدام كل شيءٍ بما في ذلك الدين مادَّةً وبضاعةً تتصرَّف فيها كيفما تريد؛ بينما كان هذا اللقاء يتمتع بقوةٍ وطاقهٍ تُمكنه من أن يُصبح واحداً من أهم خطوات مرحلة التحوُّل نحو حياةٍ مدنيَّةٍ وكان من المتوقع أن ينعكس بقوةٍ على سائر المؤسسات الأخرى في البلاد، وهذا ما فهمتهُ بعضُ الأوساط المحرومة من أيِّ هدفٍ وغايةٍ - ولو بسيطةٍ - تنشُد التقدم والنمو، وهي لا تجد سبيلاً لإخراج البلاد من مُقْمَها بأيَّة حالٍ كي تجعلها دولةً قويَّة، بل إنَّ مثل تلك المؤسسات تقطعُ السبيل أمام تحقُّق الشفافيَّة والديمقراطية، والأكثر من ذلك أنها

تبنى سياستها الخارجية على العدا مع جيران كانوا ذات يوم ولايات تابعة لها، إلا أن معظم المثقفين المسلمين ورواد الفكر والرأي في تركيا عجزوا -مثلهم في ذلك مثل رجال الدولة- أن يفهموا الأمر على الوجه السليم.

وكان لقاء كُولُن وبرثلماوس مبادرة ومحاولة مرشحة لتحقيق مكاسب عظيمة ومميزة جدًا لصالح تركيا، مثله في ذلك مثل غيره من لقاءات أجراها كُولُن بشأن الحوار بين أتباع الديانات السماوية؛ لأن بطريركية الروم وإن كانت مؤسسة خاصة بجماعة أعضاؤها قليلون جدًا في تركيا إلا أنها تتمتع بموقع ومكانة مهمة من حيث كونها بطريركية ومن حيث تأثير برثلماوس ومكانته في الغرب، وكما أُشير إليه آنفاً؛ فإن للدين مكانة مهمة جدًا في سياسات الغرب الداخليّة والخارجيّة، والسلطة الواعية الحكيمة في بلادها هي تلك القادرة على الاستفادة من هذا التأثير والتقدير والأهميّة، ومبادرة فتح الله كُولُن الذي يُدرك جيّدًا إلى أين يتّجه العالم تتمتع بطبيعة من شأنها أن تفتح آفاقًا جديدةً داخليًا وخارجيًا أمام البلاد، وأرى أنّ الأوساط التي تعتقد أنّ بقاءها واستمرارها مرهونٌ بالانغلاق والقمعيّة قد أوعزت إلى أتباعها أنّ الحيلولة دون تحقّق انفتاحٍ تعدُّ بها مثل هذه المبادرات تكمنُ في اتّهام فتح الله كُولُن بأنه يستغلّ مثل تلك المبادرات ويوظّفها توظيفًا شخصيًا لطرِح نفسه ونشر تأثيره في الساحة العالميّة.

إن لقاءات فتح الله كُولُن واتصالاته لأجل إجراء الحوار بين أتباع الأديان بإمكانها أن تُكوّن نافذةً ومخرجًا لانفتاح مهمّ بالنسبة للمسلمين المُعرّضين دومًا للضغوط والهجوم والعدوان سواءً في تركيا أو في غيرها من بلاد الجغرافية الإسلاميّة، بل بالنسبة للإسلام الذي يُقدّم على خلاف

حقيقته، والذي كُوِّنت له صورة مدعومة في الغالب باستغلال تصرفات بعض أديعائه وسلوكياتهم الخاطئة، وبهذا الشكل يتمكن الإسلام - ولو بواسطة إنسان واحد - يتمتع بتقدير الرأي العام - من الانفتاح حتى خارج حدوده التاريخية بعيداً عن الأنظمة المسيئة إليه، وبصورة مدنية تماماً، والحقيقة أن هناك منتديات ولقاءات وفعاليات تُنظَّم باسم الحوار بين الأديان في كثير جداً من أنحاء العالم، وهذه المسيرة تعمل بما تلقاه من دعم على مستوى عالمي، ومن الجدير التفكير على الأقل في الأشياء التي كانت تُفعل باسم الإسلام والأضرار التي لحقت في مسيرة ومرحلة أقصي فيها دون أن يُسمح بأدنى نصيب من المشاركة لأبناء أمة مثله أياً تمثيل طيلة قرون عديدة، وفي حين يجب التأكيد على عالمية الإسلام من جانب؛ فإنه من الضروري أيضاً الوقوف بصورة خاصة على ما يعنيه حصره في إطار ضيق وفي شعب أو شعبين؛ فحين يُذكر الإسلام نجد العالم الغربي يراه ديناً يمثله العالم العربي وبعض المنظمات في أسفل القارة الهندية أو إيران، وطالبان مؤخراً، بينما إن قدم الإسلام تقدماً جيداً ومثلاً حقيقياً فإنه يستطيع أن يفتح لنفسه ساحات ومجالات مهمة جداً في الغرب، حتى في ظل الظروف المعاصرة، وبينما نذكر ذلك نريد أن نبين بصفة خاصة أن الإسلام لا علاقة له أصلاً بالتمييز بين الأمم بسبب اللون والعرق، ومن هنا فإننا لا نُحَقِّقُ أحداً، كما أن إثارة عداوة بين العرب والعجم، والتمييز بين التركي والعربي والباكستاني والأفغاني وإثارة مشاعر سلبية تجاه شعوب مسلمة أخرى أمر خاطئ وخطر عظيم يرفضه الإسلام رفضاً تاماً، ويجب ألا ننسى أنه من صنيع أعداء الإسلام وتخطيطهم، ذلك أن الفهم المتنامي في تركيا والذي يُدرك ويعي معنى الإسلام كما ينبغي سيُغيّر من الصورة المُغرِضة المرسومة للإسلام في العالم، وسيُقدِّمه في الظروف المعاصرة على أفضل نحو

وعلى صورةٍ توافق أصلاته وحقيقته، ويبدو أن العالم الغربي لا يدري شيئاً عن هذا، وإن من أهم طُرُق تجاوز أسباب الفتنة والفرقة الخطيرة فيما بين المسلمين هو توجيههم إلى الخارج، وانفتاحهم عليه، ومن ثم فإن الحوار مع العالم الخارجي مَنفَعٌ مُهمٌّ من منافذ هذا التوجُّه المُقترح، وقد تنزعج من حوارٍ على هذا النحو القوى المركزية الدولية والمحلية المتحجرة الراضية للتغيير وانفتاح المسلمين والبلاد الإسلامية نحو الخارج بل وفيما بينهم عبر الحوار، أو قد ينزعج من ذلك المسلمون الشاكون في اعتقادهم الشخصي وارتباطهم بالإسلام المنغلقون على أنفسهم الذين لا يمارسون نشاطات تهدف إلى خدمة الداخل، الظانون أن الاكتفاء بما هو موجود خدمة للإسلام، أو الأوساط التي لا تسعى للانفتاح والتطور لصالح الإسلام والبلاد، أو تلك التي ترى أن تقدماً وتطوراً كهذا خطراً يُهدِّد وضعها ومصالحها المادية والمعنوية.

فبينما كان كُولُن يتباحث مع برثلماوس طالب الأخير بإعادة فتح مدرسة الرهبان في جزيرة "هيبلي أزه" (*Heybeliada*)، وفي المقابل اقترح عليه كُولُن أن يستخدم نفوذه لدى الحكومة اليونانية من أجل إنشاء مدرسة تركية في "سلانك"، فبماذا سيفيد تركيا افتتاح مدرسة الرهبان هذه؟ وماذا سيكلفها؟ هذه مسألة أخرى يمكن مناقشتها على نحو مستقل، إن تركيا تعتقد أن غاية البطريك الرئيسة من إعادة افتتاح مدرسة الرهبان هذه هي إرسال رجال الدين الذين سيتخرجون منها إلى مختلف الدول، فتقوي بهذه الطريقة نفسها في مواجهة بطريركية "موسكو"، كما تُكسب البطريركية سيادةً وهيمنةً سياسيةً، هذا الاعتقاد موجود في حين أن بارثلماوس يُعامل في الأساس وكأنه بطريك بطريركية ذات سيادةً سياسيةً عالمياً، لدرجة أنه يلتقي بالرئيس الأمريكي دون أي عناءٍ أو مشقة، وينبغي على الإدارة التركية أن تُفكر بجديّة فيما يتعلّق بهذا الموضوع، وتقِيّمه من

جديد ولا سيّما في ضوء ممارسات وتطبيقات السلطان محمد الفاتح ومن لِحَقِّه من العثمانيين، وتأمّل الفوائد التي قد تتسبّب في تحقّقها مكانة البَطْرِيك في بلادهم، وطبيعي أنه ليس من السهل الإجابة حاليًا عن هذا كله؛ فبعض المراكز المهمّة في الدولة -وليس كلّها- قد توهمت من تلقاء نفسها مجموعةً من الأضرار والمخاطر غير الحقيقية.

ثم إن رئاسة الشؤون الدينية عُيّنَت وكُلِّفَت لإجراء الحوار بين الأديان تصديًا للتطوّرات الأخيرة، ولترك للسنوات القادمة خاصّةً حساب الفوائد والأضرار التي درّها أو سيُدْرُها الحوار على تركيا، وليتّمْ بذلك نفس الأشخاص الذين تحاملوا على الأستاذ فتح الله بسبب فعاليات الحوار التي أطلقها.

#### د. لقاء الفاتيكان التاريخي

بعد أن التقى فتح الله كُولُنْ مع برثلماوس بَطْرِيك الروم التقى في صيف عام (١٩٩٧م) بالزعماء الدينيين للطائفة الأرمنية والسريانية القديمة والطائفة اليهودية، والتقى كذلك بالأستاذ الدكتور "سيدني غريفت (Sidney Griffith)" رئيس قسم الدراسات المسيحية الشرقية بالجامعة الأمريكية الكاثوليكية في أمريكا صيف (١٩٩٧م)، والكاردينال "أو كونور (O'Connor)" أرشيدوق الكاثوليكية الرومانية ورئيس أساقفة نيويورك ومساعدته "أليكس (Alex)"، وتبادل معهم أفكاره وأفكارهم.

وقد أجرى فتح الله كُولُنْ أهمّ لقاءٍ في إطار حركة الحوار بين أتباع الأديان مع البابا "جون باول الثاني (John Paul)"؛ ففي هذا اللقاء الذي أُجري بالفاتيكان في التاسع من فبراير عام (١٩٩٨م) ووُضِعَتْ أُسُسُه مسبقًا بلقاء "الكردينال أوكونور" في أمريكا، وبمساهمة فاعلة ومهمة من "بير لويجي جالاتا (Pier Luigi Celata)" سفير الفاتيكان لدى أنقرة و"جورج ماروفيتش

(Georges Marovitch) " ممثل الفاتيكان بإسطنبول، وبعلم كبار مسؤولي الجمهورية التركية بل وفي إطار إذنهم بذلك، ودعم مهم من "الطنان كُورُون (Altan Güven) " سفير تركيا لدى الفاتيكان، بل وبناءً على دعوة شخصية من البابا اقترح فتح الله كُولُنْ على البابا بعد مراسم الترحاب والاحترام ما يأتي:

- القيام بزيارة مشتركة هذا العام إلى الأماكن المقدسة لديهم مثل: "أفس (Efes)" و"أنطاكيا (Antakya)" و"طرسوس (Tarsus)" والقدس بمناسبة دخول المسيحية في الألفية الثالثة من عمرها.
- إعلان القدس منطقة عالمية يستطيع المسلمون والمسيحيون واليهود زيارتها بحُرِّيَّة تامَّة ودون أيَّة قيود، بل ودون الحصول على أيَّة تأشيرات.
- تنظيم مؤتمر دولي بالتعاون بين أتباع الديانات الثلاث الكبرى يُعقد في عواصم مختلفة من العالم على أن يعقد الأوَّل في أمريكا.
- إنشاء جامعة مستقلة في مدينة "حران (Harran)" -التابعة لمحافظة "أورفة" التركية- توفر احتياجات الديانات الثلاث الكبرى، وتفعيل التبادل الطلابي بين العالمين: الإسلامي والمسيحي.

وقد تقبَّل الإعلام وقطاعات المجتمع زيارة كُولُنْ واقترحاته هذه بنوع من الترحاب باستثناء المجموعتين اللتين تحدثنا عنهما سابقاً، والمتناقضتين في الأساس إلا في معارضة فعاليات فتح الله كُولُنْ وأنشطته، ففي صحيفة "المساء (Akşam)" كتب "أحمد تَرْجَان (Ahmet Tezcan)" عن هذا اللقاء التاريخي وعن اقتراحات كُولُنْ أثناءه فقال مُقيِّمًا الموقف:

"ليت هذه الاقتراحات تتحقَّق؛ فيتعزَّز الحوار بين الديانات الثلاث ويتقوى بالتعاون، ويُؤدَّ التعصُّب في إطار هذا التعاون المحكم، كما أن تركيا تصبح نقطة تمرُّز الأديان في العالم بأسره، ولا سيما أنَّ مشروع تحويل حران إلى قاعدة علمية للديانات

الثلاث الكبرى اقترح رائع لما سيُحقِّقه من سِلمٍ عالميٍّ؛ فإنه يتغلَّب على الأزمات التي نعيشها في الجنوب الشرقي من البلاد، ويُمهِّد الطريقَ لتخفيف الجراح بـ"شفقة مباركة"، وينبغي دعمه ومساندته حتى النهاية".

أما "أحمد طُورانُ أَلْقَانُ (Ahmet Turan Alkan)" في صحيفة "زمان" التركية فيعلِّقُ على الأمر تعليقا مهِّما قائلاً:

"هل يمكن أن نتخيل إنساناً مُنصفاً لا يشعر بالحماس لفكرة جامعة "حزان" التي اقترحها الأستاذُ في هذا اللقاء؟ أغمضوا أعينكم الآن، وتخليلوا أن جامعةً كهذه قد تأسَّست، وسرَّعتْ تُدرِّسُ مقرَّراتٍ جيِّدةً من مرحلة الليسانس إلى مراحل ما بعد الدكتوراه، وأنَّ الطلاب وأعضاء هيئة التدريس المسلمين والمسيحيين واليهود يتبادلون التحيَّة فيما بينهم، ويتحاورون في مودة داخل قاعات الدروس وفي حدائق الجامعة وطرقاتها وقوفاً أو جلوساً، وأنَّ الطلاب يشاركون عبر نظام التبادل الطلابي -كزائرين- في الدروس والمحاضرات، وأنَّ هناك مؤتمراتٍ علميةً سنويةً تُنظَّمُ بصفةٍ فرديةٍ أو بالمشاركة والتعاون، وأن هذه المؤسسة التعليمية جذبت الطلاب من كل أنحاء العالم، فضلاً عن أن ذلك يتحقَّق في حزان في قلب جغرافيا الخير والجمال وطنِ البِلَّةِ والتقاليد الإبراهيمية؛ وناهيك عن تحولها من خيالٍ خاطِفٍ إلى واقع ملموس، أليس مجرد تصوُّرها وتخيُّلها بشارةٍ إبراهيمية؟ وإن تشكلت هذه الجامعة ذات يوم أليست تسميتها باسم "جامعة سيدنا إبراهيم" تُخلِّدُ تلك الروح العظيمة...

أمَّل أن يُشكِّلَ هذا اللقاء بدايةً لنشأةٍ مناخٍ من التفاهم الدائم الثابت؛ وكما قال المرحوم الشيخ سعدي: فإنَّ البشر بعضهم أعضاء بعض، وسوف يستوعبُ البشرية جمعاء ذلك اليوم الذي سنحاسبُ فيه جميعاً"، لقد نسينا منذ زمن طويلٍ الأحلامَ العظيمة؛

إننا لمدينون بالتقدير والشكر لمن يفتحون أمامنا أبعادًا ومشاعر عالمية في خضمّ تلاطم أمواج الأمور العادية البسيطة المطوّقة أفكارنا وأفقتنا".

ويقول "هادي أولو أنغين" (*Hadi Uluengin*):

إن فتح الله كُولُنْ -في فترة راجت فيها نظريّة صراع الحضارات والخوف من الخطر الإسلامي- قد أوصل البحث عن التسامح والحوار إلى أعلى المستويات بلقائه البابا".

ويرى فعاليات فتح الله كُولُنْ لأجل التسامح والحوار إلى جانب المدارس التركية المنفتحة على العالم نتيجة إيجابية وصائبّة تمامًا، ويؤكد على أنها تُخمد فتنة الاستقطاب الداخلي في تركيا، وتُشكّل مُحَرَك الحوار والتسامح داخل الكتل والتجمّعات الملتزمة دينيًا على حدّ سواء، في حين يُقدّم "أولو أنغين" معارضي هذه الفعاليات على النحو الآتي:

"أما القطب المعارض لمثل هذا النوع من دعوات السلم والحوار فإنه يؤوي الدينين المتشددين من جانب، والمتسلطين من جانب آخر، وهنا يتجدد الإخوة الأعداء، علاوة على أن استخدام بعض الفئات المشهورة فاشيتهم الجامحة المعروفة للجميع، واستغلالهم الأعمال التحريضية العميلة كمأجورين في تنفيذ اعتداءات دينية يُشكّل إثباتًا ودليلاً آخر على أن كُولُنْ ومحبيّه يسرون في الطريق الصحيح" (٢٦١).

وقد جاءت أهمّ التحليلات والتقييمات بشأن لقاء فتح الله كُولُنْ والبابا وأكثرها تعبيرًا ومعنى على لسان الأستاذ الدكتور "سيدني غريفت" (*Sidney Griffith*) رئيس قسم الدراسات المسيحية الشرقية بالجامعة الكاثوليكية بواشنطن؛ إذ يقول:

"المقصد في الحوار هو أن يكون وسيلةً ليعرّف المسيحيون  
جيدًا على حقيقة الإسلام التي يجهلونها".

ويقف على بضع نقاط مهمّة بشأن الإسلام والصورة التي يُعرّف بها  
في العالم فيقول:

الإسلام اليوم يُدرّس في جامعات الغرب في أقسام الجامعات  
للعلم السياسيّ أو العلاقات الدولية في الأكثر؛ فيُنظرُ إليه من  
الجانب السياسي أي بعين المستشرق؛ إذ لم يُدرّس الإسلام في  
كليات الإلهيات كدين؛ ولذا أرى أن المشكلة تبدأ من هنا<sup>(٢٦٢)</sup>.

وفي حين أن السياسي "حسام الدين جيندوروق" (*Hüsamettin Cindoruk*) ينتقد مواقف الأوساط المعارضة للقاء فتح الله كولن مع  
البابا ويُفندّها ردًّا منه على السؤال المغرض لـ "كمال ياوز" (*Kemal Yavuz*)  
القائل: بأي صفةٍ وتمثيلًا لمن ذهب الأستاذ فتح الله إلى الفاتيكان؟ ولماذا  
استقبله السفير؟... يقول:

"يبدو أن البابا شعر بأنه لا تلزمه قرارات الثامن والعشرين من  
فبراير/شباط!"<sup>(٢٦٣)</sup>.

وإذ بـ "أيهان قاطيرجي قازا" (*Ayhan Katircikara*) يلفت الانتباه إلى  
النقطة نفسها في صحيفة تركيا هكذا:

"التقى فتح الله كولن بالبابا "جون باول الثاني" فكانت فرصةً  
سانحةً لشنّ هجومٍ جديدٍ عليه؛ شيخٌ يصبح عالميًا، يُسمع كلامه  
ويحظى بالاهتمام، هل يُعقل هذا؟!".

(٢٦٢) صحيفة "زمان" (*Zaman*) التركية، من ٣٠ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م) إلى ١ فبراير/شباط (١٩٩٨م).  
(٢٦٣) هذه القرارات كانت تدين المتدينين في تركيا منهم فتح الله كولن، وكان "حسام الدين جيندوروق" يقول هذا  
الكلام على سبيل الاستهزاء. (المترجم)

إن فتح الله كُولُن لا يخدم الإنسان التركيّ فحسب، بل الإنسان أينما يكون، ويحمل إليه السلام، ويهديه التسامح؛ على الرغم من أنه لا يملك من متاع الدنيا شيئاً على الإطلاق، وما يقع على عاتق العلمانيين الآن هو تفعيلهم المؤسسات التي ربما يستطيعون تأسيسها كبديل للمؤسسات التي ينتقدون إمكاناتها في أداء الوظيفة المنوطة بها، وهذا الأمر يتحقق بالتضحية والعتاء، لا بالأخذ والتكسب<sup>(٢٦٤)</sup>.

وعقب هذه النقاشات كلّها يوضّح الأستاذ الدكتور "سعاد بيلدرم" المسألة بشكل أكثر من نقاط مختلفة عبر مقال مطوّل يمكن القول إنه يضع به النقاط على الحروف، إذ يقدّم في مقالِه هذا القرن العشرين بسماته البارزة كاندلاع الحروب العالمية فيه، وانفجار القنبلة النووية، وتحول عصر الصناعة إلى عصر المعلومات، وفي هذا العصر الذي شهد تطوّرات عملاقة في وسائل التواصل الاجتماعي، وفي عالم على هذا النحو يستحيل أن تظلّ المجتمعات والأفراد منفصلة عن بعضها لا تأبه بما يحدث، وأن القيم التي لا تتطوّر وتتحدّث في المجال الفكري الوفير الإنتاج، والعاجزة عن تقديم نفسها بالتجدّد الدائم كما هو الحال في المجال المادّي تضمّر على الفور، وتبقى في مؤخّرة الركب إلى أن تُلقَى في مزبلة التاريخ، وهذا تحريراً واستنتاج في غاية الأهميّة.

بعد ذلك يتوصل الأستاذ "سعاد بيلدرم" إلى ثلاث نتائج ونقاط مهمّة

هي:

١- أن العالم الإسلاميّ المعاصر ضعيفٌ في مواجهة العالم الغربيّ سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وإن رغب في استخدام القوّة فليس هو في وضع يُمكنه من استخدامها.

٢- لقد تبين تماماً وفي غاية الوضوح أنه يستحيل لأي دين أن يمحوَ غيره من على وجه الدنيا، وأتباع الأديان مطالبون بالتعايش وتبادل الاحترام من أجل عالم آمن هادئ.

٣- دعا الإسلام في أول ظهوره المسيحيين واليهود الذين وصفهم بأنهم أهل كتاب إلى حوارٍ عالميٍّ، غير أن هذه الدعوة لم تلقَ آذاناً صاغيةً وبالتالي فلم تتحقق الإجابةُ مُدَّةً تزيد على ثلاثة عشر قرناً، بل حدث العكس؛ إذ رُسمت للإسلام في الغرب في تلك الفترة صورةٌ منافيةٌ تماماً لحقيقته، واختلق العديد من الافتراءات ضدَّ سيدنا رسول الله ﷺ، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية بدأت تبحث -لأسباب ما- عن الحوار بدءاً من عام (١٩٦٠م).

ويوضِّح "سعاد بيلدرم" أن المسلمين تردُّوا أولاً في تلبية دعوة الحوار التي أطلقها كنيسة روما الكاثوليكية لأسباب ربما يكونون محقِّين فيها من وجهة نظرهم أنفسهم، وأن إجابة هذه الدعوة بدأت تردُّ مؤخراً من قِبَل المسلمين باستثناء تركيا، غير أنه يُؤكِّد أن هذه الإجابات طَلَّتْ تُمثِّلُ إسهاماتٍ من الدرجة الثانية فحسب أمام الكنيسة الراغبة في أن يكون الحوار في إطار مبادرتها وقد أعدت الدراسات اللازمة لهذا الأمر، ويلفت الانتباه إلى أن تركيا بمسلميها لم تنخرط في هذه العملية وتشارك فيها، في حين أن دعوة للحوار كانت تنتشر في العالم؛ فكانت هذه العملية تتقدَّمُ بزعامة الكنيسة، وتضطلع المجموعات المسلمة خارج تركيا بدورٍ فيها من الدرجة الثانية والثالثة، ولذلك فإن السيد "سعاد بيلدرم" يرى أن من الضرورة الحتمية بالنسبة للإسلام وتركيا على حدِّ سواء مساهمةٌ مسلمي تركيا في هذا الحوار بسماتهم التاريخية الخاصة بهم وبما يمتلكونه من طاقةٍ كامنةٍ ليكون لهم نصيبٌ بشكلٍ فاعلٍ وقويٍّ..

بعد ذلك يُرَدُّ الدكتور "سعاد بِيَلْدِرِم" على ما وُجِّه داخل تركيا من انتقادات للقاء كُولُنْ والبابا، ويتطَرَّقُ في نهايةِ مقالَتِهِ إلى طبيعة الحوار وكُنْههِ قائلاً:

"إن الموقف الذي يعصف بالمباحثات منذ البداية وينافي روح الحوار هو رغبة كُلِّ طرف في استقطاب الآخر وإدخاله في دينه هو، في حين أن الحوار يعني أن يُحدِّثَ كُلُّ واحدٍ من الطرفين الآخرَ عن نفسه، وأن يرى أن الطرف الآخر قد فَهِمَهُ، ونتيجة لذلك يَخْلُصُ الطرفان إلى القِيَمِ المشتركة بينهما، ويسعيان لتطويرها وتعزيزها.

وثمة تناقض آخر هو أن التفكير بأن: "الغرب تفسَّخَ وتحلَّلَ، ويريد الآن أن يُفسِدَنَا ويُحَرِّبَنَا" أمرٌ في غير محلِّهِ، وهناك قسمٌ من المسيحيين ربَّما يعتقدون أنهم قد يخلُّونَ عبر حوارهم مع المسلمين مجموعةً من المشكلات في بلادهم ويعالجونها بفضل تأثيرات إيجابية تقع عليهم من جانب المسلمين، والبعض من أمثال "أوليفر لاقومب (Olivier Lacomb)" و"ميشيل ليلجون (Michel Lelong)" و"م. وات (M. Watt)" رأوا أنَّ الغرب الذي صار علمانيًّا ماديًّا غارقًا في المادة أبصرَ قوَّةَ الإيمان والتسليم لدى المسلمين، وهؤلاء يُعبِّرونَ صراحةً عن قناعتهم بأنهم سيتوجَّهون إلى اللِّدِينِ ويرجعون إليه، وقد فتح القرآن الكريم باب الحوار والحديث مع أهل الكتاب، وكان العالم المسيحيُّ في أكثره مُنغلقًا دون الحوار عبر الزمان، وكان ينبغي للمسلمين ألا يتركوا دعوات الباباوية و"مجلس الكنائس العالمي" دون أن يُلبَّوها؛ فهناك الكثير من المجالات والساحات يتعاون فيها أتباع كلا الدينين وروادهما دون أن يُفسدَ أحدٌ على الآخر دينَهُ الذي يَعُدُّه كنزًا وذخرًا له؛ ولذلك فإن لقاء فتح الله كُولُنْ مع بابا الفاتيكان حادثةٌ طيِّبةٌ وسعيدةٌ<sup>(٢٦٥)</sup>.

## الفصل الرابع

**فتح الله كُولنَ بأفكاره وآرائه حول المفاهيم  
المعاصرة والمواضيع المهمّة والحديثة**

إنَّ فتحَ الله كُولَنَ بقدر ما هو رجل حركةٍ وعملٍ وتربيةٍ وتهذيبٍ بقدر ما هو مثقَّفٌ واسع الاطلاع، وهو يكتب في مجالاتٍ واسعة -وقد أوردنا قائمة مؤلَّفَاتِهِ في الملحق الرابع- وقد أفصح في أوقاتٍ مختلفة عن آرائه وأفكاره بشأن أكثر مواضيع عصرنا جدلاً ونقاشاً، وسنتناول في هذا الفصل أفكاره وآراءه حول العلم (ونقصدُ بذلك العلم الحديث إلى جانب العلم الشرعي)، والتقنية وعلاقة العلم والدين التي مثلت أكثر المواضيع نقاشاً في عدة عصور، مع إيراد نظراته إلى الإنسان وحقوقه و"الحركة الإنسانية (Humanism)" والمرأة وحقوقها، والدولة والديمقراطية والسياسة والإرهاب والمجتمع النظيف الطاهر.

## العلم الشرعي والعلم الحديث، والتقنية والعلاقة بين الدين والعلم

العلم والتقنية وعلاقة العلم والدين من أكثر المواضيع التي كتب عنها فتح الله كُولُنْ.

### ما العلم؟

يرى فتح الله كُولُنْ:

"أن هذا العالم كتاب مفتوح لتدبير الإنسان واستكشافه، ومعرضٌ قُدِّم إليه ليشاهده، بل إنه أمانةٌ أُودعت لَدَيْنَا وَمُنَحْنَا حَقَّ التَّدْخُلِ فِيهَا...".

وظيفة الإنسان تجاه هذه الأمانة هي:

"قراءة كتاب الكون، وتفسيره بإدراك الظاهر والباطن فيه؛ وتحقيق هذا المعرض الملغز، وتقييم المعاني التي يحتويها ويعبر عنها، والاستفادة من هذه الأمانة بحيث ينتفع بها الناس حاضراً ومستقبلاً...".

وهكذا فإننا نُطَلِّقُ لفظَ العلم على هذه العلاقة القائمة بين الإنسان والوجود واستكشافه إيَّاهَا وإدراكه لها<sup>(٢٦٦)</sup>.

### العلم والإنسان

يلفت فتح الله كُولُنْ الانتباه إلى أهمية العلم من زاوية خاصة؛ فيرى أنه عاملٌ مهمٌ يُمَيِّزُ الإنسان ويُقَدِّمه على غيره من الموجودات؛ لأن الإنسان

(٢٦٦) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل-٦، أفكار في طور الاخضرار، مقال "العلم" (*İlim Düşüncesi*)، ص ١٨٥-١٩٢، [مجلة "سزنتي"، أبريل/نيسان (١٩٩٦م)].

فُضِّلَ على الملائكة بالعلم، وتُوجَّ تفضيله هذا بمنحه مهمةً الخلافة؛ أي إعمار البسيطة والتدخُّل في أمور الطبيعة بمعايير معينة لإعمارها؛ لأنه وارث الأرض الحقيقي.

لقد منح الله تعالى الإنسان شيئاً لم يمنحه أيّاً من مخلوقاته بما في ذلك الملائكة؛ منحه معرفة أسماء الأشياء والمخلوقات جميعها، وبتعبير آخر: منحه التعرُّفَ عليها والقدرة على التعلُّم بالاستفادة منها، وفضَّله على سائر المخلوقات بهذه الصفة، وهذه الواقعة المذكورة في القرآن الكريم من تعليم آدم عليه السلام -الإنسان الأوَّل- الأسماء والمسميات كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة: ٣١/٢)، مع أنها كانت -أي الأسماء والمسميات- كفهرستٍ فطري لدى آدم عليه السلام فقد تجلَّت وتكشَّفت مع كلِّ رسولٍ جاء من بعده في إطار رسالته المرسلِ بها، ومن خلال الاكتشافات والاختراعات التي تفضل الله بها على العلماء نتيجة سعيهم لخدمة البشرية اكتسبت كل هذه التفاصيل أبعاداً أوسع وأعمق، والمعرفة الموهوبة لآدم جملةً واحدةً المتفتحةً فصولاً فصولاً مع الرسل من بعده والقدرة على تحصيلها تجلَّت تماماً لدى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم النبي الخاتم، ولذلك فإن تطوُّر العلم والتقنية المترتبة عليه تطوُّراً عظيماً قد تحقَّق بعد هذا النبي الخاتم وسيظل يتحقَّق، وليس هناك فرقٌ بين أن يتحقَّق هذا على أيدي المسلمين السائرين على هُديهِ كما حدث في القرون الخمسة الأولى من الإسلام وكما سيحدث لاحقاً إن شاء الله؛ وبين أن تتحقَّق على أيدي الغربيين المتيقِّظين إلى العلم استفادةً من المسلمين، فالأمرُ على كلِّ حالٍ أن البركة الجارية في عروق الكائنات منذ بعثته صلى الله عليه وآله وسلم وحتى قيام الساعة خاصَّةً به فهو النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

وثُمَّ نَقْطَةُ أُخْرَى لَمَسَهَا فَتَحَ اللهُ كَوْلُنَ وَتَطَرَّقَ إِلَيْهَا فِيمَا يَخْصُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِنْسَانِ، وَهِيَ أَنَّ الْحَيَوَانَاتَ تَبْدُو وَكَأَنَّهَا أُرْسِلَتْ إِلَى الدُّنْيَا وَقَدْ أودعت فيها المعلومات الضرورية لحياتها - كما أشير إليه قبل ذلك - في حين يبدو الإنسان مخلوقاً أُرسِلَ إلى الدنيا دون أن يعلم أيَّ شيءٍ قَطُّ، وهو مُطَالِبٌ بالوصول إلى الكمال بالتعلم والعبادة والدعا.

### شروط بالغة الأهمية بالنسبة للعلم

أولاً: يرى فتح الله كولن أن اصطلاح العلم بوظيفته الحقيقية وكونه علماً حقاً، وتعبير آخر؛ تحوُّل المعلومات إلى عِلْمٍ نافع للإنسان يُمكن أن يتحقَّق بـ"اعتماد شخصيَّة وطبيعة الإنسان -الذي يُعدُّ روح الفكر العلميِّ وأساسه- على عشق الحقيقة"، وهذا الأمر أيضاً مرتبطٌ بأن تخلو أيَّة أعمال يُضطلعُ بها من الطمع والمصلحة الشخصية والشهوانية؛ فمشاهدة الوجود والأشياء والتعرُّف عليها ومعرفتها وتقييمها دون تفكير في أيَّة منفعةٍ ولا مصلحةٍ هي الاسم الآخر لعشق الحقيقة، ومن يمتلكها لا يستعصي عليه أيُّ مرتقى كان، وعلى العكس من ذلك؛ فكما أن عشق الحقيقة يستحيل أن يتطوَّر ويتنامى في إطار حبِّ المصلحة والمنفعة، فإنه يستحيل أيضاً أن يتحقَّق لأن النضال في خِصَمٍ مثل ذلك النوع من الانحرافات حربٌ ضدَّ الحقِّ، وطبيعي أن العِلْمَ والإنسانيَّة هما المتضرَّران من هذه الحرب<sup>(٢٦٧)</sup>.

ثانياً: إن التعصُّب والتطرُّف -لا سيما التحجُّر الأيديولوجي- مانع آخر من أعظم الموانع التي تعترض طريق العلم والعقلية العلمية التي هي بمثابة الشرط له، ولا يمكن الحديث عن عشق الحقيقة أو العلم، ولا

(٢٦٧) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-٦، أفكار في طور الاخضرار، مقال "العِلْمُ (İlim Düşüncesi)"، ص ١٨٧، [مجلة "سيزئي"، أبريل/نيسان (١٩٩٦م)].

عن عشق الأخلاق والعقلية الأخلاقية في مجتمع توجد فيه تلك الأمور؛ إذ تعاني الروح في مثل هذا المجتمع، ويضعف الفكر، وينعدم احترام القيم الإنسانية.

ثالثاً: الوجود دائم الحركة، وهو مع هذه الحركة في تطوّر دائم -ليس في إطار الفهم الدارويني طبعاً-، والجمادات في هذا العالم تُهَرَّوْلُ نحو الحياة دون توقّف، والحياة تسير نحو الإدراك والشعور، ويجري تناوب الظلام والنور وتتابعهما ويتعاقب في دورة دائمة، ويُشكّل أفقاً من المعرفة يسير كلُّ شيءٍ في طبقاتٍ تعلوه، وينبغي للإنسان أن يُسَلِّمَ نفسه لشلالٍ كهذا مدعوماً بالإرادة والوعي بسعيٍ وجهدٍ يضغطان على قدرته ومقاومته حتى النهاية، ولكن على نحو مستقلٍّ عن غيره من الموجودات، ويفيض نحو المستقبل، وهذا يعني اكتساب رُوحٍ مُتَابِعَةٍ ومُتَجَدِّدَةٍ دائماً في المعرفة والفكر والتأمّل؛ إذ يمكن الاشتغال الروحيّ بالعلم الحقيقيّ على هذا النحو فحسب، ويمكن أن يُؤدِّيَ ذلك العلمُ المهمّةَ والوظيفةَ المنوطةَ به<sup>(٢٦٨)</sup>.

### أهمية العلم والغاية المنتظرة منه

ينظّم فتح الله كُولُنُ فيما يتعلّق بأهميّة العلم والغاية المنتظرة منه كلاماً من ياقوت الحكمة فيقول:

- بما أن الحياة الحقيقية بالنسبة للإنسان تقوم بالعلم والعرفان؛ فإن مَنْ يهملون التعلّم والتعليم يُعَدُّون أمواتاً وإن كانوا على قيد الحياة؛ ذلك لأن الغاية من خلق الإنسان هي النظر والتأمّل وتحصيل المعرفة ونقل ما تعلّمه إلى الآخرين.

(٢٦٨) فتح الله كُولُنُ: سلسلة العصر والجيل-٦، أفكار في طور الاخضرار، مقال "عشق العلم (Ilm Aşkı)", ص ١٩٢-١٩٧، [مجلة "سيزنّي"، مايو/أيار (١٩٩٦م)].

- إن صحّة القرارات والتدابير التي يتخذها أيُّ فردٍ تتناسبُ مع ما يتمتّع به من عقلٍ ومنطقٍ، والعقلُ والمنطقُ بدورهما يتوّران ويترقيان بالعلم والمعرفة نحو الكمال.
- لا تظهرُ إنسانيةُ الإنسان واضحةً إلا عند محاولته التعلّم ثم تعليمه غيره وتنويره إياه، ومن لا يحاول أن يتعلّم -مع كلّ جهله- ولا يُفكّرُ بذلك ولا يُجددُ نفسه بما تعلّمه ولا يكون قدوةً لغيره إنما هو إنسانٌ بالصورة فقط وليس بالسريرة.
- إن المنصبَ والمقامَ الذي يُستحصلُ ويكتسبُ بالعلم والمعرفة أسمى وأدوم من المناصب والمقامات المكتسبة بالطرق الأخرى؛ ذلك لأنّ العلم يُبعدُ صاحبه في الدنيا عن السوء ويجعله من أرباب الفضائل، كما يجعله من أصحاب السعادة في الدار الآخرة بما يحصل عليه من منصبٍ ومرتبةٍ لم يكن يتخيّلها.
- إنّ الغاية من تعلّم العلم هي اتّخاذ المعرفة مرشداً وهداياً للإنسان، وتنويزُ الطرق التي ترقى بالإنسان نحو الكمالات الإنسانية؛ لذا فالعلوم التي لا تتناول جانب الإنسان الروحي تكون عبئاً على صاحبها، وكلُّ معرفةٍ لا تُوجّه الإنسان إلى الأهداف السامية ليست إلاّ عبئاً على القلب والفكر لا فائدة منها.
- إنّ قدرَ كلّ شخصٍ وقيّمته مرتبطةٌ بمضمونِ ووفرة العلم الذي حصّله، ومن يستغلّ علمه في مجال الشائعات تكون قيمته بقيمة تلك الشائعات، أما من يستغلّ علمه ويستعمله كمؤشورٍ في تحليل الحوادث والأشياء، ويوجّه علمه لإضاءة المناطق المظلمة والتخليق بها وإنارتها بعلمه ومعرفةٍ للوصول إلى الحقائق الموجودة فيما وراء الطبيعة، فقدره وقيّمته بمقدار علوّ تحليقه<sup>(٢٦٩)</sup>.

### ساحة العلم ومنهج العمل

إن فتح الله كُولُنْ واقعيّ بالمعنى التام للكلمة، ولا سيّما فيما يتعلّق بمجال العلوم التجريبية، فهو يحترمه أيّما احترام، وهو - كما سيأتي لاحقاً - على وعي وإدراك تام بأن لهذا المجال طبيعةً خاصّةً به تُميّزه عن غيره، وهو لا يحضُرُ العلمُ في هذا المجال ويرفض حصّره في هذا الإطار فحسب، ويُقدِّرُ ذلك الأمر، والواقع أن تقديرَ هذا المجال تقديرًا حقيقيًا، أي معرفة معناه الحقيقيّ بحدوده وأطره وسيلةً مهمّةً من أجل تجنّب السقوط في برائنِ فكرةٍ لا تقبلُ إلا نتاج العلوم التجريبية.

ويرى كُولُنْ أنّ العلمَ التجريبيّ يشغلُ ويهتمُّ بالأشياء التي تدرّكها حواسنا، أما الحقائق الأخرى فيمكن السعي لتوضيحها في ضوء ما يحصل عليه من نتائج اعتمادًا على التجارب، أما المعلومات التي لم تُحدّدْ بالحواس، وتعدّزُّ إثباتُ صحّتها فلا مكان لها في بنيتها ولا يُصدر أحكامًا بشأنها إلى أن تتضح حقيقتها وفقًا للمناهج العلمية، ومن ذلك على سبيل المثال؛ أنه ليس ثمة إنسان يرتاب في أنّ الأشياء التي نراها بالعين المجرّدة حقيقةً ثابتة، بغضّ النظر عن سماتها وخصائصها، ومثل هذا أيضًا يمكننا أن نُفكّر في الأشياء نفسها بالنسبة لما نسمعه بأذاننا، وما نشعر به ونُحسّه لَمَسًا، وما يُدرّكُ بغير ذلك من حواسنا، أما التعرّف على وجود المجالات الكهربائية والمغناطيسية التي نعجزُ عن إدراكها بحواسنا فنسعى لتحديدّها بالبوصلة وما شابهها من آلات، ويستطيع العلم أن يُحدّدَ هذا القدر فحسب بواسطة الآلات والوسائل التي يمتلكها اليوم.

ويرى كُولُنْ أن إجراء أحد العلماء العاملين في مجال العلوم التجريبية دراسةً يتقيّد فيها بمبادئ مجاله تعبيرٌ عن احترام كرامة العلم وشرفه، كما يرى أن شغل مراكز العلم بنظريات لمّا تثبت بعدُ بدعوى الاشتغال بالعلم،

وتقديم هذه النظريات وكأنها علومٌ مثبتةٌ وقاطعةٌ، بل وتكوينَ اعتقادٍ معينٍ بناءً عليها يعني تضليلَ الجموع والتلاعبَ بكرامةِ وشرَفِ العلمِ على حدِّ سواء<sup>(٢٧٠)</sup>.

### مصادر العلم وسببه

يُقَرَّرُ فَتْحُ اللَّهِ كَوْلُنَ بِمَحْدُودِيَّةِ مَجَالِ الْعُلُومِ التَّجْرِيْبِيَّةِ، وَمَعَ تَصْرِيحِهِ بِأَنَّ الْعِلْمَ وَمَجَالَهُ لَيْسَا هَذَا فَحَسَبَ، لَا يَرَى أَنَّ مَصَادِرَ الْعِلْمِ تَكْمُنُ فِي الْحَوَاسِ وَالتَّجَارِبِ، وَلَا يَحْصُرُهَا فِي ذَلِكَ فَقَطْ؛ فَهُوَ يَتَنَاوَلُ الْمَسْأَلَةَ مِنْ مَنْظُورٍ إِسْلَامِيٍّ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ:

"إن أسباب العلم أو مصادره ثلاثة: أولها: "الحواس السليمة"؛ أي أعضاء الحس السليمة التي تؤدّي وظائفها تامّةً دون نقص، أما احتمالية أن تخطئ أعضاء الحس فهي حقيقة واقعة لا ندعي خلافها، لذا قيدها بكونها "سليمة".

ثاني أسباب العلم: هو العقل السليم؛ ويدخل فيما يُعلم بالعقل البديهيات وغيرها، فالعقلانية الفُظَّةُ تعتبرُ أَنَّ الْعَقْلَ هُوَ الْمَصْدَرُ الْأَوْحَدُ لِلْعِلْمِ وَالْحَقِيقَةِ، فِي حِينِ أَنَّ ثَمَّةَ وَقَائِعَ وَحَقَائِقَ يَسْتَحِيلُ إِنْكَارُهَا كَاخْتِلَافِ الْعُقُولِ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ، وَاحْتِمَالِيَّةِ أَنْ تُطْرَحَ مَجْمُوعَةٌ مِنْ "الْحَقَائِقِ" الْمَخْتَلِفَةِ حَوْلَ مَسْأَلَةٍ مَعِينَةٍ بِحَسَبِ أَعْدَادِ النَّاسِ، وَأَنَّ الْعَقْلَ قَدْ يَتَأَثَّرُ بِكَثِيرٍ جَدًّا مِنَ الْأُمُورِ كَالْحَسِّ وَالرَّغْبَةِ وَالنَّزْوَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْأَيْدِيُولُجِيَّاتِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ، نَاهِيكَ عَنْ أَنَّهُ مُعَرَّضٌ لِلنَّمُوِّ وَالضَّمُورِ أَيْضًا؛ إِذَا فَاخْتَبَرُ الْعَقْلَ -أَيًّا كَانَتْ قِيَمَتُهُ- مَصْدَرُ الْعِلْمِ الْوَحِيدُ يَمَثُلُ نَوْعًا آخَرَ مِنَ الْإِنْخِدَاعِ، وَحِينِ أَدْرَجَ الْعُلَمَاءُ الْمُسْلِمُونَ الْعَقْلَ بَيْنَ مَصَادِرِ الْعِلْمِ أَوْ أَسْبَابِهِ اشْتَرَطُوا "أَنَّ يَكُونَ الْعَقْلُ هُوَ ذَلِكَ الْعَقْلُ الْمَنْشُودُ" أَوْ "الْعَقْلُ السَّلِيمُ" أَيِ الْعَقْلِ

(٢٧٠) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل - ٢: الإنسان في دوامة الأزمان، مقال "العلم (Ilim)"، ص ١٢٨-١٣٢، مجلة "بزنئي"، يوليو/تموز (٢٠١٤م).

المتحرِّر من تأثير العناصر والعوامل التي ذكرناها آنفاً، ولا شك أن كُولنَ أيضًا يرى الشيء نفسه؛ إذ يُعرِّف العقل السليم بأنه: "العقل الذي يُدرِك الأشياء ويُقيِّمها بحالتها الأولى المجردة دون اتِّخاذه موقفًا مسبقًا تجاه أيِّ شيء".

وإن كان فتح الله كُولنَ ليس عقلاً نبيًا بالمعنى الفلسفي إلا أنه يهتمُّ بالعقل اهتمامًا كثيرًا؛ إذ العقلُ على حدِّ تصويره: "شيءٌ مجردٌ من المادَّة، لكنه جوهرٌ ملاصقٌ لها، وهو في داخلِ الطبيعةِ امتدادٌ نورانيٌّ لما وراءها، وأحدُ أهمِّ كلياتِ الروح، وهو أوضح نورٍ يكمن في ماهيةِ الإنسان للتفريق بين الحقِّ والباطل".

وينظر كُولنَ إلى العقل على أنه: "قوَّةُ الروح الحارسةُ من حيث تفكيرُ الإنسان وفهمه ومنعه من الوقوع في الآثام وتوجيهه إلى الخيرات"، وقد ربطَ علمُ الكلام في الإسلام المسائلَ المتعلقةً بأصول الدين -ربطها- بالعقل إلى حدِّ كبيرٍ على اعتبار أنه أساسُ التكليف، ومناطُ التفكير والتدبُّر، وأوَّلُ جواهر المحاكمة العقلية، والمميِّزُ للإنسان عن الحيوان، الذي يقوده إلى بابِ الإنسانيَّةِ الحقَّة، كما أنه أروعُ هدية من الخالق للإنسان.

ومع أن فتح الله كُولنَ ينظرُ إلى العقل ويعتبره جوهرًا فإنه يُقيِّمه في الإطار القرآني من زاوية "المعقولة" في الأكثر، أي إنَّ العقل في فكر كُولنَ المستند إلى القرآن يُمثِّلُ فعاليَّةً أكثر من كونه كُليَّةً ثابتةً بذاتها؛ ولذلك فإنه يتحدَّث عن "العقل النَّشِطِ الفَعَالِ"، وفي هذا الإطار فإنَّ الشُّركَ بالله -مثلاً- أمرٌ غير معقول؛ لكنَّ التوحيد معقولٌ بكلِّ شُعْبِهِ، والقرآن والإسلام بهذا المعنى يجعلان العقلَ يُسجِّلُ كلَّ المسائل ويثبتها، وليس فيهما أيَّةُ مسألةٍ مخالفةٍ للعقل، ولم تُترك في أيِّ من رسائل القرآن وأحكام الإسلام أيَّةُ فجوةٍ ولا ثغرةٍ عقليَّةٍ أو قلبيَّةٍ أو رُوحيةٍ أو حسِّيَّةٍ، بل العكس؛ إذ الإسلام كان ولا يزال منبرًا للعقل السليم والمحاكمة العقلية

المبنيّة على الأسس والقواعد والمنطق المنظم، وقد أفحّم الطرف الآخر ذا المغالطات والجدال والغوغائية غير المعقولة، وأنهى نضاله مع هذه الأمور بتحقيق النصر عليها<sup>(٢٧١)</sup>.

وبرغم كلّ شيء فإنّ العقل لا يقود بمفرده الإنسان إلى الصواب المُطلَق، كما أنه لا يُمثّل مصدر الصواب والحقّ الوحيد؛ فقد رُتّه على أن يكون عقلاً سليماً مرتبطةً ببعده عن كلّ أنواع الأحكام المسبقة وتحقيق المنفعة الشخصية، كما أنه ينبغي أن تُرسم له طريقٌ سليمةٌ لصالح فعالياته ونشاطاته؛ أي إنّ العقل محتاجٌ في فعاليّاته إلى مرشدٍ ودليلٍ يهديه السبيل، هذا الدليل سينير له الطريق الذي يسلكه، وسيمنحه مقياس ومعايير ثابتة لا تُضِلُّ تجعله يبصرُ وظيفته المطلوبة منه، هذا المرشد والدليل في الطريق هو "الخبر المتواتر"، وهو المصدر الثالث الأهم والأوثق في مصادر العلم. ويمكن تناول الخبر المتواتر في عنوانين أو فئتين رئيسيتين؛ الأولى: الخبر الذي نقله جمعٌ يستحيلُ تواطؤهم وتوافقهم على الكذب، ومُستندهم الحسُّ، ومن ذلك مثلاً أننا لا نرتاب في وجود أمريكا حتى وإن لم نذهب إليها؛ لأننا نحصل على الأخبار الخاصّة بها من مصادر لا تعدّ ولا تحصى، أما النوع الثاني من أنواع الخبر المتواتر فهو الذي يستند إلى الوحي، أي ما جاء به الأنبياء والمرسلون.

والاعتراض على قبول الوحي مصدرًا من مصادر العلم يجعل ساحة العلم مقصورةً ضيقةً على الخبرة والتجربة الحسية فحسب، في حين أن ثمة مجالاً كونياً فسيحاً جدًّا يقع خارج هذه الحدود لا يسوغُ إقصاؤه، لأنّ إقصاءه ونبذّه خارج حدود العلم - هو في رأيي - اعترافٌ بجهله؛ فالعلم يستحيل أن ينكر هذا المجال؛ لأنّ الإنكار حكّم، ومن ثم يضطر العلم إلى إثبات فناء وعدم وجود المجال الذي أنكره، وبالتالي فإنّ إنكار

وجود مخلوقات طبيعتها ووجودها فيما وراء الطبيعة كالشيطان والجن والملائكة - كما يفعل الإلحاد- أو مخلوقات ذات صلة بالطبيعة وبما وراءها؛ ليس من العلم في شيء، وإنما هو مجرد دوغماتية، وفي المقابل فإن الاعتراف بوجود الله تعالى ووجود مخلوقات كالملائكة والجن والشيطان تصرف علمي صرف ولا يمت إلى الدوغماتية بأي صلة، وهو على عكس ما يزعمه العلم المادي من كونه اعتقاداً أعمى؛ لأن ثمة معايير سليمة وعلمية بكل جوانبها تُسوِّغ قبول هذه المخلوقات والاعتراف بوجودها؛ يأتي في مقدمتها أكثر من مائة ألف نبي لم تصح نسبة أي كذبة إليهم طوال حياتهم، وقد أبلغوا أنهم خبراء هذا المجال، وأنه يُوحى إليهم إلى جانب أنه يأتيهم الإلهام، كذلك هناك ملايين الأولياء خُصُّوا بالإلهام ولم يثبت عليهم أنهم كذبوا أيضاً، وباستثناء هذا فهناك ضمير الإنسان والتجارب الوجدانية والروحية، وهناك أيضاً كثير من الناس التقوا بهذه المخلوقات وتحدّثوا معها يمثلون دليلاً آخر على وجودها.

إن عدم الاعتراف بكون الوحي مصدرًا من مصادر العلم سيؤدّي إلى ردِّ وإنكار كلِّ كلام الأنبياء وجميع الكُتب الإلهية، وإلى اتهام أكثر من مائة ألف نبي -هم أصدق البشرية وأكملها على الإطلاق، إذ لم ينشدوا أية مصلحة أو أي نفع ماديّ طيلة حياتهم- بأنهم كذبوا -حاشاهم- على البشر وخدعواهم، ويؤدّي أيضاً إلى اتهام من آمنوا بهم وساروا على دربهم منذ اليوم الأول في تاريخ البشرية من مئات الآلاف من العلماء وملايين الأولياء وغيرهم وغيرهم من ملايين الكُملِّ باتباع الكذب والخداع، وفوق ذلك فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة يفيضان بالحقائق العلمية التي ثبتت صحتها وصدقها بالتوازي مع التطوُّر العلمي، وهناك أيضاً كثير من الأخبار المتعلّقة بالمستقبل ستثبت صحتها حين يأتي وقتها، وهي ما لا يستطيع أحدٌ إنكاره.

### الإسلام هو ضامن الفكر والبحث العلمي

يقول الأستاذ فتح الله كُولُن: "إن هذا الدين الذي جاء بالقرآن والإسلام اسمٌ لِنَظَامٍ متكاملِ الجوانبِ يمكننا أن نسمّيه الغاية المثلى، وأساسُ هذا النظام هو الإيمان والمحبة والعشق وطريقُ البحث عن رضا الله تعالى؛ وهو بذلك يؤكِّد أن طبيعة الإسلام ترمي إلى التجديد والتكامل دائماً، وما ذلك إلا لامتلاكها القدرة على الانفتاح إلى الأبد، كما يرى الأستاذ كولن أن الإسلام رغم أنه يشجّع الفكرَ والبحثَ العلميَّ إلى ما لا نهاية، وأسسَ أعظم حضارة علمية ومعنوية في التاريخ اعتمدت على العلوم وقطعت شوطاً كبيراً بذلك؛ إلا أن العدو الأكبر والسبب الحقيقي الذي أدى لاحقاً إلى انخماذ عشق العلم لدى المسلمين وحطّم سواعدهم وشلّ إرادتهم، وأدى إلى هزيمتهم وأسّره في العصور اللاحقة هو عدم وفائهم للإسلام بالشكل اللازم<sup>(٢٧٢)</sup>.

### العلاقة بين العلم والدين

ينظر كُولُن إلى الدين والعلم والإنسان والأشياء والحوادث نظرةً كليّةً، ونتيجة لذلك لا يرى الإنسان مخلوقاً من جَسَدٍ فحسب، أو روحٍ فحسب، أو عقلٍ فحسب، ولذا فإنه يُركِّزُ وَيَقِفُ دائماً على ازدواج العقل والقلب وضرورة تنشئة الإنسان تنشئةً كاملةً بدناً وروحاً، وثلاثية المدرسة الشرعية والتكية والمدرسة الحديثة بهذا الغرض التكاملي، كما أنه يقف بالشكل نفسه وبالحساسية ذاتها على تلازم الدين والعلم، وبحسبه:

"إن النظريات الوضعيّة والماديّة قمعت الحياة الفكرية والعلمية تماماً منذ قرنٍ أو قرنين؛ فصار كلُّ شيء يُفسَّرُ وفقاً لفهم

(٢٧٢) فتح الله كُولُن: سلسلة العصر والجيل-٦، أفكار في طور الاخضرار، مقال "العلم" (Ilim Düşüncesi)، ص ١٩١، مجلة "سيزئي"، أبريل/نيسان (١٩٩٦م).

بعينه؛ وما ذلك إلا نتيجة لإرجاع تفسير الكون والحوادث إلى نمط واحد، وضُيقت الطرق المؤدية إلى الحقيقة، وربط كل شيء بالطبيعة والمادة، وأهملت الأوساط الميتافيزيقية تمامًا.

وفصم العلم عن الدين في هذا العصر، وفي الوقت الذي اعتبر كل ما ارتضاه العلم حقيقةً؛ اختزل الدين في مجموعة من النصوص معتمدة على التقليد لا حرج في الإيمان بها أو إنكارها، وفي صورة قضية وجدانية ومجموعة من التعاليم الأخلاقية ربما يُرَجَّح الإيمان بها في سبيل راحة بعض الأشخاص ليس إلا، ونتيجة لهذا ففي بعض الدول الإسلامية مثل تركيا -بصفة خاصة- التي وقعت في تقليدٍ أعمى للغرب متبلدٍ محروم من البصيرة والإدراك:

"أخذت الخيالية مكانَ عشق الحقيقة، والقولبة مكانَ الأخلاق البحثية، وتعرضت الحياة الفكرية بزمّتها لاحتلال الدوغماتية، وفي النهاية شلّ الفكر العلمي الحقيقي، وصار الإنسان يتخبط ويتناقض مع عقله وفكره وروحه، وصارت روحه وكأنها غريبة أمام حقائقها الداخلية وفي مواجهة هذه الابتزازات والفروض المتتالية"<sup>(٢٧٣)</sup>.

#### أ. تعريف العلم والدين

بعد هذا المدخل الذي يقدم به فتح الله كوكُن للعلاقة بين العلم والدين عبر التاريخ وبالمعنى الأصلي الحقيقي ينتقل إلى تعريف العلم والدين ليزيد الموضوعَ توضيحًا؛ فيعبر في هذه المرة عن تعريف العلم الذي عرضنا له أنفًا تعبيرًا مختلفًا في إطار العلاقة بين الدين والعلم؛ فيقول:

"يشكّل العلم جانبًا ظاهريًا من الحياة الفكرية، وبُعدًا خارجيًا منها، ويمكن تلخيص موضوعه في أنه تنظيم المعلومات المنفردة المستحصلة على طاولة الأشياء والحوادث، وضبطها وفقًا لقواعد

(٢٧٣) مقدمة لكتاب: العلم والدين عبر التاريخ، العلم والدين من زاوية مختلفة (Tarih Boyunca İlim ve Din, Bir

Başka Açıdan İlim ve Din) (تأليف "لجنة").

معينة، وإن نظرنا إلى الموضوع نظرةً فلسفيةً بعض الشيء فالعلم هو العلاقة الداخلية بين الموضوعي والشخصي في المعنى، وبعبارة أخرى: العلم هو النظام الذي يتناول الأشياء الداخلة في ساحة الحواس، والتي يمكن تجربتها".

ويقف فتح الله كولن بعد تعريفه العلم على كيفية فهم الدين في الغرب سابقاً؛ فيقدم تعريفاتٍ حوله لبعض كبار علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع والفلاسفة الغربيين، ليتعرض لها بعد ذلك بالنقد الجوهري الموجز، ثم يؤكد بصفةٍ خاصةٍ على أن مثل هذه التعريفات، منذ "دورخيم (Durkheim)" وحتى "رادولف أوتو (Rudolph Otto)" وغيرهما من مئات علماء الاجتماع والمستشرقين ومؤرخي الأديان ورجال العلم بل وانتقاداتهم وتفسيراتهم أيضاً؛ وإن أفادت شيئاً بالنسبة لأي دين غير الدين الإسلامي من الأديان السماوية وغير السماوية؛ إلا أنها لا تعني شيئاً إذا ما ذكر الإسلام، وتظل عبارةً عن شروحٍ منقوصةٍ ومعيبةٍ تقريباً، ثم يقف على معنى الدين بالنسبة للإسلام فيقول:

"إن الدين بالنسبة للإسلام مجموع القوانين الإلهية التي تُخبر أولي الألباب بالغاية من الخلق، وتُحثهم على الصلاح والفلاح والكمال في حاضرهم ومستقبلهم في إطار هدي رسول الله وبارادتهم الحرة؛ علاوةً على أنه يعدهم بتوفير احتياجاتهم المادية والمعنوية، إن الإسلام بعالميته شَمِلَ الفردَ والمجتمع على مَرِّ العصور واحتواهما، وأخضع حياة الإنسان للنظام والمراقبة حيث وازنها بروح الكون، والكتاب والسنة أكبر ضمانٍ وأقوى مرجع لهذا المحتوى، وإلى جانب ذلك فإن تصوراتهما في بعض المجالات التي تبدو وكأنها مُغلقة، وفكرة المؤمن النشطة التي تدور دائماً في محور "الله - الكون - الإنسان" غايةً في الوسعة والرحابة، وتعدُّ مصدرًا غنيًا لدرجة أنه لا يتروك مجالاً لأي فراغ علمي وفكري" (٢٧٤).

### ب. حقائق الدين السامية

ويلفت كُولْن الانتباه بعد ذلك إلى وجود عناصر سامية في الإسلام كما هو الحال في كلِّ دين؛ فالإسلام -عنده- ليس مجرد قناعة أو أسلوبٍ ونمطٍ فكريّ؛ إنه إلى جانب هذا كله نظامٌ شعورٍ وإحساسٍ واسع، وتصرفٌ واعٍ محكمٌ، وحركةٌ وعملٌ منظمٌ، ومحاسبةٌ دائمةٌ، والواقع أن اعتبار الدين مجرد "علم وفلسفة" خطأً فادحٌ، وبالطبع فإن إدخاله تحت وصاية العلم والفلسفة وربط قدره وقيمه بالرجوع إليهما واعتباره صحيحاً من نافذة العلم والفلسفة وانتقاده ومساءلته... كل هذا ليس صحيحاً على الإطلاق؛ إذ لا معنى لكون الدين إلهياً وسموياً إن كانت الحقائق الخاصة به ستُحدّد وتوضع وفقاً لمبادئ المنطق والتجربة والملاحظة، وبالتالي فإنه وإن كانت للدين علاقةٌ بالعلم وبأسبابه مثل الحواس والعقل والتجربة بقدر معين؛ فمن المؤكّد أن العلم ليس نتاجها ولا ثمرتها، وأهميّة المحاكمة العقلية والمنطق والعقل في فهم الدين وتمثيله واضحةٌ بحيث لا تقبل النقاش، غير أن للدين بضع جوانب تسمو على العقل والمنطق والمحاكمة العقلية وتُشكّل أحدهم أعماقه، ويستخدم الدين العقل والمنطق والمحاكمة العقلية في كلِّ أمرٍ تقريباً -مثله في ذلك مثل العلم- إلا أن أسلوبه في الاستدلال سماويٌّ يعتمد على الله تعالى وعلى الإيمان به أولاً، وعلى قبول أسس الإيمان الأخرى كذلك، ولا ريب في أن لكل من العقل والمنطق والمحاكمة العقلية والبحث مكانته في الإيمان، إلا أنها ليست كافيةً؛ فالقلب والوجدان والروح والحبّ السليم الصحيح والإلهام مهمّةٌ كلّها بقدر أهميّة العقل والمنطق، بالإضافة إلى أن تطبيق الدين -ولا سيّما التجربة الداخلية القلبية التي يتوصّل إليها بالعبادات- من أهمّ الوسائل والوسائط في الوصول إلى ساحة الوجود والحقائق الغيبية التي لا تدركها الحواس ويعجز العقل عن إدراكها،

وهي موجودة في أساس الدين، وما يتوصّل إليه من حقائق بواسطتها ليس أقلّ موضوعيّة من الحقائق التي يُتوصّل إليها بالعقل والحواس والتجربة التي هي من أسباب العلم، ومن هذه الناحية فإن الدين يُقدّر العقل والفكر والملاحظة والتجربة دائماً، إلا أنه لا يعتبرها مصدره وأساسه الأصلي.

### ج. العلاقة بين العلم والدين في الإسلام

إنّ فتح الله كولن الذي يتناول العلاقة بين الدين والعلم في الأديان القديمة، وكذلك في المسيحيّة واليهودية بطبيعتيهما، بالإضافة إلى العصور الوسطى والحديثة يتطرّق إلى العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام بقوله:

"إن الإسلام بكلِّ مؤسّساته الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة، ونظريته الواسعة العالمية، ووعوده للإنسانية، وأُسسهِ النظريّة والعملية التي أقرّها هو طريقُ الله ومنهجُه الذي ارتضته وسترضيه الضمائر، ورجعت إليه العقول، وصدّقته المحاكمات العقلية، وتحوّلت في ظلّهِ حقيقةُ "الله - الوجود - الإنسان" إلى اطمئنانٍ في الأرواح، فصار كل منها معرفة متفدّدة، ممّا يجعل الجزء كلّاً متكاملًا، أرجع فيه كلّ شيءٍ إلى التوحيد بحيث يفهم كلّهُ؛ أي اعتمدَ فيه على واحدٍ؛ على المصدرِ والوحدة ذاتها، وصيّنت فيه أطرّ القيم والشرف والعلاقات وحدودها، ووَجّه الإنسان إلى عالمٍ أبديٍّ هدْفُه السعادةُ الأبديةُ وفقًا لرغباته الأبديةِ المكنونة في روحه وبقدْر أعماله القلبية في نقطة التقيّاء العقل والقلب والروح.

وقد بدأ القرآن أصلاً بالأمر "اقرأ"، فحوّل الأذهان إلى الكون في زمانٍ لمّا يوجد فيه أي شيء يُقرأ، وبعبارةٍ أخرى يعْتَبِرُ الإسلامُ الكونَ كتابًا مخلوقًا بقدره الله وإرادته، والقرآن -مع تعريفه الكون- كتابًا موحى يفتَحُ ذهنَ الإنسان وقلبه على الحقائق وعوالم

ما وراء المادة فيوصله إلى الله تعالى، وكأن الكون آله والإسلام دليل يوضح طريقة استخدامه والاستفادة منه، ويدعو الناس إلى التعقل والتدبر والبحث والمحاكمة العقلية والتدقيق والتفحص، علاوة على أن القرآن الكريم فيه الكثير من الإشارات إلى الحقائق العلمية التي أثبت العلم مجموعة منها بمرور الزمان ومجموعة منها تنتظر البحوث والدراسات العلمية، ويذكر القرآن الكريم هذه الحقائق كأدلة لمقاصده الأصلية "التوحيد والرسالة والحشر والعبادة والعدالة"، ثم يدعو أصحاب العقول والمحاكمات العقلية والبصائر والحس السليم إلى دراستها.

أجل، لقد انتهج القرآن الكريم نهجاً ينبئ فيه الأذهان دوماً إلى الحقيقة، وقدح زناد الفكر أمام الحوادث كلها، وهب العقل قدرة على الحركة اللامحدودة بأنظمة وحقائق إرشادية حيث أزال الموانع كلها من أمامه، وأظهر للإنسان مزيداً من الحقائق كإكتشاف حقيقة الوجود، وأوصاه بأن يعلي همته دائماً.

وإن كان ثمة أي نوع من التناقض بين العلم وبين تفاسير أحوال بعض الأديان الراهنة وتحليلاتها فإن وضعاً كهذا ليس مطروحاً على الإطلاق بالنسبة للإسلام الذي مصدره القرآن الكريم والسنة؛ فالإسلام لم يمنع أصلاً العقل والمحاكمة العقلية من النشاط والفعالية قط، بل على العكس من ذلك حمل العقل مسؤوليات الاعتبار والتفكير والتدبر والاجتهاد والإنشاء، وأمره أن ينسج هو وجميع أعضاء الحس شريطة زينة قدرته الخاصة مستنيراً بأشعة الوحي المنيرة، ومن هذه الناحية فإنه وإن كان تدریس العلوم الطبيعية قد أخرج من برامج المدرسة الشرعية في عصور تأخرنا وتراجعنا، فإنه لم يقع في أي وقت قط صراع بين العلم والدين يشبه ما كان في الغرب على وجه الخصوص، ولم يكن من الممكن أن يقع، وذلك للأسباب التالية:

"الإسلام من حيث مصادره التي تُغذيه وتمده دائماً - كالقرآن الكريم والسنة النبوية - لم يقيد العقل والمنطق والمحاكمة العقلية والفكر الحر بل تركها حرة بقدر أطرها، وشجّع الإنسان على تحليل الوجود والحوادث كلّما سنحت له الفرصة.

الإسلام منفتح بمرونة ورحابة فائقة على التفكير والتدبر والتأمل بحسب سمته وطبيعته الخاصة؛ ولذلك فإنه لا التحليلات والتفسيرات الجديدة التي سيأتي بها، ولا الاحتياجات والضرورات - والواقع أن هذه اعتبرت أساساً لمجموعة من الأحكام بالنسبة لمبادئه الأساسية - استطاعت أن تضغط على إطاره المحيط، بل إنها تكوّنت في توافقٍ دائمٍ معه، كما يحدث من تشكل وتطورٍ وتوسّع في جيلٍ طبيعيّ، وصار نقشاً ينعكس عليه خارجياً.

إن مُبلِّغَ الإسلام ومُمتلئَه تلك الشخصية العظيمة محمد ﷺ نظرَ إلى الحكمة والحقيقة على أنهما ضالة المؤمن، وأوصى بالبحث عنهما والاستفادة منهما أينما وُجِدتا فقال:

"الكَلِمَةُ الْحَكْمَةُ ضَالَةٌ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا" (٢٧٥).

إن الحادثة التي تُعرّضُ على مرّ التاريخ البشري على أنها صراع الدين والعلم هي في واقع الأمر صراع رجال العلم المحرومين منه ورجال الدين الذين لم يفقهوه، أما الإسلام فلا كهانة ولا رهبانية فيه، ولم تكن فيه طبقة كهان ولا رهبان في أيّ زمنٍ قطّ، فتدفع مجموعة من الاعتبارات في وجهات النظر بين رجال العلم والمتديّنين أو الاهتمام بالمصالح الشخصية إلى مثل هذا النوع من التضارب والتشاجر.

لقد تجانس الإسلام وتواءم مع العناصر الضرورية والمواد الأساسية لروحه كالعلم والفكر والمحاكمة العقلية، وليس من

المطروح أبداً أن يتصارَع ويتناقض معها، ليس مطروحاً ذلك؛ لأن صراعاً ونزاعاً كهذا يعني اختلافه وصراعه مع نفسه. أجل، وكما أن العلم أساس الوجود، فإن خطئته وبرنامجه وهيكلته تجري دائماً بناءً على أسسه، والقرآن الكريم في الأساس ترجمة أزلية للوجود، وبيان تحليلي له، ولسان طلق يعبر عنه، ولذلك فمن المؤكد أن تناقضه وتعارضه مع الأشياء والحوادث ليس وارداً.

وبهذا فكما تتعدّر مقارنة الإسلام أصلاً بغيره من الأديان؛ فإنه يستحيل أيضاً الحديث عن حرب الدين الإسلامي وصراعه مع العلم والفكر ورجال العلم، وثمة مجموعة من البيانات والتصريحات اليوم ما هي إلا مفاهيم وأفكار عامة طرحت دون دراسة لروح المسألة أو أنها حُججٌ واهية اختلقت من أجل خلق عداوة لله والرسول والدين<sup>(٢٧٦)</sup>.

## التبليغ بالإسلام بواسطة العلوم الطبيعية والتقنية

يذكر فتح الله كُولُنْ أَنَّ الْعِلْمَ جُعِلَ أَدَاةً لِلْإِلْحَادِ فِي حِينٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَسِيلَةً لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَرَى بِأَسَا فِي الرَّجُوعِ إِلَيْهِ -أَيِ الْعِلْمِ- عِنْدَ شَرْحِ الْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ وَإِثْبَاتِهَا، بَلْ إِنَّهُ يُوَكِّدُ عَلَى ضَرُورَةِ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الَّذِي سَيَسِيطِرُ وَتَكُونُ لَهُ الْكَلِمَةُ الْأَقْوَى مُسْتَقْبَلِيًّا، كَمَا أَنَّ عَصْرَنَا الْحَاضِرَ هُوَ عَصْرُ الْعِلْمِ، وَمِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ فَرِيبًا يَكُونُ مِنَ الْأَنْسَبِ وَالْأَوْفَقِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الْإِسْلَامِ فِي يَوْمِنَا الْحَاضِرِ وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا أَنْ تُسْتَخْدَمَ لُغَةُ الْعِلْمِ فِي شَرْحِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي تُشَكِّلُ مَوْضُوعَهُ بِكُلِّ شَعْبَةٍ وَفُرُوعِهِ، وَرَبْمَا الْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ حَيْثُ إِنَّهَا تَعْبِيرُ عَنِ الْحَقِيقَةِ نَفْسَهَا بِمَوَادِّ مُخْتَلِفَةٍ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي الْإِسْلَامِ أَيُّ شَيْءٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ يُنَاقِضُ الْعِلْمَ وَيَتَعَارَضُ مَعَهُ، وَإِنْ زُعِمَ وَجُودُ أَيِّ نَوْعٍ مِنَ التَّنَاقُضِ وَالتَّضَادِّ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِسْلَامِ فِي أَيَّةِ مَسْأَلَةٍ فَمَا هَذَا إِلَّا لِأَنَّ الْعِلْمَ لَمَّا يَقُلْ كَلِمَتَهُ الْأَخِيرَةَ فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ وَلَمَّا يَدْرِكِ الْحَقِيقَةَ، أَوْ لِأَنَّهُ اسْتَحَالَ فَهْمُ حُكْمِ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَوَعِيَهُ بِشَكْلِ تَامٍ.

ونظرًا لما وقع من أخطاء وتفريطٍ في هذا الموضوع فإنَّ فتح الله كُولُنْ يلفتُ الانتباهَ إلى الأمور المهمة الآتية؛ فيقول:

- القرآن ليس كتابًا في علم الطبيعة والكيمياء والأحياء والفلك؛ إن مقاصد القرآن الكريم الرئيسة هي -وكما سبق عرضه- إقراءُ أُسُسِ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَةِ الْعِبَادَةِ وَالْعَدَالَةِ بِالْأَذْهَانِ وَالْقُلُوبِ، وَإِرْشَادُ

الناس في هذا الشأن؛ ويستخدم القرآن الكريم القضايا التي تُشكّل موضوع العلوم الحديثة اليوم بصفة خاصة كلما لزم الأمر وبين قوسين؛ كمجرد دليل فحسب في إقرار مقاصده الرئيسة الخاصة به في الأذهان والقلوب، وحين يستخدمها يختار أسلوباً يفهمه الجميع، ويطمئنون إليه؛ إذ إنه يخاطب الجميع منذ اليوم الأول لنزوله إلى أن تقوم الساعة.

- يحترم القرآن الكريم فهم العامة وأحاسيسهم وملاحظاتهم، ولا يدفعهم إلى التعقيد الذهني حين يتناول هذا النوع من المسائل التكوينية دليلاً؛ إذ لا يُعقل أن يكون الدليل مبهمًا وخفيًا عن القصد؛ لأن معظم الناس من العامة.

- إن التعبيرات القرآنية الكريمة المتعلقة بالمواضيع العلمية صحيحة على الإطلاق، غير أن ما في هذه العبارات من معانٍ ومقاصد قدّمت في كثير من المرّات - وإن لم يكن دائمًا - بأسلوبٍ ملائم للتفسير والتحليل؛ ولهذا فإنها تفتح بابًا للعلم والبحث والدرس، بل إنها تُشجّع عليه.

- والعلم حزمة نظريات؛ وقد يثبت خطأ النظريات التي يطرّحها، فيطرّح غيرها حينئذٍ؛ ومن ثمّ يفتح الباب للبحث بهذه الطريقة، وبالتالي فإنّ علماً لا يبدو تحليله وإدراكه أمرًا ممكنًا وواردًا ماثلاً للعيان كالإنسان يتعدّد التسليم بأن تصدق تمامًا نظرياته بشأن أمور يصعب عليه إدراجها في مجال دراسته وملاحظته مباشرة، ومن هنا فإنه ينبغي عدم الاعتراض مطلقًا على آيات القرآن اعتمادًا على مجموعة من الاكتشافات والمعطيات العلمية، ولا بدّ من انتظار التطوّرات التي سيُسفر عنها الزمان إذا ما بدا أنّ هناك نوعًا من التناقض، ويجب الإيمان بالحقيقة التي تفضّل الحقّ تعالى ببيانها، يجب ذلك حتى وإن لم يتسنّ بعد الكشف عن تلك الحقيقة بمعناها الكامل.

## ماهية الإنسان ومكانته بين الموجودات

الإنسان بماهيته وقيمته العالية بين المخلوقات وتردُّه كالمؤشِّر أو كالإبرة بين المقام الرفيع (أعلى عليّين) وأدنى الدرجات (أسفل سافلين)، ومكانته بين الموجودات ووظيفته ومهامه يشكّل واحداً من المواضيع التي ركّز عليها فتح الله كُولُنْ باهتمامٍ شديدٍ.

### سمات الإنسان الوجودية

ينظر فتح الله كُولُنْ إلى الإنسان أولاً في إطار قول الشاعر:

دواؤك فيك وما تُبصر دواؤك منك وما تشعُر  
أتحسبُ أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

أي إنَّ الإنسان وإن كان يبدو بالنسبة إلى مظهره وطبيعته وكأنه "جرم" صغير؛ فإنه أسمى من الملائكة باعتبار ماهيته؛ إذ تتجلى فيه جميع أسماء الله تعالى التي تمنح الكون الوجود، ولذلك فإن خلاصة العوالم والوجود كامنة فيه، ومثلما أن الفاكهة نتيجةٌ وخلاصةٌ وجوهرٌ يحوي في داخله -بشكلٍ أو بآخر- حياة الشجرة وجميع عناصرها؛ فالإنسان يُمثّلُ باعتباره شجرة الخلق الغاية من الخلق والنتيجة والخلاصة التي تحتوي في ذاتها كلَّ شُعَبِ الوجود.

وهكذا فإن فتح الله كُولُنْ الناظر إلى الإنسان من هذه الزاوية الوجودية يرى أنه لا يمكن إنتاج فلسفة ولا الوصول إلى العلوم ما لم

يوضع الإنسان في الحسبان، ويبدو أنه يُقيّم الإنسان ويعتبره موجوداً يصعب فهمه بكل جوانبه نظراً لموقعه ومكانته عالية الخصوصية بين الموجودات؛ إذ توجد فيه جميع العوالم والموجودات المخلوقة بكل خلاصتها وماهياتها الخاصة، ولذا فإن فهم الوجود ينبع -في رأيي- من التعرف على الإنسان أو فهمه، والأمر لا يقف عند هذا؛ ففهم الإنسان هو الوظيفة الأولى بالنسبة للإنسان نفسه؛ ذلك لأنه يُمثّل في الوقت ذاته النافذة المنفتحة على التعرف على الخالق، وهنا يصل فتح الله كَوْلَن إلى هذا الحكم:

"الوظيفة الأولى للإنسان هي اكتشاف نفسه وتعرّفه عليها، ثم التوجّه إلى ربّه بعد وضوح ماهية نفسه أمام عينيه، أما الذين لا يتعرّفون على ماهية أنفسهم ولا يدركونها ولا يستطيعون تأسيس علاقة مع خالقهم الجليل... هؤلاء من ذوي الحفظ النكدة، يمرون بهذه الدنيا ويفارقونها وهم لا يعرفون قيمة الكنز الذي يحملونه بين جوانحهم كما يُمّرُ الحَمّالون الذين لا يعرفون قيمة ما يحملون من كنوز" (٢٧٧).

### ماهية الإنسان وسماته وبنيتة الخاصة بذاته

يحاول فتح الله كَوْلَن دراسة الإنسان بجوانبه المُشكّلة له والخاصة به؛ إذ إنَّ أوّل أمرٍ مُلفتٍ للانتباه في الإنسان يُفصّح عن نفسه بمجرد مجيئه الدنيا؛ فبينما كلُّ كائن حيٍّ غير الإنسان حينما يأتي الدنيا يأتيها وكأنه ربّي ونشئ في عالمٍ آخر؛ فيطأ الدنيا وكأنه على معرفة بقوانين الحياة، يظهر هو -أي الإنسان- أمامنا وكأنه محرومٌ من الوظائف والمهام الضرورية للحياة، برغم كونه أكثر المخلوقات تقديراً وإجلالاً وتبجيلاً، وهنا يتشكّل كلُّ شيءٍ يتجاوز نظام وجوده الحيواني الذاتي في ظلّ العقل والذهن والإرادة

والحرية والحسّ والمراقبة الداخلية؛ فيصل بهذه الصورة إلى تكامله الداخلي والخارجي، ويصل أيضًا إلى ذاتية كُنْهه عبرَ هذا الطريق فحسب<sup>(٢٧٨)</sup>.

وثمّة أمرٌ آخر مهمّ لدى الإنسان يلفت الانتباه إليه ألا وهو العقل؛ حيث يتناوله كُولُنُ في إطار تعريف الفلسفة فيقول:

"العقل مَلَكةٌ تستخرج الأحوال الخاصة مما هو عام انطلاقًا من القوانين والمبادئ".

ويرى أن "العقل الفَعَال" بصفة خاصّة هو الأساس في الاختلاف بين ماهية الإنسان والحيوان، وهذا نعمةٌ خاصة بالإنسانية، ويردف قائلاً:

"الإنسان مطالبٌ بأن يُنَوِّي ويُبرز هذا الفرق الجوهرى بينه وبين الحيوان".

ثم يقف عند نقطةٍ مهمّةٍ حقًا فيقول:

"يصبح العقل شريانًا رئيسًا بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، ثم ما يلبث أن يتخذ هويّةً مختلفةً تمامًا حين يتحد مع "الوجدان"، إن الوجدان أيضًا يصبح من الناحية العملية كذلك "عقلًا" يحكّم ويحدّد حركتنا واتجاهنا، والغاية المثلى والمثالية الأسمى في تفكير العقل وأدائه وظيفته وواجبه هي الوصول إلى معرفة الله تعالى، والعقلُ أو الذهنُ الواصلُ إلى هذه المعرفة قد وصل إلى الكمال ودخل في حيزِ التكليفات الوجدانية"<sup>(٢٧٩)</sup>.

ويرى كُولُنُ أنّ حرية الإنسان تُمثّل إحدى السمات التي تُشكّلُه؛ أي اختياره حركاته وأفعاله وامتلاكه "استقلاليةً" عبر عقلٍ مفكّرٍ وفَعَالٍ؛ حيث يرتقي الإنسان في ظلّه إلى ما فوق الطبيعة كلّها بأحيائها وجماداتها،

(٢٧٨) فتح الله كُولُنُ: سلسلة العصر والجيل-١: العصر والجيل، مقال "تقدير الإنسان (Insani Yükseltme)"،

ص ٤٩، [مجلة "بزنّتي"، يوليو/تموز (١٩٧٩م)].

(٢٧٩) المصدر السابق، ص ٥٠.

ويكتسب القدرة على التحكم في حركاته ومحاسبة نفسه؛ فالحرية النابعة من إرادة الإنسان، أي إنَّ هذا الجانب الاختياري في الإنسان المتحرِّر من قيود الجبرية التي تتخطَّاه؛ في إطار "الطبيعة" التي تسيطر عليها جبرية قسرية، هذه الخصوصية البعيدة عما في الطبيعة من قوانين تضع الإنسان في مواجهة مع سلسلة من المبادئ الأخلاقية، علاوة على أنها تجعل الإنسان مخاطباً ومؤهلاً "لعالم سام رفيع"، وتضعه في مكانة تمكِّنه من الوفاء بمسؤوليات هذا الوضع، ومن التمييز بين الخير والشر عبر التلقين الخارجي والمشاهدة الداخلية، ثم تفتح المفاهيم والمعاني المتعلقة بالعالم الخارجي منافذ إلى ما وراء عالم الممكنات حيث تجد صداها في الوجدان على هيئة حُزَم نورانية، وتثبت صحتها؛ فيشعر الإنسان في هذه المرحلة أنه يترقى مباشرةً من الأبعاد المكانية التي يعيش فيها نحو الآفاق العُلَى<sup>(٢٨٠)</sup>.

ويعدُّ فتح الله كَوْلُنُ الفكرِ سمةً أخرى من أهم السمات الإنسانية؛ فيرى أن الإنسان مخلوقٌ متشكِّلٌ وفقاً لعالمه الفكري الخاص فيقول:

"إن الإنسان مرشَّحٌ ومهيأٌ بقدر طريقة تفكيره وبحسبها لأن يكون على قدر استعداد، وطالما استمرت نظرتُه إلى الأشياء والحوادث وفقاً لفكرةٍ معيَّنة يكتسب من حيث بنيته الشخصية والروحية - وبشكل تدريجي - هويةً وفق منهج تلك الفكرة التي يحملها".

ويرى أنه أيًّا كان ما يمثله التراب والهواء والمطر والشمس بالنسبة لبذرة دُفِنَتْ في باطن الأرض؛ فإن النية والرغبة الخالصة والفكر أيضاً طلبٌ سامٌ ونبيلٌ، أي إنَّ الاشتياق يعني الشيء نفسه بالنسبة للاستعدادات المكونة في الإنسان، أي القابليات والملكات المفطورة الكامنة فيه،

والنية والفكر - بحسب رأيه هو أيضًا- تطلّع بدورها بالدرجة نفسها في تطوُّر وتنامي الأخلاق الحسنة والشخصية لدى الإنسان؛ فالروح السامية والبيّسات الكاملة تنبع من الأفكار الحسنة والنيات الطيبة؛ إذ إنّ الفكرة بذرة، وتصرفاتنا براعمها، وأفراحنا وأتراحنا ثمارها، وكما قال الشاعر:

كُنْ جميلاً ترى الوجودَ جميلاً

فمن يفكر تفكيراً طيباً تخضوضُ في روحه بذورُ الأشياء الطيبة، وتعيش في جنان فؤاده<sup>(٢٨١)</sup>.

وهكذا يلفت فتح الله كولن الانتباه إلى العناصر التي تُميّز الإنسان، ويسوق للتأمل والتدبر فرقاً آخر مهمّاً يفصل بينه وبين الحيوان؛ فيقول:

"كل مخلوق غير الإنسان يُستركض وراء منفعة الخاصة ومصالحته الشخصية وتوازن الكون؛ إلا أن الإنسان ينشد معنى وروحاً تتجاوز ذاته والوجود كله والعوالم أجمع على حدٍ سواء، الحيوانات ليس لديها شعور بالدين، ولا هم أخلاقي، ولا نضال من أجل الفضيلة، ولا سعي من أجل الفن، بينما الإنسان هو الضيف الأوحده لهذه القصور الزمردية المنفتحة على مشاعره. أجل، إنه المخلوق الوحيد الذي ولد توأماً للدين ومقروناً به، وحوِّط بالأخلاق ولُفّ بها، ووقّف عمره لتبّع الفضيلة وطلبها، وعبّر عن نفسه بواسطة الفن، علاوة على أنه موجود مجهّز بالمشاعر السامية الرفيعة، مستعدّ ومؤهل للفضيلة، عاشق للأبدية والخلود؛ فثمة مناخ يشبه قوس ألوان الطيف تكوّن فكرة الأبدية، وعشق الجمال والشعور بالفضيلة مكنون وموجود حتى في روح من يبدو وكأنه أبأس وأتعس إنسان، وكل صوت ونفيس، وكل لون وخط، وكل شكل وصورة بدءاً من الآثار البسيطة التي يصنعها

(٢٨١) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل - ٣: "نحو الجنة المفقودة"، مقال "الإنسان في حلزون الفكر (Düşünce Helezonda İnsan)"، ص ٣٢، [مجلة "بزنيتي"، ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٤م)].

الإنسان ويكونُها وصولاً إلى الخوارق الفئّية التي تبلغ الخلود  
بفضل المعاني والقيم التي تعبر عنها هي أطياّف خاصّة به تساب  
من جوهره الفطريّ وتفويض من أعماقه<sup>(٢٨٢)</sup>.

### الإنسانية الحقّة والتربية

إنّ الإنسان خُلِقَ خليفةً للخالقِ تعالى، وسيّداً وحاكماً لكلِّ شيءٍ في  
الوجود؛ أي إنه يتعرّف على بيئته في الأرض، ويستقرئ الكون، ولكنه لا  
يتعالى على غيره بما أسّسه من العلوم بهذه الطريقة، ولا يُحقّق منفعة  
ورغباته الشخصية، بل سيتدخّل -وفي إطار ما سمح الله تعالى له به-  
في الطبيعة لإعمارها، وسيعمر الدنيا، ويحقّق العدالة، وسيخطّط أفكاره  
ومشاعره ويُربّتها بإيمانه مدى العمر، ويُنظّم حياته الشخصية والاجتماعية،  
ويوازن بين معاملاته العامة وعلاقته الأسريّة والمجتمعيّة، ويُعلي راية  
نوعه البشري في كل مكانٍ بدءاً من أعماق الأرض وصولاً إلى فضاءات  
السماء، ويسعى للوفاء بحقوق إرادته، سيسعى لذلك؛ فيحافظ على  
التناغم بينه وبين الوجود حيث يعمر البسيطة، ويستعين بثروات السماء  
والأرض، ويسعى لجعل لون الحياة وشكلها ولهجتها إنسانية المستوى  
في دائرة أوامر الخالق وحدود ما يسمح به تعالى<sup>(٢٨٣)</sup>.

لقد خلق الله تعالى كلّ واحدةٍ من الأوصاف التي استلزمته تلك  
المرتبة الرفيعة في صورة نواة في عجينٍ أو ترابٍ خُلِقَ الإنسان الذي  
أرسله إلى الدنيا مُكلّفاً بوظيفة مهمّة على هذا النحو؛ فقد اصطفاه الله،  
وجعلهُ مرآته اللامعة، وجوهر الكون أجمع، وأرسله إلى هذا العالم

(٢٨٢) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل-٥: "أيام تنفّس أنساما ربيعية"، مقال "الإنسان بأعماقه الداخلية (Kendi

Derinlikleriyle İnsan"، ص ١٥٦-١٦٤، [مجلة "ميزنئي"، ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٤م)].

(٢٨٣) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل-٧: "أفق يلوح منه النور"، مقال "الإنسان بمكانته ومسؤولياته (Yeri ve

Sorumluluklariyla İnsan)"، ص ١٤٠-١٤٧، [مجلة "ميزنئي"، أبريل/نيسان (١٩٩٩م)].

عبدًا له ﷻ وقد منحه القدرة على اكتشاف ما في روح الكائنات من أسرار، وإظهار ما في باطن الأرض من قوَّةٍ وقُدرةٍ وإمكانيَّاتٍ كامنة، كما منحه الحقُّ لأنَّ يكون ممثلًا واعيًا مدرِّكًا لصفاته الخاصة "العلم والإرادة والقدرة" مستخدمًا كلَّ شيءٍ في محلِّه حتى لا يعوقه أيُّ شيءٍ أو مانعٍ بينما يتدخَّلُ في الوجود ويؤدِّي وظيفةَ الخِلافةِ فيه، وحتى لا يعيش أيَّةً تناقضاتٍ في علاقاته بالأشياء، وحتى يتمكن أيضًا من التجوال في ممرَّاتِ الحوادث ودهاليزها، ولا يُشَقُّ عليه اكتشاف الملكات المفطورة والمكنونة في طبيعته، ولا يعلِّقُ بأية موانع وعراقيل غير متوقَّعةٍ عند تحقيقه رغباته وآماله الممتدة نحو الأبد.

ونشوء هذه البذور ونموها واستحالتها شجرةً مُثمرةً ظاهرةً، ومن ثمَّ حصول الإنسان على وجودٍ جديدٍ مكتسبًا سمةً رفيعةً كهذه مرتبطٌ ومرهونٌ بتفكيره بانتظام، وعمله على الدوام، وتعمُّقه في حياته القلبية والروحية دون توقُّفٍ ولا انقسام، ولا تتكشفُ هذه الملكات التي هي عبارةٌ عن نيَّةٍ بداخله ورمزٌ مكنونٌ ليُصْبِحَ رجلَ المستقبلِ العظيمِ إلا بالتربية والتعليم، وتكتسبُ أبعادًا بالمشاهدة الداخلية والمراقبة، أما إطلاقُ العنانِ لغرائزِهِ وتركها دون رقابةٍ أو قيودٍ فمعناه تركُ نواةٍ أو مجموعةٍ من النواي مؤهَّلةٍ لأن تُصْبِحَ أكملَ وأتمَّ شيءٍ -تركها- في حالةٍ هي الأكثرُ دناءةً وانحطاطًا وإشفاقًا.

ووفقًا لـ "كولن" فلا يكون الإنسان إنسانًا إلا بسعة روحه وعمق قلبه وصفاء وجدانه، وقد عجز دارسو الإنسان بعقله وشعوره وما دون وعيه وإحساساته الحيوانية أو ميوله الاجتماعية فحسب أن يقولوا شيئًا بشأن جوهره، ولم يستطيعوا الكشف عن أيِّ شيءٍ مهمٍّ وحقيقيٍّ، وناهيك عن إمكانيَّة قولِهِم أو كشفِهِم شيئًا فقد زادوا الأمرُ إبهامًا وغموضًا،

حتى صار الإنسان وكأنه أعجوبة، والواقع أن في ماهيته جواهر تفوق عقله وشعوره ووعيه الداخلي وميوله الاجتماعية ويوجهها جميعاً؛ وهو يمتلك دينامية داخلية يستطيع بواسطتها -إن أراد- تخطي العوالم كلها طالما أن القدر قد هيأ له الأمر؛ فإن استطاع توجيه تلك القوة والإمكانات الساحرة الملعونة الموجودة في جوهره إلى المصدر الحقيقي لجميع هذه القوى والطاقات والإمكانات تفوق على نفسه في هذه الحالة، وتخطى الفناء وأكسب جميع أجزاء الوجود التافهة التنته المتحللة المتفرقة معنى ومهيةً أسمى، وجعلها مرشحةً للخلود والبقاء.

وهكذا فإن التربية والتعليم اللازمين للإنسان لا بد وأن يحولاً دون انفصامه عن إنسانيته وغايته المنشودة تأثراً بميوله وشهواته الحيوانية؛ لا بد أن يكون تعليماً يُحدّد أطر حركاته وفعالياته ويرسمها ويمنع تعطله وتحلله وتهاويه، ويستكشف في الوقت نفسه الملكات التي جاء الإنسان إلى الدنيا مقروناً بها، ويساعد على ظهور الطاقة الكامنة المركوزة في روحه؛ إذ إن الخير والجمال يكمنان دائماً في روح الإنسان بخلاف نوى الشر والقبح، بل إن أشياء كالغضب والانتقام هي -من ناحية- بمثابة مشجرة لمظاهر غير مباشرة من الجمال، إلا أنه ينبغي ألا ننسى أن قدرة الإنسان على أن يكون إنساناً بمعنى الكلمة تعتمد على التربية؛ تربية تجعل العقل والإرادة والمشاهدة الداخلية تؤدي جميع وظائفها، تماماً مثلما أن الجمال المشاهد في كل شيء -إيجابياً كان أو سلبياً- يكون نتيجة التربية والتهذيب.

### سعادة الإنسان

ويرى فتح الله كولن أن سعادة الإنسان تكمن في تحليه بالفضيلة؛ لأن الفضيلة في الأساس اسم للنظر إلى الوجود أجمع بأسمى الأخلاق

بمحبّةٍ وموَدّةٍ، والإنسان الفاضل على صلةٍ بالوجود والأشياء كلّها، والأحداث في نظر مثل هذا الإنسان مهما كانت حالكةً وسيئةً في الظاهر، ومهما حَزَنَ لبعضها بحسب طبيعة وظيفته وواجبه، بل ومهما شعر بالقهر فإنّها تُهَبُّ وتمرُّ مرَّ النسائم الشارحة الروح في مناخ ربيعيٍّ، إنه في سيل الزمان والأشياء الجارية المتدفّقة دائماً يشاهد مناظر جديدة؛ فتستيقظ مشاعرُ السعادة في روحه تأثراً بهذه المشاهدة.

ويرى أنّ التحلّي بالفضيلة لا يعني التخلّي والانسلاخ التام من الرغبات البشرية، بل إنه يرى أنّ فهمًا للفضيلة كهذا الذي يفصم الإنسان عن العالم الذي يعيش فيه فهمٌ سوداويٌّ، ومصدرٌ للتشاؤم، ويعني "هلاك السعادة" على حدِّ قول "إيبسن (Ibsen)"، وتدُلُّ هذه النوعية من المخاوف المُفرطة وغير المنطقية في الوقت نفسه على تفكير الفرد في نفسه فحسب وارتباطه بها، وحرمانه من مشاعر النُبُل والشجاعة، ومثل هذا الفكر يكشف عن إساءته فهم الحياة الأخلاقية، وخُلُوه من مزايا العيش بالنسبة للآخرين.

والفضيلة -التي مصدرها الإيمان- تعني الحبَّ والعشقَ والشفقةَ والأخوةَ والصدقةَ، بالإضافة إلى التصدّي للظلم وعدم الخيانة، والابتعاد عن أفكارٍ كالانتقام والحقد والكراهة والحسد، ومن هذه الناحية فإنّ الإنسان الفاضل يشعر في محيطه بهبوب نسمةٍ مركّبةٍ من الاحترام والحبِّ الدائم؛ فيعيش في متعٍ لا نهائيةٍ وبحرٍ من المحبّة لا حدودَ له بفضل النُبُل الذي تفرضه هذه الأخلاق وبفضل الحبِّ والعلاقة والمودّة التي يشعر بها نحو عائلته ووطنه وأمتّه، بل ونحو الوجود كله؛ فيرتشف مُتَعِ الجنة ولَمّا يدخلها بعد، هذه المتع هي متعةُ مشاركة الآخرين أفراحهم، ومتعةُ الإحساس بطعمها في الروح، ومتعةُ مواجهة آلامهم ومخاوفهم، ومتعةُ تمهيد الطرق المؤدّية إلى السعادة، وبهذا الشكل وعبر الاهتمام بالإنسانية

والكون أجمع والتلاحم معهما يصل القلب إلى السعادة الأبدية ولا يزال في الدنيا، ويبلغ أبعاداً يستحيل أن تخلُّ بها الأحداث الدنيوية<sup>(٢٨٤)</sup>.

### حقوق الإنسان وفلسفة حبِّ الإنسانية

معروفٌ أنَّ "حقوقَ الإنسان" مصطلحٌ بدأ استخدامه في الساحة العالمية عقبَ الحربِ العالمية الثانية، وقضيةٌ منَ الذي أدخل هذا المصطلحَ في قواميسنا القانونية والأخلاقية؟ وهل هناك حقًّا دولةٌ في العالم تُقدِّرُ حقوقَ الإنسان؟ قضيةٌ يطولُ الحديثُ فيها، ومع هذا فإنه يُمكنُ اعتبارُ الحديثِ عن حقوقِ الإنسان في العالمِ مرحلةً من مراحل الإنسانية، ولو كان ذلك بشكلٍ نظريٍّ وكمصطلحٍ فحسب، وفي مقابل هذا نجد الإسلامَ ضمَّنَ بممارساتِ الرسول ﷺ وبالتطبيقات القرآنية ذاتها الأمورَ المتعارفَ عليها اليوم باسم حقوقِ الإنسان الأساسية، حتى إنَّ العلماءَ توصَّلوا إلى أنَّ الفقهَ الإسلاميَّ موجَّهٌ لحماية خمسة حقوق أساسية هي: الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وهي ما تسمى في علم الأصول بالكلليات الخمس أو الضروريات.

وهكذا يتناول فتح الله كُولُنْ قضيةَ حقوقِ الإنسان من هذه الزاوية فيقول:

"الإسلامُ دينٌ عالميٌّ حمى جميعَ الحقوق وضمَّنها؛ إذ إنَّ منظورَ الإسلامِ ووجهةَ نظره الواسعة في موضوع الحقوق تكفلُ لكلِّ البشْرِ بل والحيواناتِ حقوقهم على أتمِّ وجهٍ.  
فالقرآن الكريم يُعدُّ قتلَ الإنسان جريمةً ضدَّ الإنسانية جمعاء، إذ القرآن يقول: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي

(٢٨٤) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل-٢: الإنسان في دوامة الأزمات، مقال "الفضائل والسعادة" (Fazilet ve

Mutluluk)، ص ٣٢-٣٦، مجلة "سيزنئي"، يونيو/حزيران (١٩٨٢م).

الأرضِ فَكَأَنَّهَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢/٥﴾ (سورة المائدة: ٣٢/٥)، وليس من الممكن العثور على مثل هذا النوع من الحساسية والدقة في هذا الشأن في دين آخر غير الإسلام، ولا في نظام قانوني على الإطلاق، وكما بيّن سيدنا رسول الله ﷺ في أحاديثه الصحيحة يكون الإنسان شهيداً إن مات دفاعاً عن نفسه وماله وعرضه ودينه وعقله، وقد عُدَّ النضال في سبيل هذه الحقوق جهاداً.

وينظر الإسلام إلى حقوق الإنسان من نافذة هذه المبادئ الأساسية، ويكلف كل فرد بالحفاظ عليها والدفاع عنها، فضلاً عن أن الإنسان خطي في الدين الإسلامي بلقب "خليفة الله في الأرض"، وقد أُذِن له -في ظل هذه المرتبة السامية الموهوبة له- بالتدخل في الأشياء ومُنِحَ له قدرة على ذلك، أضف إلى ذلك أن الإنسان شرف بحريّات كحريّة حماية نفسه ونوعه وحريّة العمل والمبادرة والمحاولة؛ لدرجة أنه تستحيل معارضة الإسلام بما أتت به الأنظمة الأخرى من مبادئ في هذا الشأن، كما يستحيل العثور على أي جانب سلبي فيما جاء به<sup>(٢٨٥)</sup>.

إن فتح الله كولن إذ ينظر إلى حقوق الإنسان من منظور إسلامي على هذا النحو يتناول فلسفة حب الإنسانية -التي تُشكّل أحد المواضيع الأكثر طرحاً حول العالم منذ قرن من الزمان- أكثر ما يتناوله في إطار حب الإنسان، وبينما يُبيّن أن احترام الإنسان درس دراساتٍ عاديةً مبتدئة في يومنا؛ يلفت الانتباه إلى أن بعض القوى استغلّت هذا المصطلح واستفادت منه لصالح أفكارها ومعتقداتها ومصالحها القومية الخاصة بها، وعندما يتطرق إلى حب الإنسان ارتباطاً باحترام الإنسان يقول:

(٢٨٥) "فُذِرَتْ أُنَالٌ (Kudret Ünäl) و"مُلْجُوْفٌ جَامِعِي (Selçuk Camcı)": "مناخ التسامح والحوار في أحاديث فتح الله كولن وكتاباته (Fethullah Gülen'in Sohbetlerinde ve Yazılarında Hoşgörü ve Diyalog İklimi)", "مَرْكُورُ يَابَنْلَرِي (Merkür Yayınları)", [إسطنبول (١٩٩٩م)]، (باللغة التركية)، ص ٢٢٣-٢٢٦.

"الحبُّ هو الوردَةُ النَّصْرَةُ في عالمنا القائم على الإيمان والقلب، وقد نسجَ الحقُّ تعالى الكونَ كشرِيطَةٍ زينةٍ على أوشحةِ المحبَّة، والحبُّ هو الموسيقى الأكثرُ ترنُّمًا وتغيُّبًا يتردَّدُ في صدر الوجود بأداءٍ ساحرٍ أحاذٍ على نحو دائمٍ، وعلاقةُ المحبَّة هي أقوى العلائق بين الأفراد الذين يُشكِّلون الأُسْرَ والمجتمعات والأُمم، ويتجلَّى الحبُّ في صورة الرحمة والشفقة من الأبوين إلى الأولاد، وفي صورة الاحترام من الأولاد إلى الوالدين، أما الحبُّ العالميُّ فيكشف عن نفسه في صورة التعاون والتعاقد من قِبَل الوجود أجمع لصالح كُلِّ جزءٍ وذرةٍ في الوجود".

وفي مقابل سيطرة نوع من الحبِّ اللاإرادي -المستمدِّ مصدره من محبة الخالق للمخلوق- على عالم الوجود كله، باستثناء المجال الإنساني؛ يشترك الإنسان بإرادته الخاصة في سيمفونية الحب الكامنة في الوجود هذه، أي إنَّ الإنسان ينبغي له أن ينمي بذرَةَ المحبة الكامنة في فطرته وطبيعته، ويقضي حياته في ظلالها؛ فينأى بهذا الشكل عن مشاعرِ كالحقد والغضب والحسد، وفي هذا الموضوع يذكر كُولْن أمثلةً من التضحيات الملحمية التي بذلها المسلمون -في تلك الفترات التي فهم فيها الإسلام حقَّ الفهم- كي ينعم الآخرون بالسعادة والراحة الأبدية ولا سيما النجاة في الآخرة<sup>(٢٨٦)</sup>.

ويؤكد فتح الله كُولْن على مدى عمق فكرة وملاحظة الحبِّ في إطار مبادئ الإسلام العالمية، وهي فكرة متوازنة جدًّا، أي إنَّ الإسلام مع وقوفه التام إلى جانب المظلوم يدعو إلى الرحمة بالظالم أيضًا وهي تتمثل في خلاصه من الظلم كما ورد في أحد الأحاديث النبوية الشريفة<sup>(٢٨٧)</sup>.

(٢٨٦) المصدر السابق، ص ٢١٨-٢٢٢.

(٢٨٧) فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"، قالوا: يا رسول الله، هَذَا نُنْصِرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نُنْصِرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ". (صحيح البخاري، المظالم والغضب، ٥،) [ومعنى "تأخذ فوق يديه" تمنعه من الظلم].

### المرأة ومكانتها في المجتمع

إنَّ عدَّ موضوع المرأة مشكلةً في عصرنا متعلِّقٌ في الأساس بتّارات الأيديولوجية النسوية التي نشأت كردّ فعلٍ على النظرة الغربية إلى المرأة في العصور الوسطى، وتطوّرت تزامناً مع إخلال الحروب العالمية ببنية الأسرة والمجتمع الأوروبي في عصرنا، وقد ظهرت هذه المسألة باعتبارها مشكلةً حديثةً كواحدةٍ من مشاكل المجتمع الحديث، ومن ثمّ انتقلت إلينا نحن أيضاً.

وبالنظر إلى أنّ فتح الله كُولن شخصيّة حسّاسة نذّر نفسه وكرّسها في سبيل خدمة الآخرين يمكن تشبيهه بـ"القلب الحنون للأمّ"؛ أيّ إنه يتمثّل شفقة أكثر الأمهات حناناً؛ ولذلك فربما أن شوقه وتوقّه الداخلي ودموعه وعطفه ورحمته وعيشه لأجل الآخرين... كل ذلك يساوي ويعادل روح الأمّ، وحين ينظر إلى المرأة من هذه النافذة بالدرجة الأولى؛ فينظر إليها كوردة حسّاسة تخضّبت باللون الأحمر بسبب معاناتها وهي تبتّ الرحمة والعطف والعبقّ للآخرين في إطار تكريسها نفسها من أجل أولادها بينما هي تذبذب وتشحب<sup>(٢٨٨)</sup>.

ليس من طبيعة القيمة الحقيقيّة للإنسان أن تتآكل في أيّ وقتٍ قطّ مع مرور الزمن؛ فتخالط التراب في نهاية أمرها، وما يُشكّل هوية الإنسان الحقيقيّة وما لا يفنى بفناء بدنه في التراب إنما يكمن في روحه وشخصيّته وفيما يتحلّى ويتّصفُ به من فضائل؛ ولذلك فإن ما يُكسبُ المرأة قيمتها الحقيقيّة ليس اختلافها البدنيّ، ولا جسدها ونوعها، وإنما القيم التي تحملها، ويُعبّرُ فتح الله كُولن عن هذا بكلماته الآتية التي تُشبه الحكَم:

- إن عمق عالم المرأة الداخليّ وعفتها ووقارها هو ما يرفعها إلى مستوى أعلى من الملائكة وأعلى من الماس.

- المرأة الصالحة هي تلك التي تصدُر الحكمة من فَمِهَا، واللطافة والرِّقَّة من روجها، وتبثُّ بتصرُّفاتِها الاحترام والتوقير فيمن حولها.
- مع أن المرأة التي لم تُوسَّع ملكاتها الروحية مع نموِّ جسدها تبدو كزهرة تُزَيَّنُ الرُّوسَ مدَّة من الزمان، إلا أنها سرعان ما تذبل ذبول أوراق الخريف؛ فتسقط على الأرض وتدوسها الأقدام، فما أفجعها من نهاية بالنسبة للذين ضلُّوا طريقهم؛ فلم يجدوا الطريق الموصل إلى الحياة الأبدية<sup>(٢٨٩)</sup>.

### قضية المساواة بين الرجل والمرأة

يُرَكِّزُ فتح الله كَوْلُنُ في كتاباته ولقاءاته ودروسه ومواعظه بين الحين والآخر على دور المرأة في المجتمع، ويرى أن الإسلام لم يُميِّز بين الرجل والمرأة في أيِّ وقتٍ قطَّ، وفي حين يشرح خلق السيدة "حواء" من ضلع سيدنا آدم الأعوج التي تتناقلها ألسن بعض الملحدين للنقد فحسب؛ يبين أن هذا الحديث استخدم تلك العبارة للتشبيه، وأنه يدعو إلى حسن معاملة النساء وعدم استخدام الشدَّة تجاههن، ويذكرُ أن كلَّ شيءٍ خُلِقَ من زوجين اثنين في الكون، وأنه لا تفریق في القرآن الكريم بين الرجل والمرأة في موضوع الرِّفَعَةِ والتمييز؛ إذ إن الرجل والمرأة يُشكِّلان فَلَقتَي ماهية الإنسان اللتين لا تنفصلان عن بعضهما البعض ويكْمِلُ كلُّ منهما الآخر؛ ولذلك فإنه يستحيل الحديث عن وجود تفاضلٍ مطلق بين الرجل والمرأة خلقه.

وإلى جانب هذه الحقيقة الأساسية يُشير فتح الله كَوْلُنُ إلى نقطةٍ أخرى مهمَّة؛ ألا وهي زَعْمُ تساوي المرأة والرجل، فيرى أن مساواةً بمعنى اعتبارهما شيئاً واحداً، وأنهما عينٌ بعضهما دون إظهار أيِّ فرق، وأنهما

يتمتعان بنفس الطبيعة والقيمة والأبعاد والماهية؛ يستحيل أن تكون واردة بين الرجل والمرأة أو بين رجلين أو بين امرأتين؛ لأن كل فرد من الناس يُمَثَلُ نوعًا معيَّنًا بالنسبة لغيره من الموجودات؛ له سمائه وعالمه الخاص به؛ ولذلك فإنه يستحيل الحديث عن مساواة بالمعنى المُطْلَقِ بين الناس.

ويستجَلُّ كَوَلْنُ هذه القاعدة الحَقَّةَ أوَّلًا في قضيَّة تساوي الرجل والمرأة، ثم يبين انطلاقًا من قول الحق تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الذَّارِيَاتِ: ٤٩/٥١) أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خُلِقَ زَوْجَيْنِ بَدَأًا مِنَ الذَّرَاتِ إِلَى النَبَاتَاتِ وَمِنْهَا إِلَى الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَشَرِ، أَي خُلِقَ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَأَنَّ كُلَّ زَوْجٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ فِي هَذِهِ الْخَلْقَةِ بِمِثَابَةِ مَكْمَلٍ وَمَتَمِّمٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ، إِذْ يُكْمَلُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ فِي الْعَيْشِ وَتَأْمِينِ سُبُلِ الْحَيَاةِ؛ فَيَعِينَانِ وَيَسَانِدَانِ بَعْضُهُمَا؛ فَالْمَوْجِبُ مَحْتَاجٌ لِلْسَالِبِ، وَالْإِلِكْتِرُونُ مَفْتَقِرٌ لِلْبَرُوتُونِ، وَاللَّيْلُ لِلنَّهَارِ، وَالْمَرْأَةُ لِلرَّجُلِ، وَكَمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ نَاقِصٌ؛ فَلَيْسَ ثَمَّةَ شَيْءٍ لَدَيْهِ الْقُدْرَةُ وَالْكَفَايَةُ عَلَى مِوَاصِلَةِ بَقَائِهِ وَوُجُودِهِ بِمَفْرَدِهِ وَبِمَعزَلٍ عَنْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ النَاقِصِينَ يَجْتَمَعَانِ فَيُكْمَلَانِ بَعْضُهُمَا، فَيَشْكِلَانِ كُلًّا وَاحِدًا.

ولذا فإنَّ الزوجين ليسا "بِذَيْنِ" ولا "مِثْنَيْنِ" مساويين لبعضهما، وإنَّما هما زوجان شطران مكملان لبعضهما البعض، ولا يكون أحد هذين الشطرين عين الآخر في أيِّ وقتٍ أبدًا؛ فثَمَّةُ كَمِّ هَائِلٌ مِنَ الْفُرُوقِ الْفِيْزِيَاءِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ بَيْنَهُمَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الرَّجُلَ أَكْثَرُ تَطَوُّرًا مِنَ الْمَرْأَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْبِيُولُوجِيَّةِ، وَلَا أَنَّ الْمَرْأَةَ نَمُودَجٌ أَقَلُّ تَطَوُّرًا مِنَ الرَّجُلِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَكَمَا أَنَّ الْبَشَرَ لَا يَسْتَطِيعُونَ التَّدخُّلَ فِي اخْتِلَافِ النُّوعِ؛ فَعَلَى الْجَمِيعِ أَنَّ يَتَخَلَّى عَنْ خَيَالَاتِ الْمَسَاوَاةِ، وَيَتَقَبَّلُ الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ بِطَبِيعَةِ كُلِّ مِنْهُمَا.

إن فتح الله كُولُنَ الذي يَعْبُرُ عن تلك الفطرة هكذا؛ أي عن حقيقة الخَلْقِ الأساسية؛ لا يتوانى عن التحذير والتنبيه قائلاً:

"هنا لا بدّ من توضيح أن اختلاف الخلقة لدى النساء لا يقتضي استحقاقهن ولا ازدراءهن، بل العكس؛ فالحقُّ تعالى هو خالق الرجل والمرأة "في أحسن تقويم"، الهادي إياهما إلى طُرُقِ الرِّفْعَةِ والسَمَوِّ، جاعل كلِّ واحدٍ منهما متبمًا للآخرِ وستراً ووقايةً له"<sup>(٢٩٠)</sup>.

ثمّ يتناول فتح الله كُولُنَ المرأةَ والرجل في إطار وظائفهما ومهامهما في المجتمع؛ فيرى أنه نظرًا لأن المرأة ليست هي الرجل، ونظرًا لوجود فروقٍ واختلافاتٍ فيزيائيةٍ ونفسيةٍ بينها وبينه؛ فإن هذه الاختلافات ستنعكس بالتالي على مكانتها ووظيفتها في المجتمع، ومع هذا فلا بد أولاً من توضيح أن الرجل والمرأة مسؤولان بالشكلِ نفسهِ إزاء الأوامر والنواهي الدينية، وهناك بعض الاستثناءات -تقتضيها الظروف البعيدة عن ساحة التدخل الإنسانيّ- والنابعة من الخلقة والفطرة -أُغفيت المرأة في ظلّها من مجموعةٍ من المسؤوليات، أما بالنسبة لعدم تحميل المرأة بعض الأعمال الأخرى التي يضطلع بها الرجال؛ فما هذا إلا نتيجة للاختلاف الفيزيائي والنفسي لكل نوعٍ منهما عن الآخر، ولمجموعةٍ من السّمات وهبّها قدرةً الله تعالى لِكُلِّ النوعين، ولا تُكَلِّف المرأة في المجتمعات الحديثة -بما في ذلك أوروبا وأمريكا- بكلِّ أعمال الرجال؛ ومن ذلك على سبيل المثال نُدرةً أن تكون المرأة حتى في الدول العظمى رئيس جمهورية أو رئيس دولة؛ ولم يحدث أن تولّت امرأة منصبَ رئيس الأركان، أو قائد القوات المسلّحة؛ بل إنه قلٌّ أن نجد امرأة تعمل في منصب المحافظ، كما أنها لم تتولّ في أديان كاليهودية والمسيحية أيضاً منصبَ الكاردينال أو البابا أو كبير الحاخامات في أي وقت قطّ، ومن يُقَدِّمون المسألة تقدماً

مختلفاً عن حقيقتها لا يُقدِّرون المرأة قدرها أصلاً، بل على العكس إنهم يُحطُّون من قدرها الذي خصَّها به الله تعالى<sup>(٢٩١)</sup>.

وفي حين يمدح القرآن الكريم المؤمنين القائمين بمسؤولياتهم الدينيَّة والاجتماعيَّة، وعلى حين يمكن استخدام ضمائر بوسعها التعبير في آنٍ واحدٍ عن النوعين بحسب خصائص اللغة العربيَّة؛ فإنه يذكرُ النساءَ والرجالَ كلُّ على حِدَةٍ، ويشير إلى أنه لا فرقَ بين الرجال والنساء في الأمور المشار إليها؛ فَيُحَطِّمُ بذلك ويقوِّضُ ما كان سائداً في الجاهلية من قناعات في هذا الموضوع<sup>(٢٩٢)</sup>.

ويؤكِّد كَوْلُنُ دائماً على أهمية المُنزِلِ والعائلة المقدَّسين في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم؛ إذ إنهما أول ما تفتَّح عليه أعين الأجيال، وهما المكان الذي يحصلون فيه على أوَّلِ تربيَّةٍ وتعليمٍ يظلُّ مؤثِّراً فيهم مدى الحياة، كما يتكون فيهما عالمُهم فيما دون الوعي والشعور؛ إلى جانب ما يقومان به من وظائف أخرى كأنهما مأوى الأرواح ومستراحها، وساحة لأكثر المشاعر تميُّزاً مثل الحبِّ والشفقة والوفاء والصدق والترابط بين الزوجين والأم والأب والأطفال والإخوة والجدِّ والجدَّة<sup>(٢٩٣)</sup>.

ولا شك أن فتح الله كَوْلُنُ لا يرى حتميَّةً جلوس المرأة في البيت وقضائها جميع يومها في مطبخها، وإنما يبيِّن أنها تستطيع القيام بأيِّ عملٍ شريطة وضع طبيعتها وحالتها النفسية في الاعتبار، وأنَّ الإسلام ليس فيه من الأحكام ما يمنع ذلك<sup>(٢٩٤)</sup>، كما يتحدث عن الحرِّيَّة

(٢٩١) فتح الله كَوْلُنُ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٣٧-١٤١.

(٢٩٢) انظر: سورة النساء: ٤/١٢٤؛ سورة الأحزاب: ٣٣/٣٥.

(٢٩٣) فتح الله كَوْلُنُ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٤٨.

(٢٩٤) حوار صحفي مع "نورية أفمان" (Nuriye Akman)، صحيفة "صباح" (Sabah) التركية، ٢٣ يناير (١٩٩٥م).

الاقتصادية التي مَنَحَهَا الإسلامُ لها<sup>(٢٩٥)</sup>، ولا يكتفي بهذا بل يقول: "ليست المرأة آنيةً ملطَّحةً ولا قطعة معدن رخيص، ومحلُّها ليس محل الأواني الوسخة والمعادن الرخيصة؛ فهي جوهرة نادرة، لذا يجب أن تُصان في علبة جواهر مرصعة بالصدف"<sup>(٢٩٦)</sup>، مُنبِّهًا إلى أنَّ وظيفة المرأةِ الأولى ليست هي عمل المطبخ؛ إذ يرى أن مهمَّة المرأة بالدرجة الأولى هي تعليم الأجيال وتربيتها وإرشادها<sup>(٢٩٧)</sup>.

وفي حين يتحدَّثُ فتحُ الله كُولُنْ عن مكانة المرأة في الإسلام؛ يطرُحُ للنظر أيضًا الثورات والتغييرات العظيمة والجذرية التي أحدثها الإسلام فيما يتعلَّقُ بحقوقها<sup>(٢٩٨)</sup>.

(٢٩٥) حوار صحفي مع "أوزجان أرجان (Özcan Ercan)" صحيفة "مليت (Milliyet)" التركية، ٢١ يناير (١٩٩٨م).

(٢٩٦) فتحُ الله كُولُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٤٠.

(٢٩٧) المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٢٩٨) مجلة "يُغْمُوز"، أبريل/نيسان-يونيو/حزيران (٢٠٠٠م).

## الثقافة والفن والأدب والموسيقى والسينما والمسرح

ربما يعرف البعض فتح الله كُولَنْ رجل حركة وعمل وتربية وتسامح وحوار فحسب، والبعض الآخر يعرفه إمامًا وخطيبًا وواعظًا، وغيرهم يعرفه عالمًا؛ إذ إنه قلَّ ونزَرَ مَنْ وَقَفَ على جوانبه الثلاثة التي حاولنا الوقوف على أحدها في الفصل السابق؛ وهو جانب تربية النفس، أما الجانب الثاني من جوانبه فهو ما سنحاول الوقوف عليه بعض الشيء في الفصل اللاحق؛ ألا وهو جانب "كن بين الناس فردًا من الناس"، وأما الجانب الثالث فهو كلامه وأسلوبه في الكتابة.

### الكلمة والفكر واحترام الفكر

يهتمُّ فتح الله كُولَنْ بالكلمة والقلم، أو قل: بالفكر والفن والأدب والثقافة أيما اهتمام، ويبيِّن أن الخلق الأول بدأ بكلمة "كُن" المكوَّنة من حرفين اثنين أُلقيت في صدر العدم، ويلفتُ الانتباه إلى أن الطُّرُق الممتدَّة من الواحد إلى الكثير، ومن الوحدة إلى الكثرة ظهرت بالكلمة واستنارت بها أيضًا، ويؤكدُ على أن الكلمة ذات تأثير أكبر من كل الأسلحة، وأن من يسبر أغوارها ويفتح قلاعها فقد فتح ما لم يفتحه حتى القادة الفاتحون، وأن الأبهة التي تبلغها أعلام الكلمة لم يبلغها السلاطين. أجل، ربما يستطيع القادة والسلاطين السيطرة على القلاع وأخذ المدن إلا أن الكلمة هي المسيطرة على القلوب، "فإنَّ رؤوس حِرابِ الكلمة المنطلقة من السنة أربابها أحدٌ من سيوف المحاربين، وأرعَب من رماحهم، وقد استطاع

الحُكَمَاءُ والأَطْبَاءُ مداواة جروح السيوف والسهام، إلا أنهم لم يستطيعوا علاج جروح القول والكلام، وقد قال الرسل والأنبياء أكثر الكلام تأثيراً وأصدقته، ثم أصحاب القلوب المنفتحة على الإلهام؛ كلُّ حسب درجته، وإن رجال "الكلمة الحق" كالشموس ينيرون ما حولهم باستمرار دون أن يدروا، إنهم كالبحار يحملون في صدورهم أكثر خزائن الدنيا ثراءً وغنى دون أن يتفاخروا بذلك، ويضيئون ما حولهم كما تضيء الشمعة ما حولها في الظلام، إلا أنهم يعيشون متواضعين خجِلين يَتَلَوُّونَ أَلْمًا، وبقدر ما يتمتعون به من تواضع بين الخلق بقدر ما يكونون عليه من اليقظة والتنبه حين يكونون مع الحق؛ إنهم ينثرون الدرر والجواهر في محيطهم دون أن يدركوا؛ فلا يدركون ذلك لأنهم يركضون في عوالمهم الداخلية في إثر جواهر ماسية أنفس وأثمن وأعلى<sup>(٢٩٩)</sup>.

وكما هو واضح من هذه الجملة؛ يتحدث فتح الله كُولُنْ عن مجموعة من "رجال الكلمة" -ناهيك عن الأهمية التي يوليها إلى الكلمة نفسها بمعناها المُجرّد- أسماهم في مقالة أخرى له بـ"عَمَالِ الفِكرِ (Fikir) (İşçileri)" فـ"عَمَالِ الفِكرِ" هم من سيؤسس عالم المستقبل، وهم الذين يئنون بـ"عذاب الفكر" وتتقطع صدورهم وتتألم أصداعهم بعذابه أيضاً، يطوفون في الكون بين السماء والأرض على نحو دائم، يُكسِبُونَ أطلَسَ قلوبهم ألواناً وأبعاداً جديدةً على الدوام، يُسَمِعُونَ القلوب والأذهان رسائل شتى يتلقونها من نسَمات الرياح الهابّة، وقطرات المطر المتهاطلة، وأنواع الطيور الطائرة، وشتى أصناف الأوراق المتساقطة؛ فَيُخَلِّصُونَ الأذهانَ وَيُنقِّونَهَا من الأفكار العَفِنة، وَيُطَهِّرُونَ القلوب من الصدأ والرواسب الضارة.

(٢٩٩) فتح الله كُولُنْ: سلسلة العصر والجيل-٥: "أيام تنفس أنساناً ربيعياً (Günter Baharı Soluklarken)"، مقال "الكلمة (Söz)"، ص ٤١-٤٢، [مجلة "سيزني"، مارس/آذار (١٩٩٠م)].

## ويرى كُولُن:

- أَنَّ الْفِكْرَ فِي أَحَدِ مَعَانِيهِ هُوَ رَقَّةُ الْعَقْلِ وَتَنْوُزُهُ، وَهَنَّاكَ شَعْلَةٌ إِلَهِيَّةٌ تُنِيرُ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْعَقْلِ وَتَفْتَحُ لَهُ آفَاقًا جَدِيدَةً، فِيهِ ضَوْءٌ هَذِهِ الشَّعْلَةُ يُمْكِنُ قَطْعُ طَرِيقِ سَنَةِ فِي ظَرْفِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ... هَذِهِ الشَّعْلَةُ هِيَ الْفِكْرُ...
- إِنَّ الْفِكْرَ تَمَثَّلُ مَهْمَتُهُ فِي الْبَحْثِ عَنِ الصَّحِيحِ، وَأَنَّ عِنَايَتَهُ هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوَاهِبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَفِي مَخْتَبَرِهِ يَتِمُّ تَعْدِيلُ دَرَجَةِ صِحَّةِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَلَّمَاتِ... وَهَنَا تَكْمُنُ أَصَالَةُ الْفِكْرِ، وَهُوَ لَا يَعْنِي الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ مِنْ دُونِ تَمَحُّيصٍ وَتَدْقِيقٍ... بَلْ هُوَ جِهْدٌ مَبَارَكٌ لِلْوَصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَالتَّفْتِيْشِ عَنْهَا دَائِمًا وَفَحْصِ مَا يُظَنُّ سَلَامَتَهُ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا<sup>(٣٠٠)</sup>.

إِنَّ فَتْحَ اللَّهِ كُولُنَ الَّذِي يَنْطَرِّقُ إِلَى مَوْضُوعِ الْكَلِمَةِ وَالْفِكْرِ بِهَذَا الْقَدْرِ يَرَى "أَنَّهُمَا إِنَّمَا طَرَاؤُا وَسَمَةُ الْحَيَاةِ الْمَعَاشَةِ فِي مَجْتَمَعٍ وَالنَّاتِجَةُ مِنْ عَادَاتِ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ وَتَقَالِيدِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ وَلُغَتِهِ وَفَنِّهِ وَمَشَاعِرِهِ، وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا قِطْعَةٌ مَهْمَةٌ مِنَ الْأَسْسِ الْكَلِمَةِ لِلْمَجْتَمَعِ"، وَيَنْطَرِّقُ إِلَى مَكَانَةِ الثَّقَافَةِ فِي حَيَاةِ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ مَبِينًا "أَنَّ الثَّقَافَةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَتَشَكَّلُ مِنْ خِلَالِ التَّمَازُجِ وَالتَّفَاعُلِ بَيْنَ الدِّينِ الْحَقِيقِيِّ وَبَيْنَ الْخُلُقِ السَّامِيِّ وَالْفَضِيلَةِ فِي بَوْتَقَةِ الْعُلُومِ الْمَهْضُومَةِ جَيِّدًا..."، وَيَقُولُ أَيْضًا:

"الْأُمَّمُ الَّتِي لَمْ تَنْجَحْ فِي إِنْصَاجِ ثِقَافَتِهَا وَالْأُمَّمُ الَّتِي فَقدتْ ثِقَافَتَهَا تُشَبِّهُ الْأَشْجَارَ الْعَقِيمَةَ الَّتِي لَا تَعْطِي ثَمَارًا، أَوْ الْأَشْجَارَ الَّتِي تَسَاقَطتْ ثَمَارُهَا فَلَمْ تُعَدُّ تُنْتِجِ، وَالْمَصِيرُ الْمَحْتَمُومُ الَّذِي يَنْتَظَرُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْجَارِ هُوَ تَقْطِيعُهَا وَاحْتِطَابُهَا وَحَرْقُهَا"<sup>(٣٠١)</sup>.

(٣٠٠) فَتْحُ اللَّهِ كُولُنَ: الْمَوَازِينُ أَوْ أَسْوَءُ عَلَى الطَّرِيقِ، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣٠١) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص ٧٩-٨٠.

ووفقاً له كذلك فإنَّ خدمةَ الحياةِ الثقافيةِ مهمَّةٌ لدرجةٍ يمكن لأجلها تأخيرُ غيرها من الخدمات.

ونجدُ فتح الله كُولُنْ إذ يقول:

إنَّ جميعَ العلومِ الوضعيةِ الموجودةِ بجميعِ فروعها تقريباً في يومنا الحاضر تعتمد على المادية الغربية، أما المسلمون فقد استحال عليهم التخلُّص من التفكير الجدليِّ في هذا المجال، وأنهم لم يفعلوا شيئاً سوى محاولتهم توليفَ نظريَّةِ المعرفةِ الإسلاميةِ وتركيبها على أسس ومبادئ العلوم الغربية؛ أي إنهم لما يُطَوَّرُوا فلسفةً علميَّةً بعد.

ويلفتُ الانتباهَ إلى أنه بوسع رجال العلم المسلمين أن يطوِّروا نظريَّةَ معرفةٍ إسلاميَّةً حقيقيَّةً عبر النفوذ إلى الكون، والتعمُّق في الظواهر والحوادث الطبيعيَّةِ انطلاقاً من الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله جميعها، وأنَّ الفهمَ الإسلاميَّ العلميَّ يستندُ إلى هذا.

ولأجلِ هذا يؤكِّدُ بصفةٍ خاصَّةٍ على ضرورةِ التخلُّصِ من الفهمِ والخلفيَّةِ العلميَّةِ الراهنة.

ويؤكِّدُ كذلك على ضرورةِ إجراء دراساتٍ جديدةٍ في كلِّ فروع العلوم الإسلامية أيضاً مثل: الحديث والفقه والتفسير وعلم الكلام، ويلفتُ الانتباهَ إلى ضرورةِ مراجعةِ المصادر من جديد وإعادة تصنيفها، والمزجِ بين الحقائق القرآنية والإسلامية وبين حقائق الكون، وبتعبيرٍ أصحَّ كَشَفِ أوجهِ التطابقِ بين القرآن وبين الكون الذي هو بمثابة نسخته في ساحة الخلق، وبضرورة تناول الدين وعلم الاجتماع، والدين والعلوم الطبيعية معاً<sup>(٣٠٢)</sup>.

ويولي فتح الله كُولُن اللغةَ أَهْمِيَّةً مُستقلَّةً فيما يتعلَّقُ بمسألةِ الثقافةِ؛ إذ إنها تُشكِّلُ جانبًا من جوانبِ الثقافةِ.

ويرى كُولُن أنَّ المستقبلَ سيكونَ عصرَ العِلْمِ والبيانِ، وهذا واقعٌ ظَهَرَ أماراتُه منذ وقتٍ بعيدٍ، ومن هنا فإنَّ لِلُّغَةَ في مستقبلِ الشعوبِ أَهْمِيَّةً تساوي أَهْمِيَّةَ العِلْمِ في مستقبلِها ونهضتِها وتَبَوُّؤها مكانةً في العالمِ المتعولمِ بسرعةٍ فائقةٍ، والأمرُ لا يقفُ عندَ تعلُّمِ وتعليمِ ما هو موجودٌ بل لا بدَّ من تنميةٍ وتنشئةٍ مواهبٍ كبيرةٍ عظيمةٍ، وتحميلها مسؤولياتٍ مهمَّةٍ، ولأجلِ هذا فإنه لا بُدَّ -في أثناءِ عمليةِ إنتاجِ كلماتٍ مناسبةٍ لقواعدِ اللغةِ- من الحفاظِ على الكلماتِ والمفرداتِ المُستحدثةِ منذُ سنواتٍ والتي أَصَبَحَتْ جزءًا من اللغةِ؛ فالكلماتُ التي تبنَّاها الشعبُ عَدَّتْ كلماتِهِ وبعْدًا من أبعادِ ثراءِ لغتهِ وغناها<sup>(٣٠٣)</sup>.

### الفنُّ والأدبُ

الفنُّ في رأيِ فتح الله كُولُن هو رُوحُ الترقِّي، وهو واحدةٌ من أَهمِّ الطُّرُقِ المؤدِّيَةِ إلى انكشافِ المشاعرِ، ويُشبهُ في الوقتِ نفسه مفتاحًا سحريًّا يكتشفُ الكنوزَ المخفيَّةَ ويفتحُها، كما أن الأفكارَ تتجسَّدُ خلفَ الأبوابِ المنفتحةِ بواسطتهِ، وتتجسَّمُ الخيالاتُ به أيضًا.

ويقول فتح الله كُولُن:

"الفنُّ هو الذي يأخذُ بيدَ الإنسانِ لكي يسبحَ في أعماقِ البحارِ الواسعةِ وقيعانها اللامتناهيةِ، وفي أجواءِ السماواتِ الزرقاءِ وأفاقها، ويفضلهِ يستطيعُ الإنسانُ أن يفتحَ أَشْرَعَتَهُ ليسيحَ في أجواءِ السماواتِ وأعماقِ الأرضِ فيصلَ إلى شعورِ وحدسِ ما وراءِ الزمانِ والمكانِ".

(٣٠٣) "نُوال سويندي": "لغاه مع فتح الله كُولُن في نيويورك" (Fethullah Gülen ile New York Sohbeti).

ويبين أنَّ الفنَّ هو اللوحة الأولى التي تُصوِّرُ قوى الإنسان وأعماقه وأسراره، وفي ظلِّه تُسجَلُ أعماق المشاعر والأفكار وأكثر التثبيات جاذبيَّةً، وأصدق الرغبات والأمنيات وكأنَّها تُدوَّن على أسطوانةٍ حجريةٍ، فتبدو وكأنَّها قد خُلِّدت.

إنَّ فتحَ الله كُولنَ المهتمَّ بـ"التجريد في الفنَّ" يذكرُ أنَّ الفنَّ المتَّحدَ مع الإيمان بصفةٍ خاصَّةٍ كثيرًا ما يكون منشأً لأروع الجماليَّات، ويضربُ مثلاً لهذا بقوله:

"ألم يجعل الفنُّ -حين يرافق الإيمان- عالمنا معرَّضاً للجمال زاخرًا بالمعابد الفخمة والمآذن التي تُشبهُ أصبَحَ الشهادة المتوجِّهة إلى السماء، وملبيًا بالنقوش المحفورة على أحجار المرمر والألوان والتصاميم الجميلة وفنون الخطِّ والتذهيبِ والنقوش الجميلة التي تُشبهُ جمالَ أجنحة الفراشات!".

ويلفتُ كُولنَ الانتباهَ إلى أنَّ العِلْمَ يستطيعُ التعبيرَ عن نفسه مع أفضلِ الفنون، ويُضيفُ أنه يصعبُ القولُ إنَّ الشخصَ العاجزَ عن إنتاجِ أيِّ أثرٍ فنيٍّ يُتوقعُ منه شيءٌ كثيرٌ في ساحةِ العلمِ والمعرفة، ومن ثمَّ يصلُ إلى النتيجةِ والخلاصةِ فيقول:

"الأرواح الخالية من الفنِّ والمنغلقةُ دونه يستوي وجودُها وعدمُها، لأنها ليست إلا أفرادًا لا يستطيعون تقديم أيِّ نفعٍ لا لأنفسهم ولا لعوائلهم ولا لأمتهم، بل قد يكونون ضارين أيضًا"<sup>(٣٠٤)</sup>.

والأدبُ بالنسبةِ لكُولنَ لسانٌ بليغٌ يعبِّرُ عن البناءِ الروحيِّ لأُمَّةٍ وعالمها الفكريِّ وحياتها العلمية والمعرفية، وهو يرى أنَّ الأفرادَ الذين لا يتقاسمون بناءً روحيًا واحدًا ونظامًا فكريًا وحياة معرفيةً واحدةً يتعذَّرُ

عليهم أن يفهموا بعضهم حتى وإن كانوا أبناء أمة واحدة، وأنه لولا الأدب لما استطاعت الحكمة أن تتبوأ مكانتها البهية تلك، ولا أن تصل الفلسفة إلى ما وصلت إليه في يومنا هذا، ولا أن تؤدّي الخطاب ما هو منتظرٌ منها ومنوطٌ بها، ومع هذا فإنّ كلاً من الحكمة والفلسفة والخطابة خدّم الآخر بشكل متبادل وتفاعلت فيما بينها؛ فأكسبت الأدب الخلود إذ قدمت إليه المعلومات الغنيّة المتعلّقة بساحة كلّ منها كراسمال لا ينضب.

ويقولُ فتح الله كولن:

"الأدباء والشُعراء؛ كلّ منهم يُشبه عازف ناي يُعبّر عما شاهده وأحسّ به من جمالٍ وحسنٍ في العوالم الداخلية والخارجية (أي في الأنفس والآفاق)، ولا يمكن لمن لا خبرة له بالسنة اللهب الداخلية التي تأتي بها المشاعر وتلف الأرواح أن يفهم ما يعنيه هذا الناي ولا الصرخة المنبعثة منه".

ويتطرّق كولن الذي يُعطي الأدب والأديب مقاماً مهمّاً كهذا إلى كَيْفِيَّة تشكّل وقيام أعمال الفنانين الآخرين، فمثلها مثل نفخة "عازفي الناي" التي تبوح بالمشاعر وترهف الأرواح، وهو بينما يقرّر هذا ينوّه ببعده مهمّ من أبعاد الفنّ فيقول:

"كلّ الحقائق تظهر في روح الإنسان في صورة جوهرٍ أوّلاً، ثم تُستشعر ويُحسّ بها، ثم تُمنح الحياة بواسطة الكلمة أو القلم أو المطرقة (في فنّ النحت)، وتبلور ويُسعى إلى التعبير عنها في مُحيّا الأثر الفني نقطةً نقطةً، وخطاً خطأً، وتوضّل أثرٌ من هذا القبيل إلى أبعاد لا يحدّها الزمان ولا المكان مرتبطاً تماماً بدرجات الإيمان والعشق".

ويرى كذلك أن العنصر الأساس في الأدب هو المعنى؛ إذ يتطرّق إلى الأسلوب انطلاقاً من هذا، ويبيّن أنه من الضروري أن تؤدّي كلّ كلمة

-منشورة كانت أو منظومة- تُستخدَمُ في التعبير عن المقاصد والغايات وظيفَةً المحفوظة لجوهرة الفكرِ، وألا تغطي عليها فتحتلَّ مكانها، وألا تخيم عليها بظلالها؛ فيقول:

"إنَّ هذه المحفوظة - حتى وإن كانت من زبرجد- تُفقدُ الكلمةَ قوَّتَها وتأثيرَها والإحساسَ بها بقدرِ تعمّيتها وتغطيتها المحتوى والمقصد والهدف منها؛ ومن ثمَّ يتعدَّرُ لأية كلمةٍ على هذا النحو أن تُعمَّرَ طويلاً".

وإذ يؤكِّدُ على ضرورة عدم التضحية بالمعنى في سبيل تزيين اللفظ وألا يتسبَّب اللفظُ في تعمية المعنى؛ فإنه يذكِّرُ أيضاً من زاوية أخرى بمدى أهمّية الأسلوب لصالح المعنى، ويَقِفُ على ضرورة اللجوء إلى أسلوب عالٍ رفيع من أجل بيان المفاهيم والأفكار السامية، ويؤكِّدُ على أن المسألة ليست عبارةً عن استخدام "فنون اللفظ والمعنى كالتشبيه والاستعارة والكنائية والتلميح والجناس التي تناولها الأقدمون ضمن مواضيع علميَّ البيان والبديع فحسب، وأنه لا بد من البحث عن الكلام العميق عند المفكرين من ذوي القلوب الملهمة التي تتسعُ أفئدتُها للوجود وتُحيطُ به، وعند ذوي الخيال الواسع الذين نجحوا في رؤية الدنيا والآخرة وجهين لحقيقة واحدة، والذين يملكون إيماناً عميقاً وفكراً تركيبياً قوياً"<sup>(٣٠٥)</sup>.

### الموسيقى

يولي فتح الله كُوْلُنُ الموسيقى أهمّيةً خاصّةً؛ وبلغت النظر إلى أن الموسيقى انتشرت ولاقت رواجاً كبيراً لا سيما في مجتمعات يومنا الحاضر، وبنوّه بأن "هذه الساحة التي اندفع إليها المجتمع وانخرط فيها" يجب ألا تُترك مطلقاً العنان دون مراقبة، ويرى ضرورة إبداع أعمالٍ تحملُ

في طياتها رسالةً ومعنى يسمو بالإنسان إلى القيم النبيلة بما في لبها من أحاسيس وأفكار، وتهديه إلى طرق الكمال، وتمنحه الشوق والشغف في تلك الطُرُق، ثم تُوضَع لها الألحان المناسبة، كما يقول أيضًا:

"إن كان الأثرُ أو العملُ الموسيقي الذي تستمعون إليه يوجِّهُكم إلى القرآن، ويثيرُ فيكم الشوقَ والرغبةَ في الوصول إلى الله، ويحرقُ صدوركم بتأثيره فيدفعكم إلى السجود لله، ويثير اهتمامكم بقيمكم الوطنية والدينية، ويهمسُ إليكم بعاطفتكم، ولا يتردَى في فخِّ التصوير السيئ والباطل والأمور المستهجنّة؛ فهذا الأثر في غاية الروعة والجمال حقًّا، أما الأعمال التي تحوي الغيبة بداخلها، وتُصوِّرُ الفاحشةَ في مشاهدِها، وتثير الغرائز الشهوانية، وتُجسِّسُ مشاعرَ اليأس والإحباط والقنوط؛ فيستحيل علينا أن نقول إنه: "لا حرج في سماعها"<sup>(٣٠٦)</sup>.

ويُشيرُ كولنُ إلى أن القرآن الكريم يَزخُرُ بتناغمٍ وانسجامٍ موسيقيٍّ خالد، فيقول:

"إنَّ الأهمَّ عند قراءتِهِ وتلاوتِهِ هو القدرة على إعطاء كلِّ كلمةٍ تَرُدُّ فيه درجةَ الصوت التي تتطلبها بشكلٍ مناسبٍ لموضعها انطلاقًا من المحتوى".

وكمثال على هذا فإن القرآن الكريم حينما يتحدث عن المنكرين المغرورين فإنه يقدم للأنظار بكلماته وعباراته إنسانًا متكبرًا، مُعجَبًا بنفسه يتباهى ويتبختر متحزلقًا متغطرًا، ويؤكد على أن قدرة أسلوب القراءة المتبَّع عند تلاوة الآيات الكريمة - قدرته - على إبراز هذا المحتوى أساسٌ مهمٌّ، ويربطُ تقييمه هذا بقوله:

"يستحيل القول إن القرآن الكريم يُتلى بمراعاة هذه الأطر في عصرنا الراهن؛ فتلاوته كما ينبغي، ودون هضم حق المحتوى إلى جانب تحقيق درجة الصوت والنغمة المناسبة قليلة جداً، بل هي نادرة إن لم تكن قد انعدمت، لا سيما الإحساس الصادق وإخلاص القلب والجوارح أثناء التلاوة فهو من أندر النواذر اليوم"<sup>(٣٠٧)</sup>.

إن فتح الله كولين إذ يقول:

"تمنح الموسيقى للروح نزاهةً ولطفًا وظرفًا بكل معنى الكلمة، باستثناء ما يعبر عن الأحاسيس الفظة المحرومة من رقة الروح، غير أن القدرة على الوصول إلى هذه النتيجة مرتبطة بالتوجه إلى الموسيقى التي تهب الحياة الحقيقية الروح وبمخالطة عازفي الموسيقى الحقيقيين والتوجه إلى الروح والمعنى أكثر من التوجه إلى الكلمة واللحن".

ويشير إلى أن التكايا والزوايا التي تتربى فيها النفوس، وتصقل الإنسان بالأخلاق والشرف وكل أنواع الجمال الروحي هي مصدر هذا؛ إلا أن الفن الموسيقي خسر مصدرًا مهمًا جدًا من مصادره حين ابتعدت هذه المؤسسات الروحية عن وظائفها الحقيقية وصارت مأوى للمساكين.

### الرواية والقصة والمسرح والسينما

يمكن القول إن فتح الله كولين يتناول الرواية والقصة والمسرح التي توجس منها العالم الإسلامي خيفة ما يقرب من قرن أو قرن ونصف فلم يتفاعل معها جيدًا، كما يتناول السينما التي عارضها العالم الإسلامي أيضًا في أوائل القرن العشرين، ولأن العلاقة بين الإسلام وبين فروع الفن هذه دائمًا ما شكلت مثار نقاش وجدل؛ فهو يرى تركيا -بصفة خاصة- متأخرة كثيرًا في مجال الرواية والقصة والمسرح والسينما مقارنة بالغرب،

وإن كان السلوك الافتراضي الذي تبناه الإسلام في هذه المواضيع اضطلعَ بدور جزئيٍّ في هذا الشأن؛ فإنَّ السبب الأصلي هو الإهمال الذي حدث في تلك الفنون.

بعد هذا التقرير ينوّه كُولُنْ بعدم تحريم ومنع قاطع وجازم في أيِّ من فروع الفنِّ هذه، وبينما يُفَكِّرُ حول هذه المواضيع ويحلُّ الأمر يُبيِّنُ ضرورةَ النَّأي عن الإفراط والتفريط من قبل الجانبين، وينقل أن انتقادات خطيرة وُجِّهَتْ بحقِّ الرواية بين المثقفين لا سيَّما "جميل مريح (Cemil Meriç)"<sup>(٣٠٨)</sup> الذي كانت له انتقادات خطيرة بشأنها، أما العلماء المسلمون فمنهم من حكم على الرواية بأنها "إحياء الموتى"، وعلى السينما بأنها "إظهار الموتى وكأنهم يتحرَّكون"، وعلى المسرح بأنه "نبش الأموات الراقدين في قبرٍ فسيح يُسمَّى الماضي، ووضعُ أرواح الموتى في أجساد الأحياء"، ويذكرُ أنه يجب ألا يفهم من هذا أن هؤلاء العلماء عارضوا الرواية والقصة بالمعنى المطلق؛ لأنهم أنفسهم ذهبوا مذهباً استخدموا فيه القصص التمثيلية في بيان كمِّ كبير من الحقائق مثلهم في ذلك مثل الكثيرين من العلماء المسلمين الذين سبقوهم، وولفت إلى أن هذه القصص التمثيلية لا تختلف كثيراً عن القصص والروايات من حيث الجوهر والمغزى، ويُصرِّح قائلاً:

"إذاً فالإطاحة بالروايات والقصص تماماً والعصف بهما وبما يرتبط بهما من أعمال كالمرسح والسينما، ووصمها بـ"المنوع" تصرُّفٌ خاطئٌ غيرٌ قويم، وإذا كان الأمر كذلك فيجب تناول المسألة من ناحية البحث عن ماهية المواضيع التي تحتويها تلك الأنواع الأدبية، وليس تناولها بالنظر إلى وجودها أو عدمه، ويوافق

(٣٠٨) "جميل مريح (Cemil Meriç)" (١٩١٦-١٩٨٧م): كاتبٌ ومترجمٌ ومفكِّرٌ تركي، ترك بصمته على صفحات التاريخ التركي، وألف عديداً من الكتب في مجال العلوم الاجتماعية خاصة اللغة والتاريخ والأدب والفلسفة.

الجميع على أن عدم تجويز تصوير الباطل مسألةٌ ضروريةٌ، وهذا باتفاق الكلِّ، إلى جانب أنه يستحيل قبول أيِّ تصويرٍ أو قصٍّ أو عرضٍ من شأنه أن يعني التشويق أو الترويح لِمَا حرَّمه الإسلام من أمورٍ تحريمًا قاطعًا (كالزنا والفاحشة والخمر والمخدرات والقمار والسرقة وقتل النفس...)، وإلا فإنه ليس من الصحيح معارضة الرواية والقصة ولا غيرها، وأظنُّ أن القصص والمشاهد التمثيلية الواردة في القرآن، وبيانات سيدنا رسول الله ﷺ وعباراته المتعلقة بالموضوع ربما تُعدُّ دليلاً كافياً ومرشداً هادياً إلى الطريق الصواب في العثور على الحلِّ الوسط في هذه المسألة<sup>(٣٠٩)</sup>.

ويلفتُ كُولُنُ الأَنظار بعد ذلك إلى موضوع آخر مهمٍّ، وهو حقيقة أنه من الضروري تمثيل الأشياء بمثلها، ويقول انطلاقاً من هذا المبدأ:

"لا يجوزُ -في رأيي- أن تُمثَّل الشخصياتُ المثاليةُ والقداواتُ العظيمةُ الساميةُ التي عرفها العالم الإسلامي وعلى رأسها الأنبياءُ والرسل ﷺ والصحابة الكرام ﷺ".

ويرى بديلاً عن هذا:

"أنه يستحيلُ القول بضرورة استخدام الأشخاص في الحديث عنهم وتقديمهم، ولا سيَّما في يومنا هذا الذي تعدَّدت فيه إمكانيات التعبير والتناول بأشكالٍ مختلفة... فيمكن الحديث عن القضايا المرغوب في التعبير عنها بكلِّ يسرٍ وسهولةٍ وراحةٍ بواسطة مؤثرات الضوء واللون استخداماً للإمكانيات التقنيَّة، وأظنُّ أن مثل هذا أصحَّ وأكثر تأثيراً، والواقع أن نَمَّة تحوُّلاً من المُشخَّص إلى المُجَرَّد في يومنا الحاضر ممَّا يُمثِّل حقيقةً لا مجال لمناقشةٍ مدى ملائمتها وموافقته لروح الإسلام"<sup>(٣١٠)</sup>.

(٣٠٩) فتح الله كُولُن: سلسلة الفصول-٢، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٣١٠) المصدر السابق، ص ٣٢٢.

## الترقّي والحرية والمدنية

وكباقي المثقفين؛ فإن فتح الله كُولن يهتمّ بالمفاهيم الأكثر شيوعاً وتناولاً في يومنا هذا، وذلك من حيث ماهيتها وسمتها، ويبيّن بين الحين والآخر آراءه وأفكاره بشأنها.

### الترقي

لا يدخل فتح الله كُولن في نقاشٍ جدليّ حول مفاهيم "الترقي" و"الحرية" و"المدنية" وما شابهها من مفاهيم معاصرة، بل يقبلها كمفاهيم وقِيم دخلت وترسّخت في قواميسنا وحياتنا اليومية، ومهما يملأ الآخرون محتواها بأيّ شيءٍ فليملؤوه، فهو يفضل تحميل المعنى والمحتوى اللازم الذي تمتلكه تلك المفاهيم من زاويتها الخاصّة، ويرى أن أكثر الأشياء نقاءً ولمعاناً ونظاماً وجوداً هو ما ترقّى من الأشياء وتطوّر منها، ومن ثم فإن الاكتفاء بما هو موجودٌ ضعفُ همّة، أي؛ فقدانُ غايةٍ وضياعُ بوصلةٍ وتكاسلٌ، أما تجاوز ما هو موجود وإنتاج أعمال أكثر انتظاماً وأفضل مستوى؛ فهذا هو الترقّي.

ويسرّد فتح الله كُولن بعض المعايير والمقاييس في صورة أقوالٍ وجيزة تتعلّق بالشروط اللازمة لترقي أيّة أمةٍ من الأمم؛ إذ يرى أنّ تطوّر أمةٍ ما وتقدّمها مرتبطٌ بدرجةٍ وحدةٍ الأحاسيس لدى أفرادها وبدرجة عمقٍ مشاعرهم، كما أنه مرتبطٌ باتحاد أفراد الأمة في الأهداف والغايات، وأنّ ثمة نقطة أخرى مهمّة في تقدّم المجتمعات ورفعتها هي القراءة والكتابة،

بل ويرى أن الأهمّ من هذا هو أنه حتى وإن عرف الجميع القراءة والكتابة؛ إلا أن صعوبة نيل النتيجة المرجوة أمرٌ حقيقي طالما أن الأجيال لم تُنشأ في اتجاه واضح ولم تُزوّد بالثقافة المليّة<sup>(٣١١)</sup>.

ويهتمُّ كؤلُنْ اهتماماً كبيراً أيضاً بـ"تلاحق الأفكار" في عمليّة الترقية، كما هو الحال في الاكتشافات والاختراعات العلميّة، والمقصودُ بذلك أن تُساند الأفكار بعضها على مرّ العصور وتوالي الأجيال، ومن ثم أن تسير الأجيال فيما بينها مسيرةً موحّدة الهدف، ويرى كذلك أن كلَّ محاولةٍ وحملَةٍ للتقدّم والترقّي لا تصل إلى النتيجة المنشودة وتحقق الهدف المرغوب فيه إلا بقدر اهتمامها بالاستفادة من تجارب الأجيال الماضية، وتقييمها الوقت الراهن تقييماً جيّداً<sup>(٣١٢)</sup>.

### الحرية

لا يقف فتح الله كؤلُنْ على الحرّيّة باعتبارها قيمةً ومفهوماً حقوقياً واجتماعياً معاصراً فحسب، بل وباعتبارها حالةً وقيمةً لها مكانتها المهمّة في التصوُّف وفي حياة الإنسان المعنويّة؛ فالحرّيّة عنده أولاً هي أهمّ خصائص الإنسان، وأبهى جوانبه التي تميّزه عن غيره من المخلوقات الأخرى، وهي التي تسمو بالإنسان فوق وجوده الحيواني، وتجعله مستقلاً في مواجهة الطبيعة المتحركة وفقاً لقوانين الأسباب والنتائج، ثم إنّ السِّمة المميّزة التي تربطه بالموجود المطلق المختار (أي بالله تعالى) لا بدّ وأن يُبحث عنها في كونه موجوداً عقلاً نياً يمتلك الإرادة والمشاهدة الداخلية،

(٣١١) الملةٌ ومشتقاتها تردُّ كثيراً في الأدبيات التركية عموماً، كما في كتابات الأستاذ فتح الله كؤلُنْ، ومعنى الكلمة في التركية غير معناها المتعارف عليه في العربية، فهي تستوعب معاني أوسع كالشعب وربما الأمة أو أتباع دين وطائفة، وحين نقول "المليّ" نسبةً إلى "الملة" فاللفظ يكون مشبهاً في معناه بالدين والتقاليد والموروثات والخصوصية الذاتية العائدة إلى الأمة الإسلامية. (الناشر)

(٣١٢) فتح الله كؤلُنْ: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٨٩-٩٠.

وهكذا فإن الحريةَّ خاصيَّةً من الخصائص التي تجعل من الإنسان إنساناً؛ أي إنها تُمثِّلُ تحديدهُ حركاته الخاصَّة وتعيِّنه إياها، وامتلاكه عقلاً فعَّالاً؛ فيسمو الإنسان في ظلِّ هذا فوق الطبيعة كلِّها بأحيائها وجماداتها، ويتمتَّع بحسِّ المحاسبة، ويكتسبُ القدرةَ والملكَّةَ على التحكُّم في حركاته، ولا يمكن استيضاح وجود الأخلاق من عدمها دون أن تُوضَعَ الحرِّيَّة وإرادة الإنسان في الحسبان<sup>(٣١٣)</sup>.

إن فتح الله كولن الذي ينظر إلى الحرية من زاوية مهمَّة إلى هذا الحدِّ يُعرِّفها بقوله:

"الحرِّيَّة هي أن لا تقبلَ الروحُ سوى المشاعرِ العلويَّة والأفكار السامية، ولا ترضى بالإسارِ لأيِّ مبدإٍ سوى مبدإِ الخير والفضيلة، وهي تحرُّزُ الفكر الإنساني من كلِّ قيدٍ يمنعه من الرقيِّ المادِّي والمعنويِّ بشرط عدم السقوط في وهدة اللامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية"<sup>(٣١٤)</sup>.

فالحرية عنده هي اللون الأساس للإرادة التي تُعدُّ ركناً مهمماً من أركان الضمير الإنساني، وأهمَّ كُليَّة من كُلياته، وهي واحدة من أبرز العطايا الإلهية للإنسان وأفزدها باعتبارها بُعداً ضرورياً من أبعاد حياته، وهذا الإحسان العظيم الفريد عرّفه التراث الإسلاميُّ بأنه: امتلاك الإنسان حقوقه الخاصة؛ ومع هذا فإن القدرة على فهم الحرِّيَّة حقَّ الفهم مرتبطةً بفهم نقيضها بعض الشيء، ونقيضها هو امتلاك الفرد لحقوقٍ غيره الشخصية، وهذا ما يعني العبوديَّة الصريحة، والله وحده دون سواه هو مَنْ وهبَ الإنسان هذه الحقوق، ولذا فإنه ليس من حقِّ الإنسان تغيير

(٣١٣) فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-١: العصر والجيل، مقال "تقدير الإنسان (Insani Yükseltme)"، ص ٥٠، [مجلة "بزنئي"، يوليو/تموز (١٩٧٩م)].

(٣١٤) فتح الله كولن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ٩٦.

هذه الحقوق ولا يبيعها، ومن يهّم بفعل ذلك فقد أنكر إحسان الله، وقبّل العبودية للآخرين، وأثمّ فعلاً.

ويقترب فتح الله كؤلن من المسألة في نقطة الأفق الإنساني، وربما من زاوية لم يتناولها منها أيّ محللٍ معاصرٍ قطّ، ويعُدُّ أن أساس الحرّية وضمانيها هو أن يكون الإنسان على وعي بوجوده وكيانه أولاً وأخيراً، وبالتالي معرفته الله تعالى، ويرى كذلك أن عدم معرفة الله يفرض على الإنسان أو على غيره من المخلوقات العبوديّة والرقّ، ومثل هؤلاء لا يمكن الحديث عن كونهم أحراراً إذ إنهم لا يمتلكون حقوقهم الإنسانيّة.

إذاً فالحرّية - في فكر فتح الله كؤلن - هي ألا يخضع الإنسان لغير خالقه تعالى، وألا ينحني أمام أيّ شيءٍ، ولا يخضع إلى أيّ إنسان، والوصول إلى الحرية هو أوضح الأمارات على أن القلب صار مرآة براءة لامعة تعكس الحقّ، إلا أن الإنسان الذي يصل إلى هذه النقطة - التي لا يمكن الوصول إليها إلا بالإيمان والمعرفة وقطع كلّ العلائق القلبية بأصحاب القوّة والثروة والسُلطة والجاه سوى الله تعالى - هو من حطّم كلّ القيود والسلاسل المحيطة بنفسه، أي تخلّص من تأثير أنانيّته، وهكذا فإنّ الحرّية الحقيقيّة يمكن أن تتحقّق فحسب في ظلّ انسلال الإنسان من الهموم الدنيوية والغوائل والآفات القلبية كالمال والمنال، وتوجّهه إلى الحقّ تعالى بكلّ خصائصه الخاصّة بعالم الفطرّة، وأعماقه وأبعاده الخاصّة بالعوالم المعنويّة.

ويقول فتح الله كؤلن:

"الحرّية الحقيقيّة ضرورة من ضرورات العبوديّة الكاملة لله تعالى؛ حتى إنه يمكن اعتبار العبوديّة لله تعالى بالمعنى الكامل والحرية الحقيقيّة مترادفتين".

ثم يُوردُ هذا التقييم قائلاً:

"يمكن القول إنَّ الإنسان حرٌّ بقدرِ عبودِيَّتِهِ لله، ومن حُرِّموا العبوديَّةَ لله لا يمكن أن يُدركوا القِيَمَ الإنسانيَّةَ الحقيقيَّةَ مثلما يتعدَّرو عليهم أن يكونوا أحرارًا أبدًا؛ لأنه يشقُّ عليهم أن يتخلَّصوا في أي وقت من الدَّوامات البدنيَّة والجسديَّة، وأن يشعروا بجواهرهم وبمالها من أعماق خاصة بها، وطالما أنَّ القلبَ أَسْرَتُهُ وكَبَلَتْهُ مطالبُ وأحِبَّةٌ وأهدافٌ مختلفةٌ فيستحيل أن يكون الإنسان حرًّا أبدًا، وأنِّي لشخصٍ مَدِينٍ للآخرين دائِمًا أن يكون حرًّا!"<sup>(٣١٥)</sup>.

### المدنيَّة

كما هو معلوم فإن مفهومَ المدنيَّةِ واحدٌ من أكثرَ المواضيع تناوُلًا ودرسًا منذ عصرين من الزمان، وقد تناوَلَهُ البعضُ مع "الحدائث"، حتى إنهم جعلوها شيئًا واحدًا، بينما البعضُ فرَّقَ بينهما تفريقًا مهمًّا، ويمكن القول إن فتح الله كُوِّلَ واحدٌ من ضمن المجموعة الثانية هذه؛ وكما هو ديدنُهُ وشأنُهُ؛ فقد تجنَّبَ الدخولَ في نقاشاتٍ نظريَّةٍ أو متضاربةٍ حول هذا المفهوم كما تجنَّبَهُ فيما يخصُّ مفاهيمَ الترقِّي والحريَّةِ وما شابهها، وسعى أن يُحمِّلَ هذا المفهوم -الذي صار جزءًا من معاجم الإنسانية جمعاء، بل من حياتها اليومية- المحتوى والمعنى الواجب أن يُحمِّلَهُ.

فهو يرى الإنسان مخلوقًا مدنيًّا في الأساس بحسب ما تقتضيه فطرته؛ أي إنَّه خُلِقَ ملائمًا للتَّمُدَّنِ بالنظر إلى ماهيَّته، وقد استطاع منذ أن جاء الوجودَ وحتى الآن أن يكون مدنيًّا بقدرٍ ما، أو أنه بَحَثَ عن الطُّرُقِ الموصلة إلى ذلك؛ فالرغبةُ في المساواة بين التمدُّنِ والتقنيَّةِ والتكنولوجيا

(٣١٥) فتح الله كُوِّلَ: سلسلة العصر والجيل-٦، أفكار في طور الاخضرار"، مقال "ومن حقنا أن نبعث (Dirilmek Bizim de Hakimiz"، ص ١٩٧-٢٠١، [مجلة "بيزني"، ديسمبر/كانون الأول (١٩٩٤م)].

والصناعة، بل والمساويين بينها إن كانوا موجودين؛ كل ذلك وسيلة وأداة في عملية "تحديث" الحياة، والمدنية ما هي إلا مناخ وجو ملائم لتطور ملكات الإنسان ومواهبه وتناميها، أما الإنسان المدني فهو المنفتح المتطور في هذا المناخ مشاعرياً وفكرياً، المنصاع لأمر المجتمع بما طوره من مشاعر سامية، ولذا فينبغي ألا يُحَثَّ عن الشراء في عناصر الازدهار المادية كالقصور والعمائر الفخمة، ولا في أودية المشاعر الجسدية كالإنتاج والاستهلاك باعتباره أمراً روحياً وذهنياً، بل ربما يجب البحث عنه في الظواهر المعنوية الذهنية كوجهة النظر والرؤى المتعددة والنظام الفكري ورحاب الروح.

والمدنية عند كُولْن ليست غنى مادياً ولا إشباعاً للرغبات الجسدية ولا انغماساً في الشهوات والسفاهات، بل إنها غنى في القلب ورقة في الروح، وعمق في النظرة إلى الأمور، واعتراف بحق الآخرين في الحياة، وتقبلهم وعدم التضييق عليهم أيضاً، ولقد تحققت المدنية الحققة في تلك المناخات والبيئات التي سار فيها العلم مع الأخلاق جنباً إلى جنب؛ لذا فإن المدنية التي لا تستند إلى الفضيلة والأخلاق، ولا تتغذى من منابع العقل والضمير؛ لا يمكن أن تكون وسيلة لسعادة الإنسانية، وكل ما تستطيعه مثل هذه المدنية هو أن تخدم بعض الأغنياء وأرباب الأهواء برهنة من الزمن لا أكثر؛ ولكي يصبح الأفراد مدنيين يلزم البحث عن الطريق الموصلة إلى اكتسابهم فطرة ثانية عبر تنمية بذور الأمور الطيبة الخيرة الكامنة في جواهرهم.

ويتطرق فتح الله كُولْن إلى تكوّن المدنيات؛ فيعتقد أن كل مدينة جديدة إنما ظهرت وتكوّنت بفضل حملة عشق وإيمان جديدة تماماً،

ويرى أن الوصول إلى الأفق المدنيّ يستحيل أن يتحقّق في بيئة كهذه، ولا سيما في مجتمع يفتقر إلى هذا الإيمان والحماس، حتى وإن اختُرقت السماوات في ظلّ العديد من أفرع العلم، ويُسجّل أنّ:

"المدنيّة الغربيّة التي حَسِبَت كلَّ شيءٍ محصوراً في العلم  
ظلّت مدنيّةً مشلولةً، أما المدنيّات الشرقيّة التي انعزلت عن العلم،  
وتوقّعت على نفسها فهي بالنظر إلى موقفها ووضعها الراهن  
بعيدة كلّ البعد عن أن تُكوّن مدنيّةً مناسبةً للحاضر والمستقبل".

ومن هذه الناحية يرى كولن أن حضارة المستقبل سوف تنمو وتتطوّر  
وتترعرع بعد أن تتبرعم فلسفة الشرق الإيمانية والأخلاقية، وتتمازج  
بعلوم الغرب وصنائه<sup>(٣١٦)</sup>.

## بعض المصطلحات المستحدثة

يَطْرَحُ فتح الله كَوْلَنْ أَفكارَهُ وَيُصْرِّحُ بِآرائِهِ في مختلفِ القضايا اليومية والاجتماعية والسياسية مثل الجمهورية والديمقراطية والاستبداد والإرهاب والفساد والبحث عن المجتمع النظيف إلى جانب السياسة التي هي: "فنُّ إدارة الخلق وقيادتهم على نحوٍ يُرضي الخالق"، ويُجيبُ على ما يُطْرَحُ عليه من أسئلةٍ سواء في كتاباته أو في أحاديثه أو في غير ذلك من المواقف.

### السياسةُ: الحكمُ، والعلاقةُ بين الدولة والشعبِ، والصلةُ بين الحقِّ والقوَّة

مع أن فتح الله كَوْلَنْ بعيدٌ تمام البُعد عن ممارسة السياسة الفعلية إلا أن له حزمةً من الأفكارِ الخاصةِ يتناولُ فيها ما يجب أن تكون عليه إدارة العباد ومقدَّراتُ البلاد، فيقول:

"إنه فنُّ إدارة الخلق وقيادتهم على نحوٍ يُرضي الحقَّ سبحانه".

ويُرَكِّزُ على السياسة أكثر ما يركز عليها باعتبارها فنُّ إدارة بلدٍ وشعبٍ، ويؤكدُ على ضرورة أن يكون القائمون بتطبيق سياسة بهذا الفهم أشخاصًا:

"لا يُفَكِّرُونَ في مَنَعِهِم الشخصيةً أبدًا، بل يُسَرِّون لِسُرُورِ الشعبِ، ويتلَوونَ بآلامِهِ...".

"يجبُ البحث عن الإدارة الجيدة والسياسة الرفيعة المستوى لدى أصحاب الأرواح النبيلة والعقول المفكرة وخدام الحقيقة الراضين التحرُّر منها".

ويتناول المسألة في أساس الإنسان، ويلفت الانتباه إلى أهميّة السّماتِ والخصائصِ التي تُعملُ القوانين وتنفذها حتى تصل إلى درجة كفايتها وصحّتها ومناسبتها؛ فيرى ضرورة أن تكون القوانين نافذة على الجميع في كلّ وقتٍ ومكان، وأن يتمتّع مُنفذوها أيضًا بالشجاعة والعدلِ والجسارة؛ فلا يفقد الناس ثقتهم ولا أمنهم تمامًا من جانب، بينما يخافونهم من جانب آخر، ويؤكّد كذلك على أهميّة فكرة الحقّ وسيادة القانون والوعي بالواجب والوظيفة، ومفهوم المسؤولية في الأعمال الصعبة القاسية، والمهارة والكفاءة في الأعمال الرقيقة الحساسة خاصّةً.

ويقول فتح الله كولن:

"تولد الحكومات المجيدة من الأمم المجيدة، وتتكوّن الأمم المجيدة من نُخبِ الأجيال المؤمنة التي تملك قابلية علمية عالية، وإمكاناتٍ مالية كبيرة وآفاقَ نظرٍ واسعة وتحاول أن تحافظ على ذاتيّتها وأصالتها وهويّتها..."

"بقدر ما تحظى به وحدة المشاعر والأفكار والثقافة من أهمية كي تصبح أمةً من الأمم قوية؛ بقدر ما يؤثّر فساد الوحدة الدينيّة والأخلاقيّة وانهيارها في تمزّقها وتفريقها".

كما يرى أن للدين مكانةً مهمّةً في حياة المجتمعات، وفي هذا يقول:

"إذا ما وُضع في الاعتبار كون الدّين موحّدًا ومكتملًا؛ فهو المؤسّسة الضرورية الحتميّة الواجب على حكام الشعوب التّفاهُهم حولها ووضعهم إيّاها في حسابهم ولجوؤهم دائمًا إلى قوّتها التي لا تُهزَم".

ويشير إلى دور الدّين كقوّة عظمى تُسيطر على الضمائر والأفئدة ولا سيما السلم والأمن؛ فيبيّن أنّه هو العنصر الأكثر سيطرةً وإحكامًا في إخضاع تصرّفات الأفراد وحركاتهم للمراقبة والملاحظة؛ فيذكر قائلاً:

"لذا كان على القائمين بإدارة الدولة إبقاء الدين حيًّا في النفوس وفي الضمائر، وليدركوا يقينًا أن حياة الأمة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بحياتها الدينية".

ويرى أن الحكومات تكون ناجحةً سياسيًا بقدر حمايتها شعوبها من الشرور باستخدام قوتها وسلطاتها وعدالتها، ومثل هذه الحكومات تُبَسَّرُ بمستقبلٍ ناجحٍ زاهرٍ.

ويقول فتح الله كُولُن:

"الحكومة تعني العدالة والاستقرار والأمن، فإن لم تكن هذه الأمور متوفرةً في مكانٍ ما فمن الصعب الحديث عن وجود حكومة هناك، وإن شُبِّهنا الحكومة بمطحنة فإن الدقيق الذي تنتجه هو النظام والأمن والاستقرار، والمطحنة التي لا تنتج هذا ليست إلا آلة ضوضاء جوفاء لا تطحن سوى الهواء".

ويأتي بتقييم مهم جدًا في علاقات الحكومة بالشعب فيقول:

"قبل أن تقول الحكومة عن أمّتها "ها هي أمّتي" فمن الأفضل والأهم أن تبادر الأمة قبلها وتقول عنها "ها هي حكومتي"؛ لأن هذا هو المطلوب فيما أرى، وبعكس ذلك ترى الأمة في حكومتها قوّة ظالمة مسلّطة على رأسها، أي إن بنية الأمة تكون قد انفصلت تمامًا عن رأسها"<sup>(٣١٧)</sup>.

ولا يقبل فتح الله كُولُن أن تركز الحكومة أو الدولة إلى القوّة فحسب؛

لذا يقول:

"القوّة في الحقّ، وليس الحقّ في القوّة".

ومع هذا فإنه يرى لخلق القوّة حكمةً؛ ومن ثمّ فيجب أن تكون الدولة والحكومة قويّة، إلا أنه وكما يلزم ألا تستند إلى القوة بالدرجة

(٣١٧) فتح الله كُولُن: الموازين أو أضواء على الطريق، ص ١٢٧.

الأولى في الإدارة؛ فيجب عليها ألا تُفْرِطَ فترى الحقَّ في القوَّة، وألا تُفْرِطَ فتركَّ الجبل على غاربه أيضاً، بل عليها أن تخضعها لأمر الحكمة والقوانين<sup>(٣١٨)</sup>، ويتناول كُولُنُ العلاقة ما بيَّن "الحكمة والقانون والقوة" وقيمتها فيقول:

"دساتير الحكمة إن لم تُزَوَّدْ بالقوانين والقوَّة ظلَّ كلُّ شيءٍ حبراً على ورق، واستحال أن تؤثِّرَ في الناس التأثيرَ المتوقع، بالإضافة إلى أنَّ تطبيقَ الحكمة على الحياة لا يمكن أن يتحقَّقَ بسهولة تامَّةٍ؛ وبالتالي فثمَّةُ حكمةٍ في خلقِ القوَّة أيضاً، ولذا يجب أن يحظى كلُّ منهما بما يستحقُّه من الأهمِّيَّة، فلا بدُّ أن تجتمع "الحكمة والقانون والقوَّة" معاً ويتحقَّقَ الاتِّفاقُ بينهما"<sup>(٣١٩)</sup>.

إن فتح الله كُولُنُ المؤكِّد على أن الدولة والحكومة يستحيلُ عليها تحقيقُ سيادتها وسيطرتها بالسِّدَّةِ والظلم والاضطهاد والخداع يرى أنه:

"لا ينبغي فرضُ احترامِ الدولة وتقديرِ الحكومةِ على الشعب بالقوة والإكراه، بل بالجدِّيَّة والوفارِ في تصرُّفات وسلوكيات من يديرون الدولة، وصدقهم في أعمالهم وخدماتهم؛ إذ لم يتسنَّ لأية إدارة أو حكومة حتى اليوم أن تبقى أو تدوم؛ لا باستبدادِ الموظَّفين الظالمين ولا بخداعها الشعوب والجماهير".

وبحسبه أيضاً فإنَّ الدولة تكونُ جيِّدَةً وقويَّةً إذا ما جرى اختيارُ جميع البيروقراطيين والموظَّفين العاملين فيها بناءً على نُبلِ الجوهرِ والفِكرِ والحِسِّ، ويلفت كُولُنُ الانتباهَ إلى ضرورة أن يتحرَّكَ الموظَّفون في معاملاتهم في حدودِ القوانين، ويتَّصفوا بالرِّفقِ واللين بحسب ما في وجدانهم من رفقٍ ولين، ويُنَوِّه بأنَّ التصرُّف هكذا من شأنه أن يحمي سمعتهم الشخصيةً ويُرسِّخَ في القلوب احترامَ القوانين والدولة كذلك،

(٣١٨) عبد الله أزعون: "فتح الله كُولُنُ في مرآة الإعلام (Medya Aynasında Fethullah Gülen)", ص ٤٣.

(٣١٩) فتح الله كُولُنُ: الموشور، ٢٠١/١.

وهو يُحذِرُ من أن الممارسات القمعية المتشدّدة تتسبّب في وقوع انفجارات غير متوقّعة، وأنّ اللين المُفْرِط الزائد يجعل المجتمع بيئَةً صالحةً لنشوء أفكارٍ لقيطةٍ، ويُفصّل القول أكثر في هذا الشأن فيقول:

"الأساس في الولاية (المحافظين) توفّر الشفقة والوعي والتحلّي بروح المسؤولية؛ أما في رؤساء البلديات فهو توفّر النظافة والنظام والقدرة على توفير الأمن العام، وأما في القضاء فسيادة فكرة الحقّ والحياد وعزيمة الشجاعة المدنية"<sup>(٣٢٠)</sup>.

ويهتمُّ كَولُنٌ بالاستشارة في الحُكْمِ أيضاً، ولهذا يعتقدُ ويؤمّنُ بضرورة احترام الأفكار، ولا سيما توفير مناخ من الحرّيّة يستطيع الأفراد الخبراء في مجالاتهم المخلصون أصحاب النيات الطيّبة أن يُعبّروا في ظلّه عن أفكارهم، ويؤكّد على ضرورة البحث عن سبلٍ وطُرُقٍ للاستفادة من آراء هؤلاء الناس وأفكارهم حتى وإن كانوا أصحاب فلسفات وأفكار مختلفة، وأنه لا بدّ من التحوار والالتقاء بهم، ويُرَكِّزُ أيضاً على نقطةٍ أخرى مهمّة في هذا الموضوع فيقول:

"ينبغي للإنسان الاستفادة من المعلومات والآراء والملاحظات التي من شأنها أن تنفع نظامه وفكره وعالمه الخاص؛ أيّاً كان مصدرها، ولا سيما أنه يجب ألا تُهمل الاستفادة من تجارب الخبراء المجربين"<sup>(٣٢١)</sup>.

### الرائد

ويهتمُّ فتحُ الله كَولُنٌ بِسِمَاتِ القَائِدِ الذي بوسعه أن يُرشِدَ الشعوب والأُمم؛ فيرى أن القائد هو الإنسان القادر على إثبات نفسه والإحساس بها والترنّح في القلوب دائماً بجوهره وسماته الخاصّة بشخصه، إنّه إنسانٌ

(٣٢٠) فتح الله كَولُنٌ: الموشور، ٢٠٥/١.

(٣٢١) المصدر السابق، ٢٠٧/١.

المستوى القادرُ على جمع الأنظار حوله -دون رغبةٍ منه في ذلك- بقدرته على الإقناعِ الكامنةِ في وجهةِ نظرِهِ، وعمقِهِ في الفهمِ، وبدقَّةِ آرائِهِ، وسعةِ إدراكِهِ ومعرفتِهِ، وسلامةِ استنتاجاتِهِ، وعشقِهِ التعلُّمِ، واستعدادِهِ للتعليمِ، وقدرتهِ على التغلُّبِ على كلِّ شيءٍ، والوفاءِ بكلِّ مسؤُولىَّاتِهِ والتزاماتِهِ، المحبُوبِ والمعتبرِ والأثيرِ إلى النفسِ، ومن ثم فهناك آلافُ بل مئاتُ الآلافِ من الناسِ على استعدادٍ دائمٍ للتضحيةِ والموتِ في سبيله.

ويضع فتح الله كُولُنُ التفكيرَ السليمَ والحديثَ الصائبَ وحبَّ الصدقِ والصوابِ والاشتمزازَ والنفورَ من الكذبِ، وبثَّ الثقةَ والصدقَ والوفاءَ أيضاً؛ بين أبرز سمات القائدِ وصفاتِهِ، ويسجِّلُ ضرورةَ أن يتحلَّى بالشفقةِ العميقةِ والإدراكِ العاليِ والجسارةِ الموزونةِ والحزمِ والصبرِ والمتانةِ إلى جانبِ اهتمامِهِ بأسلوبِ مأكَلِهِ ومشربِهِ، وقيامِهِ وجلوسِهِ، وتصرفاتِهِ وإتزانِهِ ومعاملاتِهِ، ووقارهِ وبشاشتهِ وجهه دون تغاضٍ منه عما يدور حوله أو تساهلٍ في الأمورِ، إنه إنسانُ الاحترامِ والإجلالِ والأدبِ والمحبةِ الذي يحترم ويوقِّرُ الكبيرَ ويرحمُ ويعطفُ على الصغيرِ.

فالقائدُ هو في الوقتِ ذاته بطلُ الأخلاقِ والفضيلةِ؛ فبرحمتهِ ولينِ طباعهِ يُمثِّلُ قلبَ جميعِ الأحياءِ الخافقِ، ونبضَها الناطقِ، وهو بجسارتهِ وفُتُوَّتِهِ في الحقِّ حامِيِ وطنهِ الثابتِ الذي لا يملُ، وبِعالمِهِ الحسِّيِّ والقلبيِّ يمثِّلُ آمِنَ مأوىٍ وملاذٍ للضعفاءِ، وبتواضعِهِ وتفانيهِ يمثِّلُ المصدرَ الوحيدَ للسائلينِ المدفوعينِ بالأبوابِ، وبفضلِ مناخِ العفوِ والصفحِ الخاصِ به يمثِّلُ مصباحَ الأملِ للمتخبِّطينِ المترنِّحينِ؛ فالقائدُ يكون رحيماً إذا ما كان عادلاً، ومستقيماً إذا ما فاض بالرحمةِ، لا تُسمَعُ في ديناهِ آهاتُ مظلومينِ ولا صرخاتُهُم، ولا عبتُ ظالمينِ ولهوهُم؛ إنه يمتلكُ بنيةً روحيةً تتمازجُ فيها الأضدادُ بحيثِ يستطيع الإحساسُ في وجدانه بالمهابةِ والخشيةِ،

ومن ينظرون إليه من هذه الزاوية يشعرون أنهم أمام قِمةٍ يستحيلُ تجاوزُها، ويقشعرون حيرةً وتعجبًا، أما من سنحت لهم فرصة التعرف إليه بارتباطه بعالم الغيب وإخلاصه وصدقِهِ فيظنون أنهم يجلسون إلى واحدٍ من الروحانيين المعنويين، ويغيبون عن وعيهم أمامه<sup>(٣٢٢)</sup>.

### الجمهورية والديمقراطية

فتح الله كَوَلُنْ إنساناً يساندُ تمامًا النظام الجمهوري؛ فيقول:

"الجمهوريةُ تعني النظام الإداري الذي يملك فيه الشعبُ حقَّ الانتخاب والشورى، وأوَّلُ كتابٍ في تعليم هذا الأمر دون نقص هو القرآن الكريم؛ لذا فالإدعاء بأنَّ الإدارةَ الجمهوريّة تُخالِفُ القرآن؛ إن لم يكن إدعاءً مُعرِّضًا فهو سوء فهم، أما مناصرو الجمهورية الذين يتناسون مصدرها الحقيقي ويتعامون عنه قصدًا فهم معاندون ليس إلّا".

ويضيف قائلاً:

"مثلما لم يدع الرسول ﷺ أنه ملك؛ لم يدع خلفاؤه كذلك من أصحابه الذين جاؤوا من بعده أنهم سلاطين أو ملوك، ولم يظهر النظام الملكيُّ إلا بعد الابتعاد عن روح الإسلام، وبنسبة هذا الابتعاد أصبح هذا النظام واسطة ظلمٍ واستبدادٍ".

ويؤيدُ فتح الله كَوَلُنْ الجمهوريّة الحقيقية التي يراها مصدرًا للحرية ومُغذيةٌ وحاميةٌ لها ومرتببةٌ للأجيال العاشقة للحرية، كما يؤيدُ تمام التأييد الحكومة المنبثقة عن الحرية الفاضلة والأخلاقية، ولا يؤيدُ "الجمهوريّة الشكليّة"، وفي هذه النقطة أيضًا يقفُ على قضية الإنسان مجددًا فيقول:

(٣٢٢) فتح الله كَوَلُنْ: سلسلة العصر والجيل-٤: "شريحة الزمن الذهبية (Zamanın Altın Diliği)"، مقال "الرائد (Lider)"، ص ٢١٤-٢١٥، [مجلة "سيزنتي" (Sizinti)، يناير/كانون الثاني (١٩٩١م)].

"الجمهورية الحقيقية هي شكل إدارة النفوس العالية، وهي أكثر أشكال الإدارة لياقة بالكرامة الإنسانية، أما النفوس الغليظة التي لم تتلق التربية والثقافة اللازمة، ولم تَسِرْ في درب الكمال الإنساني؛ فإن الجمهورية تبدو لها سرابًا ببيعة أو خيمة لا يمكن السكن فيها".

وينوّه بأن الجمهورية برغم كونها شكلًا إداريًا آمنًا رفيع الشأن يعتمد على مفهوم الحرية والعدالة الحقيقية؛ إلا أنها نظام حساس ورفيق جدًا، مُنْتَهَبًا إلى ضرورة ألا تصبح أرضيةً وساحةً للإلحاد والفوضى، ولأجل هذا فإنه يؤكد على مجموعة من المبادئ والأسس؛ فيلفت الأنظار أولاً إلى رغبة الروح البشرية في الحرية، وميلها إلى رفض كل قُوَى تُسيطر عليها، وحقيقة أنها تُواجه - بنوع من ردة الفعل - كل القيود التي توضع على أفكارها وتصرفاتها وبياناتها، وبالتالي فقد يتحوّل الإنسان إلى عنصر فوضوي؛ فيُحدّر قائلاً:

"لذا فعلى أنصار النظام الجمهوري عندما يعطون حرّيات واسعة للأفراد أن لا يُهملوا ناحية الأخلاق والفضيلة ليصبحوا من ذوي الإرادات القويّة".

ووفقًا له أيضًا فالدين هو المصدر الأهم بالنسبة للخصال السامية كأن يكون الإنسان إنسانًا الأخلاق والفضيلة والشعور بالمسؤولية والفكر والإرادة؛ ومن ثمّ فإنه ينبغي للنظام الجمهوري أن يحمي الحسّ والفكر الديني ويرعاه<sup>(٣٢٣)</sup>.

ويُصرّح كُولَن بأفكاره حول الديمقراطية أيضًا بين الحين والآخر، ويلفت الانتباه إلى أنه ليس صحيحًا عقد مقارنة بين الديمقراطية والإسلام على أساس واحد، وأن ذلك ليس منهجًا علميًا، كما يؤكد على صعوبة

إجراء مقارنة كتلك في المناخ الثقافي والعقلي المعاصر، ويُبين أن الإسلام في الأساس "دين متكامل" ليس إلا، أي إنه يرى الدين تجربة تتعلق بالجوانب الثابتة من الحياة الإنسانية بالدرجة الأولى، ونظامًا للحس والشعور والعيش، بينما في الثقافة الحديثة -سواء في الأنثروبولوجيا وتاريخ الأديان بل وحتى في علم النفس والتحليل النفسي- يتم تناول الدين بمناهج وأساليب اختبارية، علاوة على أن من ينسبون أنفسهم إلى الدين يرونه مادة للفلسفة والاستدلال أو حادثةً روحيةً معنويةً، ويُبين أن الصعوبة تتضاعف عند تناول الموضوع من زاوية الإسلام، وأن ثمة مجموعة من المسلمين وكذلك القوى السياسية المهيمنة على العالم الحديث تعتبر الإسلام في وقتنا الراهن أيديولوجيةً سياسيةً اجتماعيةً اقتصاديةً.

كذلك يُبين فتح الله كُولَنْ أن الإسلام يعتمد على الوحي، ويهدف بالدرجة الأولى إلى سعادة الآخرة وسعادة الدنيا استنادًا إليها، وتوفير السِّلْم والهدوء والطمأنينة والعدالة في العالم، وهو بجوانبه الأساسية هذه يحتوي مبادئ وأسسًا ثابتة ترتبط بالزمان والمكان، في حين أن الديمقراطية مجرد نظام ومنهج إداري على الأكثر؛ ويُذكر بأنه إن كانت ثمة نية لعقد مقارنة بينهما -أي بين الإسلام والديمقراطية- فيمكن إجراؤها بين الأسس الإدارية لكلٍ منهما، وفي هذا الموضوع يُشير إلى الحديث النبوي الشريف الذي يوضح أن الإسلام يُساوي بين الناس جميعًا أمام القوانين باعتبارهم بشرًا، إذ يقول ﷺ: "النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ"<sup>(٣٢٤)</sup>، وإلى أن الحديث الشريف الآخر القائل: "كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"<sup>(٣٢٥)</sup>؛ وهذا مبدأ وأساس مهم جدًا في هذا الشأن، ثم يقول:

(٣٢٤) الدليمي: الفردوس بماثور الخطاب، ٤/٣٠٠.

(٣٢٥) صحيح البخاري، الأدب، ٥٧؛ صحيح مسلم، البر، ٢٣.

"إن الإسلام يرى أن القوة تكمن في الحق، وأن الحق سَامٍ ومُقَدَّسٌ يَغْلُو ولا يُغْلَى عليه".

ويؤكد على أن سيادة القانون والعدالة هي الأساس بالمعنى المُطلق في الإسلام، ثم يطرح حريّة الاعتقاد والفكر والحياة والمال والجيل للتدبّر والدراسة، ويرى:

"أنّ تحمّل كلّ إنسانٍ وِزْرَهُ أساسٌ كما أن عِصْمَةَ الفرد أساسٌ، ومن ثمّ فالمثمّنُ بريءٌ حتى تُثبِتَ إِدانته، ويستحيلُ أن يتحمّلَ أحدٌ وِزْرَ أحدٍ، ثمّ إنه لا استهانة في حقِّ، ولا يمكن التضحية بحقِّ الفرد لصالح المجتمع".

وبهذه الصورة يلفت فتح الله كولن الأنظار إلى وجود مجموعة من القيم والمبادئ الأساسية للإسلام يمكن مقارنتها مع الديمقراطية، ويرى الإنسان المحرّك الأساس في التاريخ، ويتطرق إلى أن الإسلام أضاف بُعداً كونيّاً أو قدريّاً إلى الموضوع بدساتيره وقوانينه الأساسية التي عبّر عنها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد: ١١/١٣)، وفي الحديث النبوي الشريف: "كَمَا تَكُونُونَ يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ" (٣٢٦)، إلى جانب رؤيته الإنسان محرّك التاريخ وعماده.

ويؤكد على أن القرآن الكريم حمّل وظائف الدولة الحديثة للمجتمع في صورة أوامر ونواهٍ بدرجاتٍ معيّنة واضحة، ومن ثمّ فإن المجتمع نفسه مسؤولٌ عن الإدارة، وأن هذه المسؤولية مهّدت السبيل لتتكوّن مجموعة من المؤسسات، وأن نظام الإدارة في الإسلام يبدو في أحد جوانبه بمثابة "عقد اجتماعي".

ويلفت الانتباه كذلك إلى أن الإسلام مهمٌّ لأقصى درجة بالنسبة لحياة الفرد والمجتمع، وإلى بعض دساتيره المهمة التي لم تهتمَّ بها الديمقراطية ولو حتى نظرياً، ويوضح تلك الدساتير على النحو الآتي:

يُقَرُّ الإسلام بالحقِّ بديلاً عن القوَّة كנקطة ارتكازٍ واعتمادٍ في الحياة الاجتماعية، وأن هدف النظام الاجتماعي هو الفرد الفاضل والمجتمع الفاضل، ومن ثم الفوز برضا الله تعالى عبر سلوك هذا الطريق، ويتخذ الإسلام التعاون والتكافل أساساً له في الحياة بدلاً من التصارع والتباغض، والرابطة التي أقامها بين طبقات المجتمع هي القِيَم والمشاعر المشتركة والإيمان لا العنصرية والعرقية، ولا يتبنّى إشباع الأهواء والرغبات النفسية أيًا كانت وبأيّ طريق يكون ذلك، وإنما يجعل غاية النظام الاجتماعي تنشئة أناس كاملين بدفع الروح إلى بلوغ الكمالات الإنسانية، وإنّ ميزة الحقِّ ونتيجته هي الاتفاق بدلاً من الاختلاف؛ وميزة الفضيلة ونتيجتها التكافل والنضام، وميزة التعاون ونتيجته هي التوحد والتكامل والسعي إلى مدِّ يد العون والتعاون بدلاً من التفرُّق والتشردُّم، أما ميزة الإيمان والقيم والمشاعر المشتركة ونتيجتها فهي الأخوة لا العداوة، وأما سمة الإنسان الكامل -بدفع الروح وحثّها على إدراك الكمالات- ونتيجتها فهي السعادة في الدنيا والآخرة على حدِّ سواء<sup>(٣٢٧)</sup>.

ويبيِّن فصح الله كولين أن الديمقراطية وتيرةٌ مستمرةٌ، وأن أنواعها ودُعائها كثرٌ، وأنه يمكن تحديثها وتطويرها، بل إنه يجب ذلك، فيقول:

"إنني أرغب في ديمقراطية تستطيع -إلى جانب حمايتها الثورات الفكرية المعروفة في العالم واحتضانها إياها- أن تحلَّ مشكلاتي المتعلقة بحياتي فيما بعد القبر".

وَيَذْكُرُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمِتْكَامِلَ عِلْمِيًّا وَرُوحِيًّا يُمْكِنُهُ عَلَى الدَّوَامِ النِّجَاحُ فِي تَحْقِيقِهِ هَذَا، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ يَقُولُ:

"إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُنْجِزُ بِاسْمِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ لَا بَدَّ وَأَنْ يَأْتِيَ عَبْرَ طُرُقِ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ أَيْضًا".

كما يتطرقُّ إلى الممارساتِ الخاطئةِ المرتكبةِ باسمِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، ولا يتوانى عن التحذير منها ومن أمثالها، فيقول:

"نظرًا لأننا مطالبون بالعيش في مكانٍ موحدٍ رغم تباينِ أوضاعنا ووجهاتِ نظرنا؛ فإنَّ نقطةَ النهايةِ بالنسبةِ لِحُرِّيَّتِنَا هي تلكِ النقطةُ التي تبدأُ عندها حُرِّيَّةُ الآخرين، وإنَّ المقياسَ والميزانَ في استخدامِ الحُرِّيَّةِ هو القيمُ والمبادئُ الأخلاقيةُ والأمورُ والمواضيعُ التي تخصُّ بقاءنا الجليُّ ووحدةَ بلدنا وتكاملها؛ وإلا اندلعتِ الفوضى واستحالتِ ممارسةُ حتى الحرياتِ الأساسيةِ"<sup>(٣٢٨)</sup>.

### الفوضى والإرهاب

وبينما يكشف فتح الله كولن عن آرائه الخاصةِ بالفوضى والإرهاب والجرائم المجهولةِ الفاعلِ التي تُشكِّلُ واحدةً من أهمِّ ظواهر القرن العشرين ولا سيما النصف الثاني منه، والتي انتقلت إلى القرن الحادي والعشرين بشكلٍ أشدٍّ؛ يُنَوِّهُ أوَّلاً بنقطةٍ أخرى مهمَّةٍ فيقول:

"يستحيل طلبُ غايةٍ مشروعةٍ بقتل الأبرياء، ولذلك فقد قلنا منذ البداية "يستحيل أن يكون الإرهابي مُسْلِمًا، كما يستحيل أن يكون المسلم إرهابيًّا". أجل، إن ابن عباس رضي الله عنه يرى أن قتل الإنسان مساوٍ للشُّرك؛ حيث إنَّ الأبرياء هم من يُقتلون دائماً في الأحداثِ الإرهابيةِ التي تمثِّلُ مصيبةً وبلاءً لنا في هذه الآونة، وتُهَدِّمُ البيوت والنُّزل؛ فترمِّلُ النساء، ويتيمَّمُ الأطفال، ولا يمكن

(٣٢٨) عبد الله أزغون: "فتح الله كولن في مرآة الإعلام (Medya Aynasında Fethullah Gülen)", ص ٦٥-٦٧.

إقرار كل هذه الأمور في منهج العقيدة الإسلامية، ويقول بديع الزمان سعيد النورسي متحدثاً عن العدالة في الإسلام:

"هَبْ أَنْكَ فِي سَفِينَةٍ أَوْ فِي دَارٍ وَمَعَكَ تِسْعَةُ أَشْخَاصٍ أَبْرِيَاءَ وَمَجْرَمٌ وَاحِدٌ، وَرَأَيْتَ مَنْ يَحَاوِلُ إِغْرَاقَ السَّفِينَةِ أَوْ هَدْمَ الدَّارِ عَلَيْكُمْ، فَلَا مَرَأَ أَنْكَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ سَتَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِكَ مُحْتَجًّا عَلَى مَا يَرْتَكِبُهُ مِنْ ظَلَمٍ فَادِحٍ؛ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ قَانُونٌ يُسَوِّغُ إِغْرَاقَ سَفِينَةٍ بِرُمَّتِهَا بِمَا فِيهَا مِنْ أَبْرِيَاءَ مِنْ أَجْلِ الْقَضَاءِ عَلَى الْمَجْرَمِينَ فِيهَا حَتَّى وَلَوْ كَانَ عِدَدُ الْمَجْرَمِينَ تِسْعَةَ إِلَى جَانِبِ بَرِيءٍ وَاحِدٍ"<sup>(٣٢٩)</sup>.

ويذكرُ فتح الله كُولَنْ أَنَّ الإسلامَ أصلاً لا يجلسُ مع الجريمة والفضوى والإرهاب على طاولةٍ واحدةٍ في أيِّ وقتٍ ولا في أيِّ مكانٍ أبداً، وأنَّ هدفه السلمُ والهدوءُ والسلامُ العالميُّ والقضاءُ على الفتنَةِ والفسادِ من على وجهِ البسيطةِ، وأنه لا يمكن أن يكون ثمةَ دينٌ ولا نظامٌ آخر غير الإسلامِ أُولَى حياةَ الإنسانِ قيمةً بقدرِ ما أولاها الإسلامُ، ويؤكدُ على حقيقة ذلك وبرهانه مبيِّناً أن الإسلامَ حكمَ في القرآن الكريم على من قتلَ نفساً بأنه قتلَ الناسَ جميعاً ومن أحيأ نفساً بأنه أحيأ الناسَ جميعاً؛ إذ قال الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة: ٣٢/٥)<sup>(٣٣٠)</sup>؛ ولذا فإنه يؤكد استحالة أن تكون للإسلام أيَّةُ مسؤوليَّةٍ أساساً في الجرائم والحوادث الإرهابية التي تقعُ ضدَّ العالمِ ولا سيما في البلاد الإسلامية، وبالتالي فإنه يؤكدُ على أن من آمنوا بالإسلام حقَّ الإيمان وجعلوه منهجَ حياتهم يستحيلُ أن يُدبِّروا مثل هذه الحوادث والجرائم الإرهابية، وإنَّ ساهمَ في هذه الجرائم بعضُ من سُمُّوا بأسماء المسلمين

(٣٢٩) بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٢٠.

(٣٣٠) صحيفة "Zaman" التركية، ١٢ سبتمبر/أيلول (٢٠٠١م).

فإنهم إمّا مجموعة من النماذج المُغرَّر بها التي لا علاقة لها بالإسلام سوى الاسم، وإما أنّ بينهم مجموعة من المنظّمات الإرهابية تسلّلت إلى داخلهم، وحملت أسماء المسلمين؛ فهذه المنظّمات إما أن تكون ذيوياً تابعة للإرهابيين ومرتكبي الجرائم الحقيقيين، أو أنها منظّمات وهمية موجودة اسمًا لا جسمًا.

ويرى فتح الله كولن أنّ بعض المسلمين في يومنا أتوا على الإسلام بمجموعة من التفسيرات والتحليلات المتشدّدة التي لا توافق روحه أصلاً، وأنهم لم يُعارضوا في الأقل الشدّة والوحشيّة المرتكبة باسم الإسلام بدعوى التحيز له، ويبين إلى جانب هذا أنّ المسلم لن يستطيع تحقيق أيّ هدف إسلامي بالقتل وارتكاب الجرائم وإثارة الفوضى وممارسة الإرهاب، ومع أنّ التاريخ أثبت وجود بعض الطوائف كالخوارج والقرامطة والحشاشين الذين لجؤوا إلى الإرهاب وتحركوا باسم الإسلام؛ فإنه من الواضح تمامًا أنّ هذه الطوائف لا علاقة لها بالإسلام أساساً، وأنّ أهل السنة والجماعة الذين يُشكّلون السواد الأعظم من المسلمين اعتبروا هؤلاء جميعاً فرقة ضالّة؛ فلقد اعتبر العلماء الخوارج وأمثالهم مارقين من الإسلام مروق السهم من الرميّة وذلك استناداً إلى أحاديث النبي ﷺ، ومن ذلك عن أبي سعيد الخدريّ وأنس بن مالك رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: "سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقَيْلَ وَيُسَيِّوُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ"<sup>(٣٣١)</sup>، فهم حتى وإن بدّوا وكأنهم يقرؤون القرآن ويكثرّون من الصلاة ويعزّون كلّ حركاتهم إلى الإسلام؛ فما يقرؤونه من القرآن لا يتجاوز حناجرهم، إذن يستحيل أن يكون للإرهاب والجريمة دينٌ، وكما أنه ظهر كثير من المجرمين والإرهابيين من بين

(٣٣١) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، ٨؛ صحيح مسلم، الكسوف، ٤٧؛ سنن أبي داود، السنة، ٣١ (واللفظ له).

أتباع الديانات الأخرى، وأنه ليس من الصواب اتِّهامُ أديانهم إذا كانت لا تأمرُ بالإرهاب والجريمة أساساً بل إنها تحتقرُهُ وتبذُّه؛ فإنه لا يمكن على الإطلاق اتِّهامُ الإسلام بالإرهاب والجريمة إن كانت هناك مجموعة من المسلمين خُدعوا واستغلُّوا وغرِّرَ بهم، أو فقدوا صوابهم واعتدأهم بسبب الضغوط المستمرة التي يخضعون لها منذ عصور؛ فضلَّعوا في ارتكاب جرائم وأعمال إرهابية بالفعل.

وفيما يتعلَّق بهدف المسلم الحقيقي وبالطريق الموصلة إليه يقول فتح الله كُولُنْ ما يأتي:

"لا إرهاب في الإسلام؛ فالمسلم له غاية وحيدة فريدة على وجه البسيطة ينسج حولها أفكاره وأعماله في الحياة الدنيا، ويُعدُّ خُطُّطَهُ ومشروعاته حتى يتمكَّن من الوصول إليها، فما هي تلك الغاية؟ إنها رضا الله ولا شيء سواه.

أجل، إن المسلم إن كان قد تمكَّن من فهم الإسلام حقَّ الفهم ووعاه جيِّداً وجَبَ عليه ألا يُفكِّرَ في شيء سوى رضا الله تعالى؛ فهو مطالبٌ بينما يسير نحو هدفٍ وغايةٍ مباركةٍ ومثاليَّةٍ على هذا النحو بأن تكون وسائله ووسائطه لتحقيقها مشروعة؛ لأنَّ غايةً ساميةً كهذه لا يمكن الحصولُ عليها إلا بالطُّرق والوسائل المشروعة، و"الغاية لا تُبرِّرُ الوسيلة"، ويستحيل الوصول إلى هذه الغاية عبر التصايح والضراخ في الشوارع وقتل الناس أيًّا كانوا، ومن ثمَّ فإنه لا يمكنُ في هذا الإطار التوفيقُ بين جرائم الإرهاب والقتل والغضبِ وحوادث الخطفِ وما شابه ذلك وبين الإسلام".

## الفصل الخامس

فتح الله كُولَنُ "فرداً من الناس"

إن الكتابة عن الشخصيات والإقدام على سبر أغوارها ومحاولة التعريف بها محاولة صعبةٌ وجهدٌ مضمّنٌ إلى حدٍّ كبيرٍ، لا سيّما إن كانت الشخصية التي نتناولها متعدّدة الشمائلِ والخصائصِ والخِصالِ، ومعروفةً ومحبوبةً لدى الرأي العام تحظى بتقديره وإجلاله؛ فإن الأمر يزداد صعوبةً، ويُصبح أكثر حساسيّةً.

لقد حاولنا في الفصول الأربعة السابقة أن نعرّف فتح الله كُولَنَ بجوانبه الخارجيّة، ولا سيّما بأفكاره وحركته وعمله ومفهوم الإسلام لديه معتمدين في ذلك على ما كتبه هو نفسه وعلى تقييمات الآخرين له ولأعماله أيضًا، أما في هذا الفصل فإننا سننظّل مراقبين -على عهدنا وكما كُنّا- نرصدُ ونحاولُ التعرّفَ عليه بشخصيّتهِ وسماتِهِ وكونِهِ فردًا من الناس.

## أبرز ثلاث سمات في شخصية كُولْن

نشأ فتحُ الله كُولْن في بيتٍ رفيعٍ وسامقٍ وأسرةٍ راقيةٍ ذكيةٍ مرهفةٍ الحسِّ متديّنةٍ، وقد تأثر في إطارِ هذه العائلة تأثراً أليماً تأثراً، ولا سيما فيما "دون الوعي" بجَدَّتِه لأبيه السيدة "مؤنسة"، ثم بوالدهِ فولدتهِ وجدهِ لأبيه، بينما تأثر خارج إطار العائلة بالشيخ "ألوارلي محمد لطفي أفندي"، وثمة ثلاثة عناصر ترفد مرحلة "اللاوعي" عنده أو ما يُسمّى بـ"اللاشعور" و"العقل الباطن" لتتطوّر لاحقاً فتبرز على أنها أهمُّ سماتٍ وأوصافٍ شخصيَّته؛ أولها: الالتزام والحياة الدينية القلبية الضاربة جذورها في الأعماقِ والمتوقّرة لدى العائلة كلّها، وثانيها: ما تُكَنّه العائلة من محبّة ومودّة عميقة تجاه الوجود بأسره وخصوصاً محبّتها للنبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، أما الثالثُ فهو: معاناة العائلة الفقراء والمظالم التي وقعت لا سيّما في أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى وما عانتُه من مأسٍ وآلامٍ لاحقاً، كذلك وفاة الجدّة والجدّ لأب دون أن تمرّ بين وفاة كلٍّ منهما ساعة وما خلفته هذه الحادثة من تفاعلات في طفولة كُولْن، أضف إلى ذلك وفاة بضعة إخوة ووفاة الشيخ محمد لطفي أفندي، ثم غربة الإسلام، والمصائب التي توالى على المسلمين والإنسان التركي في القرون الأخيرة، وغير ذلك من المعاناة والهموم والدموع.

### ١- المقياس في عبودية الله : اعتبار الإنسان نفسه الأحقر بين الموجودات

العبودية لله تعالى تتقدّم كلّ شيءٍ بالنسبة لفتح الله كُولْن وتأتي على رأس أولويّاته؛ ولأن هذه العبودية هي الأسمى والغاية المنشودة للإسلام

هو النظام الأكثرُ كمالاً ومثاليَّةً وملاءمةً بالنسبة لها؛ وبالتالي فإن قلبه -أي فتح الله كُوْلُن- مُعلّق بالإسلام بلا شك؛ فلقد تعلّم قراءة القرآن الكريم في سنٍّ صغيرةٍ جدًّا بالنسبة لأوضاع بلاده آنذاك، وبالرغم من أنه ربما لم يفوت -منذ حَتَمِهِ القرآن الكريم وحتى اليوم- ولو صلاةً واحدةً من صلواته، ولم تُحرَم لياليه في أيِّ وقتٍ قطُّ من صلاة التهجد إلا أنه -حسب رأيه- لم يُوفِّ حقَّ وظيفة العبودية لله تعالى كما يجب؛ فالإنسان يزداد فيه الشعور باعتباره نفسه أحقر الموجودات وأكثرها ارتكاباً للذنوب كلِّما زادت لديه معرفة الله، والواقع أن فتح الله كُوْلُن يرى نفسه أحقر الناس، وأكثر من في الوجود ذنباً وإثمًا.

## ٢- حُبُّ النبي ﷺ والصحابة

إلى جانب اعتبار كُوْلُن نفسه أكثر ما في الكون ذنباً أمام الله تعالى؛ فإن معرفته لله وعشقه له تعالى وكذلك حبه للنبي ﷺ والصحابة الكرام ﷺ تبرز كأهم سمة بين سمات شخصيته وصفاته؛ فهو عاشقٌ للنبي ﷺ ولصحابته مُنيِّمٌ بهم بكل ما تحمّله الكلمة من معنى، وقد عبر شعراً عن عشقه الرسولَ وشوقه إليه واسترحامه إياه قائلاً:

كلُّ روح تحبك عظيمةٌ يا رسول الله!  
عينها وفؤادها بحبك عامرٌ يا رسول الله!  
بالله إنَّ الراغب شوقاً في ذرة من نور جمالك  
يلازم بابك لا يبرحه أبداً يا رسول الله!  
والواصلون إليك لا ينتظرون شيئاً سوى ذلك  
فمجلسك نديّ بالثناء يا رسول الله!  
راؤوك بعيون القلب ولو مرة واحدة  
هم نخبة الأرواح يا رسول الله!

تحلق الطيور الذهبية الأجنحة في فضاءك،  
 ففضاؤك هو سبيل الطيور يا رسول الله!  
 الآفاق هناك تشبه رياض الجنان  
 وجمالك حرير شفاف كالأفق يا رسول الله!  
 الوصول إليك غاية القلوب المؤمنة  
 وجاهلوك أموات غير أحياء يا رسول الله!  
 وَضَلُّكَ خَيْالٌ يَلُوحُ دَوْمًا لِهَذَا الْقَطْمِيرِ الْغَرِيبِ  
 فهذا وردة فؤادي يا رسول الله! (٣٣٢).

### ٢- أسى الماضي ومحنة الحاضر وآمال المستقبل

من ينظر ويطلع كتابات فتح الله كُولن - وإن لم يحضر دروسه،  
 ويلزمه ولو لفترة قصيرة - بل وحتى من استمع ولو لدرسٍ أو درسين من  
 دروس وعظه - التي يُلقِيها منذ الخامسة عشرة من عمره وحتى الخمسين  
 مع تخلُّلها بعض الانقطاعات الطفيفة - سَيَقْدِرُ من فوره الحساسة الدينيَّة  
 الكامنة فيها؛ فكَوْلُنْ إنسانٌ نَذَرَ حَيَاتَهُ لإِعْلَاءِ كلمة الله تعالى في إطارِ  
 العبوديَّة له سبحانه، وَلِكِي يَشْرُفَ الجميع بالهداية إن أمكن ذلك وأذِنَ به  
 الله تعالى، يعني نَذَرَ نَفْسَهُ لخدمَةِ الناس.

وهذا ديدنُ النبي ﷺ، إذ يحذره الله سبحانه في عدَّة مواضع من القرآن  
 الكريم مشفقاً عليه، من بينها قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ  
 إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (سورة الكهف: ٦/١٨)، وهكذا فإنه ينبغي السعي  
 إلى التعرفِ على فتح الله كولن باعتباره إنساناً يشعر في حدِّ ذاته ووجدانه  
 بالقلق والألم والمعاناة والوجع نفسه؛ وإن لم يكن بالمستوى الذي يشعر  
 به النبي ﷺ بالتأكيد، إنه إنسانٌ نَذَرَ نَفْسَهُ لخدمة الإنسانية وهو راضٍ بأن

يموت ويحيا في اليوم مراراً في سبيل ثبات البشرية على الهدى والإيمان، واهتدائهم إلى الطريق المؤدية إلى الله تعالى، وانتقالهم إلى الدار الآخرة ثابتين على هذا الطريق وإنقاذ حياتهم الأبدية، والسبب في هذا إما السعادة الأبدية أو أهمية الحياة الأبدية التي قد تنقضي في وهدة عذاب لا يُطاق، وإن ما يشعر به من حُبِّ تجاه مخلوقات الله حُباً في الله إنما هو بقدر ما جيَّشَتْه معرفتهُ الله وعشقُهُ في قلبه من مشاعر وأحاسيس.

فكل إنسان بحسب طبيعة خلقته يشعر بالعلاقة تجاه محيطه بالدرجة الأولى ثم إلى المحيط الأكبر تدريجياً فبلده ثم أمته، وهنا يمكن القول إن أقرب محيط بالنسبة لكون هو تركيا والإنسان التركي، يليه العالم التركي فالإسلامي ثم الإنسانية جمعاء.

وكما يقول كُولْن فإن الذوات الذين فازوا بمعرفة الله تعالى وعشقوا الإسلام حقاً يُفكِّرون في مخلوقات الله من أجل الله، لا في أنفسهم، وكما ورد في القرآن الكريم بحق سيدنا رسول الله ﷺ من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧/٢١) فإن كل واحد من هؤلاء الأشخاص الذين نذروا أنفسهم لمخلوقات الله رحمةً و عرفاناً وإيماناً وعشقاً له؛ يشبه مركزاً تتجلى فيه رحمته تعالى ومرآة تعكسها على المخلوقات، إنهم لا يعيشون لشيء آخر سوى ذلك؛ فقلوبهم لا تخفق إلا بالله، ولا غاية لهم سوى وصل المخلوقات بالخالق، كما يهدفون إلى إنقاذ الحياة الأبدية لهؤلاء وذلك بإدخالهم في حظيرة الإيمان به تعالى، وتتركز أفكارهم حول هذا الهدف... وكما يقول إبراهيم حقي الأضرومي:

"لا تُوكَلُ مهمة الإرشاد إلى من لا يرى نفسه دون الموجودات

جميعاً".

لأن هؤلاء سيستخدمون الموجودات الأخرى؛ فإن فتح الله كولن إذ لم يرسم ويحدّد لنفسه أي منصب أو مهمّة، بل ورأى نفسه أحقر المخلوقات جميعاً، ونذر حياته كلها وكل ما لديه لهذا الهدف؛ يرغب طبيعته في أن يتّجه الإنسان التركيّ أولاً ثمّ الإنسانيّة جمعاء إلى الهدف عينه، وإنه باعتباره مُسلماً أسلم أمره ووجهه وجهه لله تعالى يرى الإيمان بالله ومعرفة الفوز بعشيقه وتمحور الحياة وتضافرها حول هذا الأساس أهمّ عنصر في نجاة الأمة التركية والعالم الإسلاميّ فالإنسانية جمعاء<sup>(٣٣٣)</sup>.

ويمكن بوضوح تام رؤية مدى معاناة فتح الله كولن وتألمه في كلّ كيانه المادّي والمعنوي من أجل الوصول إلى هذه الغاية؛ فهذا أوّل ما يلفت النظر في كتاباته وأحاديثه، لأنّ الآمال المرجوة مستقبلاً برغم كلّ شيء هي أبعاد لصيقة بهذه المعاناة والألم لا تنفك عنها، ويمكن القول إنّ الأسى على الماضي في ساحة الإيمان بالله ومعرفة وعشيقه، وهموم الحاضر وآمال المستقبل تُشجّج كلّ مشهد في حياة كولن، ومن الممكن رؤية هذا في معظم أشعاره، مثلها في ذلك مثل كتاباته الثريّة.

ومع أن كولن رقيق القلب لأقصى درجة باعتباره إنسان الشجن والشوق والهّم والأمل فإنّ الدموع لديه هي عملية تفريغ للنفس من همومها في كثير من الأحيان، ولأنه هو مَنْ شَبّه الدموع بالشّعير الرائق الخالص فإنّ شعره دموعٌ يكوّنها الشجن والشوق والهّم والأمل والرجاء.

ويرى فتح الله كولن الهّم والقلق والدموع أكبر مفتاح استخدمه جميع الرسل منذ الإنسان الأوّل في حلّ جميع المشكلات، فيقول:

"ألم يُغرق النبي المهموم رسول الطوفان [يقصد نوحاً عليه السلام]

العالم بالدموع؟

وخليل الله أول من دنا من أسرار الخلق، ألم يجعل النار بردًا  
وسلامًا بالدموع لائذاً بالله: "حسبي الله حسبي الله؟"

ألم يكن البكاء دائماً والتضرُّع هو حال سيدنا عيسى روح الله  
الذي بشر بـ "الفارقليط" [يقصد سيدنا محمداً ﷺ] ذلك النبي رقيق  
القلب، والذي تمركزت فيه أسرار الحق ﷻ؟

وفي المحطة الأخيرة وعلى الطريق الأقوم ألم يكشف هذه  
الأسرار كَشَّافُ اللغزِ الأعظمِ الروحِ العزيزِ جوهرِ الخَلْقَةِ؛ بدموعه  
السَّيَّالَةِ وكأنه يحلُّ العُقْدَ؟ ألم يتألَّم ويتأوَّه دائماً منذ كان في حِضْنِ  
أُمِّهِ حتى رحيله إلى الرفيق الأعلى قائلاً: "أمّتي أمّتي..." (٣٣٤).

إنَّ من يعرف فتح الله كُوْلُنْ -ولو حتى من كتاباته فحسب- سيحكّم  
على الفور أنه منذ نعومة أظفاره وهو يعيش دائماً ليلةً شتويَّةً طويلةً جدًّا  
ومليئةً بالكوابيس أحياناً، و"بالرُّؤى الجميلة" أحياناً أخرى، وكما أنه صَوَّرَ  
ليالي الشتاء الطويلة في أشعاره؛ فإنَّ حياته ومعاناته أيضاً تمثل "ليلةً  
شتويَّةً" (٣٣٥).

(٣٣٤) مجلة "ميزنّتي"، سبتمبر/أيلول (١٩٧٩م).

(٣٣٥) فتح الله كُوْلُنْ: ريشة العزف المكسورة، ٢-١، ص ١٦٧-١٦٨.

## فتح الله كُؤن: سمائه الأخرى وحياته اليومية

### شخصية متوازنة منسوجة من سمات متناقضة

الإنسان له مكانة متميزة خاصة بين المخلوقات، وأسماء الله التي تُكسب الكون الوجود تتجلى على نحو متباين في كلِّ عالمٍ من العوالم المختلفة المتداخلة التي تُشكّل الكون، بل وفي هذا العالم أيضًا تتجلى الأسماء نفسها في صورٍ شتى في كلِّ من المجالات الاجتماعية والعلمية والدينية، ويمكن النظر إلى هذا باعتباره ملمحًا من ملامح تجلي الحقيقة في أشكال وألوان ودرجات متباينة تختلف بحسب مستقبلها، وباختصارٍ فإنَّ كلَّ ما في الكون من جواهرٍ وأعراضٍ وغيرها دون استثناء؛ إنّما هو آثار تجليات أسماء الله تعالى؛ فمثلًا تتجلى أسماؤه مثل: "المصور والجميل وأحسن الخالقين" في كلِّ زهرةٍ وفقًا لقُدرة تلك الزهرة وخصائصها، أما في الإنسان فيمكن القول إنّ أسماء الله تعالى جميعها تتجلى فيه، فُتَشَكَّلُ هذه الأسماء المتكاملة في تناغمٍ وتجانسٍ مع آثارها المتناقضة مصدرًا ما لدى الإنسان من صفاتٍ وقابليّاتٍ وتجليّاتٍ مختلفة ومتناقضة مع بعضها، إلا أنها يُكَمَّلُ بعضها بعضًا، وربما لا يمكن من الوهلة الأولى التوفيق بين رحمة الله تعالى وشفقته وبين غضبه وعقابه، بين اسميه "الرحمن الرحيم" وبين اسمه "شديد العقاب"، إلا أن لكلِّ اسمٍ من أسمائه مكانًا وساحةً خاصّةً به؛ أي إنّ للعقاب أيضًا ساحته التي يتجلى فيها كما أن لكلِّ من الرحمة والشفقة ساحةً خاصّةً به، وإنَّ هذه الأسماء تنعكس على الإنسان أيضًا بالشكل نفسه؛ ولذلك فإنها تسبّب

في تَكْوُنِ مشاعرٍ متناقضةٍ لبعضها لدى الإنسان، ومن ثم فإن الواجب عليه أن يستخدم هذه المشاعر المتناقضة كلاً في مكانه وبالقدر اللازم، فينسج شريطةً تناغمٍ وانسجامٍ من هذه المتناقضات.

وبالشكل نفسه أيضاً فكما أن لكلِّ واحدةٍ من حواسِّ الإنسان الظاهرة كالرؤية والسمع والذوق والحسِّ والشمِّ وظيفتها الخاصة بها، وبالتالي فهي تحتاج الغذاء الخاصَّ بها؛ كذلك الأمر بالنسبة لحواسِّه الداخليَّة وكلياته فإن لكلِّ واحدةٍ منها وظيفتها الخاصة بها، ومن ثم فإنها تحتاج إلى إشباعٍ خاصٍ بها، كما أن لمفاهيم العقل والفكر والذاكرة والمحكمة العقلية والتعلُّم -التي يمكننا جمعها كلها تحت مفهوم "الذهن"- وظائفٌ ومعاني خاصةً بها بالنسبة للإنسان، وبالتالي فإن لها فلماً خاصاً بها ومناخاً تتغذى منه؛ فالأمر هكذا أيضاً بالنسبة لكليات الإنسان الداخليَّة والديقية كمشاعره وقلبه وروحه؛ فلكلِّ منها وظيفة خاصة، وبناءً على هذا فإنها بقدر ما تتغذى وتُمدُّ بالقوت اللازم لها بقدر ما تستطيع الحفاظ على تناغمها الداخلي، وتستطيع بهذا تحقيق الطمأنينة الداخليَّة. أجل، حين تنشأ الصلة اللازمة بين العقل والقلب، أو بين الذهن والروح، ويتحقَّقُ التناغم الداخلي، وتستخدمُ في الاتجاه الصحيح الجوانبُ المنعكسة على الخارج كالقوة والغضب والشهوة يُوَجِّهُ الإنسان حركاته في إطار "الحكمة"، ويعيش حياةً متوازنةً، وباختصار فإنَّ الإنسان حين يجد العدالة والتوازن والمنهج الوسط في داخله يكون عادلاً ومتوازناً في علاقاته بالآخرين، وإن حدث العكس؛ أي إن خرجَ العقلُ عن الإطار الصحيح لصالح الروح، أو الروح لصالح العقل، أو الروح للعقل لصالح القوة أو لصالح الشهوة أو البدن نشأ أناسٌ وأشخاصٌ غير أسوياء، وانعكس هذا الوضع نفسه بطبيعته على المجتمع، ومن هذه الناحية فإنَّ تَنْشِئَةَ إنسانٍ كاملٍ متكاملٍ، وبعبارة أخرى تلقِّي الإنسان تعليماً كاملاً يكْمُنُ في

الأساس في تحقيق التوازن والعدالة والطمأنينة لديه ولدى المجتمع، وتناول كليات الإنسان وحواسه ومشاعره كلها ودراستها.

واستعداد فتح الله كولن وأمثاله من الأشخاص القادرين على التأثير في الآخرين لتلقي تجليات الأسماء الإلهية وفهمها وإبرازها يفوق استعداد الأشخاص العاديين بكثير، وكما أن الأمر على هذا النحو في الملكات والكليات العقلية والروحية فإنه كذلك في المشاعر كالغضب والرحمة والرغبة؛ ففتح الله كولن مثلاً إنسان نشيط فعال بالفطرة، من أنصار النظام والانتظام، حساس فوق مقياس العادة، بالإضافة إلى أنه على وعي بالتاريخ، مفعم بالأحاسيس الحماسية، وهو إلى جانب ذلك مرتبط إلى حد كبير بأقربائه في إطار شخصيته الأسرية، حساس لأقصى درجة، يشعر بالحب لكل الموجودات، ورحيم ومشفق لدرجة أنه قد يقول:

"إن رأيت ورقة وقعت من غصنها في الخريف فسقطت على الأرض، أحس بالهم وكأن ذراعاً قد انقطعت".

وقد يجتهد لمدة نصف ساعة كي يُنقذ نملةً سقطت في حفرة، بل إنه ربما يُغمى عليه إن سمع بكاء طفل وهو في كامل تركيزه وخشوعه وما فيه من طمأنينة إلهية أثناء الصلاة، ومع كونه رحيماً مشفقاً باراً بأقاربه، ومفعماً بالحب؛ فإن ما ذاقه من أنواع الحرمان منذ مولده، وما تعرض له والده المرهف الحس اللطيف المشاعر من جفاء الأصدقاء وأنواع الهجر حين تلاحمت وأتحدت مع وفاة الأحيبة التي جرحت روحه جرحاً غائراً، ثم الجروح التي أصابت جسد الإسلام لاحقاً، كل هذه الأمور خمرت في داخله هموماً عميقة جداً كانت تنمو وتتضاحم مع آلام الإنسانية وهمومها، ومثل هذه النوعية من التأثيرات المختلفة تُمهّد -إن لم تتوازن- الطريق لحدوث انكسارات متكررة في شخصية الإنسان، ولقد وفق الله

تعالى فتح الله كُولُنْ إلى توحيد ودمج كل هذه الجوانب الكامنة في شخصيته والتأثيرات التي وقعت في نشأته على نحو متوازن.

ساق القَدْرُ فتح الله كُولُنْ إلى الأدب والتاريخ والفلسفة أيضاً إلى جانب العلوم الدينية والتربية الروحية والعلوم المسماة بالعلوم الطبيعيّة، وقد بدأ تحصيله ودراسته في بيت الوالد، واستمرّ في "أرضروم"، كما أن تحصيله المعنويّ -الذي بدأ في بيت الوالد أيضاً- استمرّ بمجالسته "محمد لطفي أفندي"، ولم ينقطع قطُّ طيلة حياته، مثله في ذلك مثل تحصيله الديني، و"رسائل النور" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي التي تعرّف عليها في سنوات تعليمه أسهمت بدورها وبقدرٍ واضح في تربيته المعنويّة تلك، ونتيجة لذلك فقد ظلُّ يُطَوِّرُ الملكات والاستعدادات التي فطرها الخالق فيه على نحو متوازن مع العصر، وواصل بنفسه تعليمه الحديث الذي كان بدأ في المدرسة الابتدائية في مجالات العلوم والفلسفة والأدب والتاريخ، وإلى جانب ضلّاعته في المبادئ الأساسية للعلوم الحديثة بدءاً من الفيزياء إلى الكيمياء، ومروراً بالأحياء إلى الفلك من جانب؛ تعرّف من جانب آخر على الفلاسفة الوجوديين وفلسفة الشُّرْقِ والغَرْبِ بمصادريهما الأمّ المختلفة؛ فأفرزت كل هذه الأمور إلى جانب المعرفة العميقة والعشق الفيّاض، والعلم الواسع والمنطق المحيط والمحاكمة العقلية، والحكمة والحماس في الوقت ذاته، بل والبصيرة والفراسة القادرة على تحقيق التوازن في كل شيء، ثم الصفاء والرقّة والكرم والتسليم والمعاناة والأين والعفة والتقوى والشفقة والرحمة والتسامح، وفي المقابل الحماسة المطلقة والأمل والمثالية والنظام المنضبط... أفرزت نموذج صبر عميق، وإنسان تربية وحركة عرفه الرأي العام بالأستاذ فتح الله ولقبه من يعرفونه عن قُرْبٍ بلقب "خواجه أفندي" أي: السيّد الأستاذ.

### تواضعه

وَتَمَّةَ خَاصِيَّةٍ أُخْرَى هِيَ الْأَهَمُّ فِي شَخْصِيَّةِ فَتْحِ اللَّهِ كَوْلُنْ أَلَا وَهِيَ التَّوَاضَعُ الَّذِي يَمَكِّنُنَا أَنْ نَرَاهُ نَتِيجَةً لِطَبِيعَتِهِ وَالتَّرْبِيَةِ الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا؛ فَالتَّوَاضَعُ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِ شَخْصِيَّتِهِ؛ فَهَذِهِ "الشَّخْصِيَّةُ الصُّوفِيَّةُ البَعِيدَةُ كُلَّ البُعْدِ عَنِ حَبِّ الدُّنْيَا وَمَظَاهِرِهِ كَالقِيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ تُظْهِرُ لَدَى فَتْحِ اللَّهِ كَوْلُنْ فِي نَسْيَانِ الذَّاتِ أَوْ "التَّصْفِيرِ (أَيُّ أَنَّ يَعِدَّ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ صِفْرًا، أَيْ شَيْئًا لَا قِيَمَةَ لَهُ وَلَا يُؤْبَهُ لَهُ)" عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ هُوَ.

ويقول فتح الله كَوْلُنْ:

"إنكم حتى وإن هَدَمْتُم هذه الدنيا وأَقَمْتُم جَنَّةً بَدَلًا مِنْهَا؛ فَعَلَيْكُمْ الْاِتِّزَاءُ إِلَى جَذَعِ شَجَرَةٍ، وَالإِيمَانُ بِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ قَامِ بِهَذَا...

وَأَنْ تُنْحُوا مَا فَعَلْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَعْتَقِدُوا: "أَنَا لَمْ نَفْعَلْ نَحْنُ كُلُّ هَذَا؛ بَلْ إِنَّهَا أَشْيَاءٌ تَمَّ إِجْرَازُهَا بِعَوْنِ اللَّهِ، ثُمَّ بِهَمَّةِ أَنَاسٍ طَيِّبِينَ".

ويقول مؤيدًا هذه الفِكرَةَ:

"لَمْ أَرُ نَفْسِي قَطُّ جَدِيرًا بِأَيِّ شَكْلِ مِنْ أَشْكَالِ التَّقْدِيرِ فِي أَيِّ وَقْتٍ".

وَمِنْ آثَارِ تَوَاضَعِ فَتْحِ اللَّهِ كَوْلُنِ تَسْمِيَّتُهُ نَفْسَهُ "قِطْمِيرًا"، وَهَذَا لَهُ مَغْزَى، إِذِ الْقِطْمِيرُ فِي اللُّغَةِ هُوَ القَشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الَّتِي عَلَى نَوَى التَّمْرِ، وَهُوَ يُضْرَبُ مَثَلًا لِلشَّيْءِ الطَّفِيفِ التَّافِهِ الْحَقِيرِ، إِذِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٣/٣٥) أَيُّ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا يُذَكَّرُ، وَيُرْوَى أَنَّ اسْمَ كَلْبِ أَصْحَابِ الكَهْفِ "قِطْمِير"، وَيُرْوَى أَيْضًا -وَلَوْ كَانَتْ الرِّوَايَةُ ضَعِيفَةً- أَنَّهُ يَدْخُلُ مَعَهُمُ الجَنَّةَ، وَلِلشَّاعِرِ الصُّوفِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجَامِيِّ شَعْرٌ فَارِسِيٌّ مَا تَرَجَمْتَهُ:

يا رسول الله! ما ضرّ لو دخلت الجنة مع الداخلين  
ككلب أصحاب الكهف في زمرة أصحابك الأولين  
أيثنا ألتق بالجنة أنا أم من حرس الكهف سنين؟  
إن كان هو كلب أصحاب الكهف  
فأنا كلب أصحابك يا سيد الأولين والآخريين

وفتح الله كولن يأتسي بالجامي في هذا المعنى ويستخدم هذا التعبير  
(أي قطمير) لنفسه دائماً بكلاماً معنيه قائلاً: "هذا القطمير فعل كذا.. يقول  
القطمير... "عاداً نفسه شيئاً حقيراً أو "لا شيء" أو "صِفْراً" على حد تعبيره  
هو، ويقول: "حتى للقطمير (سواء كان بمعنى الكلب أو بمعنى الشيء  
التافه) قيمة ما، فإني أرى حتى هذا منصباً أو مستوّى يُذكر، فلا أرى  
أهلية لي في استخدام هذا، لأن للكلب خصائص لا توجد عند غيره من  
الحيوانات وله قيمته، والقشرة الرقيقة التي تلف نواة التمرة أيضاً شيء  
نافع يحفظ النواة من الفساد داخلياً، لذا أحياناً لا أرى لنفسى استحقاقاً  
لاستخدام هذه الكلمة أيضاً"<sup>(٣٣٦)</sup>.

ولا يأذن لمن يرغب في تقبيل يده بفعل ذلك، وتنزع نفسه لأقصى  
درجة من الاحترام والتبجيل الذي يلقاه، ويرغب في أن يتصرف الناس  
تجاهه على نحوٍ طبيعيٍّ؛ فهو ينفّر من تصرّفات التصنّع وإظهار خلاف  
الحقيقة، وقول ما ليس في القلب حقاً، وإنه وإن سرّته التصرفات  
والسلوكيات الظريفة والرفيعة والمتوازنة، إلا أنه يكون بها أسعد إن  
صارت طبيعة في الإنسان، ويشعر بتأدّب وانزعاج كبيرين من إسناد نجاح  
أو خدمة ما إلى نفسه وتقديمه أمام أيّة جموع وجماهير، ويُفضّل دائماً أن  
يظلّ تابعاً وفيّاً للأشخاص العظام الذين سبقوه، وأكثر الأمور التي تُسعدّه  
وتسرّه أن يكون "فرداً من الناس"، ولهذا فإنه يقول أحياناً:

"إن ديننا لو أذن بتغيير الوجه والشكل بواسطة عمليات جراحية؛ وإنني لو كنت فاعلها لفعلتها حتى لا أعرف".

### حديثه وأسلوبه وعلاقته بمخاطبيه

إن فتح الله كولن ذو طبيعة حساسة تنفر من الأخطاء وترفضها رفضاً قاطعاً، بينما تقدّر الصواب حقّه ولو كان مثقال ذرّة، ويحبُّ أن يتبادل المودّة والفكر مع الناس، وهو إلى جانب طبيعته المتواضعة الخجولة لا يتكلّم عادة ما لم يؤجّه إليه سؤال؛ لأنّه قد يتعدّر تحديث من لا يستقبل ولا يتطلّع للمعرفة وليس هناك ما يشغل فكره ولا عقله، أو أنه لا داعي لذلك أصلاً، وكما أنه ينفر من مظاهر التباهي بالمعرفة وإظهار النفس سواءً في أثناء إجابتّه عن الأسئلة، أو حديثه في موضوع ما أو تذكيره بشيء ما؛ فإنه يعتمد الإرشاد أساساً، وكثيراً ما يردف حديثه بقوله: "صدعت رؤوسكم!" يقولها صادقاً مخلصاً.

وبقدر ما يهتمّ بإزالة غموض السؤال وإبهامه يضع المخاطب موضع اهتمامه ويتوجّه إليه؛ فيجب على الناس -السائل أو المستمع على حد سواء- أن يستفيدوا من الإجابة ويحلّوا بها مشاكلهم بقدر إدراكهم لها وفهمهم إياها، علاوة على أنه يجب أن تؤثّر هذه الإجابة في حياتهم القلبيّة؛ ومن ثم فإن الإجابة عن السؤال المطروح قد لا تكون -في بعض الأحيان- على قدره تماماً، بل على نحوٍ يستفيد منه المخاطبون الآخرون أعظم استفادةً، وإلى جانب هذا فكثيراً ما يقول فتح الله كولن لمخاطبيه بعض ما يرغب في قوله من أشياء انطلاّقاً من السؤال المطروح عليه، وقد لا تكون هذه الأشياء مرتبطة بالسؤال على نحوٍ مباشرٍ، إلا أن ثمة رسالة تُقدّم مع تلك الإجابة، وشيء يُذكر به، أو أن مسألة أخرى تُحلّ بذلك.

وعندما يُدكَّرُ فتح الله كَوْلُنْ ويقوِّمُ الأخطاءَ ويصحِّحها فهو غالبًا ما يتحدَّثُ بعبارةٍ عامَّةٍ غير موجَّهةٍ إلى شخصٍ بعينه، ويرغب في أن ينالَ كلُّ إنسانٍ نصيبه من ذلك؛ فهو لا يُواجه الأَشْخاصَ بأخطائهم، بل يُعَبِّرُ عنها بأسلوبٍ مناسبٍ ملائمٍ، وبالنسبة لمن يُسْرُونُ بمصارحَتهم بعيوبهم ولا ينزعجون من ذلك فيستخدم هذه النوعيَّةَ من الناس كـ"سِتْوَرَة" على حدِّ تعبيره؛ أي إنه ينبههم وكأنهم هم من أخطأ رَغْمَ أنهم ليسوا كذلك، بينما مخاطبُه شخصٌ آخر، ويتوقَّع أن يأخذ مخاطبُه أيضًا الدرسَ بهذا الشكل، وكما سبقَ عرضه فإن كَوْلُنْ يُكثر في أحاديثه بصفةٍ خاصَّةٍ من استخدام فنون بلاغيَّة كالتمليح والاستعارة والكناية والتورية، فيُحْمَلُ بهذا الشكلِ الكلمةَ معاني أوفرَ وأكثرَ تنوعًا إلى جانب مُهمَّتِها الأصيلَة في الوقت نفسه؛ ولذلك فإنه قد يُنَبِّهُ ويُحذِّرُ باستخدام كلمة قد يظنها من لا يفهمون أسلوبه أو من يستمعون إليه للمرة الأولى نوعًا من الثناء واللفظ، وقد يُلاطفُ بكلمةٍ يحسبونها تنبيهاً وتحذيرًا؛ فإن لم تُعلم هذه الأمورُ وتُخَبَّرَ فسرها سامعوها تفسيرات مختلفة، ولتجنَّبِ الخطأ في هذا الموضوع لا بدَّ من فهم بُنيته الفكرية ووجهة نظره وأسلوبه ولُغَتِه واستيعاب ذلك كلِّه، وأخذُه بعين الاعتبار.

وحين يتحدَّثُ فتح الله كَوْلُنْ يحكي نِكاتًا وطُرْفًا تُناسِبُ الموضوعَ أحيانًا، ويمزجُ أحيانًا أخرى، إلا أنه لا يُهمَلُ أحدًا ولا يبتذلُ في المزاح. ويستمع إلى كلِّ كلمةٍ تُقالُ ببنيةٍ طيبةٍ وإخلاصٍ، فيرَتَسِمُ على شفثية أو على محيائه تبسُّمٌ ظريفٌ إذا ما سُرَّ من قولٍ أو فعلٍ، وأحيانًا ما يُقابلُ ذلك بنوع من التقدير واللفظ، أما في مقابل ما لا يسره من الكلام الذي فيه تصنُّعٌ ورياءٌ ورغبةٌ في التباهي وإظهار الذات، أو غرض في الفكرة أو الاقتراح المطروح؛ فإن ثمة عُبوسًا يجثمُ على وجهه وكأنَّ سُحْبًا قد خيَّمَتْ عليه.

### وفاءه لأصدقائه وأشْيائه وذكرياته

فتح الله كُولُنْ وفيَّ سواء لأصدقائه، أو لأشْيائه التي استعملها، أو للمكان الذي أقام به ولو حتى فترة قصيرة، وباختصار إنه وفيٌّ لكلِّ شيءٍ تربُّطه به علاقةً، ويقول:

"إن استرخنا مع أشخاص مدَّةً من الوقت أسفلَ شجرةٍ في أثناء رحلةٍ، ومَضَّتْ سنوات فإنَّ القلبَ يحترقُ إن لم يتذكَّرْ هؤلاء الأشخاص ذلكَ قائلين: "لقد استرخنا هنا فيما مضى".

ومثل هذا أيضًا فإنه لا يرغب حتى في تغيير تصميم مكانٍ أقام به مدَّةً ما، بل يرغبُ في الحفاظِ عليه كما هو، وإن أحسَّ أنه كسرَ بخاطرِ إنسانٍ أو أدركَ أنَّ أحدًا قد انكسرَ خاطره لسببٍ ما؛ حمَّلَ نفسه المسؤُولِيَّةَ، وسعى للإصلاح كيفما يجبُ تجاه كلِّ إنسانٍ من الناس.

### كرمه وتهاديه مع غيره

إنَّ فتحَ الله كُولُنْ الذي يتحلَّى بصفات الكرم والسخاء الأصيلة يقول:

"لقد نشأتُ في مناخٍ لاحَ فيه بطولات الكرم عائلةً وبيئَةً؛ حتى إنني لم أعرفُ بخيالٍ في عائلتي، ولأنني لستُ ممن يُخفي ما يملكُ؛ فإنني لم أستطعُ قطُّ أن أفهمَ ماذا يعنيه أولئك الأشخاص الذين يرتجفون حين يُطلب منهم العطاء والبدل، أو أفهم ما قيمة كثر المال وعدم إنفاقه، إن الكرمَ خصلةٌ ساميةٌ لدرجة أنَّ الإنسان قد يدخل الجنةَ بفضلها حتى وإن كان فاسقًا، فطريقُ الجنةِ يمرُّ بها، بل إنَّ الكرمَ هو إحدى الطرق التي تؤدِّي بالإنسان إلى الجنةِ"<sup>(٣٣٧)</sup>.

ليس لدى الأستاذ أكثر من طَقْمٍ أو اثنين من الملابسِ والثيابِ، ويُهدي كلَّ ثيابه الزائدة عن حاجته من جوارب وأقمصيةٍ ومعاطفٍ، وخلافًا

لذلك فإنه إن أعجَبَ بحالِهِ ما، أو صادفَ نجاحًا مَبِينًا على الإخلاصِ في الخِدْمَةِ، أو شيئًا يَسُرُّ النفسَ فِكْرًا وشعورًا كافيًا صاحِبَهُ بهدايا متميِّزةٍ ومختلفة، وبقَدْرِ ما لاحظْتُهُ؛ فإنَّ لكلِّ هَدِيَّةٍ يُقَدِّمُها معنى خاصًّا بها، وكما أنه يُهدي الآخريين فإنه يقبل الهدايا أيضًا، وكثيرًا ما يُقابل الهدية بهديَّة، ومثل ذلك أيضًا الرسائل والخطابات المرسلَة إليه؛ فإنه لا يتركها إلا ويردُّ عليها.

### المطالعةُ والأدبُ

يَعتبر الأستاذُ كَوْلُنْ من الشخصياتِ كثيرةِ الأطلاعِ والقراءة؛ إذ يُقرأ في اليوم الواحد ما بين مائةٍ وخمسين إلى مائتي صفحة ما لم تؤذِرْ روحَهُ الألامُ والهمومُ التي تبدو وكأنها لا تُغلب، وقد بدأ مشوارَهُ في القراءة والأطلاع منذ طفولتِهِ بقراءةِ كِتَابِ السِّيرِ؛ أي كتب سيرة الرسول ﷺ ومناقبِ الصحابة الكرام ﷺ، أما في السنوات اللاحقة فقد تابَعَ قراءتَهُ بالأطلاع على الكُتُبِ والمؤلفاتِ العلميَّة والفكريةِ والفلسفيَّة، وقد قرأ في تلك الفترة إلى جانب كلاسِيكِيَّاتِ الشرقِ أهمُّ كلاسِيكِيَّاتِ الغربِ أيضًا بناءً على توصية أحد القادة أثناء أدائه الخِدمة العسكريَّة؛ فقرأ لـ"شكسبير" و"بالزك" و"فولتير" و"جان جاك روسو" و"إيمانويل كانت" و"إميل فرانسوا زولا" و"يوهان جوته" و"كاي موس" و"جان بول سارتر" ... وتعرَّفَ عليهم، كما قرأ لِقَدَماءِ الشرقِ من أمثال "مولانا جلال الدين الرومي" و"سعدي وحافظ الشيرازيَّين" و"ملا جامي" و"الفردوسي" و"الأنوري" ... وخَبَرَهُم جَيِّدًا، وهو يعرف إلى جانب هؤلاء أيضًا كلاً من "برنارد روسيل" و"بوشكين" و"تولستوي" والكثيرين غيرهم؛ وإنكم لتجدون في أحاديثه وحواراته إشارات وإحالات إلى منطق "بيكون" ومنطق "روسيل" النظري، وجدليَّة "بسكال" وصولاً إلى "بيكاسو"، وإلى العديد من المصادر والمراجع

حتى إلى العلاقة بين الموضوعي والشخصي بين الحين والآخر، أما عن الأدب التركي فإنه إلى جانب قراءته لعمالقة الأدب الكلاسيكي أو الديواني من أمثال "باقي" و"نفعي" و"شيخ غالب" و"ليلي هانم"... يعرف جيّدًا الكُتّابَ والشعراء البارزين، لا سيّما أمثال "نامق كمال" و"شَناسِي" و"توفيق فكرت"، وعلى رأسهم "يحيى كمال" و"نجيب فاضل" و"محمد عاكف أرْصُوي" و"سَرَائِي قَارَأُوقُح"...

والساحةُ الرئيسة التي يركّزُ فيها فتح الله كُولُنْ دراساته وبحوثه هي ساحة العلوم الإسلامية، وبالأحرى معاني القرآن الكريم وتفسيره وبلاغته ولطائفه والأحاديث النبوية الشريفة وشروحها وتحليلها والفقهُ وأصوله، ومعرفةُ الله وأحوال القلب، وكم يركّز على نمط وأسلوب الحياة الإسلامية، ويُفضّل الحديث في هذه المواضيع والمجالات، وهو مع هذا يحبُّ الحديث في الفنون الجميلة كالموسيقى ويأتي في مقدمتها الأدبُ لأنه يُسرُّ منه ويروقه.

ويتدارسُ فتح الله كُولُنْ مع الناس فروغًا من مختلف العلوم يوميًا تقريبًا ما لم تشغله أعمال ولا شؤون أخرى، فيجتهد ويقرأ؛ فقد أنمَّ هو وتلاميذه في أحد شهور رمضان المعظم قراءةً تسع مجلدات من كتاب "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" المكوّن من ستّة عشر مجلدًا لصاحبه "علي المتقي الهندي" الذي يحتوي على أكثر من ستّة وأربعين ألف حديث (وباقِي المجلدات من هذا الكتاب أكملوا قراءتها في بضعة أشهر بعد ذلك)، وهو من أوسع وأشمل موسوعات الحديث النبوي الشريف، كما طالع بعض المؤلفات المهمة من كليات الفقه الإسلامي والتفسير والتصوّف والبلاغة، بل كرّرَ قراءة بعضها وتدارسها أكثر من مرّة<sup>(٣٣٨)</sup>.

(٣٣٨) وقد أضفنا في آخر الكتاب منهج التدريس في حلّق الأستاذ فتح الله كولن والكتّب التي درّسها، انظر الملحق الثالث. (الناشر)

### ملبسه وماكله وحركاته وأمراضه وحيائه اليوميّة

يرتدي فتح الله كُولُنْ ملبسه بشكلٍ نظيفٍ وجميلٍ ومنظمٍ باعتباره سليم الذوق والاختيار؛ ويحكي أنّه لم يلبس بنظالاً إلا مكويّاً حتى وهو في سني الدراسة، وأنه كان إن لم يجد مكواةً لكيه فإنه يضعه تحت فراشه قبل أن ينام ليلاً.

يأكل فتح الله كُولُنْ قليلاً، ويتعاطى قدرًا كبيرًا من الأدوية منذ شبابه، حتى إنه يمكن القول إن جميع الأمراض تقريبًا قد توطنت في جسده، وزال كل واحد منها بعد أن ضيفَ فترة، وحلَّ غيره محلّه؛ ففي شبابه ظهرت عِللٌ مؤلمةٌ من الدمامل والقروح في جسده كَلِه بما في ذلك يداه ورجلاه ووجهه، فعانى منها وقاسى آلامها قرابة خمس عشرة سنة.

أحسَّ كُولُنْ بمرض السكري في فترة مطارده بعد الانقلاب العسكري عام (١٩٨٠م)، كما ظهرت عنده آلام القلب في الفترة نفسها، ونتيجة لتعقّد هذه العِلل والأسقام وتزامنها فقد أصبَحَتْ تُحدِثُ آلامًا في ذراعيه وتورمًا في مفاصل أصابعه بين الحين والآخر، ولهذا فإنه لا يستطيع ثني أصابعه تمامًا، ومن ثمَّ يُعاني ألمًا ومشكلةً في استخدام يديه.

وكثرة تعرّقه تُمثّل مرضًا آخر مزمنًا ونوعيًا يُضاف إلى قائمة أمراضه البدنيّة؛ إذ إن صلاة أربع ركعات وترتيب فراشه وحركة خفيفة كليلٍ بسيل العرق منه تصببًا، ولا سيما إذا أصابته نزلة برد فإنها تزيد من آلامه وتصبّب عرقه، ويحدث أن يستبدل ملبسه الداخليّة عدّة مرّات في الليلة الواحدة التي لا ينام فيها ربما سوى ساعتين فحسب.

لقد ظلّ فتح الله كُولُنْ يُجهّز نفسه الطعام لضيوفه مدّة طويلة إلى أن تطوّرت أمراضه السكري والضغط والقلب، كما كان يتولى أمر طعام وغسل ملابس نفسه بنفسه.

وهو لا يستطيع النوم في أغلب الليالي، ولا سيما أنه يُورِّق وينزعج ويشعرُ بفائض الألم في لحظات الوحدة ليلاً بسبب تلك المشكلات التي تَعْتَرِضُ سبيلَ غايته المثلى التي عَشِقَهَا ونذرَ لها عمره، وبسبب ما تعانيه بلدهُ والإنسانيَّةُ جمعاء من الآلام، وما يطرحه عليه الآخرون من قضايا خاصة، وكذلك ما يراه عند البعض من كَلِمَاتٍ وتصرفات وسلوكيات لم يكن يتوقَّع صدورَها منهم، واستحالَ عليه أن يجدَها ملائمةً للإسلام والصِّلَةَ بالله تعالى، وبالرغم من هذا كلِّه فإنَّ صبرَهُ وتحمُّله محيِّرٌ وعجيبٌ.

إن فتح الله كولن هو نسيجٌ وحده وغريبٌ عصره، إذ إنه يعيش بمفرده قَدْرَه الخاص به في وحدةٍ وصمتٍ عميقٍ بين الناس، وسأحتفظ لنفسي بملاحظاتٍ الموضوعية في رأيي، ولكنها قد تُعْتَبَرُ غير موضوعية بالنسبة للبعض، وربما تؤدي إلى إساءة الفهم، وأرى أنه من الأنسب إنهاء هذا الموضوع هنا.



**الملاحق**

## الملحق الأول

### نشرة حياة فتح الله كُولُنْ التسلسلية:

- وُلد فتح الله كُولُنْ في الحادي عشر من نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٣٨م) (٣٣٩) في قرية "فُوزُوجُوقُ" (Korucuk) مركز "حسن قلعة" في محافظة "أرضروم".
- (١٩٤٩م) اضطرَّ إلى تَرْكُ مدرسته الابتدائية بسبب انتقال أسرته في هذا العام إلى قرية "الوار" (Alvar)، ثم أكمل تعليمه من الخارج.
- (١٩٥١م) أتم حفظ القرآن الكريم.
- (١٩٥٢م) كان يقطع يوميًا الطريق ما بين "الوار" و"حسن قلعة" البالغ سبعة كيلو مترات ماشيًا، وقد دَرَسَ التجويدَ على يد "الحاج صدقي أفندي".
- (١٩٥٤م) توفيت جدته لأبيها السيدة "مؤنسة"، ولَحَقَهَا جَدُّه لأبيه "شامل أعا" بعد وفاتها بساعةٍ واحدة.
- وقد دَرَسَ فتح الله كُولُنْ اللغة العربيةَ على يد "سعدي أفندي بن محمد لطفي أفندي" في العام نفسه.
- (١٩٥٦م) توفِّيَ "محمد لطفي أفندي".
- (١٩٥٧م) ألقى الدروس والمواظف في أطراف "أماشيا (Amasya)" و"طُوقَاتُ (Tokat)" و"سيواش (Sivas)".
- (١٩٥٨م): بدأ ممارسة الإمامة بجامعة "الشرفات الثلاث (Üç Şerefeli)" في محافظة "أدرنة".
- العاشر من نوفمبر/تشرين الثاني من عام (١٩٦١م) التَحَقَّ بالخدمة العسكرية الإلزامية في "مماق (Mamak)" التابعة لـ"أنقرة"، وبعد أن أتم فترته التدريبية بها

(٣٣٩) إلا أن تاريخ ولادة فتح الله كُولُنْ حسب بيانات السجل المدني الرسمية السابع والعشرين من أبريل/نيسان (١٩٤١م). (الناشر)

انتقل إلى "إسكندرون (*İskenderun*)"، وهنا مَرَضَ، وعاد إلى "أرضروم" -التي كان غادرها قبل أربع سنوات- ليَقْضِي فيها فترة التَّنَاقُهِة.

- (١٩٦٣م) أنهى خدمته العسكرية، وألقى محاضرةً في "أرضروم" في العام نفسه.
- الرابع من يوليو/تموز (١٩٦٤م) بدأ عمله من جديد في محافظة "أِدْرَنَه".
- الحادي والثلاثين من يوليو/تموز عام (١٩٦٥م) عُيِّنَ واعظًا بمركز "قيرقر آلي (*Kırklareli*)".
- الحادي عشر من مارس/آذار (١٩٦٦م) عُيِّنَ واعظًا بمركز "إزمير"، وكان بالإضافة إلى ذلك يعمل معلّمًا ومدربًا متطوعًا في مركز جمعية "كَسْتَانَه بَزَارِي" للقرآن الكريم.
- (١٩٦٨م) ذهب إلى الحج بتكليف من رئاسة الشؤون الدينية.
- (١٩٦٩م) بدأ الوعظ في المقاهي، ووعظ في مختلف محافظات ومراكز منقطة "إِيْجَه".
- (١٩٧١م) استقال من عمله في مركز جمعية "كَسْتَانَه بَزَارِي" للقرآن الكريم، وقُبِضَ عليه في الثالث من مايو/أيار عقب مذكرة الثاني عشر من مارس/آذار<sup>(٣٤٠)</sup>، وبعد أن ظل محبوبًا ما يزيد عن ستة أشهر أُطْلِقَ سراحه في التاسع من نوفمبر/تشرين الثاني من العام ذاته.
- الثالث والعشرون من فبراير/شباط (١٩٧٢م) عُيِّنَ واعظًا بمركز "أدرميت (*Edremit*)"، وعمل بها مدة عامين.
- العشرون من سبتمبر/أيلول (١٩٧٤م) عُيِّنَ واعظًا بمركز "مغنيسا (*Manisa*)".
- العشرون من سبتمبر/أيلول (١٩٧٤م) توفي والده "رامز أفندي".
- (١٩٧٥م) بدأ يُلقِي سلسلة من المحاضرات حول "القرآن الكريم والعلم" و"الداروينية" و"الجيل الذهبي" و"العدالة الاجتماعية" و"النبوّة"...، وقد استمرت حتى عام (١٩٧٦م)، وبدواعي إلقاء هذه المحاضرات زار كلاً من "أنقرة"

و"جُورُوم (Çorum)" و"أرضروم" و"ملاطيه" و"ديار بكر" و"فُونَيْه (Konya)" و"أَنْطَالِيَه (Antalya)" و"أَيْدُنْ (Aydın)" إلى جانب "إزمير".

- الثامن والعشرون من سبتمبر/أيلول (١٩٧٦م) عُيِّن في "بورنوا (Bornova)" بإزمير.
- (١٩٧٧م) سافر إلى "ألمانيا" مُكَلِّفًا من قِبَل الشؤُون الدينيَّة، وخطب في أماكن مختلفة منها.
- (١٩٧٩م) بدأ الكتابة في مجلة "سيزنْتي" الشهرية.
- في الثاني عشر من سبتمبر/أيلول (١٩٨٠م) تعذر عليه في أعقاب التدخل العسكري في شؤون الحكم أن يواصل وظيفته بصورة فعلية وحقيقية.
- في الخامس والعشرين من نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٨٠م) عُيِّن واعظًا لمركز "جَنَّاق قلعه (Çanakkale)"، إلا أنه لم يستطع البدء في وظيفته هذه بسبب مرضه.
- في يوم العشرين من مارس/آذار (١٩٨١م) استقال من وظيفه الوعظ.
- في الرابع عشر من يناير/كانون الثاني (١٩٨٦م) قُبِض عليه في "بوردور (Burdur)" بدعوى صدور أمر بطلبه والبحث عنه، وبعد تحقيقات طويلة نُقل إلى "إزمير"، ثم أُطلق سراحه.
- في عام (١٩٨٦م) سافر إلى الحج، ثم أصدرت في حقه مذكرة اعتقال بدعوى ارتباطه بقضية "محمد أوزيوزط (Mehmet Özyurt)" في "ديار بكر"، وقد رفض إلحاح أصدقائه أن يقيم في المدينة المنورة ويبقى بها، ووصل إلى "كيليس (Kilis)" عابراً الحدود عن طريق سورية متكبدًا شتى صنوف المشاق والمعاناة كي يصل إلى تركيا ويثبت براءته دون أن يُقبض عليه أو يستسلم، وانتقل من "كيليس" إلى "إزمير"، وسَلِم نفسه إلى إدارة الأحكام العرفية، ولما تبيَّنت براءته أُطلق سراحه.
- (١٩٨٩م) وعظ سنةً كاملةً في أيام الجمعة (٥٢ أسبوعًا) في جامع "والدة سلطان (Valide Sultan)" في "أشكوداز (Üsküdar)" في مدينة إسطنبول، وتحدَّث في مواضعه هذه عن سيدنا رسول الله ﷺ بكلِّ جوانبه وعن سنَّته، وقد جُمعت تلك المواضع لاحقًا في كتاب بعنوان "النور الخالد محمد ﷺ مفرخة الإنسانية (İnsanlığın İftihar Tablosu: SONSUZ NUR)".

- (١٩٩٠-١٩٩٢م) وَعَظَّ فخرِيًّا مَرَّةً كُلَّ شَهْرٍ فِي "إِسْطَنْبُول" و"إِزْمِير"، وَمَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ فِي "أَنْقَرَةَ" وَأُخْرَى فِي "أَرْضُروم".
- فِي التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ يُونِيو/حزيران (١٩٩٤م) شَارَكَ فِي حَفْلِ الْإِفْتِتَاحِ الَّذِي نَظَّمَهُ وَقَفُّ الصَّحْفِيَّيْنِ وَالكِتَابُ فِي فَنْدُقِ "بُولَاد رِينَاْسَانْس (Polat Renaissance)", وَقَدْ لَفَّتِ الْأَنْظَارَ إِلَيْهِ بِحَدِيثِهِ فِي هَذَا الْاجْتِمَاعِ الَّذِي شَارَكَ فِيهِ عَدِيدٌ مِنَ الصَّحْفِيَّيْنِ وَالكِتَابِ وَالْفَنَانِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَالسِّيَاسِيِّينَ وَرِجَالَ الْأَعْمَالِ، وَاهْتَمَّتْ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ اهْتِمَامًا إِيجَابِيًّا عَلَى أَوْسَعِ نَظَائِقَ بِهَذَا الْإِفْتِتَاحِ وَبِحَدِيثِ كُولُنْ، وَاسْتَحْسَنَتْهُ.
- (١٩٩٤م) اجْتَمَعَ بَرْنِيسُ الْوَزَرَاءِ حِينَهَا السَّيِّدَةُ "تَانْسُو جِيلَلُو (Tansu Çiller)" فِي أَوَائِلِ شَهْرِ دَيْسِمْبَر/كَانُونِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ أَحْدَثَ هَذَا الْلِقَاءُ صَدَى عَظِيمًا فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، كَمَا التَقَى فِي سَنَوَاتٍ لَاحِقَةٍ بـ"تَانْسُو جِيلَلُو" مَجْدَدًا، وَكَذَلِكَ بـ"بُولُنْدُ أَجْوِيدُ (Bülent Ecevit)" وَ"مَسْعُودُ يِلْمَازُ (Mesut Yılmaz)", وَ"حَكْمَتُ جِيْتِينُ (Hikmet Çetin)" رَئِيسَ حَزْبِ الشَّعْبِ الْجُمْهُورِيِّ آنَذَاكَ.
- (١٩٩٥م) نَشَرَتْ صَحْفِيَّتَا "حُرِّيَّة (Hürriyet)" وَ"صَبَاح (Sabah)" فِي شَهْرِ يَنَايِر/كَانُونِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْعَامِ السَّلْسَلَةَ الْأَوَّلَى مِنْ مَجْمُوعَةِ لِقَاءَاتٍ أُجْرِيَتْ مَعَهُ.
- (١٩٩٥-١٩٩٨م) شَارَكَ فِي الْأَنْشُطَةِ الَّتِي نَظَّمَهَا وَقَفُّ الصَّحْفِيَّيْنِ وَالكِتَابِ؛ مِثْلَ "مَوَائِدِ الْإِفْطَارِ فِي رَمْضَانَ"، وَبِرَنَامِجٍ "مَعًا مِنْ أَجْلِ غَدِّ سَعِيدٍ"، وَ"حَفَلَاتِ تَوْزِيعِ الْجَوَائِزِ" كَحَفْلِ تَوْزِيعِ الْجَوَائِزِ التَّشْجِيعِيَّةِ لِلتَّسَامُحِ وَالتَّصَالُحِ، كَمَا شَارَكَ فِي مَرَاْسِمِ الْأَعْيَادِ.
- (١٩٩٥-١٩٩٨م) فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ أَيْضًا اجْتَمَعَ، عَدَّةً مَرَاتٍ فِي إِطَارِ الْحَوَارِ بَيْنَ أَتْبَاعِ الْأَدْيَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَزِيَارَاتِ الصَّدَاقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَتَبَادَلَةِ أَيْضًا، مَعَ السَّيِّدِ "جُورْجِ مَارُوفِيْتِش (Georges Marovitch)" رَئِيسَ جَمْعِيَّةِ الرُّؤْسَاءِ الرُّوحَانِيِّينَ لِلطَّائِفَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ فِي تَرْكِيَا، وَالسَّيِّدِ "بِير لُويْغِي جِلَاتَا (Pier Luigi Celata)" سَفِيرَ الْفَاتِيكَانِ لَدَى أَنْقَرَةَ، وَ"بِرْتَلْمَاوَس (Bartholomeos)" بَطْرِيْرِكِ فَنْرِ رُومِ إِسْطَنْبُولِ، وَ"كَارَاكِين (Karakin)" رَئِيسَ الطَّائِفَةِ الْأَرْمَنِيةِ الرَّاحِلِ، وَزَعِيمَهَا الْحَالِي "مَيْسِرُوفِ مَوْطَفِيَانِ (Mesrof Mutafyan)", وَالْمَطْرَانَ "يُوسُفَ صَاغُ (Yusuf Sag)" نَائِبَ بَطْرِيْرِكِ الطَّائِفَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ السَّرْيَانِيَّةِ، وَ"يُوسُفَ جِيْتِينُ (Yusuf Çetin)" مَطْرَانَ السَّرْيَانِيِّينَ الْقَدَمَاءِ، وَ"صَمُوَائِيلَ أَقْدَمِير (Samuel Akdemir)" وَكَبِيرَ الْقَسْبَسِيِّينَ، وَقَادَةَ الطَّائِفَةِ الْيَهُودِيَّةِ، وَ"دِفِيدَ أُسِيُو (David Aseo)" كَبِيرَ الْحَاخَامَاتِ الْيَهُودِ فِي إِسْطَنْبُولِ.

- في الفترة ما بين الحادي عشر من يوليو/تموز والثلاثين من سبتمبر/أيلول عام (١٩٩٧م) حيث كان في أمريكا في تلك الفترة فالتقى بالكاردينال "جون أوكونور" (*John O'Connor*) أرشيدوق كاثوليكية روما وكبير أساقفة نيويورك، ومساعدته "أليكس (Alex)"، بالإضافة إلى "ليون ليفي" (*Leon Levy*) زعيم رابطة مكافحة التشهير الخاصة باليهود في تلك الفترة وأصدقائه، والأستاذ الدكتور "سيدني غريفت" (*Sidney Griffith*) رئيس قسم الدراسات المسيحية الشرقية بالجامعة الكاثوليكية الأمريكية.
- في التاسع من فبراير/شباط (١٩٩٨م) أجرى لقاءً تاريخيًا في الفاتيكان مع البابا "جون باول" (*John Paul*)، وبالإضافة إلى هذا اللقاء زار الكردينال "أرانزي" (*Arenzi*) ومجلس الكردينالات، وقد شغلت هذه الزيارة وسائل الإعلام مدةً طويلةً، وأصبحت مادةً دسمةً للأخبار والتحليلات.
- في التاسع عشر من فبراير/شباط (١٩٩٨م) زاره في إسطنبول مُدراء الاتحاد العالمي للكنائس، والرئيس السابق لرابطة مكافحة التشهير الخاصة باليهود "ليون ليفي" وبرفقته بعض من أصدقائه.
- في الخامس والعشرين من فبراير/شباط (١٩٩٨م) التقى "إلياهو باخشي دورون" (*Eliyahu Bakhsi Doron*) كبير حاخامات اليهود السفاريم بالقدس في مقرّ اتحاد الصحفيين والكتاب بحَيِّ "تقسيم" في إسطنبول، أما في التاسع من مارس/آذار عام (١٩٩٨م) فقد التقى بالرهبان ورجال العلم المشاركين في اجتماع الحوار بين الثقافات الذي نظّمته بلدية إسطنبول العامة.
- وقد طُلب خلال شهر يناير/كانون الثاني (١٩٩٩م) حجز موعدٍ للكشف الطبي على فتح الله كُولُن في مستشفى "مايو" (*Mayo Clinic*) بالولايات المتحدة الأمريكية، فحدّدت إدارة المستشفى الموعد في الثاني والعشرين من مارس/آذار (١٩٩٩م)، وبناءً عليه غادر فتح الله كُولُن تركيا في الحادي والعشرين من مارس/آذار (١٩٩٩م)، وخضع لفحصٍ طبيٍّ شاملٍ في هذه المستشفى في الفترة ما بين الثاني والعشرين والسادس والعشرين من مارس/آذار، وهو يقيم في أمريكا منذ ذلك اليوم وحتى الآن بناءً على توصيات أطبائه، وظروفه الخاصة به.



## الملحق الثاني

### الحوارات

أجرى العديد من الصحفيين ومراسلي القنوات المحلية والأجنبية حوارات مع الأستاذ فتح الله كُولُنْ؛ ففي:

- الفترة ما بين الثالث والعشرين إلى الثلاثين من يناير/كانون الثاني من عام (١٩٩٥م) نشرت صحيفة "صباح" الحوار الذي أجرته معه مراسلتها "نورية أقمان" (Nuriye Akman).
  - وفي نفس الفترة أيضاً نشرت صحيفة "حرية" الحوار الذي أجره معه صحفيها "أرطغرل أوزكوك" (Ertuğrul Özkök).
  - وفي أغسطس/آب (١٩٩٥م) نشرت جريدة "زمان" الحوار الذي أجره معه صحفيها "أيوب جان" (Eyüp Can).
  - وفي الفترة من عشرين إلى ستة وعشرين من أغسطس/آب (١٩٩٥م) نُشِرَتْ صحيفة "جمهورية" الحوار الذي أجره معه صحفيها "أورال جاليشلر" (Oral Çalışlar).
  - وفيما بين الثالث عشر إلى الثلاثين من يناير/كانون الثاني (١٩٩٧م) نُشِرَتْ صحيفة "صباح" كذلك الحوار الذي أجره معه صحفيها "خلوصي طورغوت" (Hulusi Turgut).
- [وقد جُمِعت وطُبعت الحوارات التي أجرها معه كلُّ من "نَوَال سَوِينْدِي" و"أيوب جان" على هيئة كُتُبٍ؛ فصدرَ كتاب "نَوَال سَوِينْدِي" بين منشورات صحيفة "صباح"؛ بينما صدرَ كتاب "جان" بين منشورات صحيفة "ملية"؛ وقد بيعَ من كل منهما حوالي عشرة آلاف نسخة، ونشرت "نَوَال سَوِينْدِي" كتابها مرَّةً أخرى عام (٢٠٠٢م).]

- بالإضافة إلى هذا أجرى "خاقان ياووز (Hakan Yavuz)" عضو هيئة التدريس المتواجد في أمريكا حوارًا مع فتح الله كولن، وقد نُشر على ثلاثة أيام في عمود "رأي المثقف" في صحيفة "ملتيت".
- كما أجرت "ياسمين جونغار (Yasemin Çongar)" حوارًا معه خلال شهر أغسطس/آب (١٩٩٧م) في أمريكا، وقد نُشر في صحيفة "ملية".
- ومن صحيفة "ملتيت" أيضًا أجرى "أوزجان أونلو (Özcan Ünlü)" حوارًا معه احتلَّ خلال مارس/آذار (١٩٩٨م).
- وقد كانت أكثرُ سلسلةٍ من الحوارات أُجريتْ معه تلك التي قام بها في أمريكا كلُّ من "نورية أقمان" من صحيفة "زمان"، و"محمد كوندم (Mehmet Gündem)" من صحيفة "ملية".
- في التاسع والعشرين من مارس/آذار ظهرَ ضيفًا مع "رها مختار (Reha Muhtar)" في برنامج بقناة "تي آر تي ١ (TRT 1)" إحدى قنوات التلفزيون الرسمي.
- وبنفس التوقيت أيضًا ظهرَ ضيفًا مع الأستاذ الدكتور "ميم كمال أوكه (Mim Kemal Öke)" و"عثمان أوزصوي (Osman Özsoy)" بقناة "صامان يولو (Samanyolu)" التلفزيونية.
- وفي الخامس عشر من أبريل/نيسان عام (١٩٩٧م) ظهرَ ضيفًا مع "يالجين دوغان (Yalçın Doğan)" في "قناة دي (Kanal D)" التلفزيونية.
- في السابع والعشرين من فبراير/شباط عام (١٩٩٨م) أجرى كلُّ من "جنكيز جاندار (Cengiz Çandar)" و"طه أقيول (Taha Akyol)" حوارًا معه.
- في أوائل عام (١٩٩٨م) أجرى كلُّ من "محمد علي براند (Mehmet Ali Birand)" و"رضوان أفاز (Rıdvan Akar)" من فريق برنامج "اليوم الـ ٣٢ (Otuzyikinci Gün)" حوارًا معه باسم قناة "SHOW" التلفزيونية التركية، وقد نُشرَ على حلقتين بينهما أسبوع واحد، كما طُرِحَ في الأسواق على إسطوانة مضغوطة.
- وقد أجرى العديد من الصحفيين والقنوات التلفزيونية الأجنبية حوارات مع فتح الله كولن، ونشروها وبثوها في صحفهم وقنواتهم.

- والحوار الذي أجراه مراسل صحيفة "وول ستريت (Wall Street)" الإقليمي معه نُشرَ في صفحةٍ كاملةٍ من هذه الصحيفة في طبعتها الأوروبية، بالإضافة إلى ذلك أجرى حوارًا كلًّا من الصحفي النمساوي والمبرمج في إذاعة الفاتيكان "هيانز غسترين (Heinz Gstrein)"، و"سيمون سولتاريدس (Simeon Soltaridis)" من صحيفة "الفتروبيتا (Eleftheropitia)" الصادرة في اليونان، والصحفي "أيدي بولكو (Edi Polko)" من صحيفة "ريلندجيا الديمقراطية (Rilindja Demokratika)" الصادرة في ألبانيا، و"أنور بيتسي (Enver Bytci)" من صحيفة "ألبانيا (Albania)"، و"محمد غياطة (Mehmed Giata)" من صحيفة "ريلندجيا الروسية (Rilindjia Kosova)" معه.
- وإلى جانب هذا أيضًا فقد أجرت بعض القنوات التلفزيونية والصحف الرسمية والخاصة في كلِّ من بلغاريا وأوكرانيا وأذربيجان وأوزبكستان وجورجيا وروسيا وكازاخستان حوارات معه ونُشرَتها وبثَّتُها، علاوةً على أن "جيمس ويلد (James Wilde)" المراسل الإقليمي لصحيفة "تايم (Time)" و"نيكول بوب (Nicole Pope)" من صحيفة "لي موندي (Le Monde)" قد التقيا به.
- وأما الحوارات التي أُجريت مع فضيلة الأستاذ "فتح الله كُولُنْ" عام (٢٠١٤م) [نشرت هذه الحوارات بعنوان "حوارات مع الأستاذ فتح الله كُولُنْ كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني" دار النبيل للطباعة والنشر - القاهرة (٢٠١٥م)]:
  ١. حوار مع جريدة الشرق الأوسط، نشر في ٢٤-٢٥ آذار/مارس (٢٠١٤م).
  ٢. حوار مع جريدة "زمان" التركية، نشر في ١٧-٢١ آذار/مارس (٢٠١٤م).
  ٣. حوار مع قناة "بي بي سي" الفضائية، نشر في ٢٧ كانون الثاني/يناير (٢٠١٤م).
  ٤. حوار مع جريدة "وول ستريت جورنال الأمريكية"، نشر في ٢١ كانون الثاني/يناير (٢٠١٤م).
  ٥. حوار مع جريدة "لا ريبوبليكا" الإيطالية، نشر في ٢٨ آذار/مارس (٢٠١٤م).
  ٦. حوار مع جريدة "سود دويتشه زایتونج" الألمانية، نشر في (١٤ ديسمبر/كانون الأول (٢٠١٤م)).



## الملحق الثالث

### منهج التدريس في حلق الأستاذ كولن<sup>(٣٤١)</sup>

جبلت الأعين على النظر إلى الجانب الظاهر من جبل الثلج، واعتادت الألسن وصف مظاهر الأشياء والتعني بها؛ إذ قلَّ من العقول ما ينقَّب في الأسباب، وندر من القلوب ما يتعلَّق بمسبِّب الأسباب؛ ولقد أنبَّ الله تعالى علماء بني إسرائيل، بأنهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (سورة الرُّوم: ٧/٣٠)، بل إنَّ الله سبحانه، تعليمًا لنا وتربية؛ هदानا إلى اتباع الأسباب، فقال عن سيدنا ذي القرنين عليه السلام: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ (سورة الكهف: ١٨/٨٤-٨٥)، وقال عن الشجرة الطيبة، وعن الفرع الزكي: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٤/١٤).

ولقد قال الشاعر الحكيم:

ما طاب فرع أصله خبيث \* \* \* ولا زكا من مجده حديث

ونسب لابن دريد قوله:

ما طاب فرع لا يطيب أصله \* \* \* حُمى مؤاخاة اللئيم فغله

لطالما زارت الوفود مشاريع الخدمة، وخطت كلمات صادقة، ومقالات بديعة، في بيان تميز هذه النقلة الحضارية عن غيرها، مبنئ ومعنى؛ ولطالما أبهرت الجموع بالسعة والعدد والجودة والدقة... فلهجت الأفتدة بالدعاء للمولى الجليل أن يحفظ القائمين عليها، ويجزل لهم المثوبة والأجر، وأن يكتب انتشار تلكم الآثار في ربوع الإسلام مشرقًا ومغربًا.

(٣٤١) اقتبسناه من كتاب "د. محمد بابا عمي: أرباب المستوى: الأكاديمية باعتبارها جماعة علمية، دار النيل (٢٠١٢م)، القاهرة، ص ٢٤٨-٢٦٢. (الناشر)

ولعلَّ أكثر الأسئلة تردُّداً من قبل الزوار، هو: "كيف يمكن أن نستفيد من الخدمة، فكرياً وفعالاً؛ وهل يمكن أن نستسخنها، أم الواجب هو تكيفها؟ وكيف يتمُّ ذلك؟".

ولعلَّ الجواب يكمن في أنَّ الشجر والتراب والماء والهواء... لا يمكن نقلها من بلد إلى بلد، وأنَّ الذي يمكن نقله هو "الإيمان" و"المعرفة" و"الحكمة" و"الخزائنية" و"العلم" و"المنهج" و"الخُلُق"... أي إنَّ الذي يمكن نقله هو من طابع "عرفاني، معرفي، معنويّ" محض، وليس من طبيعة مادية صلبة صلدة مصمتة؛ وإلَّا لما أمكن نقل الإسلام بين عصر وعصر، ولا بين مصر ومصر؛ وما انتشر الإسلام إلا بما يحمل من المعنى، وبما يشرح به من أبعاد إنسانية، روحية، إيمانية، عميقة.

ولقد قال قائل عن الأستاذ فتح الله: "من لم يعرف ليل الأستاذ لم يعرف الأستاذ؛ ويصدق أن نضيف: "ومن لم يعرف علاقة الأستاذ بالعلم والتعليم، لم يدرك حقيقة الأستاذ، ولا دلالة الخدمة"، ونختصر الخدمة في تعريف موجز، فنقول: "هي الحياة، حين تبدئ في صورة: مدرسةٍ للوحي المبين، والخلق المتين، والعلم الرصين"، ومن ثم صدق أن نقول: إنَّ الحياة في عرف الأستاذ مدرسةٌ، وإنَّ المدرسة حياةٌ؛ لكن ليس ذلك خطابة ورصًا للكلمات؛ ولكنها الحقيقة حين تلامس خط الزمن.

والحق أنَّ الصفة التي لا تنفك عن الأستاذ هي صفة "المجدِّد"؛ وإذا ما رمنا تفصيلاً قلنا إنه مجدِّد في الدرس والتدريس، مجدِّد في الفكر والمعرفة، مجدِّد في المنهج والطريقة، مجدِّد لأمر الدين والتدوين... ولكنَّ أكثر المجالات التصاقاً بحياته هي مكابدة العلم، والصبر فيه وله؛ لكأنَّه تمثَّل قولة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (سورة الكهف: ٦٩/١٨).

والكتابة عن حلق الدرس في تراث الأستاذ تستدعي ملازمة ومعاينة طويلة، ولا أعرف مقالاً واحداً، بله أن يكون بحثاً أو دراسةً باللغة العربية، تناولت هذا الركن من فكر الأستاذ؛ ولولا مقال لأحد تلامذته الملازمين له لسنوات، والذي نشر في مجلة "الأمل الجديد"، وترجمنا معانيه إلى العربية، لما أمكن أن نخطَّ هذه الفقرات في بيان منهج الدرس والتدريس عند الأستاذ فتح الله كولن.

ولقد ارتأينا أن نعرضه على شكل نقاط، لا على شاكلة مقال مسترسل، لتعذُّر ذلك، آمليْن أن ينبري من يتولَّى مهمَّة اكتشاف العجائب المخفيَّة من جبل الثلج، وأن

يبدع في عرض البذور والجذور والأسباب، التي بها اكتمل صرح "الخدمة"، وبغيرها لا يكون للخدمة رُوح ولا ريح:

١- غاية العلم: الغاية من الدرس والتدريس عند الأستاذ تتمثل في "إيصال الإيمان إلى أفق المعرفة، وتعميق المعرفة بالمحبة"، فهي إذاً نيل رضا الله تعالى، والاستجابة لأمره بالدعوة والإرشاد، وقيامًا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- الإقليم الروحي: إنَّ ما يتميز به جو الدرس من روحانية وواردات وفيوضات يجعل مجرد الوصف الأدبي قاصرًا عن إيفاء التجربة حقها ومستحقها، ولذا يصدق أن يقال عنها: "من ذاق عرف"؛ فحلقة الأستاذ ليست قسمًا كلاسيكيًا، يملئ المعلومات، ويعرض النظريات، ويجري الامتحانات، وكفى؛ ولكنها إقليم روحي، ومعبد حقيق، وميدان للشحن والشحن القلبي والعقلي على السواء.

٣- الامتداد العلمي: تضرب حلقة الأستاذ جذورها في التراث الإسلامي بعامة، والتراث العثماني بخاصة.

٤- تطوير المنهج التقليدي: من أصول فكر الأستاذ فتح الله كُولْن أنه يحترم الماضي، ويرنو للمستقبل، ويعمل في الحاضر؛ وهو يبغض الاجتثاث من الجذور، ويمقت التهوين من تراث الأمة في جميع مراحلها؛ وهو مع ذلك لا يتحجر، ولا يقبل التمنيط في الوسائل والمناهج والآليات؛ ففي منهج الدرس، إضافة إلى استفادته من المدارس الشرعية التقليدية العثمانية، طور تقنيات عديدة، وأضاف مصادر جديدة، وأحدث أساليب مفيدة؛ ولقد استفاد من مناهج التربية والتعليم المعاصرة أيما استفادة، ولم يقف منها موقف المنبهر، ولا موقف الناقم.

٥- التواضع والخلق الحسن: من فرط تواضع الأستاذ أنه لا يستعمل ألفاظًا تنم عن الفرق بين العالم والمتعلم، فمثلًا لا يقول: "إنِّي أدرّس الطلاب"، وإنما يقول: "إننا نتذاكر مع الإخوة"، ثم إنَّ نقده لأي رأي لا يأتي بأسلوب مباشر، لكن بصيغة متأدبة غير متكلفة.

٦- رغبة الطالب وفراسة الأستاذ: العلم من أرفع أنواع الحبّ والعشق؛ فمن أحبّ تعلّق، ومن عشق تبجّر؛ ولذا يحرص الأستاذ دومًا على أن "يقدم الطالب إلى الدرس ببعاث من عنده، وبتوجّه من قلبه"، وهو في ذلك يراعي أحاسيس الطلبة،

ويتحسّس نبضات قلوبهم، وخطرات أفئدتهم، بفراسته التي تحيّر معاصريه. وفي الأثر:  
"اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ"<sup>(٣٤٢)</sup>.

٧- اختلاف الرأي: يعرّب الأستاذ عن رأيه للطلبة المشاركين في دروسه، متبهاً أنه يمكن أن توجد آراء ووجهات نظر مختلفة لا تتعارض مع القواعد الأساسية للدين، بل لا بد أن توجد؛ ويعلّل ذلك بأن كل شخص يُعتبرُ ابنَ الزمان من وجه؛ ثم إن لكل زمان واردات هامة حسب الفترة والظروف التي يحيط بها في تفسير جوانب الدين القابلة للتفسير (التأويل) من جهة أخرى، والواجب على كل مسلم أن يدرس ظروف زمانه الذي يعيش فيه، حاملاً معه وارداته، وأن يطبق القيم التي يؤمن بها في الواقع.

٨- حرمة العلماء: يرفض الأستاذ كل تنقيص أو خدش في العلماء الفطاحل، ولا يسمح بأيّ قول ينال منهم، أو يستخفّ بهم، كأن يقال فيهم "إنهم لم يفهموا هذه المسألة" أو غيره؛ ومن ذلك أنه كثيراً ما يؤكّد على وجوب التأدّب تجاه أقوال ووجهات نظر العلماء في دراسة أصل من الأصول الإسلامية؛ وإلى جانب ذلك يعبر عن رأيه في المسألة، بشرط أن يوافق محكمات الدين ولا يناقضها قائلاً -مثلاً-: "الإمام ابن كثير هكذا قال، إلا أن هناك -قاصداً نفسه- لابن قليل وجهةً نظراً أخرى"، أو "للقفير والقظمير أيضاً تعليق وملاحظة"، هكذا يعبر عن وجهة نظره في غاية التواضع.

٩- التحضير للدرس: قال العقّاد عن مؤلفاته: "إنها ليست مروحة للكسالى"؛ ويصدق أن نقول عن مجالس الأستاذ: "إنها ليست صالوناً للكسالى"؛ ولذا فإن الطالب الملتحق بحلق الأستاذ يصل الليل بالنهار، ولا يلتفت إلى تعب ولا مرض ولا داع للنفس والهوى؛ ومن ذلك أنه "يذاكر الطالب جيّداً قبل المجيء إلى الدرس، وقد يستغرق ذلك سواد الليل كله؛ حيث يحلل العبارات ويحاول فهمها، مستعيناً بالقوامس بدايةً، ثم بسائر الكتب من الفقه، والتفاسير، والشروح، وسائر المصادر والمراجع التي يحتاج إليها الطالب، ويبدل قصارى جهده في تحضير الدروس"، وأثناء الدرس يقدّم الطلبة مادتهم في حضرة الأستاذ، وهو يقوم من آن لآخر بتوضيح ما خفي، ويجب على الأسئلة، ويضيف وجهة نظره وتعليقاته على آراء العلماء الذين يقرأ لهم، بأدب واحترام بالغين".

١٠- تمزُّس المعاجم والقواميس: يعودُ الأستاذ طلبته على استخدام المعاجم لتعلم اللغة العربية بطريقة صحيحة، وضبط الكلمات مع فوارقها الدقيقة، ويذكر أنَّ بديع الزمان التُّرُوسي كان يحفظ من "القاموس المحيط" للفيروز آبادي عن ظهر الغيب أكثر من ألفي صفحة، حفظًا متقنًا.

١١- العلاقة بالكتاب: ليس مثل الكتاب مدرِّسًا ومعلِّمًا؛ ومن ثمَّ حرص الأستاذ على ربط طلبته بأمِّهات المصادر، إضافة إلى مدارستها في الحلق؛ فحين يجد الأستاذ أنَّ ثمة كتابًا جديرًا، وهو ليس مما قرَّر في الحلقات، يأذن لطلبته بتلخيصه، ثم عرضه على المجموع؛ وبهذا عالج معضلة كثرة الكتب وندرة الوقت.

١٢- اختيار الكتاب: عندما ينوي الأستاذ تدريس كتاب في مجال ما يقول لطلبته: "هناك كتب حول هذا الموضوع بهذه المميزات، وبإمكانكم أن تختاروا واحدًا منها ثم ندرسه"، وأحيانًا يوجه الإخوة إلى كتاب معين لما رآه مهمًّا، ذاكرا لهم مميزاته، وهو حريص على أن يظهر الطلبة شوقهم لمطالعة هذا الكتاب، ومن ثم يتخذهم مقررًا لهم يدرِّس في الحلق، وقد يتوافق أحيانًا اختيار الطلبة والأستاذ لكتاب واحد.

١٣- منهج التلخيص: يصل حجم المادة الملخَّصة إلى عُشر الكتاب عادة، لا يزيد على ذلك، وقد ينقص؛ ويتم العرض أمام الآخرين، ويردِّفه الأستاذ بملاحظات، أو إضافات، أو يشير حوارًا حول مسألة معينة؛ حتى يكون الجميع قد استوعب روح الكتاب الملخَّص، دون أن يضطروا إلى مطالعته كلية.

١٤- علم السؤال: الأستاذ فتح الله سؤُولٌ، محبٌّ لإعمال العقل في استشارة أسئلة جديرة؛ وهو يدفع طلبته إلى ذلك، ويشجِّعهم في ذلك؛ ويؤكد على أن تكون الأسئلة المطروحة "مفيدة، عميقة، مناسبة للسياق"، كما أنَّه يتمعُّص من تكرار نفس السؤال، وهو دومًا يستشهد بالأثر الذي جاء فيه: "حسن السؤال نصف العلم".

١٥- مواعيد الدرس: تعقد جلسات الدرس عمومًا بين صلاتي الفجر والظهر، وفي بعض الفترات عُقدت بعد الظهر أيضًا، وفي فترات كان الدرس يبدأ بعد الفطور بقليل ويستمر حتى الظهر، وفي أخرى يبدأ بعد الفجر مباشرة حتى الفطور ويستمر بعده، وقد سبق أن عُقدت مجالس للدروس قبل صلاة الفجر بساعة، واستمرَّت حتى الأذان، فكتاب "تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي" مثلاً، قد تمت قراءته في هذه الفترات التي قبل صلاة الفجر بساعة وحتى الأذان، ولقد تمت قراءة تسعة أجزاء من

كتاب "كنز العمال" في رمضان واحد، في المجالس التي بعد صلوات الفجر والمغرب والتراويح والسحور، وقد تستغرق الجلسة ساعات طويلة.

١٦- الخطأ في الدرس: كيما يتفادى الطالب الخطأ في قراءة النص المكلف به فإنه يذاكره بحيث لا يخطئ إعرابياً أو ينطق الكلمات خطأً، ولذا يستعين بالكتب التي ألفت في هذا المجال عند اللزوم، إذ إنَّ قراءة نصوص القرآن والحديث النبوي وتلفُّظ أسماء الرواة صحيحاً خالياً من الخطأ من الأمور التي يشدّد عليها الأستاذ كثيراً، وإذا ما أخطأ الطالب صحَّح الأستاذ الخطأ في غاية الرفق والخجل؛ حيث يهمس بالصحيح همساً.

١٧- القراءة التحقيقية: لا تقرأ المصادر أثناء الدرس قراءة رتيبة جافة؛ فالأستاذ أثناء المطالعة يحلل ويقارن ويحقق وينقد... فيعطي للنص المقروء نفساً جديداً؛ وهو يعلم طلبته فقه التنزيل جنباً إلى جنب مع فقه التأويل؛ ولقد يستدعي مرجعاً أو أكثر للتدقيق في مسألة عنتت، أو إشكال حصل، وهو مع ذلك يستحثُّ فكر طلبته، ويدفعهم للحرية في التعبير عن الرأي بأدب جمٍّ، ويحرص على أن يتم تنقية واردات العصر من خلال هذه المصافي، والوصول بها إلى تأويلات جديدة.

١٨- لكل فنٍّ منهجه: درّس الأستاذ اللغة العربية بفروعها، والفقه والأصول، والتفسير والحديث... وغيرها؛ وهو في كلِّ فنٍّ يبدع منهجاً لاثقاً به، معتبراً في ذلك نوعية المصادر، وملكات الطلبة، والحاجة العملية، والسياق الزمني والمكاني... وغير ذلك.

١٩- فوائد مطالعة أمهات المصادر في حلق الدرس: لا شك أنَّ قراءة النصوص التراثية، والمكابدة في فهمها، يكسب الطالب ملكات عديدة، منها:

- تغلب الطالب على مخاوفه إزاء النصوص
- وتعوّده على المصادر
- وتطوير ملكات القراءة السلسلة المنسابة
- وتمكّن الطالب من التبحر في الكتب الأساسية أكثر فأكثر.

٢٠- الدعاء والدرس: للأستاذ مع الدعاء في حياته نفحات؛ ومن ذلك أنه لا يغادر الدرس ابتداء وانتهاء؛ فهو يستهلُّ درسه بالدعاء الملحّ، وبالتضرُّع إلى الله أن يفتح عليه وعلى طلبته بالفهم واليقين؛ ولقد حُفظت العديد من الأدعية التي ألفها هو بنفسه، واعتاد على قراءتها أول الدرس، ومن ذلك قوله:

"أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم \* بسم الله الرحمن الرحيم \* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين \* اللهم العلم والإيمان الكامل، والعبودية الكاملة التامة والإخلاص الأتم واليقين التام والتوكل التام والمعرفة التامة والمحبة التامة وخالص العشق والأشتياق إلى لقاءك، والعفة والعصمة والفظانة والحكمة وفصل الخطاب، والحافظة الدائمة والذاكرة الدائمة والصحة الدائمة الكاملة والعافية الدائمة الكاملة والقلب السليم \* اللهم أسرار الإيمان والإسلام والإحسان \* اللهم ثبتنا على الحق والعدالة والاستقامة والعفة والعصمة والفظانة والإذعان \* وثبتنا على ما تحب وترضى \* اللهم الإخلاص في كل أمرنا وفي كل شأننا ورضاك \* اللهم أسرار الحقائق وحقبة الحقائق \* اللهم بسط الزمان وبسط الإمكان \* اللهم أفرز أعيننا بانتشار الإسلام في كل أنحاء العالم وفي كل نواحي الحياة \* اللهم فقهننا في الدين \* اللهم فقهننا في القرآن \* اللهم فقهننا في الأحاديث النبوية \* اللهم علمنا من لدنك علماً \* اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك \* اللهم حولاً وقوة من حولك وقوتك في كل أمرنا وفي كل شأننا من الخير، يا ذا الجلال والإكرام \* وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى عبادك الصالحين، رضوان الله تعالى علينا وعليهم أجمعين".

٢١- وصية الأستاذ لطلبته: نُقل عن الأستاذ أنه قال لبعض طلبته: "أنا ليس لي عليكم من حقّ، وإن كان لي ذلك كنت طلبتُ منكم أن تقوموا بمهمة تدريس الطلبة حتى تقبض أرواحكم...". فمهما كبر الطلبة وأصبحوا أساتذة كان يوصيهم الأستاذ بأن

يقفوا طلبة دوماً، وذلك بذكره مثال "نور الدين الهيثمي" الذي تلمذ على يد شيخه "زين الدين العراقي" طوال حياته، وأحياناً كان يقول مداعباً الطلبة: "إنَّ الملائكة تقبض أرواح طلبة العلم بمناولتهم العسل والقشدة، ومن غير أن تؤلمهم" حائثاً إياهم على أن يقفوا طلبة دائماً، وعلى شوق التعلم ولهفه أبداً، ثم على أن يلازموا التعليم وتنظيم حلق الدرس طول حياتهم؛ حتى لا ينقطع حبل العلم والخير بحول الله تعالى.

### قائمة الكتب التي درَّسها الأستاذ

لا شك أن حصر جميع الكتب التي درَّسها الأستاذ، على مدى عقود، وفي أفواج متعاقبة، يكاد يكون أمراً مستحيلاً؛ غير أنه يسجل أن الكثير منها درَّسه الأستاذ مرات عديدة، على أفواج مختلفة؛ ثم إنَّ الأستاذ -لولا مراعاته لمملكات وقدرات طلبته- لكان الشأن غير هذا الشأن، ولكم عبر عن رغبته في تدريس جميع ما اشتهر في فنِّ من الفنون، من جميع المذاهب والمشارب والأعصار والأمصار؛ لكن الظروف لا تسمح.

ثم إنَّ القارئ لقائمة مؤلفات الأستاذ قد يتوهم أنه تراثي صرف، إلا أن الصواب هو التذكير بأنه قد التهم مصادر في الفلسفة والفكر، وحتى الكثير من كتب الفيزياء والكيمياء وغيرها؛ وهو كلما وجد كتاباً ذا شأن في علم من العلوم، حوَّله إلى أحد طلبته ليلخِّصه في الحلقة الدراسية؛ وبهذا جمع بين الالتزام التراثي المكتف، والانفتاح العصري الممنهج، ولعلَّ من المناسب -بعد هذا العرض لمنهج الدرس عند الأستاذ- أن نورد قائمة أولية لما درَّسه الأستاذ في حلقة، داعين من الله تيسير السبل لغربلتها، وإنما يكفي أن تُعطى صورة شفافة عن الواقع، لا أن تصاغ صورة مثالية لما قد يحتاج إلى بحث متخصص، من عالم متخصص، والقائمة حسب الفنون، هي كالآتي:

### التفسير وعلوم القرآن

"تفسير الجلالين" (١ مجلد)، جلال الدين المحلي (ت: ٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ).

"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" (٢ مجلد)، نصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ).

"روائع البيان تفسير آيات الأحكام" (٢ مجلد)، محمد علي الصابوني.

"مختصر تفسير القرآن العظيم" (٣ مجلد)، تأليف: ابن كثير (ت: ٥٧٧٤هـ)،  
اختصار: محمد علي الصابوني.

"مقدمة الكشف"، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ).

"في ظلال القرآن" (٦ مجلد)، سيد قطب (ت: ١٩٦٦م).

"كليات رسائل النور" (١٤ مجلد)، بديع الزمان سعيد النورسي (ت: ١٩٦٠م).

"تفسير حَقِّ دِينِي قُرْآنِ دِيلِي (*Hak Dini Kur'an Dili*)" (١٠ مجلد) (باللغة  
التركية)، أَلْمَالِي حَمْدِي يَازِير (ت: ١٩٤٢م).

"الإقناع في القراءات السَّبْع" (٢ مجلد)، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن  
خلف الأنصاري (ت: ٥٤٠هـ).

"تأويلات أهل السنة" (٥ مجلد)، الإمام الماتريدي (ت: ٩٤٤م).

"مناهل العرفان" (٢ مجلد)، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٩٤٨م).

### الحديث

"صحيح البخاري" (٤ مجلد)، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ).

"صحيح مسلم" (٥ مجلد)، الإمام مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ).

"سنن أبي داود" (٤ مجلد)، أبو داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ).

"سنن الترمذي" (٥ مجلد)، محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ).

"الموطأ" (٢ مجلد)، الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ).

"كنز العمال" (١٦ مجلد)، علي المتقي (ت: ٩٧٥هـ).

"التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول" (٥ مجلد)، منصور علي ناصف.

"عقود الجواهر المنيفة" (٢ مجلد)، مرتضى الزبيدي (ت: ١٧٩٠م).

"رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين" (١ مجلد)، زكريا النووي (ت:

"اللؤلؤ والمرجان" (٣ مجلد)، محمد فؤاد عبد الباقي (ت: ١٩٦٨ م).

"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" (٢ مجلد)، القاضي عياض (ت: ٥٤٤ هـ).

"عمدة القاري في شرح البخاري" (٢٠ مجلد)، بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥ هـ).

"فتح الباري شرح صحيح البخاري" (١٤ مجلد)، ابن حجر العسقلاني (ت:

٨٥٢ هـ).

"بذل المجهود في حلّ أبي داود" (١٠ مجلد)، خليل أحمد السهارنفوري (ت:

١٩٢٧ م).

"المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود" (١٠ مجلد)، محمود محمد خطاب

السبكي (ت: ١٩٣٣ م).

"تحفة الأحمدي شرح سنن الترمذي" (١٠ مجلد)، محمد عبد الرحمن بن عبد

الرحيم المباركفوري (ت: ١٩٣٤ م).

"الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير" (١ مجلد)، أحمد

محمد شاكر (ت: ١٩٥٧ م).

"مقدمة التجريد الصريح في أصول الحديث (*Tecrid-i Sarih Mukaddimesi*)"

(١ مجلد) (باللغة التركية)، أحمد ناعم (ت: ١٩٣٤ م) - كامل ميراث (ت: ١٩٥٧ م).

### الفقه الإسلامي

"المختصر" (١ مجلد)، القدوري (ت: ٤٢٨ هـ).

"الاختيار لتعليل المختار" (١ مجلد)، أبو الفضل الموصلي (ت: ٦٨٣ هـ).

"الهداية" (٢ مجلد)، أبو الحسن برهان الدين المرغيناني (ت: ٥٩٣ هـ).

"ملتقى الأبحر" (١ مجلد)، إبراهيم بن محمد الحلبي (ت: ١٥٤٩ م).

"فتح باب العناية بشرح كتاب التقاية"، (٣ مجلد)، الملا علي القاري الهروي (ت:

١٠١٤ هـ).

"الهدية العلائية" (في الفقه الحنفي)، محمد علاء الدين الدمشقي (ت: ١٨٨٩ م).

- "فتح القدير في شرح الهداية"، ابن الهمام (ت: ٨٦١هـ).
- "الفقه الإسلامي وأدلته" (٩ مجلد)، وهبة الزحيلي (ت: ٢٠١٥م) (قرئ من هذا الكتاب ستة أو سبعة مجلدات وتوقف بسبب سفر الأستاذ إلى أمريكا).
- "الفقه الحنفي وأدلته" (٣ مجلد)، أسعد محمد سعيد الصاغر جي (ت: ٢٠١٥م).
- "مرآة الأصول" (١ مجلد)، ملاً خسرو (ت: ١٤٨٠هـ).
- "الوجيز في أصول الفقه" (١ مجلد)، عبد الكريم زيدان (ت: ٢٠١٤م).
- "الموافقات" (٤ مجلد)، الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ).
- "المدخل" (١ مجلد)، باللغة العثمانية، سيد بك (ت: ١٩٢٥م).

### التصوف

- "الرسالة القشيرية في علوم التصوف" (١ مجلد)، الإمام القشيري (ت: ١٠٧٢م).
- "المكتوبات" (٢ مجلد)، الإمام الرباني السرهندي (ت: ١٦٢٤م).
- "الرعاية لحقوق الله" (١ مجلد)، الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ).
- "تحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)" (١٤ مجلد)، مرتضى الزبيدي (ت: ١٧٩٠م).
- "نفحات الأنس"، عبد الله جامي (ت: ٨٩٨هـ).
- "الرياضة التصوفية"، عبد الحكيم الأرواسي (ت: ١٩٤٣م).

### اللغة العربية

- "أمثلة" (في الصرف).
- "بناء" (في الصرف).
- "مقصود" (في الصرف).
- "عزّي" (في الصرف والنحو واللغة)، عزّ الدين عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني (ت: ١٢٥٧م).

"عوامل" (في النحو)، الإمام البزكوي (ت: ٩٨١هـ).

"الكفاية"، ابن حاجب (ت: ٦٤٦هـ).

"الفوائد الضيائية في شرح الكفاية" (ملاً جامي)، عبد الرحمن جامي (ت: ٨٩٨هـ).

"النحو الواضح" (٢ مجلد)، علي جارم - مصطفى أمين.

"شرح ابن عقيل على الكفاية لابن مالك"، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت:

٧٦٩هـ).

"جامع الدروس العربية"، مصطفى الغلايني.

"مبادئ الدروس العربية"، محمد محيي الدين عبد الحميد.

"المنتخب والمقتضب في قواعد الصرف والنحو" (٢ مجلد)، (باللغة العثمانية)،

محمد ذهني أفندي (ت: ١٩١٣م).

"تعليم اللغة العربية بطريقة حديثة" (٥ مجلد)، فتح الله كولن.

### البلاغة

"تلخيص المفتاح"، الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ).

"جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع"، أحمد الهاشمي.

"البلاغة الواضحة"، علي جارم - مصطفى أمين.

### علم الكلام

"شرح العقائد النسفية"، سعد الدين التفتزاني (ت: ٧٩٢هـ).

"العقائد الخيرية"، محمد وهبي أفندي (ت: ١٩٤٩م).

"كليات رسائل النور"، بديع الزمان سعيد النورسي (ت: ١٩٦٠م).

### متنوعات علمية

"المقالات" (١ مجلد)، محمد زاهد الكوثري (ت: ١٩٥١م).

"نهج البلاغة (من خطب ومواعظ وحكم سيدنا علي بن أبي طالب)" (١ مجلد)،

الشريف الرضي، (ت: ٤٠٦هـ).

## الملحق الرابع

### ١- قائمة مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن

ملاحظات (الأجزاء، المترجمة...)	العنوان مترجمًا إلى اللغة العربية (لا يعني أن الكتاب ترجم)	العنوان باللغة التركية
في سيرة النبي ﷺ مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "النور الخالد.. محمد ﷺ" مفخرة الإنسانية	النور الخالد.. محمد ﷺ مفخرة الإنسانية	<i>Sonsuz Nur... Muhammed (Sallallahu Aleyhi ve Sellem) İnsanlığın İftihar Tablosu</i>
(جمهرة مقالات الأستاذ الافتتاحية في مجلة "سيزنتي" من العام (١٩٧٩م) حتى اليوم) تسعة أجزاء بعض المقالات منها مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "ترانيم روح وأشجان قلب"	سلسلة العصر والجيل	<i>Çağ ve Nesil Serisi</i>
	الجزء الأول: العصر والجيل	<i>Çağ ve Nesil</i>
	الجزء الثاني: الإنسان في دوامة الأزمات	<i>Buhranlar Anaforunda İnsan</i>
	الجزء الثالث: نحو الجنة المفقودة	<i>Yitirilmiş Cennete Doğru</i>
	الجزء الرابع: شريحة الزمن الذهبية	<i>Zamanın Altın Dilimi</i>

	الجزء الخامس: أيام تتنفس أنساماً ربيعياً	<i>Günler Baharı Soluklarken</i>
	الجزء السادس: أفكار في طور الاخضرار	<i>Yeşeren Düşünceler</i>
	الجزء السابع: أفق يلوح منه النور	<i>Işığın Görüldüğü Ufuk</i>
	الجزء الثامن: حركة نماذجها من ذاتها	<i>Örnekleri Kendinden Bir Hareket</i>
	الجزء التاسع: دوي الصمت	<i>Sükûtun Çığlıkları</i>
(جمهرة مقالات الأستاذ الافتتاحية "يبي أوميث (Yeni Ümit) التركية، مترجم إلى اللغة العربية، جزآن	سلسلة ونحن نقيم صرح الروح	<b><i>Ruhumuzun Heykelini Dikerken Serisi</i></b>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "ونحن نقيم صرح الروح"	الجزء الأول: ونحن نقيم صرح الروح	<i>Ruhumuzun Heykelini Dikerken</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "ونحن نبني حضارتنا"	الجزء الثاني: ونحن نبني حضارتنا	<i>Kendi Dünyamıza Doğru</i>
(جمهرة مقالات الأستاذ حول تزكية النفوس)، أربعة أجزاء	سلسلة التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح	<b><i>Kalbin Zümrüt Tepeleri Serisi</i></b>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح"	الجزء الأول: التلال الزمردية	<i>Kalbin Zümrüt Tepeleri-1</i>
	الجزء الثاني: التلال الزمردية	<i>Kalbin Zümrüt Tepeleri-2</i>

	الجزء الثالث: التلال الزمردية	<i>Kalbin Zümürüt Tepeleri-3</i>
	الجزء الرابع:"التلال الزمردية	<i>Kalbin Zümürüt Tepeleri-4</i>
(نخبة مختارة من مجموعة من التساؤلات التي وجهت إلى الأستاذ في المساجد)، مفترغ من الأشرطة، أربعة أجزاء	سلسلة أسئلة العصر المحيرة	<b><i>Asrın Getirdiği Tereddütler Serisi</i></b>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "الرد على شبهات العصر"	الجزء الأول: أسئلة العصر المحيرة	<i>Asrın Getirdiği Tereddütler-1</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "تحو عقيدة صحيحة"	الجزء الثاني: أسئلة العصر المحيرة	<i>Asrın Getirdiği Tereddütler-2</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "الاستقامة في العمل والدعوة"	الجزء الثالث: أسئلة العصر المحيرة	<i>Asrın Getirdiği Tereddütler-3</i>
	الجزء الرابع: أسئلة العصر المحيرة	<i>Asrın Getirdiği Tereddütler-4</i>
(دروس الأستاذ المسائية) مفرغة من الأشرطة، تسعة أجزاء	سلسلة الموشور	<b><i>Prizma Serisi</i></b>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "الموشور-١"	الجزء الأول: المنشور الضوئي	<i>Prizma-1</i>
	الجزء الثاني: المنشور الضوئي	<i>Prizma-2</i>
	الجزء الثالث: المنشور الضوئي	<i>Prizma-3</i>

	الجزء الرابع: المنشور الضوئي	<i>Prizma-4</i>
	الجزء الخامس: مناخنا نحن	<i>Kendi İklimimizi</i>
	الجزء السادس: ملاحظات على الدرب	<i>Yol Mülâhazaları</i>
	الجزء السابع: بيدر الفكر	<i>Zihin Harmanı</i>
	الجزء الثامن: في تهجي خط سيرنا	<i>Çizgimizi Hecelerken</i>
	الجزء التاسع: ونحن نبحت عن روحنا الذاتية	<i>Kendi Ruhumuzu Ararken</i>
(دروس الأستاذ المسائية) مفرغة من الأشرطة، خمسة أجزاء	سلسلة الفصول	<b><i>Fasıldan Fasıla Serisi</i></b>
	الجزء الأول: الفصول	<i>Fasıldan Fasıla-1</i>
	الجزء الثاني: الفصول	<i>Fasıldan Fasıla-2</i>
	الجزء الثالث: الفصول	<i>Fasıldan Fasıla-3</i>
	الجزء الرابع: الفصول	<i>Fasıldan Fasıla-4</i>
	الجزء الخامس: أطلس الفكر	<i>Fikir Atlası</i>
(دروس الأستاذ المسائية في الولايات المتحدة الأمريكية) مفرغة من التسجيلات، أربعة عشر جزءاً	سلسلة الجزة المشروخة	<b><i>Kırık Testi Serisi</i></b>
	الجزء الأول: الجزة المشروخة	<i>Kırık Testi-1</i>

	الجزء الثاني: صحبة الحبيب	<i>Sohbet-i Canan</i>
	الجزء الثالث: آفاق الغربية	<i>Gurbet Ufukları</i>
	الجزء الرابع: برج الأمل	<i>Ümit Burcu</i>
	الجزء الخامس: غيث الأصيل	<i>İkindi Yağmurları</i>
	الجزء السادس: نداء البعث	<i>Diriliş Çağrısı</i>
	الجزء السابع: إكسير الخلود	<i>Ölümsüzlük İksiri</i>
	الجزء الثامن: بشرى الوصال	<i>Vuslat Muştusu</i>
	الجزء التاسع: بوصلة القلب	<i>Kalb İbresi</i>
	الجزء العاشر: في ارتقَابِ الجَمرةِ	<i>Cemre Beklentisi</i>
	الجزء الحادي عشر: رسالة الإحياء	<i>Yaşatma İdeali</i>
	الجزء الثاني عشر: السعي إلى تجديد النفس	<i>Yenilenme Cehdi</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "شد الرحال لغاية سامية"	الجزء الثالث عشر: شد الرحال لغاية سامية	<i>Mefkûre Yolculuğu</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "إشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى"	الجزء الرابع عشر: أيام الأزمات وأطلس أملنا	<i>Buhranlı Günler ve Ümit Atlasımız</i>
(خلاصة جهود الأستاذ في تعليم العربية لطلابه) صدرت في منتصف السبعينات، خمس أجزاء	سلسلة تعليم اللغة العربية بطريقة حديثة	<b><i>Tekellüm Arapça Dil Öğretim Seti</i></b>
(مجموعة الأوراد والأدعية، النص الأصلي باللغة العربية)	القلوب الضارعة	<i>el-Kulubu'd-Dâria Yakaran Gönüller</i>

(مجموعة الأدعية المأثورة المنتخبة من كتب الصحاح)	مجموعة الأدعية المأثورة	<i>Dua Mecmuası</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "طرق الإرشاد في الفكر والحياة"	طرق الإرشاد في الفكر والحياة	<i>İrşad Ekseni</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "القدر في ضوء الكتاب والسنة"	القدر في ضوء الكتاب والسنة	<i>Kader</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "روح الجهاد وحقيقته في الإسلام"	إعلاء كلمة الله أو الجهاد	<i>İ'lâ-yı Kelimetullah veya Cihad</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "أضواء قرآنية في سماء الوجدان"	أضواء قرآنية في سماء الوجدان	<i>Kur'an'dan İdrake Yansıyanlar</i>
(حكّم ربّانية مستقاة من الكتاب والسنة، وممزوجة بخلاصة التجارب) مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "الموازن أو أضواء على الطريق"	الموازن أو أضواء على الطريق	<i>Ölçü veya Yoldaki Işıklar</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "حقيقة الخلق ونظرية التطور"	حقيقة الخلق ونظرية التطور	<i>Yaratılış Gerçeği ve Evrim</i>
(جمهرة مقالات الأستاذ الافتتاحية الأدبية في مجلة "الغيث" (Yağmur) التركية)	البيان	<i>Beyan</i>
"خَوَاطِر من وَحْي سورة الفاتحة"	تأملات حول سورة الفاتحة	<i>Fatiha Üzerine Mülahazalar</i>

	في ظلال الإيمان	<i>İnancın Gölgesinde</i>
(ديوان شعري جمع فيه جملة ما كتبه الأستاذ من قصائد وأشعار)	ريشة العزف المكسورة	<i>Kırık Mızrap</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "نفخة البعث شواهد الحياة بعد الموت"	الحياة بعد الموت	<i>Ölüm Ötesi Hayat</i>
	التبعد الميتافيزيقي للوجود	<i>Varlığın Metafizik Boyutu</i>
مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "من البذرة إلى الثمرة - تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة"	من البذرة إلى شجرة الدلب	<i>Çekirdekten Çınara</i>
(تأملات لتجليات أسماء الله وصفاته في مظاهر الكون والوجود) مترجم إلى اللغة العربية بعنوان "ألوان وظلال "٢-١"	ألوان وظلال في مرايا الوجدان	<i>Renkler Kuşağı</i>
	في عالم القرآن الذهبي	<i>Kur'an'ın Altın İkliminde</i>
(نظرة آفاقية في البعد الاقتصادي في الإسلام وحله لجميع مشاكلنا الآنية)	عالما الفسيح	<i>Enginliğiyle Bizim Dünyamız</i>
	حزم وقبسات	<i>Hüzmeler ve İktibaslar</i>
	استقراء إعجازي	<i>Bir İ'câz Hecelemesi</i>
	مطلب مهيب	<i>Bir Kırık Dilekçe</i>
	جو الجلسة الإيمانية	<i>Sohbet Atmosferi</i>

٢- قائمة من المؤلفات المكتوبة باللغة العربية حول الأستاذ فتح الله كولن وحركة الخدمة

عنوان الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
فتح الله كُولُن - جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية (Geleneğin) (Modern Çağın Tanıklığı)	محمد أنس أُرْكَنَه	دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة
فتح الله كُولُن قصة حياة ومسيرة فكر (- Fethullah Gülen) Himmeti Millet Olan (İnsan)	أرطوغرول حكمت	دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة
الزمن والوقت في فكر فتح الله كُولُن	د. محمد بابا عمي	دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة
ذبي قربتي مقالات وخواطر وقصص من واقع الخدمة	د. محمد بابا عمي	دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة
فتح الله كُولُن في شؤون وشجون	أديب إبراهيم الدباغ	دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة
فتح الله كُولُن - رائد النهضة الرائدة في تركيا المعاصرة	أ. د. عبد الحلیم عويس	دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة
نداء الروح رحلة في عالم الفرسان	د. مريم آيت أحمد	دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة
البراديم كُولُن - فتح الله كُولُن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد	د. محمد بابا عمي	دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة

دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	هيئة	مؤتمر دولي مستقبل الإصلاح في العالم الاسلامي
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	د. جيل كارول	محاورات الحضارية - حوارات نصية بين فتح الله كُولُن وفلاسفة الفكر الإنساني ( <i>A Dialogue of Civilizations</i> )
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أديب إبراهيم الدباغ	الضاربون في الأرض
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. عشراتي سليمان	الانبعاث الحضاري في فكر فتح الله كُولُن
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. عشراتي سليمان	هندسة الحضارة تجليات العمران في فكر فتح الله كُولُن
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. فؤاد البنا	عبقريّة فتح الله كُولُن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	د. محمد بابا عمي	أرباب المستوى حضور معرفي في فكر الأستاذ فتح الله كُولُن
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. فريد الأنصاري	عودة الفرسان (رواية)
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	د. محمد جكيب	أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كُولُن
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. أحمد عبّادي	الوحي والإنسان نحو استئناف التعامل المنهاجي مع الوحي

دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. عبد الحليم عويس	رجل القرآن وصناعة الإنسان
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. فريد الأنصاري	رجال ولا كأى رجال
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	د. عبد الإله بن مصباح	آفاق اليقينيات العلمية من تجليات رؤى فتح الله كولن الاستشرافية
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. زكي ساري ثويراكو	السّلام والتّسامح في فكر فتح الله كولن (Muslim World)
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. عبد القادر إدريسي	نور وفتح قراءة في فكر سعيد التّورسي وفتح الله كولن
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	أ. د. مايمول أحسن خان	فتح الله كولن الرؤية والتأثير تجربة فاعلة في المجتمع المدني (The Vision)
دار النيل للطباعة والنشر - القاهرة	فتح الله كولن	حوارات مع الأستاذ فتح الله كولن كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني

## ٣- قائمة من المؤلفات المكتوبة حول الأستاذ فتح الله كُولْن وحركة الخدمة باللغة التركية

دار النشر	سنة النشر	اسم المؤلف	عنوان الكتاب
Milliyet Yayınları	1995	Eyüp Can	Fethullah Gülen Hocaefendi'yle Ufuk Turu
Milliyet Yayınları	Kasım 1995	Latif Erdoğan	Küçük Dünyam -Fethullah Gülen
Sabah Kitapları	Eylül 1997	Nevval Sevindi	Fethullah Gülen ile Global Hoşgörü ve New York Sohbeti
Alfa Basım Yayım	Ocak 1998	Osman Özsoy	Fethullah Gülen Hocaefendi ile Canlı Yayında Gündem
Aksoy Yayıncılık	1998	Kolektif	Bilinmeyen Yönleriyle Fethullah Gülen - CD-ROM (2 CD'lik Bir Dizi) 32. Gün
Feza Gazetecilik	1998	Lynne Emily Webb	İftiranın Değişmeyen Mantığı: Çamur At İzi Kalsın
Merkür Yayıncılık	Mayıs 1998	Davut Aydın- Latif Erdoğan	İki Çarpıtma Örneği: Hocanın Okulları, Kim Bu Fethullah Gülen
Nil Yayınları	1998	Adil Sönmez	Fethullah Gülen Gerçeği
Kaynak Kitaplığı	1998	İ. Adil Sönmez	Fethullah Gülen ve Vizyonu
Timaş Yayıncılık	1999	Ferhat Barış	Maskeli Balon (Medyatik Bir İnfazın Anatomisi)
Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları	1999	Mustafa Armağan-Ali Ünal	Medya Aynasında Fethullah 2-Gülen Kozadan Kelebeğe 1
Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları	Ağustos 1999	Mustafa Armağan	Zamana Düşülen Notlar 99 Köşe Yazılarından Seçmeler
Merkür Yayınları	Eylül 1999	Kudret Ünal- Selçuk Camcı	Fethullah Gülen Perspektifinde Hoşgörü ve Diyalog
Metis Yayınları	Ocak 2000	Prof. Dr. Nilüfer Göle	İslamın Yeni Kamusal Yüzleri Bir Atölye Çalışması

<i>Birey Yayınları</i>	2000	<i>Mehmet Barlas</i>	<i>Sosyo-Politik Bir Gerçek Olarak Hocaefendi Sendromu</i>
<i>Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları</i>	Nisan 2001	<i>Mustafa Armağan</i>	<i>Aydınların Kaleminden Fethullah Gülen: Diyaloga Adanmış Hayat</i>
<i>Timaş Yayınları</i>	2001	<i>Mehmet Akar</i>	<i>Gül Adam</i>
<i>Nil Yayınları</i>	2001	<i>İsmail Ünal</i>	<i>Fethullah Gülen'le Amerika'da Bir Ay</i>
<i>İstanbul Bilgi Üniv.Yay</i>	Ocak 2001	<i>Berna Turam</i>	<i>Türkiye'de İslam ve Devlet Demokrasi, Etkileşim, Dönüşüm</i>
<i>Nil Yayınları</i>	Temmuz 2002	<i>Ali Ünal</i>	<i>M. Fethullah Gülen Bir Portre Denemesi</i>
<i>Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları</i>	Aralık 2002	<i>Cemal Uşak</i>	<i>Küresel Barışa Doğru</i>
<i>Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları</i>	2003	<i>Ahmet Taşgetiren</i>	<i>Aydınların Dünyasında Fethullah Gülen: Bir Gönül İnsanı</i>
<i>Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları</i>	2003	<i>Ali Bulaç</i>	<i>Aydınların Dünyasında Fethullah Gülen: Kutlu Ağaç</i>
<i>Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları</i>	2003	<i>Fehmi Kuru</i>	<i>Aydınların Dünyasında Fethullah Gülen: Yerli ve Özgün: Nobellik Bir Öykü</i>
<i>Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları</i>	2003	<i>Hüseyin Gülerce</i>	<i>Aydınların Dünyasında Fethullah Gülen: İslam'ın Gülen Yüzü</i>
<i>Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları</i>	2003	<i>Şahin Alpay</i>	<i>Aydınların Dünyasında Fethullah Gülen: Gülen'in Katkısı</i>
<i>Gazeteciler ve Yazarlar Vakfı Yayınları</i>	2003	<i>Taha Akyol</i>	<i>Aydınların Dünyasında Fethullah Gülen: Asya'daki Türkiye</i>
<i>Zaman Kitap</i>	Mayıs 2004	<i>Nuriye Akman</i>	<i>Gurbette Fethullah Gülen</i>

<i>GeleneK Yayınları</i>	<i>Ekim 2004</i>	<i>John L. Esposito, M. Hakan Yavuz</i>	<i>Laik Devlet ve Fethullah Gülen Hareketi</i>
<i>Alfa</i>	<i>Mart 2005</i>	<i>Mehmet Gündem</i>	<i>Fethullah Gülen'le 11 Gün</i>
<i>Ufuk Kitap Yayınları</i>	<i>2005</i>	<i>Toktamış Ateş- Eser Karakaş- İlber Ortaylı</i>	<i>Barış Köprüleri - Dünyaya Açılan Türk Okulları</i>
<i>Çağlayan</i>	<i>Mart 2005</i>	<i>Prof. Dr. Davut Aydüz</i>	<i>Tarih Boyunca Dinlerarası Diyalog</i>
<i>Yeni Akademi Yayınları</i>	<i>Temmuz 2005</i>	<i>M. Enes Ergene</i>	<i>Gülen Hareketinin Analizi: Geleneğin Modern Çağa Tanıklığı</i>
<i>Ufuk Yayınları</i>	<i>2006</i>	<i>Ahmet Özer</i>	<i>Pensilvanya Günlüğü</i>
<i>Işık Yayınları</i>	<i>2006</i>	<i>Ali Ünal</i>	<i>Geçmişten Geleceğe Köprü Fethullah Gülen</i>
<i>Yeni Akademi Yayınları</i>	<i>2006</i>	<i>Selman Ünlü</i>	<i>M. Fethullah Gülen'in Eserlerinde Dua</i>
<i>Ufuk Kitap Yayınları</i>	<i>2006</i>	<i>Faruk Beşer</i>	<i>Fethullah Gülen Hocaefendi'nin Fıkhını Anlamak</i>
<i>Ufuk Kitap Yayınları</i>	<i>2006</i>	<i>Vitali İ. Sheremet</i>	<i>Dünya Aydınlarının Gözüyle Fethullah Gülen Serisi 1: Gülen'in Paradigması</i>
<i>Ufuk Kitap Yayınları</i>	<i>2006</i>	<i>Thomas Michel</i>	<i>Dünya Aydınlarının Gözüyle Fethullah Gülen Serisi 2: Bir Barış Öncüsü</i>
<i>Ufuk Kitap Yayınları</i>	<i>2006</i>	<i>Leoneid Sykiainen</i>	<i>Dünya Aydınlarının Gözüyle Fethullah Gülen Serisi 3: Bir Medeniyet Öngörüsü</i>
<i>Ufuk Kitap Yayınları</i>	<i>2007</i>	<i>B. Jill Carroll</i>	<i>Medeniyetler Diyalogu Gülen'in İslami Öğretisi ve Hümanist Söylem</i>
<i>Ufuk Kitap Yayınları</i>	<i>2007</i>	<i>Robert A. Hunt - Yüksel A. Aslandoğan</i>	<i>Küresel Barışa Katkılarıyla Gülen Hareketi (Gülen Hareketi Araştırmaları</i>

<i>Işık Yayınları</i>	<i>Haziran 2007</i>	<i>Mustafa Yılmaz</i>	<i>Biraz da Gurbet Düştü</i>
<i>Ufuk Kitap Yayınları</i>	<i>2007</i>	<i>İbrahim Canan</i>	<i>Fethullah Gülen'in Sünnet Anlayışı</i>
<i>Işık Yayınları</i>	<i>2007</i>	<i>Osman Şimşek</i>	<i>Pennsylvania Sürgünü'nde Bir Çocuk</i>
<i>Ufuk Kitap</i>	<i>Ocak 2008</i>	<i>Ali Bulaç</i>	<i>Din-Kent ve Cemaat Fethullah Gülen Örneği (Fethullah Gülen (Hareketi Araştırmaları)</i>
<i>Işık Yayınları</i>	<i>2008</i>	<i>Ertuğrul Hikmet</i>	<i>Himmeti Milleti Olan İnsan M. Fethullah Gülen</i>
<i>Mutlu Yayıncılık</i>	<i>2008</i>	<i>İsmail Mutlu</i>	<i>Fethullah Gülen ve Risale-i Nur</i>
<i>Samanyolu Yayıncılık</i>	<i>Mart 2008</i>	<i>Nuh Gönültaş</i>	<i>Gurbet Lahikası</i>
<i>Doğan Kitap</i>	<i>Eylül 2008</i>	<i>Faruk Mercan</i>	<i>Fethullah Gülen</i>
<i>Işık Yayınları</i>	<i>Temmuz 2009</i>	<i>Heyet</i>	<i>Gülen Hareketi (Farklı Seslerin (Ahengi)</i>
<i>Işık Yayınları</i>	<i>Mayıs 2010</i>	<i>İsmail Albayrak</i>	<i>Fethullah Gülen Hocaefendi'nin Tefsir Anlayışı</i>
<i>Işık Yayınları</i>	<i>Haziran 2010</i>	<i>Heyet</i>	<i>(Uzlaş Kültürü) (Gülen Hareketi-2</i>
<i>Truva Yayınları</i>	<i>Kasım 2010</i>	<i>Niyazi Öktem</i>	<i>İnanç sarmalında Batı Dünyası ve Karşılaştırmalı Gülen Hareketi</i>
<i>Nil Yayınları</i>	<i>2010</i>	<i>Prof. Dr. Suat Yıldırım</i>	<i>Fethullah Gülen'in Kur'an-ı Hakim'e Yaklaşımı</i>
<i>Timaş Yayınları</i>	<i>2010</i>	<i>Doğu Ergil</i>	<i>Soruda Fethullah Gülen ve 100 Hareketi</i>
<i>Doğan Kitap</i>	<i>2010</i>	<i>Helen Rose Ebaugh</i>	<i>Gülen Hareketi - İnanç Tabanlı Bir Sivil Toplumsal Hareketin Sosyolojik Analizi</i>

<i>Işık Yayınları</i>	2010	<i>Osman Şimşek</i>	<i>İbretlik Hatıralar M. Fethullah Gülen'in Ruh (Dünyasına Ayna</i>
<i>Işık Yayınları</i>	2010	<i>Osman Şimşek</i>	<i>Yanık Yürekler Tahta Kulube'den Suyun) (Ötesi'ne</i>
<i>Hayat Yayınları</i>	2010	<i>Ergun Yıldırım</i>	<i>Yeni Türkiye'nin Yeni Aktörleri Ak Parti ve Cemaat</i>
<i>Anatolia</i>	2011	<i>Aytekin Gezici</i>	<i>Okyanus Ötesi Gerçeği</i>
<i>Nil Yayınları</i>	Mayıs 2011	<i>Heyet</i>	<i>Farklı Seslerin Âhengi Konferanslar Serisi -1</i>
<i>Nil Yayınları</i>	Haziran 2011	<i>Heyet</i>	<i>Şiddetsiz Aksiyon (Konferanslar Serisi -3</i>
<i>Alfa Yayınları</i>	2012	<i>James C. Harrington</i>	<i>Fethullah Gülen'in Hukuk Serüveni</i>
<i>Muştu Yayınları</i>	2012	<i>Murat Alptekin</i>	<i>Gurbetteki Öğretmen M. Fethullah Gülen</i>
<i>Doğan Kitap</i>	2012	<i>Nazlı Ilıcak</i>	<i>Her Taşın Altında The Cemaat" mi Var</i>
<i>Işık Yayınları</i>	2012	<i>Ahmet Kurucan</i>	<i>Huzurdan Esintiler</i>
<i>Nil Yayınları</i>	2013	<i>Ali Osman Dönmez</i>	<i>Bir Medeniyet Tasavvuru Çerçevesinde Fethullah Gülen ve Edebiyat</i>



## المصادر

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت: ٢٧٥هـ)؛ سنن أبي داود؛ (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٣)؛ دار السلام، الرياض.

أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، تحقيق: سليمان دنيا، (١٣٨١هـ/١٩٦١م).

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)؛ سنن ابن ماجه (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٦)؛ دار السلام، الرياض.

أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ مؤسسة قرطبة، القاهرة، ٦-١.

أَرْطُغُولُ حِكْمَةَ، فتح الله كُولُنُ قصة حياة ومسيرة فكر؛ دار النيل، القاهرة (٢٠١٤م)، ط ٢.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)؛ المفردات في غريب القرآن؛ دار القلم، الدار الشامية، دمشق-بيروت (١٤١٢هـ).

إسماعيل عادل "سُونَمَزْ (Sönmez)"، "حقيقة فتح الله كُولُنُ (Fethullah Gülen Gerçeği)"؛ "قيناك يَأِينْلَرِي (Kaynak Yayınları)"، إزمير (١٩٩٨م)، (باللغة التركية).

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوِجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)؛ السنن الكبرى؛ تحقيق: محمد عبد القادر عطا؛ دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ٣، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

\_\_\_\_، شعب الإيمان؛ تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد؛ مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١-١٤، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م)؛  
صحيح البخاري (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-١)؛ دار  
السلام، الرياض.

الدليمي، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسو، أبو شجاع الدليمي  
الهمذاني (ت: ٥٠٩هـ)؛ الفردوس بمأثور الخطاب؛ تحقيق: السعيد بن  
بسيوني زغلول؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١-٥، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

لجنة، العلم والدين عبر التاريخ؛ العلم والدين من زاوية مختلفة *Tarih Boyunca İlim ve Din, Bir Başka Açından İlim ve Din*، إسطنبول- دار النشر:  
"زمان".

لين إيميلي ويب (Lynne Emily Webb)، "فتح الله كَوْلَنُ: هناك الكثير يجب أن  
تراه العيون *Fethullah Gülen: Is There More to Him Than Meets the Eye*".

مجبتى إِبْجُولُرُ (*Mücteba İlgüler*)، "تمرُّدات جلالى (*Celali İsyanları*)"، المسوعة  
الإسلامية (وقف شؤون الدينية التركية)، المجلد السابع.

مجلة "أكْسِيُونُ" (*Aksiyon*) التركية الإخبارية، ١٤ - ٢٠ فبراير/شباط (١٩٩٨م).

مجلة "سَزْنَتِي" (*Sızntı*)، ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٩م)، أكتوبر/تشرين الأول  
(١٩٧٩م)، أبريل/نيسان (١٩٩٦م)، أبريل/نيسان (١٩٩٩م)، أكتوبر/  
تشرين الأول (١٩٨٣م)، أكتوبر/تشرين الأول (١٩٨٨م)، أكتوبر/  
تشرين الأول (١٩٩٤م)، ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٢م)، ديسمبر/  
كانون الأول (١٩٨٤م)،، ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٧م)، ديسمبر/  
كانون الأول (١٩٩١م)، ديسمبر/كانون الأول (١٩٩٤م)، ديسمبر/كانون  
الأول (١٩٩٥م)، سبتمبر/أيلول (١٩٧٩م)، سبتمبر/أيلول (١٩٩٤م)،  
مارس/آذار (١٩٨٠م)، مارس/آذار (١٩٨٨م)، مايو/أيار (١٩٩٦م)،  
نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٨٠م)، نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٩٧م)، يناير/  
كانون الثاني (١٩٨٢م)، يناير/كانون الثاني (١٩٨٨م)، يناير/كانون الثاني  
(٢٠٠٠م)، يوليو/تموز (١٩٧٩م)، يوليو/تموز (١٩٨٣م)، يوليو/تموز  
(١٩٨٤م)، يوليو/تموز (١٩٩٦م)، يونيو/حزيران (١٩٨٢م).

مجلة "يَغْمُورُ"، أبريل/نيسان-يونيو/حزيران (٢٠٠٠م).

- مجلة "يُنِي أُوْمِيْتْ" (*Yeni Ümit*) التركية، العدد ١٦، ص ٧-١١؛ والعدد ١٧.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)؛ صحيح مسلم (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٢)؛ دار السلام، الرياض.
- نَوَال سَوَيْنْدِي (*Nevval Sevindi*): "لقاء مع فتح الله كُولُنْ فِي نِيُيُورِكْ (*Fethullah Gülen ile New York Sohbeti*)"، (١٩٩٧م).
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)؛ سنن النسائي؛ دار المعرفة، بيروت، ١-٨، (١٩٩٢م).
- سعيد التُّورُوسِي، بديع الزمان (ت: ١٩٦٠م)؛ الكلمات؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- \_\_\_\_\_، المكتوبات؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- \_\_\_\_\_، صيقل الإسلام، دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- \_\_\_\_\_، إشارات الإعجاز في مَظَانِّ الإيجاز؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- \_\_\_\_\_، سيرة ذاتية؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- \_\_\_\_\_، الملاحق؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- عبد الله أَرْغُونُ (*Ergün*): "فتح الله كُولُنْ فِي مَرَاةِ الإِعْلَامِ (*Medya Aynasında Fethullah Gülen*)".
- عثمان أَوْزُصُوي: "لقاء مع فتح الله كُولُنْ فِي بَث مِبَاشِر (*Fethullah Gülen ile Canlı Yayında Gündem*)"، إسطنبول (١٩٩٨م).
- علي أُونَال (*Ali Ünal*): "قضيّة شهرًا مع فتح الله كُولُنْ فِي أَمْرِيكَا، "إيشيك يَابَنْلَرِي" (*Işık Yayınları*)"، إسطنبول (٢٠٠١م)، (باللغة التركية).
- فتح الله كُولُنْ: "المَوْشُور-١"، دار النيل - القاهرة، ط ١، (٢٠١٥م).

- \_\_\_\_\_، "ألوان وظلال ١-٢"، دار النيل - القاهرة.
- \_\_\_\_\_، "سلسلة الفصول ١-1 (Fasıldan Fasıla-1)"، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية).
- \_\_\_\_\_، "سلسلة الفصول ٢-2 (Fasıldan Fasıla-2)"، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية).
- \_\_\_\_\_، "سلسلة الفصول ٣-3 (Fasıldan Fasıla-3)"، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية).
- \_\_\_\_\_، سلسلة التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح-١، دار النيل للطباعة والنشر، ط ٤، القاهرة، (٢٠١١م).
- \_\_\_\_\_، سلسلة التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح-٢، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية).
- \_\_\_\_\_، الموازين أو أضواء على الطريق، دار النيل - القاهرة (٢٠٠٦م).
- \_\_\_\_\_، النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، دار النيل - القاهرة (٢٠١٠م).
- \_\_\_\_\_، ترانيم روح وأشجان قلب، دار النيل (٢٠٠٨م)، القاهرة.
- \_\_\_\_\_، "ريشة العزف المكسورة (Kırık Mızrap)"، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية).
- \_\_\_\_\_، سلسلة العصر والجيل-١، العصر والجيل، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)، ص ١١٧
- \_\_\_\_\_، سلسلة العصر والجيل-٢، الإنسان في دوامة الأزمات (Buhranlar Anaforunda İnsan)"، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية)
- \_\_\_\_\_، سلسلة العصر والجيل-٣، "نحو الجنة المفقودة (Yitirilmiş Cennete Doğru)"، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية).
- \_\_\_\_\_، سلسلة العصر والجيل-٤، "شريحة الزمن الذهبية (Zamanın Altın Dilimi)"، "نَيْلُ يَائِنَلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)، (باللغة التركية).

\_\_\_\_\_، سلسلة العصر والجيل-٥، "أيام تتنفس أنساما ربيعية (Günler Baharı Soluklarken)"، (نيل يائِنلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)،  
باللغة التركية).

\_\_\_\_\_، سلسلة العصر والجيل-٦، أفكار في طور الاخضرار (Yeşeren Düşünceler)"، "نيل يائِنلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)،  
باللغة التركية).

\_\_\_\_\_، سلسلة العصر والجيل-٧، "أفق يلوح منه النور (Işığın Görüldüğü Ufuk)"، "نيل يائِنلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)،  
باللغة التركية).

\_\_\_\_\_، سلسلة المؤشور-٢، "نيل يائِنلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)،  
باللغة التركية).

\_\_\_\_\_، من البذرة إلى الثمرة تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة، دار النيل -  
القاهرة، ط ٢، (٢٠١٥م).

\_\_\_\_\_، ونحن نبني حضارتنا، دار النيل - القاهرة (٢٠١٣م).

\_\_\_\_\_، ونحن نقيم صرح الروح، دار النيل - القاهرة (٢٠١٠م).

\_\_\_\_\_، سلسلة الأسئلة العصر المحيرة:

الجزء الأول: الردّ على شبهات العصر، دار النيل - القاهرة، (٢٠١٣م).

الجزء الثاني: نحو عقيدة صحيحة، دار النيل - القاهرة، (٢٠١٤م).

الجزء الثالث: الاستقامة في العمل والدعوة، دار النيل - القاهرة، (٢٠١٥م).

الجزء الرابع: "نيل يائِنلِرِي (Nil Yayınları)"، إسطنبول (٢٠١٢م)،  
باللغة التركية).

\_\_\_\_\_، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، دار النيل - القاهرة (٢٠١١م).

صحيفة "أقسام (Akşam)" التركية، ١٣ مارس/آذار (١٩٩٨م)، ١٦ مايو/أيار  
(١٩٩٧م)، ٢٥ مارس/آذار (١٩٩٧م).

صحيفة "حُرِّيَّت (Hürriyet)" التركية، ١ نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٩٦م)، ١٩  
يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م).

صحيفة "زمان (Zaman)" التركية، ١ أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٦م)، ١١ مارس/آذار (١٩٩٨م)، ١١-١٢ أبريل/نيسان (١٩٩٨م)، ١٢ سبتمبر/أيلول (٢٠٠١م)، ٢ أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٦م)، ٢٩ يناير/كانون الثاني (١٩٩٧م)، ٧ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م)، ٨ يناير/كانون الثاني (١٩٩٦م)، من ٣٠ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م) إلى ١ فبراير/شباط (١٩٩٨م).

صحيفة "صباح (Sabah)" التركية، ١١ مايو/أيار (١٩٩٧م)، ١٤ فبراير/شباط (١٩٩٥م)، ٢٢ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م)، ٢٣ يناير/كانون الثاني (١٩٩٥م)، ١٨ أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٥م)، ١٩ أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٥م)، ٢١ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م)، ٢٦ ديسمبر/كانون الأول (١٩٩٧م)، ٢٩ يوليو/تموز (١٩٩٥م).

صحيفة "يَني يُوزُيِل (Yeni Yüzyıl)" التركية، ٢ فبراير/شباط (١٩٩٧م)، ٢ نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٩٧م)، ٨ يوليو/تموز (١٩٩٥م)، ١٣ يوليو/تموز (١٩٩٥م)، ٢٦ أغسطس/آب (١٩٩٥م)، من ٣١ أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٦م) إلى ٢ نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٩٦م)، ١ يناير/كانون الثاني (١٩٩٨م).

قُدِّرَت أُونَالُ (Kudret Ünal) و"سَلْجُوقُ جَامِجِي (Selçuk Camcı)"، "مناخ التسامح والحوار في أحاديث فتح الله كُولُنْ وكتاباتاته (Fethullah Gülen'in Sohbetlerinde ve Yazılarında Hoşgörü ve Diyalog İklimi)"، "مَرْكُوزُ يَائِنَلِرِي (Merkür Yayınları)"، إسطنبول (١٩٩٩م)، (باللغة التركية).

القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيمون القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ)؛ مسند الشهاب؛ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي؛ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١-٢، ط ١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٦).

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت: ٢٧٩هـ)؛ جامع الترمذي (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٤)؛ دار السلام، الرياض.